THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

M.A-R. 5489
(vol. 3)

تفسير التبيان

لشيخ الطائفة الطوسي قدس سره

٣٨٥ — ٤٦٠

المجلد الثالث

صححه ورتبه وعلق حواشيه ووضع فهارسه

أحمد شوقي الأمين و أحمد حبيب قصير

مكتبة الأمين

النجف الأشرف

مطبعة النعمان - النجف الأشرف

تفسير التبيان

لشيخ الطائفة الطوسي قدس سره

٣٨٥ — ٤٦٠

المجلد الخامس

صححه ورتبه وعلق حواشيه ووضع فهارسه

أحمد حبيب قصير

مكتبة القصير

النجف الأشرف

مطبعة النعمان النجف

التبيان

في

تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطّائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطّوسيّ قدّس

المتوفّى ٤٦٠ هـ

صححه ورتبه وعلق حواشيه ووضع فهارسه :

أحمد حبيب قصير العاملي

مكتبة القصير

النجف الأشرف

١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠م

BP
130.4
.T8
V.3

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفقنا لطاعته والعمل على فهم كتابه وأحكامه. وإني اشكره إستتماماً لنعمته ورضاءبتدبيره وإعترافاً بربوبيته واعتقاداً بحكمته. وصلى الله على محمد رسوله الأمين وعلى آله الميامين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وبعد فاني اقدم لاخواني المؤمنين العاملين بأحكام القرآن هذا المجلد الخامس من تفسير التبيان. وقد لاقيت من العناء في اخراجه الشيء الكثير.

واسأله سبحانه ان يوفقنا لاكماله على النهج السليم، وقد عثرت على مخطوطتين ناقصتين احداهما تنتهي بانتهاء المجلد الرابع، والاخرى ترافقنا الى آخر الكتاب إلا انها ناقصة بعض الاوراق.

والفت نظر القارىء الى ان العناوين مثل (اللغة، الاعراب، المعنى) هي من وضعنا. وكذلك ارقام الآي. والله هو الملهم الموفق للسداد

أحمد حبيب قصير

MAY 17 1973 PL 480

قوله تعالى :

﴿ قُلْ يا أيُّها النَاسُ إني رَسُولُ اللهِ إليكُمْ جَميعاً الذّي لَهُ مُلْكُ السَّمواتِ وَالأرْضِ لا إله إلاّ هُوَ يُحيي وَيُميتُ فآمِنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ النبيِّ الأميِّ الذي يُؤمِنُ باللهِ وَكلماتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٥٧) آية بلا خلاف .

المعنى :

امر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ ان يخاطب الخلق ، ويقول لهم إني رسول الله أرسلني اليكم يعني الى الناس أجمع « الذي له ملك السماوات والأرض » يعني ارسلني اليكم الذي له التصرف في السماوات والارض من غير دافع ، ولا منازع « لا إله » لا معبود « إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله » امر من النبي ﴿ ع ﴾ للخلق بأن يصدقوا بتوحيد الله ويقروا بنبوة « الامي الذى يؤمن » يعني يصدق بالله وكلماته وامرهم بأن يتبعوه ويرجعوا الى طاعته لكي يهتدوا الى الثواب والجنة .

الاعراب :

وجميعاً نصب على الحال من ضمير المخاطب الذي عمل حرف الاضافة فيه والعامل في الحال معنى الفعل في « رسول » الا انه لا يتقدم على حرف الاضافة ، لانه قد صار بمنزلة العامل .

المعنى :

وإنما وصفه بأنه يحيي ويميت لأنه لا يقدر على الاحياء إلا الله ، ولا على

الاماتة ايضاً سواه لانه لو قدر احد على الاماتة لقدر على الاحياء ، لأن من شأن القادر على الشيء أن يكون قادراً على ضده وانما استعمل بمعنى لتهتدوا على الرجاء والطمع في الفوز به من العذاب.

قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾

(١٥٨) آية بلا خلاف .

المعنى :

أخبر الله تعالى ان من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون .

قال ابن عباس والسدي : قوم وراء الصين .

وقال ابو جعفر ﴿ ع ﴾ : هم قوم خلف الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا .

وأنكر الجبائي قول ابن عباس ، وقال شرع موسى ﴿ ع ﴾ ، منسوخ بشرع عيسى ﴿ ع ﴾ وشرع محمد ﴿ ص ﴾ فلو كانوا باقين لكفروا بنبوة محمد .

وهذا ليس بشيء ، لأنه لا يمتنع ان يكون قوم لم تبلغهم الدعوة من النبي ﴿ ص ﴾ فلا نحكم بكفرهم .

وقال الجبائي يحتمل ذلك وجهين :

احدهما ـ انهم كانوا قوماً متمسكين بالحق في وقت ضلالتهم (١) بقتل انبياءهم

والآخر ـ انهم الذين آمنوا بالنبي ﴿ ص ﴾ مثل ابن سلام وابن صوريا وغيرهما.

وتقدير الكلام في معنى الآية اذاً : كان من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه

(١) أي في وقت ضلالة قومهم

يعدلون ، قد مدحوا بذلك وعظموا فعلى كل امة ان يكونوا كهذه الامة الكريمة في هذا المعنى .

اللغة :

والامة الجماعة التي تؤم امراً بأن تقصده وتطلبه . وامة محمد ﴿ ص ﴾ تؤم شريعة . وامة موسى وعيسى مثل ذلك .

المعنى :

وليس في الآية ما يدل على ان في كل عصر امة هادية من قوم موسى لأن بعد نبوة نبينا ﴿ ص ﴾ لم يبق احد يجب اتباعه فى شرع موسى ﴿ ع ﴾ وكذلك قوله تعالى «وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون » (١) ولا دلالة في ذلك على ان تلك الامة موجودة في كل عصر ، بل لو لم توجد هذه الامة الا في وقت واحد هادية بالحق عادلة به صح معنى الآية على ان عندنا في كل عصر لا يخلون من قوم بهـــذا الوصف وهم حجج الله على خلقه ، المعصومين الذين لا يجوز عليهم الخطأ والزلل ، فقد قلنا : بموجب الآية .

وصريح الآية يدل على بطلان قول من قال لا يهدي الى الحق ، الا الله تعالى ، لأن الله تعالى بين ان فيمن خلقه امة يهدون بالحق وبه يعدلون ، وظاهر ذلك الحقيقة وصريح الآية بخلاف ما يقوله المخالف ، ولا ينافي ذلك قوله تعالى « من يهد الله فهو المهتدي » (٢) لانه يصح اجتماعه مع ذلك والمعنى من يهدية الله الى الجنة فهو المهتدي اليها على ان قوله تعالى « من يهدي الله فهو المهتدي » لا يمنع من ان يهديه ايضاً غير الله ويهتدي ، لان المتعلق بذلك تعلق بدليل الخطاب . وهو ليس بصحيح

(١) سورة الأعراف آية ١٨٠ (٢) سورة الأعراف آية ١٧٧

عند اكثر العلماء على ان من هدى غيره الى الحق فانما يهديه بأن ينبهه على الحجج التي نصبها الله على الحق فجاز ان يضاف ذلك الى انه بهداية الله . ومن حمل قوله تعالى « يهدون » على ان المعنى يهتدون فقد غلط ، لأن ذلك لا يعرف في اللغة .

قوله تعالى :

﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١٥٩) آية بلا خلاف .

الاعراب :

قد مضى تأويل معنى اكثر هذه الآية في سورة البقرة (١) فلا معنى للتطويل بذكر ما مضى وانما نذكر مالم يذكر هناك : انما انث قوله اثنتي عشرة اسباطاً لان النية التقديم والتأخير والتقدير وقطعناهم امماً اثنتى عشرة اسباطاً ولم يقل سبطاً لاحد ثلاثة اشياء :

احدها – انه بدل ليس بتمييز والمعنى قطعناهم اسباطاً ذكر ذلك الزجاج .

الثاني – على ان كل قسم اسباط لان الواحد يقال له سبط ، فيجوز على هذا عندي عشرون دراهم على ان كل قسم منها دراهم قال كثير :

علي والثلاثة من بنيه هم الاسباط ليس بهم خفاء

(١) آية ٦٠ من سورة البقرة المجلد ١ : ٢٦٩

فسبط سبط ايمان وبر وسبط عيبته كربلاء (١)

الثالث - ان يكون أقام الصفة مقام الموصوف . وتقديره اثنتي عشرة فرقة اسباطاً .

اللغة والمعنى :

والسبط : الجماعة التي تجري فى الامر بسهولة لاتفاقهم في الكلمة على انه مأخوذ من السبوط .

وقيل انه مأخوذ من السبط ضرب من الشجر ، فجعل الاب الذي يجمعهم كالشجرة التي تتفرع عنها الأغصان الكثيرة .

وقال ابو علي لانهم كانوا بني اثني عشر رجلا من ولد يعقوب .

وقيل انما فرقوا اسباطاً لاختلاف رتبتهم .

والانبجاس : خروج الماء الخاري بقلة ، والانفجار خروجه بكثرة ، فكان يبتدىء بقلة ثم يتسع حتى يصير الى الكثرة ، فلذلك ذكره ههنـــا بالانبجاس وفي البقرة بالانفجار .

والظلة السترة التي تقي من الشمس ، والأغلب عليها العلو .

فجعل الله عز وجل لهم من الغمام ظلة تكنهم لما احتاجوا الى ذلك فى التيه كما اعطاهم المن والسلوى . والمن ضرب من الحلاوة يسقط على الشجر . والسلوى طائر كالسماني . وانما انث « اثنتا عشرة أسباطاً » مع ان السبط ذكر ، لأحد ثلاثة اشياء :

احدها - اثنتي عشرة فرقة ثم حذف .

الثاني - وقطعناهم قطعاً اثنتي عشرة ، فحذف على هذا التقدير .

---

(١) الاغانى ٩ : ١٤

الثالث - ان السبط لما وقع على الأمة أنث ، كما قال الشاعر :

وان كلاباً هذه عشر أبطن　　وانت برئ من قبائلها العشر (١)

وقوله تعالى « وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون » معناه : ما نقصونا شيئاً ولكن نقصوا انفسهم تقول العرب : ظلمت سقاك اذا سقيته قبل ان يخرج زبده ، ويقال : ظلم الوادي اذا بلغ الماء منه موضعاً لم يكن ناله فيما مضى ، قال الفراء وانشدني بعضهم :

يكاد يطلع ظلماً ثم يمنعه　　عن الشواهق فالوادي به شرق (٢)

ويقال هو أظلم من حية . لانها تأتي جحراً لم تحفره فتسكنه ويقال ماظلمك ان تفعل كذا أي مامنعك . والارض المظلومة التي لم ينلها المطر .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٦٠) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ اهل المدينة وابن عامر ويعقوب (يغفر) بالياء وضمها ، وفتح الفاء الباقون بالنون وكسر الفاء ، وقرأ اهل المدينة ويعقوب (خطيئاتكم) على جمع السلامة ورفع التاء ، وقرأ ابن عامر على التوحيد ورفع التاء ، وقرأ ابوعمرو (خطاياكم) بغير همز على جمع التكسير ، الباقون وهم ابن كثير واهل الكوفة (خطيآتكم) على جمع السلامة وكسر التاء

(١) اللسان (كلب)　　(٢) اللسان (ظلم)

الحجة :

من قرأ « يغفر » حمله على قوله تعالى « وإذا قيل لهم » ادخلوا ، يغفر ، والتي في البقرة (نغفر) بالنون ، فالنون هناك أحسن لقوله «وإذ قلنا » وجاز ههنا بالنون كأنه قيل لهم ادخلوا نغفر . أي ان دخلتم غفرنا .

ومن قرأ تغفر بالتاء المضمومة فلانه اسند اليها خطيئاتكم وهو مؤنث فأنث وبنى الفعل للمفعول اشبه بما قبله ، لان قبله واذ قيل .

ومن قرأ بالنون فلقوله « وسنزيد المحسنين » .

اللغة :

وخطايا جمع خطيئة جمع تكسير (وخطياتكم) مسكناً لأنه يكثر فيه السكون وسميت القرية قرية لأن الماء يقرى اليها يقال قريت الماء في الحوض أقريه قرياً إذا جمعته. ويجوز ان يكون مشتقاً من اجتماع الناس اليها .

المعنى :

وقد مضى تفسير مثل هذه الآية في سورة البقرة (١) فلا معنى لاعادته . وإنما نذكر جمل ذلك فنقول :

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد ﴿ ص ﴾ يقول اذكر يا محمد اذ قيل لبني اسرائيل اسكنوا هذه القرية وهي بيت المقدس على قول وغيره الجبائي من المفسرين .

وقال الحسين هي ارض الشام .

وقال قوم غير ذلك . وقد ذكرنا اختلافهم في سورة البقرة (٢) لأنه كان امرهم بدخولها واخراج من فيها من الكفار وغيرهم ووعدهم ان يوسع عليهم فيها الرزق

(١ ، ٢) آية ٥٨ المجلد ١ : ٢٦٣

ويبيحهم ذلك ليأكلوا من حيث شاؤا ما يريدون من انواع الاغذيه والرزق . وقال لهم : « كلوا من حيث شئتم » على كثرة الرزق والغذاء في هذه القرية وفي كل ناحية منها .

وقوله تعالى : « وادخلوا الباب سجداً » يعني متواضعين وكانوا امروا بأن يدخلوا باباً منه معيناً في هذا الموضع كانوا فيه - في قول الجبائي . وقال ذلك قبل دخولهم الى بيت المقدس قال ولم يرد ان يدخلوا الباب سجداً منحنين .

وقال ابن عباس كان هناك باب ضيق امروا بان يدخلوه ركعاً فدخلوه على استاههم . وقيل لهم « قولوا حطة » أي مغفرة ، فقالوا حنطة . وذكرنا اختلاف الناس في ذلك .

وقوله « وقولوا حطة » معناه قولوا حط عنا ذنوبنا وهو بمنزلة الاستغفار والتوبة.

وقوله « نغفر لكم خطاياكم » جواب الأمر وفيه معنى الجزاء . والتقدير انكم ان فعلتم ذلك غفرنا لكم خطاياكم . وقوله ﴿ سنزيد المحسنين ﴾ معناه سنزيد المحسنين منكم نعماً وفضلا في الدنيا والآخرة ، ولا نقتصر لهم على نعم هذه القرية .

الاعراب :

ورفع حطة على تقدير مسئلتنا حطة ومطلوبنا حطة . وان نصب جاز بمعنى حط عنا حطة .

وقوله سجداً نصب على الحال من دخول الباب . وقال ابو علي ليس بحال لدخول الباب ، لانهم بدلوا في حياة موسى .

قوله تعالى:

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ (١٦١) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء الذين امرهم بدخول القرية متواضعين ، وان يقولوا حطة لذنوبنا ، انهم بدلوا قولا غير الذي قيل لهم .

والتبديل تغيير الشيء برفعه الى بدل ، فقال الحسن قالوا حنطة بدل حطة .

وقال قوم : قالوا قولا ينافي الاستغفار ويخالف التوبة . وقالوا ما يدل على الاصرار .

واخبر تعالى انه ارسل عليهم عند ذلك رجزاً وهو العذاب والعقوبة جزاء بما كانوا يفعلونه من معاصي الله تعالى ويظلمون بها انفسهم .

واصل الرجز الميل عن الحق فمنه الرجازة وما يعدل به الحمل اذا مال عن خفة والرجز عبادة الوثن ، والناقة الرجزاء التي تميل في احد شقيها لداء يعرض لها في عجزها .

قوله تعالى :

﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (١٦٢) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

القراء كلهم على فتح الياء في قوله تعالى ﴿ لا يسبتون ﴾ وروي عن الحسن ضمها من قال أسبتوا اراد دخلوا في السبت ومن فتح الياء اراد يفعلون السبت اي يقومون بأمره كما يفعل المسلمون يوم الجمعة ومثله أجمعنا اي مرت بنا جمعة ، وجمعنا شهدنا الجمعة .

قال الفراء قال لي بعض العرب اترأنا أشهرنا منذ لم نلتق؟ يريد مر بنا شهراً .

المعنى :

امر الله نبيه ﴿ ع ﴾ ان يسأل بني اسرائيل الذين كانوا فى وقته عن القرية التي كانت حاضرة البحر ، وعن سبب هلاكها ، سؤال تقرير وتوبيخ لا سؤال استفهام . كما يقول الرجل لغيره انا فعلت كذا ؟ وانت تعلم انك لم تفعل ، وانما تسأله لتقريره وتوبيخه ، فوجه امر النبي ﴿ ع ﴾ ان يسأل اهل الكتاب عن اهل هذه القرية مع ما اخبره الله تعالى بقصتها لتقريرهم تقديم كفرهم وتعلمهم ما لا يعلم الا بكتاب او وحي ، وهو ﴿ ع ﴾ لم يكن ممن قرأ الكتب ، فعلموا بذلك ان ذلك وحي انزل عليه .

اللغة والاعراب والمعنى :

وقوله تعالى ﴿ اذ يعدون في السبت ﴾ معناه اذ يظلمون في السبت ، يقال عدا فلان يعدو عدواناً . وعدا عدواً اذا ظلم .

وقوله تعالى ﴿ اذ تأتيهم حيتانهم ﴾ فى موضع نصب بيعدون .

والمعنى سلهم اذ عدوا في وقت اتيان الحيتان شرعاً اي ظاهرة والحيتان جمع حوت واكثر ما يسمي العرب السمك بالحيتان والنيغان وكانت الحيتان فأتي ظاهرة فكانوا يحتالون بحبسها يوم السبت ثم يأخذونها في يوم الأحد .

وقال قوم : جاهروا بأخذها يوم السبت .

وقوله تعالى ﴿ كذلك نبلوهم ﴾ اي مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم . وموضع الكاف نصب بقوله : ﴿ نبلوهم بما كانوا يفسقون ﴾ اي شددت عليهم المحنة بفسقهم .

قال الزجاج ويحتمل ان يكون ﴿ ويوم يسبتون لا تأتيهم كذلك اي لا يأتيهم

شرعاً ويكون «كذلك نبلونهم» مستأنفاً . والأول قول اكثر المفسرين .

والوجه في تشديد المحنة التي هي التكليف ان الله تعالى امر بني اسرائيل بامساك السبت والتفرغ فيه للعبادة وان لا يتشاغلوا بشيء من امر الدنيا فيه فتهاون(١) قوم ممن كان يسكن هذه القرية وهي ايلة في قول قوم من المفسرين . وقال قوم هي مدين ، ورويا جميعاً عن ابن عباس ، ولم يقوموا بما (٢) وجب عليهم فشدد الله على من احذوه ، قال الحسن كانت تشرع على ابوابهم كأنها الكباش البيض فيعدو فيأخذونها وتبعد عنهم في باقي الايام وامرهم ان لا يصطادوه يوم السبت فكان ذلك تشديداً للتكليف وتغليظاً للمحنة والبلوى وكان ذلك عقوبة على تهاونهم بما اوجب الله عليهم فخالفوا فأرسلوا الشباك يوم السبت واخرجوها يوم الاحد .

قوله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١٦٣) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ حفص وحده عن عاصم «معذرة» بالنصب . الباقون بالرفع .

من رفع فعلى تقدير موعظتنا معذرة الى ربكم . ومن نصب فعلى المصدر ، كما يقول القائل لغيره معذرة الى الله واليك من كذا على النصب .

---

(١) في المطبوعة (فيها فيه) بدل (فتهاون) .

(٢) (في المطبوعة ولم يعم بما) بدل (ولم يقوموا بما) .

المعنى :

والمعنى قالوا نعتذر معذرة واعذاراً .

قال ابو زيد عذرته اعذره عذراً ومعذرة وعذرى . والتقدير واذكر اذ قالت امة منهم لطائفة منهم لم تعظون قوماً علمتم انهم هالكون في الدنيا ويعذبهم الله عذاباً شديداً في الآخرة ، فقالوا في جوابهم وعظناهم اعذاراً الى الله اي نعظهم اعتذاراً الى ربكم لئلا يقول لنا لم لم تعظوهم ولعلهم ايضاً بالوعظ يتقون ويرجعون .

وفي ذلك دليل على انه يجب النهي عن القبيح وإن علم الناهي ان المنهى لا ينزجر ولا يقبل ، وان ذلك هو ضد الحكمة والصواب الذي لايجوز غيره .

واختلفوا في هذه الفرقة التى قالت لم تعظون قوماً الله مهلكهم ؟ هل كانت من الناجية او من الهالكة عن الاعتداء في السبت . ذهب اليه ابن عباس وقال نجت الطائفتان من الهلاك الناهية والتى قالت لها لم تعظون ، وبه قال السدي .

وقال قوم الفرقة التي قالت لم تعظون قوماً الله مهلكهم كانت من الفرقة الهالكة ذهب اليه ابن عباس في رواية اخرى عنه .

وقال قتادة عن ابن عباس هم ثلاث فرق التي وعظت والموعظة فنجت الاولى ، وهلكت الثانية ، والله اعلم ما فعلت الفرقة الثالثة ، وهم الذين قالوا لم تعظون واختاره البجائي .

وقال الكلبي : هما فرقتان الواعظة والموعظة .

وقال الجبائي لم يريدوا بذلك الا نهيهم اياهم عن ذلك القبيح . وانما قالوا ذلك على سبيل الاياس من قبولهم منهم .

وقوله « لم » اصله (لما) الا انه حذف الألف مع حرف الجر نحو « عم يتساءلون » ولم يقولوا (عن ما) .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (١٦٤) آية بلا خلاف .

القراءة واللغة :

قرأ ابو بكر الا العليمي « بيئس » بفتح الباء وبعدها ياء ساكنة وبعدها همزة مفتوحة على وزن فيعل . وروي عنه بكسر الهمزة . وقرأ اهل المدينة والداحوني عن هشام بكسر الهاء وبعدها ياء ساكنة من غير همز .

وقرأ مثل ذلك ابن عامر الا الداحوني عن هشام الا انه همز . الباقون بفتح الياء وبعدها همزة مكسورة بعدها ياء ساكنة على وزن فعيل .

وروى خارجة عن نافع بفتح الباء بعدها ياء بلا همز على وزن فعل .

اللغة والحجة :

قال ابوزيد : قد بؤس الرجل يبؤس بأساً اذا كان شديد البأس وفي البؤس بئس و بيس يبأس بؤساً و بيئسا وباساً . والبأساء الاسم .

قال ابوعلي من قرأ على وزن فعيل يحتمل امرين :

احدها - ان يكون فعيلا من بؤس يبؤس اذا كان شديد البأس مثل « من عذاب شديد » قال ابو محمد الفقعسي :

اشعث غير حسن اللبوس باق على عيش له بئيس

اي شديد .

والثاني - ان يكون من عذاب ذي بيئس . فوصفه بالمصدر والمصدر قد يجيء على فعيل مثل نكير ونذير وشحيح وعذير الحي ، والتقدير من عذاب ذي بئيس أي عذاب ذي بؤس .

ومن قرأ بكسر الباء من غير همز فانه جعلها اسماً ، فوصفه به مثل قوله ﴿ ص ﴾ إن الله نهى عن قيل وقال ومثله : منذ شب الى رب . ونظيره من الصفة نقض وبصق.

ومن فتح الباء من غير همز فهو ايضاً فعل في الاصل وصف به وابدلت الهمزة ياء وحكى سيبويه انه سمع بعض العرب يقول بيس فلا يحقق الهمزة ويدع الحرف على الاصل الذي هو فعل كانه يسكن العين كما يسكن عن علم ويقلب الهمزة ياء الا أنه لما اسكنها لم يجز ان يجعلها بين بين فأخلصها ياء .

وقراءة ابن عامر مثل قراءة نافع الا ان ابن عامر حقق الهمزة .

وقراءة ابي بكر على وزن فيعل ، فانه جعله وصفاً كضيغم وحيدر وهذا البناء كثير في الصفة ولا يجوز كسر العين من بئيس لأن فيعل بناء اختص به ما كان عينه ياء او واواً مثل سيد وطيب ولم يجيء مثل ضيغم وجاء في المعتل حكى سيبويه عيّن وانشد لرؤبة :

ما بال عيني كالشعيب العيّن(١)

فينبغي ان يحمل بيئس على الوهم عمن رواه عن عاصم والاعمش بالكسر وقد انشد بعضهم :

كلاهما كان رئيساً بيئسا يضرب في يوم الهياج القونسا(٢)

---

(١) وقيل قائله الطرماح . اللسان (عين) العين - بتشديد الياء : الجديد .

(٢) قائله امرىء القيس بن عابس الكندى . تفسير ابن حيان ٤ : ١٤٣ وتفسير الطبرى ١٣ : ٢٠٠

أعلى كل شي قونسه بكسر العين .

فمن كسر العين حمله على هذه اللغة .

المعنى :

أخبر الله تعالى أنه لما ترك اهل هذه القرية الرجوع عن ارتكاب المعصية بصيد السمك يوم السبت بعد ان ذكرهم الواعظون ذلك ولم ينتهوا عن ذلك انه أنجا الناهين عن ذلك واخذ الذين ظلموا انفسهم بعذاب شديد جزاء بما كانوا يفسقون ويخرجون عن طاعة الله الى معصيته .

وروي عن عطا ان رجلا دخل على ابن عباس وبين يديه المصحف وهو يبكي وقد اتى على هذه الآية إلى آخرها ، فقال ابن عباس قد علمت ان الله اهلك الذين اخذوا الحيتان وانجى الذين نهوهم ، ولا ادري ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية وهي حالنا .

و« نسوا » في الآية معناه تركوا ويحتمل ان يكون تركهم القبول في منزلة من نسي ، ولا يجوز ان يكون المراد النسيان الذي هو السهو لانه ليس من فعلهم فلا يذمون عليه .

وقال الجبائي العذاب الشديد لحقهم قبل ان يمسخوا قردة خاسئين .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾

(١٦٥) آية بلا خلاف .

المعنى :

أخبر الله تعالى عن هؤلاء العصاة الذين عصوا بصيد السمك في السبت ونهوا

فلم ينتهوا ووعظوا فلم يتعظوا وانه انزل عليهم العذاب الشديد ، فلما عتوا عما نهى الله وتمردوا في معصيته مسخهم الله قردة خاسئين .

اللغة :

والعاتي الشديد الدخول في الفساد المتمرد الذي لا يقبل موعظة . والعتو الخروج الى الجرأة على أفحش الذنوب . وقوله ﴿ خاسئين ﴾ معناه مبعدين من قولهم خسأت الكلب اذا اقصيته فخسأ اي بعد .

المعنى :

وقال الحسن معناه صاغرين وقال ان اهل المسخ يتناسلون .

وقال ابن عباس لا يتناسلون . واجاز الزجاج كلا الامرين .

وسئل ابو مالك اكانت القردة والخنازير قبل ان يمسخوا ، قال : نعم وكانوا فيما خلق الله من الامم .

وقول ابن عباس اصح ، لان المعلوم ان القردة ليست من ولد آدم كما ان الكلاب ليست من ولد آدم .

قال قتادة : صاروا قردة لها اذناب تعاوى بعد ما كانوا نساء ورجالا .

وقوله تعالى : « كونوا قردة » صيغته صيغة الامر والمراد به الاخبار : من انه جعلهم قردة على وجه يسهل عليه ولم يتعب به ولم ينصب كما قال تعالى : « إنما قولنا لشيء إذا اردناه ان نقول له كن فيكون » (١) . وقال « ائتيا طوعاً او كرهاً قالتا أتينا طائعين » (٢) ولم يكن هناك امر لانه تعالى لا يأمر المعدوم ، وانما هو إخبار عن تسهيل الفعل ، واجاز الزجاج ان يكون قيل لهم ذلك بكلام سمعوه فيكون

(١) سورة النحل آية ٤٠　　(٢ سورة حم السجدة آية ١١

ذلك بلغ فى الآية اللنزلة بهم لما يدل على وقوع الأول الذي تبعه الثاني ، وليس كذلك اذا قلت ، لما جاء المطر خرج النبات .

وقوله تعالى : « ولو ردوا لعادوا » فلا يقع الرد اصلا .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٦٥) آية بلا خلاف .

المعنى :

التقدير اذكر يا محمد « إذ تأذن ربك » ومعنى تأذن : اعلم ، والعرب تقول تعلم ان هذا كذا بمعنى اعلم ، قال زهير :

تعلم ان شر الناس حي ينادي في شعارهم يسار (١)

ويسار اسم عبد . وقال زهير ايضاً :

فقلت تعلم ان للصيد غرة والا تضيعة فانك قاتله (٢)

وقال الزجاج معنى تأذن تألا ربك ليبعثن .

وقال قوم : معناه امر من اذن يأذن .

وقوله : ﴿ ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ﴾ قسم من الله تعالى انه يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب اي من يوليهم سوء العذاب .

---

(١) الاغانى ـ دار الثقافة بيروت ـ ١٠ : ٣١٧ . الشعار علامة ينصبونها فى سفرهم .

(٢) تفسير القرطبى ٧ : ٣٠٩ . وروايته (تضيعها) بدل (تضيعه).

قال ابو جعفر ﴿ع﴾ وابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير والحسن : اراد به امة محمد ﴿ص﴾ يأخذون منهم الجزية .

فان قيل فقد جعلوا قردة كيف يبقون الى يوم القيامة ؟

قلنا : ان الذكر لليهود فمنهم من مسخ فجعل منهم القردة والخنازير ومن بقي فهم بذل من الله ، فهم اذلاء بالقتل او اذلاء باعطاء الجزية ، فهم في كل مكان اذل اهله لقوله تعالى « ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس » (١) اي الا ان يعطوا الذمة والعهد .

وفي الآية دليل على أن اليهود لايكون لهم دولة الى يوم القيامة ولاعز لهم ايضاً

وقيل في معنى البعث ههنا قولان :

احدهما ـ الامر والاطلاق .

والآخر ـ التخلية ، وان وقع على وجه المعصية ، كما قال تعالى : « إنا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً » (٢) .

وقوله تعالى : « إن ربك لشديد العقاب » معناه ان ربك يا محمد لسريع العقاب لمن يستوجبه على كفره ومعصيته « وانه لغفور رحيم » اي صفوح عن ذنوب من تاب إليه من معاصيه ورجع الى طاعته يستر عليهم بعفوه وبفضله رحمة بهم فلا ينبغي لاحد ان يصر ويأمن عقابه بل ينبغي ان يجوز سرعة عقابه فيبادر إلى التوبة والاستغفار .

قوله تعالى :

﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ

(١) سورة آل عمران آيه ١١٢　　(٢) سورة مريم آية ٨٤

ذلك ﴿ وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ﴾ (١٦٧) آية بلا خلاف.

اخبر الله تعالى انه قطع بني اسرائيل يعني فرقهم فرقاً في الارض « امماً » يعني جماعات شتى متفرقين في البلاد ، وهو قول ابن عباس ومجـــاهد ، وعلى اي وجه فرقهم ؟ قيل فيه قولان :

احدهما - فرقهم حتى تشتت امرهم وذهب عزهم عقوبة لهم .

الثاني - فرقهم على ما علم انه اصلح لهم في دينهم .

ثم اخبر عنهم فقال : منهم هؤلاء الصـــالحون يعني من بني اسرائيل الصالحون وهم الذين يؤمنون بالله ورسله ، ومنهم دون ذلك يعني دون الصالح ، وإنما وصفهم بذلك لما كانوا عليه قبل ارتدادهم عن دينهم ، وقبل كفرهم بربهم ، وذلك قبل ان يبعث قوم فيهم عيسى ﴿ ع ﴾ .

وقوله : « وبلوناهم بالحسنات والسيئات » معناه اختبرناهم بالرخاء في العيش والخفض في الدنيا والدعة والسعة في الرزق ، وهي الحسنات ويعني بالسيئات الشدائد في الحبس والمصائب في الأنفس والأموال « لعلهم يرجعون » اي لكي يرجعوا إلى طاعته وينيبوا إلى إمتثال امره .

فان قيل كيف قال لكي يرجعوا الى الحق وهم لم يكونوا عليه قط ؟!

قلنا عنه جوابان :

احدهما - انهم مارّون على وجوههم الى جهة الباطل فدعوا إلى الرجوع إلى جهة الحق لأن الانصراف عن الباطل رجوع إلى الحق .

الثاني - انهم ولدوا على الفطرة وهي دين الحق الذي يلزمهم الرجوع اليه .

قوله تعالى :

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١٦٨) آية بلا خلاف .

معنى الآية إن الله اخبر انه خلف بعد القوم الذين كانوا فرقهم في الارض خلف وهم قوم نشؤا بعدهم من اولادهم ونسلهم .

اللغة :

يقال للقرن الذي يجيء في اثر قرن خلف ، والخلف ما اخلف عليك بدلا مما أخذ منك . ويقال في هذا خلف ايضاً . فأما ما اخلف عليك بدلا مما ذهب منك ، فهو - بفتح اللام - افصح . قال الفراء يقال اعطاك الله خلفاً مما ذهب لك ، فأنت خلف صدق وخلف سوء ، قال الله تعالى « فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة »(١) واكثر ما تجيء في المدح - بفتح اللام - وفي الذم بتسكينها - وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح فمن ذلك في تسكين اللام في المدح قول حسان بن ثابت :

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع (٢)

ويقال خلف اللبن اذا حمض من طول تركه فى السقاء حتى يفسد . فالرجل الفاسق

---

(١) سورة مريم آية ٥٩

(٢) ديوانه القصيدة : ٨ . واللسان (خلف) وتفسير القرطبى ٧ : ٣١ وغيرها كثير

مشبه به ، ومنه خلوف فم الصائم وهو تغيره . واما بتسكين اللام في الذم فقول لبيد:

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب(١)

المعنى :

وقيل ان الخلف الذين ذكرهم الله في هذه الآية أنهم خلفوا من قبلهم هم النصارى ـ ذهب اليه مجاهد ـ وهذا الذي قاله جائز ، وجائز ايضاً ان يكون المراد به قوم خلفوهم من اليهود .

وقوله تعالى ﴿ ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادني ﴾ . قال قوم: كانوا يرتشون على الأحكام ، ويحكمون بجور .

وقال آخرون: كانوا يرتشون ويحكمون بحق وكل ذلك عرض خسيس ، ومعني « هذا الادنى » هذا العاجل . و « يقولون سيغفر لنا » معناه إذا فعلوا ذلك يقولون الله يغفر لنا ذلك تمنياً منهم للاباطيل ، كما قال تعالى « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون » (٢) .

وقوله تعالى ﴿ وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ﴾ دليل على اصرارهم وانهم تمنوا ان يغفر لهم مع الاصرار ، لان المعنى وإن جاءهم حرام من الرشوة بعد ذلك اخذوه واستحلوه ، ولم يرتدعوا عنه ، وهو قول سعيد بن جبير وقتادة والسدي وابن عباس .

وقال الحسن معناه لا يشبعهم شيء .

وقوله ﴿ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه ﴾ معناه الم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في الاحكام القائلين سيغفر لنا هذا إذا

(١) ديوانه القصيدة : ٨ . واللسان (خلف) وتفسير القرطبي ٧ : ٣١٠ وغيرها كثير
(٢) سورة البقرة آية ٧٩

عوتبوا على ذلك. و« ميثاق الكتاب »هوما اخذ الله على بني اسرائيل من العهود باقامة التوراة والعمل بما فيها ، فقال تعالى لهؤلاء الذين قصّهم توبيخاً لهم على خلافهم امره ونقضهم عهده وميثاقه : الم يأخذ الله عليهم الميثاق في كتابه ان لا يقولوا على الله إلا الحـــق ، ولا يضيفوا اليه إلا ما انزله على رسوله موسى في التوراة ولا يكذبوا عليه .

وإنما إحتج عليهم بميثاق الكتاب ولم يحتج عليهم بالعقل ، ليعلمنا ما لا نعلمه مما هو في كتبهم من أدلة تؤكد ما في العقل

وقوله تعالى : ﴿ ودرسوا ما فيه ﴾ والمعنى قرؤا ما فيه ودرسوه فضيعوه ، وتركوا العمل به .

اللغة :

والدرس تكرر الشيء يقال درس الكتاب اذا كرر قراءته . ودرس المنزل: اذا تكرر عليه مرور الامطار والرياح حتى يمحى اثره.

المعنى :

وقوله تعالى ﴿ والدار الآخرة خير للذين يتقون ﴾ اي ما أعده الله تعالى لأوليائه في دار الآخرة من النعيم والثواب وذخره للعاملين بطاعته الحافظين لحدوده « خير للذين يتقون » يعني يجتنبون معاصي الله ويحذرون عقابه .

وقوله : ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فمن قرأ بالياء معناه افلا تعقل هذه الطائفة التي تقدم ذكرها وهم الذين يأخذون عرض هذا الادنى على احكامهم ويقولون سيغفر لنا .

ومن قرأ بالتاء قال معناه قل لهم افلا تعقلون ان الامر على ما اخبر الله به .

اللغة :

وحكي ان طياً تقول في جمع ميثاق مياثيق وفي جمع ميزان ميازين ، وحكى غيرهم عن اهل الحجاز ايضاً ذلك وانشد بعض الطائيين :

حمى لا يحل الدهر الا باذننا ولا نسل الاقوام عقد المياثيق (١)

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ (١٦٩) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة:

قرأ ابو بكر ﴿يمسكون﴾ بتسكين الميم ، الباقون بفتحها وتشديد السين .

من خفف السين فلقوله تعالى « فامساك بمعروف » (٢) وقوله « امسك عليك زوجك » (٣) وقوله « فكلوا مما امسكن » (٤) .

ومن شدد اراد التكثير وهو أولى لقوله تعالى « وتؤمنون بالكتاب كله » (٥) اي لا تؤمنون ببعضه وتكفرون ببعضه بل يؤمنون بجميعه .

ويقوي التشديد ماروي عن ابي انه قرأ «مسكوا بالكتاب » ومعني ﴿يمسكون﴾ اي يأخذون بما فيه من حلاله وحرامه .

---

(١) قائله عياض بن درة الطائى . اللسان (وثق) . فى المطبوعة (تسئل) بدل (نسل)

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٩ (٣) سورة الأحزاب آية ٣٧ .

(٤) » المائدة آية ٤ (٥) سورة آل عمران آية ١١٩

المعنى :

اخبر الله تعالى ان الذين يعملون بما فى الكتاب ويقيمون الصلاة مع دخولها في التمسك بالكتاب لجلالة موقعها وشدة تأكدها انه لا يضيع جزاء عملهم، ويثيبهم بما يستحقونه ، لاني لا اضيع لاحد - أصلح عمله ، فعمل بطاعتي - أجر عمله ، وهو قول ابن زيد ومجاهد ، وجميع المفسرين . والتقدير انا لا نضيع اجر المصلحين منهم لأن من كان غير مؤمن واصلح فأجره ساقط ، لانه يوقعه على خلاف الوجه الذي يستحق به الثواب .

اللغة والاعراب :

ويمسكون بالكتاب ويمسكون ويتمسكون ويستمسكون بمعنى واحد اي يعتصمون به ويعملون بما فيه . وخبر الذين قوله : ﴿ انا لا نضيع اجر المصلحين ﴾ فاستغنى بذكر العلة عن ذكر المعلول .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٧٠) آية بلا خلاف .

المعنى :

هذا خطاب لنبينا محمد ﴿ ص ﴾ يقول الله له : اذكر يا محمد الوقت الذي نتقنا فيه الجبل اي رفعناه فوقهم حتى صار كأنه ظلة .

وقيل انه رفع الجبل على عسكرهم فرسخاً في فرسخ .

اللغة :

وامرأة منتاق وناتق كثيرة الولد . وقال ابن الاعرابي الناتق الرافع ، والماتق الفاتق ، والناتق الباسط ، وقال العجاج :

ينتق انتاق الشليل نتقا (١)

يعني يرفعه عن ظهره . وقال الآخر :

ونتقوا احلامنا الا ثاقلا (٢)

وقال النابغة :

لم يحرموا حسن الغذاء وامهم دحقت عليك بناتق مذكار(٣)

ويروى طفحت عليك بناتق . ويقال نتق السير اذا حركه . ويقال ما ينتق برجله ولا يركض والنتق نتق الدابة صاحبها حين تعدو به وتتبعه حتى تربو فذلك النتق (٤) .

وقال بعضهم معنى ﴿ نتقنا الجبل فوقهم ﴾ فرفعناه بنتقه نتقاً . قال سمعت من يقول أخذ الجراب فنتق ما فيه اذا نثر ما فيه . ابو عبيدة اصل نتقت كل شيء

المعنى :

وقوله عز وجل ﴿ كأنه ظلة ﴾ يعني به غماماً من الظلال . وقوله ﴿ وظنوا انه

---

(١) ديوانه : ٤٠ وتفسير الطبرى الطبعة الثانية ٩ : ١٠٩ وكان فى المطبوعة : (يبيق انتاق السليل نتقا) .

(٢) اللسان (نتق) . وتفسير الطبرى الطبعة الثانية ٩ : ١١٠

(٣) اللسان (نتق) . » » ٩ : ١١٠ ومختار الشعر الجاهلى : ١٦٨

(٤) كان فى المطبوعة (النتيق نيق الدابة صاحبه يعني يعدوا به وسعة تربو فلذلك النتق) .

واقع بهم ﴾ قال الحسن معناه علموا .

وقال الجبائي والرماني هو الظن بعينه ، لأنه قوي في نفوسهم ذلك .

وقوله ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ اي قلنا لهم خذوا ما آتيناكم بجد يعني ما ألزمناكم من احكام كتابنا وفرائضه فاقبلوه باجتهاد منكم في اوانه من غير تقصير ولا توان .

وقال الجبائي معناه خذوه بالقدرة التي آتاكم الله واقدركم بها لأنهم لو لم يكونوا قادرين لما كلفهم الله ذلك . وذلك يفسد مذهب من قال القدرة مع الفعل .

وقوله ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ معناه مافي كتابه من العهود والمواثيق التي اخذناها عليكم ، بالعمل بما فيه لكي تتقوا ربكم فتخافوا عقابه بتركم العمل به . إذا ذكرتم ما اخذ عليكم فيه من المواثيق .

وكان سبب رفع الجبل عليهم ان موسى ﴿ ع ﴾ لما أتاهم بالتوراة ووقفوا على ما فيها من الاحكام والحدود والتشديد في العبادة أبوا ان يقبلوا ذلك وان يتمسكوا به وان يعملوا بما فيه . وقالوا ان ذلك يغلظ علينا ، فرفع الله الجبل كالظلة عليهم ، وعرفهم موسى انهم ان لم يقبلوا التوراة ولم يعملوا بما فيها وقع عليهم فأخذوا بالتوراة وقبلوا ما فيها وصرف الله نزول الجبل عليهم . قال ابن عباس فلذلك صارت اليهود تسجد على قرنها الايسر لانهم سجدوا كذلك ينظرون الى الجبل وكأنها سجدة نصبها الله . وانما اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم عليها السلام اتخذت مكاناً شرقياً حين حملت بعيسى ﴿ ع ﴾ .

وقال مجاهد معناه ان اخذتموه بجد وحسن نية والا القي الجبل عليكم .

وقال ابو مسلم ان رفع الجبل كان ليظلهم من الغمام وذلك خلاف اقوال المفسرين وما يقتضيه سياق الكلام .

قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧١) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (١٧٢) آيتان بلا خلاف.

القراءة والحجة واللغة :

قرأ ابن كثير واهل الكوفة « ذريتهم » على التوحيد . الباقون ذرياتهم على الجمع . وقرأ ابو عمرو « وان يقولوا ، أو ان يقولوا » بالياء فيهما . الباقون بالتاء .

الذرية قد يكون جمعاً نحو قوله تعالى « وكنا ذرية من بعدهم » وقوله تعالى « ذرية من حملنا مع نوح » (١) وقد يكون واحداً كقوله : « هب لي من لدنك ذرية طيبة ... فنادته الملائكة... إن الله يبشرك بيحيى » (٢) فهو مثل قوله : « فهب لي من لدنك ولياً يرثني » (٣) فقال الله : « يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى » (٤)

فمن أفرد جعله اسماً واستغنى عن جمعه بوقوعه على الجمع .

ومن جمع قال : لانه ان كان واقعاً على الواحد فلا شك في جواز جمعه وإن كان جمعاً فجمعه ايضاً حسن ، لانه قد وردت الجموع المكسرة وقد جمعت نحو الطرقات وصواحبات يوسف .

وحجة من افرد قال لايقع على الواحد والجميع . فاما وزن (ذرية) فانه يجوز

---

(١) سورة الاسراء آية ٣ (٢) سورة آل عمران آية ٣٨
(٣) « مريم آية ٤ (٤) « مريم آية ٦

ان تكون فعلولة من الذر فابدلت من الراء التي هي لام الفعل الاخيرة ياء كما أبدلت من دهرية ، يدلك على البدل فيه قولهم دهرورة ، ويحتمل ان تكون فعلية منه فابدلت من الراء الياء كما تبدل من هذه الحروف في التضعيف وان وقع فيها الفصل . ويحتمل ان تكون فعلية نسبة الى الذر وابدلت الفتحة منها الضمة كما ابدلوا في الاضافة الى الدهر دهري والى سهل سهلي .

ويجوز ان تكون فعلية من ذرأ الله الخلق ،أجمعوا على تخفيفها كما اجمعوا على تخفيف البرّية .

ويجوز ان يكون من قوله ﴿تذروه الرياح﴾(١) ابدلت من الواو الياء لوقوع ياء قبلها

وحجة ابي عمرو في قراءته بالياء ان ما تقدم ذكره من الغيبة وهو قوله عزوجل « واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم » كراهية ان يقولوا او لئلا يقول ، ويؤكد ذلك ما جاء بعد من الاخبار عن الغيبة وهو قوله : « قالوا بلى » .

وحجة من قرأ بالتاء انه قد جرى في الكلام خطاب وهو قوله « ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » وكلا الوجهين حسن ، لان الغيب هم المخاطبون في المعنى .

المعنى :

هذا خطاب للنبي ﴿ع﴾ قال الله تعالى له : واذكر ايضاً الوقت الذي اخذ الله فيه من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم الست بربكم .

واختلفوا في معنى هذا الأخذ فيه وهذا الاشهاد :

فقال البلخي والرماني اراد بذلك البالغين من بني آدم واخراجه اياهم ذرية قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر واشهاده اياهم على انفسهم تبليغه اياهم واكماله عقولهم ،

(١) سورة الكهف آية ٤٦

ومانصب فيها من الادلة الدالة بأنهم مصنوعون وأن المصنوع لابد له من صانع وبما اشهدهم مما يحدث فيهم من الزيادة والنقصان ، والآلام والأمراض الدال بجميع ذلك على ان لهم خالقاً رازقاً يجب معرفته والقيام بشكره ، وما أخطر بقلوبهم من تأكيد ذلك والحث على الفكر فيه ثم ارساله الرسل وانزاله الكتب ، لئلا يقولوا اذ صاروا الى العذاب انا كنا عن هذا غافلين لم ينبه علينا ولم تقم لنا حجة عليه ولم تكمل عقولنا فنفكر فيه ، او يقول قوم منهم انما اشرك آباؤنا حين بلغوا وعقلوا فاما نحن فكنا اطفالا لا نعقل ولا نصلح للفكرة والنظر والتدبير .

وقال الجبائي اخذه ذرياتهم من ظهورهم انه خلقهم نطفاً من ظهور الآباء ثم خلقهم في ارحام الامهات ثم نقلهم من خلقة الى خلقة ، وصورة الى صورة ثم صاروا حيواناً بان احياهم الله في الارحام وأتم خلقهم ثم اخرجهم من الارحام بالولادة .

وقوله تعالى : « واشهدهم على انفسهم » يعني عند البلوغ وكمال العقل وعندما عرفوا ربهم فقال لهم على لسان بعض أنبيائه « ألست بربكم » ؟ فقالوا : بلى شهدنا بذلك واقررنا به لانهم كانوا بالله عارفين انه ربهم .

وقوله تعالى « ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين » معناه لئلا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فأراد بذلك اني انا قررتكم بهذا التواظبوا على طاعتي وتشكروا نعمتي ولا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين .

وقوله تعالى « او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم » فنشأنا على شركهم فتحتجوا يوم القيامة بذلك فبين اني قد قطعت بذلك حجتكم هذه بما قررتكم به من معرفتي واشهدتكم على انفسكم باقراركم وبمعرفتكم اياي .

وقوله « افتهلكنا بما فعل المبطلون » من آبائنا . وهذا يدل على انها مخصوصة في قوم من بني آدم وانها ليست في جميعهم لان جميع بني آدم لم يؤخذوا من ظهور بني آدم لان ولد آدم لصلبه لا يجوز ان يقال انهم اخذوا من ظهور بني آدم

فقد خرج ولد آدم لصلبه من ذلك وخرج ايضاً اولاد المؤمنين من ولد آدم الذين لم يكن آباؤهم مشركين لانه بين ان هؤلاء الذين اقروا بمعرفة الله واخذ ميثاقهم بذلك كان قد سلف لهم في الشرك آباء فصح بذلك انهم قوم مخصوصون من اولاد آدم .

فأما ما روي ان الله تعالى اخرج ذرية آدم من ظهره واشهدهم على انفسهم وهم كالذر، فان ذلك غير جائز لان الاطفال فضلا عمن هو كالذر لا حجة عليهم ولا يحسن خطابهم بما يتعلق بالتكليف ثم ان الآية تدل على خلاف ما قالوه لان الله تعالى قال : « وإذ اخذ ربك من بني آدم » وقال « من ظهورهم » ولم يقل من ظهره . وقال « ذريتهم » ولم يقل ذريته ثم قال « اوتقولوا إنما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » فأخبر ان هذه الذرية قدكان قبلهم آباء مبطلون وكانوا هم بعدهم .

على ان راوي هذا الخبر سليمان بن بشار الجهني وقيل مسلم بن بشار عن عمر ابن الخطاب . وقال يحيى بن معين سليمان هذا لا يدري اين هو . وايضاً فتعليل الآية يفسد ما قالوه لأنه قال فعلت هذا لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . والعقلاء اليوم في دار الدنيا عن ذلك غافلون .

فان قيل نسوا ذلك لطول العهد او لان الزمان كان قصيراً كما يعلم الواحد منا اشياء كثيرة ضرورة ثم ينساها كما ينسى ما فعله في أمسه وما مضى من عمره .

قلنا : إنما يجوز ان ينسى ما لا يتكرر العلم به ولا يشتد الاهتمام به فأما الامور العظيمة الخارقة للعادة ، فلا يجوز ان ينساها العاقل . ألا ترى ان الواحد منا لو دخل بلاد الزنج ورأى الأفيلة ولو يوماً واحداً من الدهر لا يجوز ان ينسى ذلك حتى لا يذكره اصلا مع شدة اجتهاده واستذكاره ؟! ولو جاز ان ينساه واحد لما جاز ان ينساه الخلق بأجمعهم . ولو جوزنا ذلك لزمنا مذهب التناسخ وان الله كان قد كلف الخلق فيما مضى واعادهم ، اما لينعمهم او ليعاقبهم . ونسوا ذلك ، وذلك

يؤدي الى التجاهل .

على ان اهل الآخرة يذكرون ما كان منهم من احوال الدنيا ولم يجب ان ينسوا ذلك لطول العهد ، ولا المدة التي مرت عليهم وهم اموات وكذلك اصحاب الكهف لم ينسوا ما كانوا فيه قبل نومهم لما انتبهوا مع طول المدة في حال نومهم ، فعلمنا ان هؤلاء العقلاء لما كانوا شاهدوا ذلك وحضروه وهم عقلاء لما جاز ان يذهب عنهم معرفة ذلك لطول العهد ، ولوجب ان يكونوا كذلك عارفين .

وقال قوم وهو المروي في اخبارنا انه لا يمنع ان يكون ذلك مختصاً بقوم خلقهم الله واشهدهم على انفسهم بعد ان اكمل عقولهم واجابوه بـ (بلى) ، وهم اليوم يذكرونه ولا يغفلون عنه ، ولا يكون ذلك عاماً في جميع العقلاء وهذا وجه ايضاً قريب يحتمله الكلام .

وحكى ابو الهذيل في كتابه الحجة : ان الحسن البصري واصحابه كانوا يذهبون الى ان نعيم الاطفال في الجنة ثواب عن ايمانهم في الذر .

وحكى الرماني عن ابن الاحبار : انه كان يخبر خبر الذر غير انه يقول ليس تأويل الآية على ذلك . وإنما فعل ليجروا على الاعراف الكريمة في شكر النعمة والاقرار لله بالوحدانية ، كما روي انهم ولدوا على الفطرة .

ويدل على فساد قولهم قوله تعالى « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً » (١) فهم لو كانوا اخرجوا من ظهر آدم على صورة الذر كانوا ابعد من ان يعلموا او يعقلوا ومتى قالوا اكمل الله عقولهم فقد مضى الكلام عليهم .

وذكر الازهري وروي ذلك عن بعض من تقدم ان قوله : « وإذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى » تمام الكلام . وقوله « شهدنا ان تقولوا يوم القيامة » حكاية عن قول الملائكة انهم يقولون

---

(١) سورة النحل آية ٧٨ .

شهدنا لئلا تقولوا .

وهـــذا خلاف الظاهر وخلاف ما عليه جميع المفسرين لأن الكل قالوا (شهدنا) من قول من قال (بلى) وان اختلفوا في كيفية الشهادة على ان الملائكة لم يجر لها ذكر ، فكيف يكون ذلك اخباراً عنهم .

قوله تعالى :

﴿ وَكَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٣)

آية بلا خلاف .

المعنى :

إنا كما بينا لكم هذه الآيات كذلك نفصلها للعباد ونبينهـــا لهم . وتفصيله الآيات هو تمييز بعضها من بعض ليتمكنوا من الاستدلال بكل واحدة منها على جهتها وبين انه فعل ذلك بهم ليتوبوا وليرجعوا عن معاصيه الى طاعته وعن الكفر الى الايمان به .

قوله تعالى :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (١٧٤) آية بلا خلاف .

المعنى :

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه ﴿ ص ﴾ يأمره بأن يقرأ على بني اسرائيل وغيرهم من امته خبر الذي اتاه الله حججه وبيناته فانسلخ منها فاتبعه الشيطان .

وكان من جملة الغاوين الخائبين الخاسرين . وقيل معناه الضالين الهالكين .

واختلفوا في المعني بقوله « آتيناه آياتنا » :

فقال ابن عباس ومجاهد : هو بلعام بن باعورا من بني اسرائيل . وقال : معنى « فانسلخ منها » ما نزع منه من العلم .

وروي عن عبد الله بن عمرو انها نزلت في امية بن ابي الصلت . وقال مسروق وعبد الله : هي في رجل من بني اسرائيل يقال له بلعم بن باعورا .

وقال قوم هو رجل من الكنعانيين .

وقال الحسن هذا مثل ضربه الله للكافر اتاه الله آيات دينه : « فانسلخ منها » يقول اعرض عنها وتركها « فاتبعه الشيطان » خذله الله وخلى عنه وعن الشيطان ، وهو مثل قوله تعالى « كتب عليه انه من تولاه فانه يضله » (١) اي كتب على الشيطان انه من تولى الشيطان فان الشيطان يضله .

وقال الجبائي اراد به المرتد الذي كان الله اتاه العلم به وبآياته فكفر به وبآياته وبدينه من بعد ان كان به عارفاً فانسلخ من العلم بذلك ومن الايمان .

وقوله « فاتبعه الشيطان » معناه ان الشيطان اتبعه كفار الانس وغواتهم حتى اتبعوه على ما صار اليه من الكفر بالله وبآياته .

وقيل اتبعه الشيطان بالتزيين والاغواء حتى تمسك بحبله وكان من الغاوين الخائبين من رحمة الله ، قال وهو رجل من المتقدمين يقال له بلعام بن باعورا .

اللغة والمعنى :

اتبعه الشيطان ، واتبعه لغتان وبالتخفيف معناه قفاه وبالتشديد حذا حذوه واذا اردت اقتدا به فبالتشديد لا غير . فأما ما روي ان الآية كانت النبوة

(٢) سورة الحج آية ٤

فانه باطل فان الله تعالى لا تؤتي نبوته من يجوز عليه مثل ذلك وقد دل دليل العقل والسمع على ذلك قال الله تعالى ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ (١) وقال ﴿ المصطفين الأخيار ﴾ (٢) فكيف يختار من ينسلخ عن النبوة .

وقيل ان الآية كانت الاسم الأعظم وهذا ايضاً نظير الاول ، لايجوز ان يكون مراداً والقول هو ما تقدم من اكثر المفسرين ان المعني به بلعم بن باعورا .

ومن قال امية بن ابي الصلت قال كان اوتي علم الكتاب فلم يعمل به . والوجه الذي قاله الحسن يليق بمذهبنا دون الذي قاله الجبائي ، لان عندنا لايجوز ان يرتد المؤمن الذي عرف الله على وجه يستحق به الثواب .

والنبأ الخبر عن الامر العظيم ومنه اشتقاق النبوة : نباه الله جعله نبياً وإنما آتاه الله الآيات باللطف حتى تعلمها وفهم معانيها وقال ابو مسلم الآية في كل كافر بين الله له الحق فلم يتمسك به . وقال أبو جعفر ﴿ ع ﴾ في الاصل بلعم ثم ضرب مثلا لكل مؤثر هواه على هدى الله تعالى من اهل القبلة .

قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٧٥) آية بلا خلاف .

المعنى :

الهاء في (لرفعناه) كناية عن الذي تقدم ذكره ، وهو الذي أتاه الله آياته

(١) سورة الدخان آية ٣٢ (٢) سورة ص آية ٤٧

فانسلخ منها ، فأخبر الله تعالى انه لو شاء لرفعه بتلك الآيات .

واختلفوا فى معنى هذه المشيئة فقال الجبائي : المعنى لو شئنا لرفعناه بايمانه ومعرفته قبل ان يكفر لكن ابقيناه ليزداد الايمان ، فكفر .

وقال البلخي هذا أخبار عن قدرته انه لو شاء لحال بينه وبين الكفر والارتداد وهو الذي نختاره ، لانا قد بينا ان المؤمن لايجوز ان يرتد .

وقال الزجاج : معناه لو شئنا ان نحول بينه وبين المعصية لفعلنا .

وقوله « ولكنه اخلد الى الارض » معناه سكن الى الدنيا وركن اليها ولم يسم الى الغرض الأعلى .

اللغة :

يقال اخلد فلان الى كذا وكذا وخلد ، وبالالف أكثر في كلام العرب ، والمعنى انه سكن الى لذات الدنيا واتبع هواه اي لم نرفعه بالآيات لاتباع هواه .

وقيل معنى اخلد قعد . ويقال فلان مخلد اذا ابطأ عنه الشيب ومخلد اذا لم تسقط اسنانه . هكذا ذكره الفراء . ومن الدواب الذي تبقى ثناياه حتى تخرج رباعيتاه . وأخلد بالمكان اذا اقام به ، قال زهير :

لمن الديار غشيتها بالفدفد كالوحي في حجر المسيل المخلد (١)

وقال مالك بن نويرة :

بأبناء حي من قبائل مالك وعمرو بن يربوع اقاموا فأخلدوا (٢)

---

(١) ديوانه ٢٦٨ . واللسان (خلد) . و(الفدفد) الفلاة التى لا شيء بها . وقيل : هى الارض الغليظة ذات الحصى . وقيل غير ذلك . و (الوحى) الكتابة . و (حجر المسيل) هو حجر صلب يكتبون فيه .

(٢) الاصمعيات : ٣٢٣ .

وقال ابو عبيدة هو اللزوم للشيء والتقاعس فيه .

وقال سعيد بن جبير معناه وركن الى الارض . وقال مجاهد معناه سكن اليها

المعنى :

وقوله : « فمثله كمثل الكلب » ضرب الله مثل التارك لآياته والعادل عنها بأخس مثل في اخس احواله فشبهه بالكلب ، لان كل شيء يلهث فانما يلهث في حال الاعياء والكلال إلا الكلب فانه يلهث في حال الراحة والتعب . وحال الصحة وحال المرض وحال الري وحال العطش وجميع الاحوال ، فقال تعالى ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته وزجرته فانه يلهث وان تركته يلهث وهو مثل قوله : « وإن تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم انتم صامتون »

وقوله تعالى « ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا » يعني هذا المثل الذي ضربه بالكلب هو مثل الذين كذبوا بآيات الله .

وقال الجبائي انما شبهه بالكلب لانه لما كفر بعد أيمانه صار يعادى المؤمنين ويؤذيهم ، كما ان الكلب يؤذي الناس طردته او لم تطرده فانه لا يسلم من اذاه .

وقوله تعالى « فاقصص القصص » معناه فاقصص على الناس ما نبينه لك لكي يتذكروا ويتفكروا فيرجعوا الى طاعة الله وينزجروا عن معاصيه .

وقال ابن جريج مثله بالكلب لان الكلب لا فؤاد له فيقطعه الفؤاد حملت عليه او تركته ، شبه من ترك الآيات كأنه لا فؤاد له .

واللهث التنفس الشديد من شدة الاعياء وفي الكلب طباع يقال : لهث يلهث لهثاً فهو لاهث ولهثان .

قوله تعالى :

﴿ سَاءَ مَثَلاً الْقَومُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا

يَظْلِمُونَ ﴾ (١٧٦) آية بلا خلاف.

التقدير ساء مثلا مثل القوم وحذف لدلالة الكلام عليه و« انفسهم » نصب بـ (يظلمون) وصف الله تعالى هذا المثل الذي ضربه وذكره بأنه ساء مثلا اي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله وانهم بذلك لا يظلمون إلا انفسهم دون غيرهم لان عقاب ما يفعلونه من المعاصي يحل بهم فان الله تعالى لا يضره كفرهم ولا معصيتهم كما لا ينفعه طاعتهم وايمانهم.

قوله تعالى:

﴿ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١٧٧) آية بلا خلاف.

فهو المهتدى كتب ههنا بالياء ليس في القرآن غيره بالياء واثبت الياء في اللفظ ههنا جميع القراء.

وقال الجبائي معنى الآية من يهديه الله الى نيل الثواب، كما يهدي المؤمن إلى ذلك وإلى دخول الجنة فهو المهتدي للايمان والخير، لان المهتدي هو المؤمن فقد صار مهتدياً إلى الايمان وإلى نيل الثواب. ومن يضله الله عن الجنة وعن نيل ثوابها عقوبة على كفره او فسقه، « فاولئك هم الخاسرون » لانهم خسروا الجنة ونعيمها وخسروا انفسهم والانتفاع بها.

وقال البلخي المهتدي هو الذي هداه الله فقبل الهداية وأجاب اليها، والذي اضله الله هو الضال الذي اختار الضلالة فأضله الله بمعنى خلى بينه وبين ما اختاره وترك منعه بالخير على انه إذا ضل عن أمر الله عند امتحانه وتكليفه جاز ان يقال إن الله أضله.

وقيل معنى « من يهدي الله » من حكم الله بهدايته فهو المهتدي ومن حكم بضلالته فهو الخاسر الخائب .

قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (١٧٨) آية بلا خلاف .

المعنى واللغة .

معنى « ذرأنا » خلقنا يقال ذرأهم يذرأهم . واللام في (لجهنم) لام العاقبة . والمعنى انه لما كانوا يصيرون اليها بسوء اختيارهم وقبح اعمالهم جاز ان يقال انه « ذرأهم » والذي يدل على أن ذلك جزاء على اعمالهم قوله « لهم قلوب لا يفقهون بها » واخبر عن ضلالهم الذي يصيرون به الى النار وهو مثل قوله تعالى « إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً » (١) ومثل قوله « ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك » (٢) ومثل قوله عز وجل « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً » (٣) وإنما التقطوه ليكون قرة عين كما قالت امرأة فرعون عند التقاطه « قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولداً » (٤) ومثله قول القائل : اعددت هذه الخشبة ليميل الحائط فاسنده بها وهو لا يريد ميل الحائط . ومثله قول الشاعر :

---

(١) سورة آل عمران آية ١٧٨ (٢) سورة يونس آية ٨٨
(٣) « القصص آية ٨ (٤) « القصص آية ٩

وللموت تغذو الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبني المساكن(١)

وقال الآخر :

اموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبغيها (٢)

وقال الآخر :

وام سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالدة (٣)

وقال آخر :

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى ذهاب (٤)

وقوله « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها » معناه انهم لما لم يفقهوا بقلوبهم ولم يسمعوا بآذانهم ولم يبصروا بعيونهم ما كانوا يؤمرون به ويدعون اليه سموا بكما عمياً صما . ولما لم ينتفعوا بجوارحهم اشبهوا العمي البكم الصم ، لان هؤلاء لا ينتفعون بجوارحهم فاشبهوهم في زوال الانتفاع بالجوارح وسموا باسمائهم ، ومثله قول مسكين الدارمي :

اعمى اذا ماجارتي خرجت حتى يواري جارتي الخدر

ويصم عما كان بينهما سمعي وما بي غيره وقر(٥)

فجعل نفسه اصما واعمى لما لم ينظر ولم يسمع .

وقال آخر :

---

(١) قائله سابق البربرى . وفى بعض الروايات البريدى . العقد الفريد ١ : ٢٦٩ .

(٢) مر هذا البيت فى ٣ : ٦٠ (٣) انظر ٣ : ٦٠ من هذا الكتاب.

(٤) روح المعانى ٩ : ١١٨ وقد مر هذا البيت فى ٣: ٦٠ من هذا الكتاب .

(٥) تفسير الطبرى الطبعة الثانية ٩ : ١٣٢ . وروايته « الستر » بدل « الخدر » و « وما بالسمع من وقر » بدل (وما بى غيره وقر)

وقد مر البيتان فى ١ : ٩٠ وفى ٢ : ١١٣ من هذا الكتاب .

وكلام سيء قد وقرت اذني عنه وما بي من صمم (١)

وقال آخر :

صم اذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم اذنوا (٢)

وهذا كثير . ويجوز ان يكون قوله تعالى « ذرانا لجهنم » معناه ميزنا .

ويقال ذرأت الطعام والشعير اي ميزت ذلك من التبن والمدر فلما كان الله تعالى قدميز اهل النار من اهل الجنة في الدنيا بالتسمية والحكم والشهادة جاز ان يقول ذرانا هم اي ميزناهم . ثم وصفهم بصفة تخالف اوصاف اهل الجنة يعرفون بها فقال « لهم قلوب لايفقهون بها » إلي آخرها .

ويجوز ان يكون قوله « ذرأنا » بمعنى سنذرأ كما قال : « ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار » (٣) بمعنى سينادون ، فكأنه قال سيخلقهم خلقاً ثانياً للنار باعمالهم التي تقدمت منهم في الدنيا إذ كانوا استحقوا النار بتلك الاعمال .

ولا يجوز ان يكون معنى الآية إن الله خلقهم لجهنم واراد منهم ان يفعلوا المعاصي ، فيدخلوا بها النار ، لان الله تعالى لايريد القبيح ، لان إرادة القبيح قبيحة ولان مريد القبيح منقوص عند العقلاء تعالى الله عن صفة النقص ، ولانه قال « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » (٤) فبين انه خلق الخلق للعبادة والطاعة وقال «وما ارسلنا من رسول إلا ليطاع» (٥) وقال « ولقد صرفناه بينهم ليذكروا» (٦)

---

(١) لم أجده فى مظانه فيما حضرنى من المصادر .

(٢) قائله قنعب بن ام صاحب . اللسان (أذن) . وتاج العروس (أذن) وروايتهما (بشر) بدل (بسوء) . وفى مجاز القرآن ١ : ١٧٧ وروايته هكذا :

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

(٣) سورة الأعراف آية ٤٣ (٤) سورة الذاريات آيه ٥٦ .

(٥) سورة النساء آية ٦٣ (٦) سورة الفرقان آية ٥٠ .

وقال « ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط» (١) وقال «إنا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله »(٢) ونظائر ذلك اكثر من ان تحصى ، فكيف يقول بعد ذلك ولقد « ذرأنا لجهنم » وهل هذا إلا تناقض تنزه كلام الله عنه .

وقوله « اولئك كالأنعام » يعني هؤلاء الذين لا يتدبرون بآيات الله ولا يستدلون بها على وحدانيته وصدق رسله اشباه الانعام والبهائم التي لا تفقه ولا تعلم ثم قال « بل هم أضل » يعني من البهائم ، لان في البهائم ما اذا زجرتها انزجرت واذا ارشدتها الى طريق اهتدت . وهؤلاء لعتوهم ، وكفرهم لا يهتدون الى شيء من الخيرات مع ما ركب الله فيهم من العقول التي تدلهم على الرشاد وتصرفهم عن الضلال وليس ذلك في البهائم ومع ذلك تهتدى الى منافعها وتتحرز عن مضارها . والكافر لا يفعل ذلك ، ثم قال « اولئك هم الغافلون » يعني هؤلاء هم الغافلون عن آياتي وحججي والاستدلال بها والاعتبار بتدبرها على ما يدل عليه من توحيده ، لان البهائم التي هي مسخرة مصروفة لا اختيار لها .

قوله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧٩) آية اجماعاً .

القراءة واللغة :

قرأ حمزة « يلحدون » بفتح الحاء والياء ههنا وفي النحل وحم السجدة وافقه الكسائي وخلف في النحل والباقون بضم الياء . من قرأ بكسر الحاء ، فلقوله « ومن

(١) سورة الحديد آية ٢٥ (٢) سورة المؤمنون آية ٤٥

يرد فيه بالحاد » وألحد اكثر فى الكلام قال الشاعر :

ليس الامام بالشحيح الملحد ولا يكاد يسمع لاحد (١)

والالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر خلاف الضريح الذى يحفر في وسطه فمعنى « يلحدون في آياتنا » يجوزون عن الحق فيها .

وروى أبوعبيدة عن الاحمر : لحدت جرت وملت . وألحدت ما ريت وجادلت قال : وقال ابوعبيدة : لحدت له والحدت للميت بمعنى واحد .

المعنى .

قال ابن جريج اشتقوا العزى من العزيز واللات من الله . وكان ذلك الحاداً .

وقال ابن عباس الحادهم تكذيبهم .

وقال قتادة هو شركهم .

وقال قوم هو تسميتهم الاصنام بانها آلهة .

اخبر الله تعالى ان له الاسماء الحسنى نحو قوله تعالى ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وغير ذلك من الأسماء التي تليق به ، وهي الأسماء الراجعة إلى ذاته او فعله نحو العالم العادل والسميع البصير المحسن المجمل وكل اسم لله فهو صفة مفيدة لأن اللقب لايجوز عليه . وامر تعالى ان يدعوه خلقه بها وان يتركوا اسماء اهل الجاهلية وتسميتهم اصنامهم آلهة ولاتاً وغير ذلك .

وقال الجبائي : يحتمل ان يكون اراد تسميتهم المسيح بأنه ابن الله والعزير بأنه ابن الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

---

(١) قائله حميد بن ثور . اللسان « لحد » وقبلها :

قدني من نصر الخبيبين قدى

وقال قوم هذا يدل على انه لا يجوز ان يسمى الله إلا بما سمى به نفسه .

وقوله « وذروا الذين يلحدون » فيه تهديد للكفار وان الله تعالى سيعاقبهم على عدولهم عن الحق في تغيير اسمائه .

وقوله تعالى « سيجزون ما كانوا يعملون » معناه سيجزون جزاء ما كانوا يعملون من المعاصي بانواع العذاب .

قال الرماني الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الاشارة ، والفعل كلمة تدل على المعني دلالة الافادة والصفة كلمة مأخوذة للمذكور من اصل من الاصول لتجري عليه تابعة له .

قوله تعالى:

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾(١٨٠)

آية بلا خلاف .

المعنى :

اخبر الله تعالى ان من جملة من خلقه جماعة يهدون بالحق . وهداهم بالحق هو دعاؤهم الناس إلى توحيد الله وإلى دينه وتنبيههم اياهم على ذلك .

وقال قوم معنى (يهدون) يهتدون « وبه يعدلون » معناه انهم يعملون بالعدل والانصاف فيما بينهم وبين الناس .

وهذا إخبار ان فيما خلق قوماً هذه صفتهم ولا يدل ذلك على ان في كل عصر يوجد قوم هذه صفتهم ولو لم يوجدوا الا في وقت واحد كانت الفائدة حاصلة بالآية ، فلا يمكن الاستدلال بها على ان اجماع اهل الأعصار حجة .

على ان عندنا انه لا يخلوا وقت من الاوقات ممن يجب اتباعه وتثبت عصمته

ويكون حجة الله على خلقه فيمكن ان يكون المراد بالآية من ذكرناه .

وقال ابو جعفر ﴿ع﴾ وقتادة وابن جريج الآية في امة محمد ﴿ص﴾ وهو مثل قوله تعالى ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ﴾ (١) فكما انه لا يدل على وجود أئمة في كل وقت فكذلك ما قالوه .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨١) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (١٨٢) آيتان بلاخلاف .

المعنى :

المعنى إن الذين كذبوا بآيات الله التي تضمنها القرآن والمعجزات الدالة على صدق النبي ﴿ع﴾ وكفروا بها سنستدرجهم من حيث لا يعلمون استدراجاً لهم الى الهلكة حتى يقعوا فيها بغتة من حيث لا يعلمون ، كما قال تعالى : « بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها » (٢) وقال : « فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون » (٣) فيقولوا هل نحن منظرون ؟

ويجوز ان يكون من عذاب الآخرة .

فأما من قال من المجبرة ان معنى الآية ان الله يستدرجهم الى الكفر والضلال فباطل ، لان الله تعالى لا يفعل ذلك لانه قبيح ينافي الحكمة ثم ان الآية بخلاف ذلك لانه بيّن ان هؤلاء الذين يستدرجهم كفار بالله وبرسوله وبآياته ، وانه سيستدرجهم في المستقبل لان السين لا تدخل إلا على المستقبل فلا معنى لقوله « ان الذين كفروا

---

(١) سورة الأنبياء آية ٧٣ (٢) سورة الأنبياء آية ٤٠

(٣) » الشعراء آية ٢٠٢

سنستدرجهم » الى الكفر ، لانهم كفار قبل ذلك ولا يجب فى الكافر ان يبقى حتى يواقع كفراً آخر ، لانه يجوز ان يميته الله تعالى ، فبان بذلك ان المراد انه سيستدرجهم الى العذاب والعقوبات من حيث لا يعلمون في مستقبل . امرهم بقوا او لم يبقوا .

على ان الاستدراج عقوبة من الله . والله لا يعاقب احداً على فعل نفسه كما لا يعاقبهم على طولهم او قصرهم .

ويحتمل ان يكون معنى الآية إنا نعاقبهم على استدراجهم للناس واغوائهم اياهم وتعاقبهم على كيدهم فجعل العقوبة على الاستدراج استدراجاً والعقوبة على الكيد كيداً ، كما قال « سخر الله منهم » (١) وقال « الله يستهزىء بهم » (٢) وقال : « يخادعون الله وهو خادعهم » (٣) وقال « والله خير الماكرين » (٤) وما اشبه ذلك

ويحتمل ان يكون المراد : إني سأفعل بهم ما يدرجون في الفسوق والضلال عنده ويكون ذلك اخبـــار عن بقائهم على الكفر عند املائه لهم ، فسمى ذلك استدراجاً . لانهم عند البقاء كفروا وازدادوا كفراً ومعصية . وان كان الله لم يرد منهم ذلك ولا بعثهم عليه ، كما قال « او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر » (٥) كما يقول القائل أبطر فلان فلاناً بأنعامه عليه . ولقد ابطرته النعمة واكفرته السلامة ، وان كان المنعم لا يريد ذلك بل اراد ان يشكره عليها .

ومعنى قوله « واملي لهم » اؤخر هؤلاء الكفار في الدنيا وابقيهم مع اصرارهم على الكفر ولا اعاجلهم بالعقوبة . على كفرهم ، لانهم لا يفوتوني ولا يعجزوني ولا يجدون مهرباً ولا ملجأ .

وقوله تعالى ﴿ إن كيدي متين ﴾ معناه إن عذابي وسماه كيداً لنزوله بهم من

١ - سوره التوبه آية ٨٠ ٢ - سورة البقرة آية ١٥
٣ - « النساء آية ١٤١ ٤ - « آل عمران آية ٥٤
٥ - « فاطر آية ٤٧ .

حيث لا يشعرون .

وقيل انه اراد ان جزاء كيدهم وسماه كيداً للازدواج على ما بينا نظائره .

ومعنى « متين » شديد قوي قال الشاعر:

عدلن عدول اليأس والشيخ يبتلى افأنين من الهوب شد مماتني(١)

يعني شد او شديداً باقياً لا ينقطع .

اللغة .

والمتن اصله اللحم الغليظ الذي عن جانب الصلب وهما متنان . والكيد والمكر واحد : وهو الميل الى الشرّ في خفى ، كاد يكيد كيداً ومكيدة ، وفلان يكيد بنفسه .

واصل الاستدراج اغترار المستدرج من حيث يرى ان المستدرج محسن اليه حتى يورطه مكروهاً . والاستدراج ان يأتيه من ما منه من حيث لا يعلم .

واملي بمعنى اؤخر من الملي ثقيلة الياء يقال مضى عليه ملي من الدهر وملاؤ من الدهر - بفتح الميم وضمها وكسرها - اي قطعة منه . ووجه الحكمة في اخذهم من حيث لا يعلمون انه لو اعلمهم وقت ما يأخذهم وعرفهم ذلك لأمنوه قبل ذلك وكانوا مغرين بالقبيح قبله تعويلا على التوبة فيما بعد وذلك لا يجوز عليه تعالى .

والاستدراج على ضربين :

احدهما - ان يكون الرجل يعادي غيره فيطلب له المكايدة والختل من وجه يغتره به ويخدعه ويدس اليه من يوقعه في ورطة حتى يشفى صدره ولا يبالي كيف كان ذلك ، فهذا سفيه غير حكيم .

والآخر - ان يحلم فيه ويتأنى ويترك العجلة في عقوبته التي يستحقها على

(١) تفسير الطبرى ١٣ : ٢٨٨ . والطبعة الثانية ٩ : ١٣٦ . وفيه اختلاف كثير. ولما كانت كلها غير مرضية تركت البيت على ما هو عليه كما جاء في المطبوعة .

معاصيه كيداً ومكراً واستدراجاً . ألا ترى لو ان انساناً عادى غيره فجعل يشتمه ويعيبه وذاك يعرض عنه ولا يكافيه مع قدرته على مكافاته جاز ان يسمى كيداً واستدراجاً ومكراً وحيلة ، ولجاز ان يقال فلان متين الكيد شديد الاستدراج ، كثير الغور محكم التدبير .

وقيل في معنى « سنستدرجهم » سنأخذهم قليلاقليلا ولا نباغتهم ، يقال امتنع فلان على فلان وأبى عليه حتى استدرجه اي خدعه حتى حمله على ان درج اليه درجاناً اي اخذ في الحركة نحوه كما يدرج الصبي اول ما يمشي ، ويقال: صبي دارج . ويقال درجوا قرناً بعد قرن اي فنوا قليلا قليلا .

قوله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١٨٣) أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٨٤) آيتان بلا خلاف .

المعنى :

هذا خطاب من الله تعالى للكفار الذين كانوا ينسبون النبي ﴿ ص ﴾ الى الجنون على وجه التوبيخ لهم والتقريع « او لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة » أي وليس بالنبي ﴿ ص ﴾ جنة وهي الجنون فانه لا يأتي بمثل ما يأتي به المجنون ، وهم يرون الاصحاء منقطعين دونه ويرون صحة تدبيره واستقامة أعماله وذلك ينافي اعمال المجانين .

وبين انه ليس به ﴿ ص ﴾ إلا الخوف للعباد من عقاب الله ، لان الانذار هو الاعلام عن المخاوف ، فبين لهم ما عليهم من أليم العذاب بمخالفته ثم قال : « اولم ينظروا » معناه يفكروا « في ملكوت السماوات والارض » وعجيب صنعها فينظروا فيها نظر مستدل معتبر ، فيعرفون بما يرون من اقامة السماوات والأرض مع عظم اجسامها وثقلها على غير عمد وتسكينها من غير آلة فيستدلوا بذلك على انه خالقها ومالكهـــا وانه لا يشبهها ولا تشبهه .

وقوله « وما خلق الله من شيء » يعني وينظروا فيما خلق الله تعالى من اصناف خلقه فيستدلوا بذلك على انه تعالى خالق جميع الأجسام وانه أولى بالالهية من الاجسام المحدثة .

وقوله تعالى « وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم » معناه او لم يتفكروا في ان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم وهو اجل موتهم فيدعوهم ذلك الى ان يحتاطوا لدينهم ولانفسهم فيما يصيرون اليه بعد الموت من امور الآخرة ويزهدهم في الدنيا وفيما يطلبونه من فخرها وعزها وشرفها فيدعوهم ذلك الى النظر في الامور التي امرهم بالنظر فيها .

وقوله تعالى « فبأي حديث بعده يؤمنون » معناه : بأي حديث بعد القرآن يؤمنون مع وضوح دلالته على انه كلام الله إذ كان معجزاً لا يقدر احد من البشر ان يأتي بمثله . وسماه حديثاً لانه محدث غير قديم لان اثباته حديثاً ينافي كونه قديماً .

وفي الآية دلالة على وجوب النظر وفساد التقليد ، لان النظر المراد به الفكر دون نظر العين لان البهائم ايضاً تنظر بالعين وكذلك الاطفال والمجانين ، والفكر موقوف على العقلاء .

سبب النزول :

وقال الحسن وقتادة سبب نزول الآية ان النبي ﴿ ص ﴾ وقف على الصفا يدعو قريشاً فخذاً فخذاً ، فيقول يا بني فلان يا بني فلان يحذرهم بأس الله وعقابه . فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بان يصوت على الصباح : فأنزل الله الآية .

والملكوت هو الملك الأعظم للمالك الذي ليس بمملك .

قوله تعالى :

﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلا هادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١٨٥) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ اهل العراق ويذرهم بالياء . واسكن الراء منه حمزة والكسائي وخلف . الباقون بالنون وضم الراء .

الاعراب والحجة :

من قرأ بالنون قال لان الشرط من الله ، فكأنه قال « من يضلل الله » فنذرهم .

ومن قرأ بالياء رده الى اسم الله تعالى وتقديره الله يذرهم .

ومن ضم الراء قطعه عن الاول ولم يجعله جواباً .

ويجوز ان يكون أضمر المبتدأ وكان تقديره ونحن نذرهم فيكون في موضع الجزم

ويجوز ان يكون استأنف الفعل فيرفعه .

ومن جزمه فانه عطفه على موضع الفاء وما بعدها من قوله تعالى « فلا هادي له » لان موضعه جزم ، فحمل (ونذرهم) على الموضع . ومثله في الحمل على الموضع قوله تعالى

« فأصدق واكن » (١) لأنه لو لم يلحق الفاء لقلت لولا اخرتني اصدق ، لأن معنى « لو لا اخرتني » (٢) اخرني اصدق . فحمل قوله تعالى « واكن » على الموضع .

المعنى واللغة :

ومعنى قوله « من يضلل الله فلا هادى له » اي يمتحنه الله فيضل عند امتحانه وامره إياه بالطاعة والخير والرشاد ﴿ فلا هادي له ﴾ اي لا يقدر احد ان يأتيه بالهدى والبرهان بمثل الذي اتاه الله تعالى ، ولا بما يقارنه اويزيد عليه « ويذرهم في طغيانهم » بمعنى يخلي بينهم وبين ذلك . وترك اخراجه بالقسر والجبر ، ومنعه اياه لطفه الذي يؤتيه من آمن واهتدى . وقيل الوعظ .

والطغيان الغلو في الكفر . والعمه : التحير والتردد في الكفر . ويحتمل ان يكون المراد من يضلل الله عن الجنة عقوبة على كفره فلا هادي له اليها وان الله لا يحول بين الكافر بل يتركه مع اختياره لان مافعله من الزجر والوعيد كاف في ازاحة علة المكلف. وقيل معناه من حكم الله تعالى بضلاله وسماه ضالا بما فعله من الكفر والضلال فلا احد يقدر على ازالة هذا الاسم عنه ولا يوصف بالهداية وكل ذلك واضح بحمد الله تعالى

قوله تعالى :

﴿ يَسْئَلونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلا هُوَ ثَقُلَتْ في السمواتِ وَالأَرضِ لا تَأتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً يَسْئَلونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٦) آية بلا خلاف.

(١ - ٢) سورة المنافقين آية ١٠

« أيان » معناه متى ، وهي سؤال عن الزمان على وجه الظرف .

اخبر الله تعالى ان الكفار يسألون النبي ﴿ ع ﴾ عن الساعة . وهي القيامة « ايان مرساها » اي وقت قيامها وثباتها .

ومعنى ايان متى قال الراجز :

ايان تقضي حاجتي ايانا اما ترى لنجحها ابانا (١)

اللغة والاعراب :

ومرساها في موضع رفع بالابتداء . يقال رسى يرسوا إذا ثبت فهو راس وجبال راسيات ثابتات وارساها الله اي ثبتها .

المعنى :

وقيل معنى « مرساها » الوقت الذي يموت فيه جميع الخلق ، ومعنى سؤالهم عنها اي متى وقوعها وكونها . فأمر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ ان يجيبهم ويقول لهم « علمها عند الله » لم يطلع عليها احد ، كما قال « إن الله عنده علم الساعة » (٢) وقوله تعالى « لا يجليها لوقتها إلا هو » اي لا يظهرها في وقتها إلا الله .

وقوله تعالى « ثقلت في السموات والأرض » قيل في معناه قولان :

احدهما - ثقل علمها على السماوات والأرض ذهب اليه السدي وغيره .

الثاني - ثقل وقوعها على اهل السموات والارض - ذكره ابن جريج ، وغيره - ثم اخبر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ بكيفية وقوعها فقال : « لا تأتيكم إلا بغتة » يعني فجأة .

---

(١) تفسير القرطبي ٧ : ٣٣٥ ومجاز القرآن ١ : ٢٢٤ . واللسان (أبن) أبان كل شيء وقته وحينه . أخذ الشيء بأبانه أي بأوانه أي بزمانه . وأبان سؤال عن الزمان .

(٢) سورة لقمان آية ٣٤ .

وقوله تعالى « يسألونك كأنك حفي عنها » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - ان معناه وتقديره حفي بها يسألونك عن الساعة ووقتها كأنك عالم بها.

وقيل معناه كأنك فرح بسؤالهم عنها .

وقيل معناه كأنك اكثرت السؤال عنها ذكره مجاهد .

اللغة :

يقال حفيت بفلان في المسألة إذا سألته سؤالا أظهرت فيه المحبة والبر، قال الشاعر:

سؤال حفي عن أخيه كأنه بذكرته وسنان اومتواسن(١)

ويقال : احفى فلان بفلان في المسألة إذا اكثر عليه. ويقال حفيت الدابة تحفى حفاً مقصوراً إذا كثر عليها ألم المشي . والحفاء ممدوداً المشي بغير نعل .

المعنى :

ثم امر الله نبيه ان يقول « إنما علمها عند الله » اي لا يعلمها إلا الله .

وقوله تعالى « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » معناه اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك لا يعلمه إلا الله . ويظنون انه قد يعلمه الأنبياء وغيرهم من خلقه .

وقال الجبائي معناه « لكن اكثر الناس لا يعلمون » لم أخفى الله تعالى علم ذلك على التعيين على الخلق .

والوجه فيه انه ازجر لهم عن معاصيه لأنهم إذا حوزوا في كل وقت قيام الساعة وزوال التكليف كان ذلك صارفاً لهم عن فعل القبيح خوفاً من فوات وقت التوبة .

وقوله في اول الآية « قل إنما علمها عند ربي » يعني علم وقت قيامها .

---

(١) قائله المعطل الهذلي . ديوانه ٣ : ٤٥ وتفسير الطبري ١٣ : ٣٠١ طبعة دار المعارف . و ٩ : ١٤٢ الطبعة الثانية ورواية الديوان (الغني) بدل (حفي) .

وقوله تعالى في آخرها « قل إنما علمها عند الله » معناه علم كيفيتها وشرح هيئتها وتفصيل ما فيها لا يعلمه إلا الله ، فلا تكون تكراراً لغير فائدة .

وقال قتادة الذين سألوا عن ذلك قريش .

وقال ابن عباس : هم قوم من اليهود .

وقال الفراء في الآية تقديم وتأخير وتقديرها يسألونك عنها كأنك حفي بهم .

قال الجبائي وفي الآية دليل على بطلان قول الرافضة من ان الأئمة معصومون منصوص عليهم واحداً بعد الآخر إلى يوم القيامة لأن على هذا لا بد ان يعلم آخر الأئمة ان القيامة تقوم بعده ويزول التكليف عن الخلق ، وذلك خلاف قوله : « قل إنما علمها عند الله » .

وهذا الذي ذكره باطل لانه لا يمتنع ان يكون آخر الأئمة يعلم انه لا إمام بعده وإن لم يعلم متى تقوم الساعة لانه لا يعلم متى يموت ، فهو يجوز ان يكون موته عند قيام الساعة اذا اردنا بذلك انه وقت فناء الخلق . وإن قلنا ان الساعة عبارة عن وقت قيام الناس فى الحشر فقد زالت الشبهة لانه اذا علم انه يفنى الخلق بعده لا يعلم متى يحشر الخلق .

على انه قد روي ان بعد موت آخر الأئمة يزول التكليف لظهور اشراط الساعة وتواتر إماراتها نحو طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك ومع ذلك فلا يعلم وقت قيام الساعة ، ولهذا قال الحسن وجماعة من المفسرين بادروا بالتوبة قبل ظهور الست : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، والدابة ، وغير ذلك مما قدمناه فعلى هذا سقط السؤال .

قوله تعالى:

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ

كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٨٧) آية بلا خلاف.

المعنى:

أمر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ ان يقول للمكلفين إني «لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله» أن يملكني اياه فمشيئته تعالى في الآية واقعة على تمليك النفع والضر لا على النفع والضر لانه لو كانت المشيئة انما وقعت على النفع والضر كان الانسان يملك ما شاء الله من النفع، وكان يملك الامراض والاسقام وسائر ما يفعله الله فيه مما لا يجد له عن نفسه دفعاً.

ومعنى الآية اني املك ما يملكني الله من الاموال وما اشبهها مما يملكهم ويمكنهم من التصرف فيها على ما شاؤا، وكيف شاؤا. والضرر الذي ملكهم الله إياه هو ما مكنهم منه من الاضرار بانفسهم وغيرهم، ومن لم يملكه الله شيئاً منه لم يملكه.

وذلك يفسد تأويل المجبرة الذين قالوا معني الآية: ان الله يريد جميع ماينال الناس من النفع والضرر وان كان ظلماً وجوراً من افعال عباده.

وقوله عز وجل «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء» معناه اني لو كنت اعلم الغيب لعلمت ما يربح من التجارات في المستقبل وما يخسر من ذلك فكنت اشتري ما اربح واتجنب ما اخسر فيه فتكثر بذلك الاموال والخيرات عندي وكنت اعده في زمان الخصب لزمان الجدب ﴿ وما مسني السوء ﴾ يعني الفقر اذا فعلت ذلك. وما مسني تعذيب.

وقيل وما مسني تعذيب. وقيل وما مسني جنون جوابا لهم حين نسبوه الى الجنون.

وقال ابن جريج «لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت» من العمل الصالح قبل حضور الأجل وهو قول مجاهد وابن زيد.

وقال البلخي لو كنت اعلم الغيب لكنت قديماً ، والقديم لا يمسه السوء لان احد لا يعلم الغيب إلا الله .

وفي الآية دلالة على ان القدرة قبل الفعل لان قوله : « لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير » يفيد انه كان قادراً لانه لو لم تكن القدرة إلا مع الفعل لو علم الغيب لما امكنه الاستكثار من الخير وذلك خلاف الآية .

وقوله تعالى « ان أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » معناه لست الا مخوفاً من العقاب محذراً من المعاصي ومبشراً بالجنة حاثاً عليها غير عالم بالغيب « لقوم يؤمنون » فيصدقون بما أقول . وخصهم بذلك لانهم الذين ينتفعون بانذاره وبشارته دون من لا يصدق به كما قال « هدى للمتقين » .

قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٨) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٨٩) آيتان بلا خلاف .

القراءة :

قرأ اهل المدينه وابوبكر وعكرمة والاعرج ﴿ شركاء ﴾ بكسر الشين منه . الباقون بضم الشين على الجمع .

وقرأ ابن يعمر « فمرت » بتخفيف الراء وهو شاذ .

الحجة والاعراب :

قال ابو علي الفارسي من قرأ « شركا » - بكسر الشين - منوناً حذف المضاف ، كأنه اراد جعلا له ذا شرك اي ذا نصيب او ذوي شرك ، ويكون كقول من جمع فالقراءتان يؤلان الى معنى واحد .

والضمير في قوله « له » يعود الى اسم الله كأنه قال جعلا لله شركاء .

وقال ابو الحسن كان ينبغي لمن قرأ بكسر الشين ان يقول جعلا لغيره شركاء .

وقول من قرأ « جعلا له شركاء » يجوز ان يريد جعلا لغيره فيه شركاء فحذف المضاف . فالضمير على هذا ايضاً في (له) راجع الى الله تعالى .

وقال ابو علي : يجوز ان يكون الكلام على ظاهره ، ولا يقدر حذف المضاف في قوله تعالى ﴿ جعلا له ﴾ وانت تريد لغيره ولكن يقدر حذف المضاف الى شرك فيكون المعنى جعلا له ذوي شرك . واذا جعلا له ذوي شرك كان في المعنى مثل لغيره شركا ، فلا يحتاج الى تقدير جعلا لغيره شركا .

قال ابو علي ويجوز ان يكون قوله تعالى « جعلا له شركاء » جعل احدهما له شركاء او ذوي شرك فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كما حذف من قوله تعالى ﴿ لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ والمعنى على رجل واحد من احد رجلي القريتين .

وحكى الازهري ان الشرك والشريك واحد ويكون بمعنى النصيب .

المعنى :

قوله ﴿ هو الذي ﴾ كناية عن الله تعالى واخباراً عن الذي خلق البشر من نفس واحدة وهي آدم وخلق منها زوجها يعني حواء .

وقيل انه خلقها من ضلع من اضلاعه وبين انه انما خلقها ليسكن اليها آدم ويأنس بها

وقوله ﴿ فلما تغشاها ﴾ معناه لما وطأها وجامعها .

وقيل تغشاها بدنوه بها لقضاء حاجة فقضى حاجته منها « حملت » ففي الكلام حذف « حملت حملا خفيفاً » لان الحمل اول ما يكون خفيفاً لانه الماء الذي يحصل في رحمها .

اللغة :

والحمل بفتح الحاء ما كان في الجوف وكذلك ما كان على نخلة او شجرة فهو مفتوح .

وبكسر الحاء ما كان من الثقل على الظهر .

المعنى :

قوله تعالى « فمرت به » معناه استمرت به وقامت وقعدت وقيل شكت له وآلمها ثقلها . ومن خفف الراء اراد شكت ومارت فلم تدر هي حامل ام لا .

وقال الحسن اغلاما ام جارية .

وقوله تعالى « فلما اثقلت » اي صارت ذات ثقل كما يقال اثمر اي صار ذا ثمر وذلك قرب ولادتها .

وقوله تعالى : « دعوا الله ربهما » يعني آدم وحواء دعوا الله أي سألاه لئن آتيتنا صالحاً اي لو اعطيناه ولداً صالحاً .

قال الجبائي صالحاً يعني سليما من الآفات صحيح الحواس والآلات .

وقال غيره معنى صالحاً مطيعاً فاعلا للخير .

« لنكونن من الشاكرين » أي نكونن معترفين بنعمك علينا نعمة بعد نعمة تسديها إلينا .

وقوله عز وجل « فلما آتاهما صالحاً » يعني فلما آتا الله آدم وحواء ولداً صالحاً جعلا له شركاء . واختلفوا في الكناية الى من ترجع في قوله (جعلا) :

فقال قوم هي راجعة الى الذكور والاناث من اولادهما او الى جنسين من اشرك من نسلهما ، وإن كانت الادلة تتعلق بهما . ويكون تقدير الكلام فلما اتى الله آدم وحواء الولد الصالح الذي تمنياه وطلباه جعل كفار اولادهما ذلك مضافاً الي غير الله . ويقوي ذلك قوله تعالى « فتعالى الله عما يشركون » فلو كانت الكناية عن آدم وحواء لقال عما يشركان . وإنما أراد تعالى الله عما يشرك هذان النوعان او الجنسان وجمعه على المعنى . وقد ينتقل الفصيح من خطاب الى خطاب غيره . ومن كناية الى غيرها .

قال الله تعالى « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله » (١) فانصرف من مخاطبة الرسول إلى المرسل اليهم ثم قال : ﴿ وتعزروه وتوقره ﴾ (٢) يعني الرسول ثم قال ﴿ وتسبحوه ﴾ يعني الله تعالى ، قال الهذلي :

يا لهف نفسي كان جده خالد　　وبياض وجهك للتراب الأعفر (٣)

ولم يقل وبياض وجهه . وقال كثير :

أسيء بنا او احسني لا ملومة　　لدينا ولا مقلية إن تقلت (٤)

فخاطبها ثم ترك الخطاب وقال الآخر :

(١ - ٢) سورة الفتح آية ٨ - ٩

(٣) مر هذا البيت في ١ : ٣٥ من هذا الكتاب .

(٤) اللسان (سوأ)

فدى لك ناقتي وجميع اهلي ومالي انه منه اتاني (١)

ولم يقل منك اتاني .

وليس لاحد ان يقول كيف يكنى عمن لم يجر له ذكر وذلك ان لنا عنه جوابين :

احدهما - انه يجوز ذلك اذا دل الدليل عليه ، كما قال « حتى توارت بالحجاب(٢) »

ولم يتقدم للشمس ذكر . وقال الشاعر :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر (٣)

ولم يتقدم للنفس ذكر .

والجواب الثاني - انه تقدم ذكر ولد آدم في قوله « هو الذي خلقكم من نفس واحدة » واراد بذلك جميع ولد آدم وتقدم ايضاً في قوله « فلما آتاهما صالحاً » لان معناه ولداً صالحاً ، ويريد بذلك الجنس . وان كان لفظه واحداً وإذا تقدم مذكوران وعقبا بأمر لا يليق بأحدهما وجب ان يضاف الى الآخر والشرك لا يليق بآدم ، لانه نبي نزهه الله عن ذلك ، وعن جميع القبائح . ويليق بكفار ولده ونسله وجب ان نرده اليهم .

وقال الزجاج وابن الاخشاد : جعل من كل نفس زوجها كأنه قال وجعل من النفس زوجها على طريق الجنس وأضمر لتقدم الذكر .

وقال ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني الكناية في جميع ذلك غير متعلقة بآدم وحواء وجعل الهاء في (تغشاها) والكناية في (دعوا الله ربهما ، وآتاهما صالحاً)

---

(١) في اللسان (فدى) ذكر بيت للاصمعي يشبهه هو :

فدى لك والدي وفدتك نفسي ومالي انه منكم اتاني

(٢) سوره ص آية ٣٢

(٣) اللسان (حشرج) نسبه الى عائشة وانها قالته حينما كان والدها في سكرات الموت . وروايته :

لعمرك ما يغني الثراء ولا الغنى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

راجعين الى من اشرك ولم يتعلق بآدم وحواء إلا قوله : « خلقكم من نفس واحدة » والاشارة بذلك الى جميع الخلق . وكذلك قوله « وجعل منها زوجها » ثم خص بها بعضهم ، كما قال « هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة » (١) فخاطب الجماعة ثم خص راكب البحر ، فكذلك أخبر الله تعالى عن جملة امر البشر بأنهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها وهما آدم وحواء ثم عاد الذكر الى الذي سأل الله تعالى ما سأل فلما اعطاه إياه ادعا له الشركاء في عطيته .

وقال قوم : يجوز ان يكون عنى بقوله « هو الذي خلقكم من نفس واحدة » المشركين خصوصاً ، اذا كان كل بني آدم مخلوقون من نفس واحدة ، كأنه قال خلق كل احد من نفس واحدة وخلق من النفس الواحدة زوجها ، ومثله كثير نحو قوله عز وجل « فاجلدوهم ثمانين جلدة » (٢) والمعنى فاجلدوا كل واحد منهم .

وقال قوم إن الهاء في قوله : « جعلا له شركاء » راجعة إلى الولد لا إلى الله ويكون المعني انهما طلبا من الله تعالى امثالا للولد الصالح فاشركا بين الطلبتين ، كما يقول القائل : طلبت مني درهما فلما اعطيتكه شركته بآخر أى طلبت آخر مضافاً اليه ، فعلى هذا يجوز ان تكون الكناية من اول الكلام إلى آخره راجعه إلى آدم وحواء .

فان قيل: فعلى هذا فأي تعلق لقوله « فتعالى الله عما يشركون » بذلك . وكيف ينزه نفسه عن ان يطلب منه ولد آخر ؟

قلنا : لم ينزه نفسه عن ذلك وإنما نزهها عن الاشراك به ، وليس يمتنع ان يقطع هذا الكلام عن حكم الاول ، لانه قال بعد ذلك « أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون » فنزه نفسه عن هذا الشرك دون ما تقدم .

فأما الخبر المدعى في هذا الباب ، فلا يلتفت اليه ، لأن الاخبار تبنى على أدلة العقول ، فاذا علمنا بدليل العقل ان الأنبياء لا يجوز عليهم المعاصي تأولنا كل خبر

(١) سورة يونس آية ٢٢ (٢) سورة النور آية ٤

يتضمن خلافه او ابطلناه كما نفعل ذلك بأخبار الجبر والتشبيه . على ان هذا الخبر مطعون في سنده لانه يرويه قتادة عن الحسن عن سمرة ، وهو مرسل ، لان الحسن لم يسمع من سمرة شيئاً - في قول البغداديين - ولان الحسن قال بخلاف ذلك فيما روى عنه عروة في قوله عز وجل : ﴿ فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾ قال هم المشركون .

ويعارض ذلك ما روي عن سعيد بن جبير وعكرمة والحسن وغيرهم : من ان الشرك غير منسوب الى آدم وزوجته وان المراد به غيرهما .

على ان في الخبر اشركا ابليس اللعين فيما ولد لهما بأن سمياه عبد الحرث والآية تقضي انهم اشركوا الاصنام التي لاتخلق وهي تخلق ، والتي لا تستطيع ضراً ولا نفعاً وليس لابليس في الآية ذكر . ولو كان له ذكر لقال أتشركون من .

وقال في آخر القصة « ألهم ارجل يمشون بها...» وكذا، ولا يليق ذلك بابليس .

ويقوي ان الآية مصروفة عن آدم الى ولده انه قال « فلما تغشاها » ولو كان منسوقاً على النفس الواحدة لقال فلما تغشتها ، لان ذلك هو الأجود والأفصح وان جاز خلافه .

وحكى البلخي عن قوم إنهم قالوا لو صح الخبر لم يكن في ذلك الا اشراكاً في التسمية ، وليس ذلك بكفر ولا معصية كبيرة ، وذهب اليه كثير من المفسرين واختاره الطبري .

قوله تعالى :

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩٠) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩١) وَإِنْ

تَدْعُوهُمْ إلى الهُدى لا يَتَّبِعُوكُمْ سواءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ ﴾ (١٩٢) ثلاث آيات بلا خلاف .

القراءة :

قرأ نافع « لا يتبعوكم » وفي الشعراء « يتبعهم » بالتخفيف . الباقون بالتشديد ، وهما لغتان ، وبالتشديد اكثر .

اللغة :

قال ابو زيد تقول رأيت القوم فاتبعتهم اتباعاً اذا سبقوك فأسرعت نحوهم . ومروا عليّ فاتبعتهم اتباعاً اذا ذهبت معهم ولم يسبقوك ، قال وتبعتهم اتبعهم تبعاً مثل ذلك .

المعنى :

وفي الآية توبيخ من الله وتعنيف للمشركين ، وان خرج مخرج الاستفهام : بأنهم يعبدون مع الله جماداً لا يخلق شيئاً من الاجسام ولا مايستحق به العبادة ، وهم مع ذلك مخلوقون محدثون ولهم خالق خلقهم .

ونبههم بذلك على انه لا ينبغي ان يعبد الا من يقدر على انشاء الاجسام واختراعها وخلق اصول النعم التي يستحق بها العبادة وان ذلك لا يقدر عليه إلا الله تعالى الذي ليس بجسم ، والقادر لنفسه ثم بين ان هذه الاشياء التي يعبدونها ويتخذونها آلهة واشركوا بها مع الله تعالى لا تقدر لمن عبدها واتخذها إلهاً على نفع ولا على ضرّ ولا ان ينصروهم ولا أن ينصروا انفسهم ان اراد بهم غيرهم سوءاً ، ومن هذه صورته فهو على غاية العجز ، ولا يجوز ان يكون إلهاً . وانما يجب ان يكون كذلك من يقدر على الضرر والنفع ونصرة اوليائه .

وقوله تعالى « وإن تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم » معناه إن الاصنام والاوثان التي كانوا يعبدونها ويتخذونها آلهة ان دعوها إلى الهدى والرشد لم يستمعوا ذلك ، ولا تمكنوا من اتباعهم لانها جمادات لا تفقه ، ولا تعقل ، في قول ابي علي وغيره .

وقال الحسن ان ذلك راجع الى قوم من المشركين قد عموا بالكفر فهم لا يعلمون .

ثم قال ﴿ سواء عليكم أدعوتموهم ام انتم صامتون ﴾ يعني سواء عندها دعاؤها والسكوت عنها لكونها جماداً لا تعقل وإنما قال « أم انتم صامتون » ولم يقل ام صمتم ليكون فى مقابلة « ادعوتموهم » فيفيد الماضي والحال لان المقابلة دلت على معنى الماضي ، واللفظ يدل على معنى الحال . وعليه اكثر الكلام يقولون : سواء علي اقمت ام قعدت ، ولا يقولون اقمت ام انت قاعد ، قال الشاعر :

سواء إذا ما اصلح الله امرهم علينا اذ نر مالهم ام اصارم (١)

وانشد الكسائي .

سواء عليك النفر ام بت ليلة بأهل القباب من نمير بن عامر (٢)

وانشده بعضهم : ام انت بائت

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٩٣) آية بلاخلاف .

---

(١) معاني القرآن ١ : ٤٠١ (الدنر) المال الكثير . و (أصارم) جمع أصرام وهو الفريق القليل العدد ويقصد هنا الفريق من الابل . وأصله أصاريم وحذف الياء لضرورة الشعر .

(٢) معاني القرآن ١ : ٤٠١ . يريد النفر من مني .

المعنى .

إنما قال « إن الذين » وهو يريد الاصنام ، لانها لما كانت عندهم معبودة تنفع وتضر ، جاز ان يكنى عنها بما يكنى عن الحي ، كما قال في موضع آخر ﴿ بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ﴾ (١) ولم يقل فعله كبيرها فاسألوها . وقال ﴿ والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ (٢) لما اضاف السجود اليها جمعها بالواو والنون التي تختص بالعقلاء ومعنى « من دون الله » غير الله ، كأنه قال كل مدعو إلهاً غير الله « عباد امثالكم » و(من) لابتداء الغاية في ان الدعاء دون دعاء الله إلى حيث انتهى إنما هو لعباد الله . ثم قال « عباد امثالكم » فانما سماها كذلك لان التعبد التذلل ، فلما كانت الاصنام تنصرف على مشيئة الله وهي غير ممتنعة عما يريد الله تعالى بها كانت بذلك في معنى العباد

اللغة :

ويقال عبدت الطريق إذا وطئته حتى تقرر وسهل سلوكه . ومنه قوله تعالى « وتلك نعمة تمنّها علي ان عبّدت بني اسرائيل » (٣) اي ذللتهم واستخدمتهم ضروباً من الخدم .

المعنى :

وقال الجبائي ، وغيره : معنى (عباد) اي املاك لربهم كما انتم عبيد له ، فان كنتم صادقين في ادعاءكم انها آلهة فادعوهم فليستجيبوا لدعاءكم ، وهذه لام الأمر على معنى التهجين كما قال ﴿ هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ﴾ (٤) فاذا لم يستجيبوا لكم ، لانها لا تسمع دعاءكم فاعلموا انها لا تنفع ولا تضر ولا تستحق العبادة .

(١) سورة الأنبياء آية ٦١ (٢) سورة يوسف آية ٤
(٣) سورة الشعراء آية ٢٢ (٤) سورة النمل آية ٦٤

فاما من قال الاصنام تعبد الله على الحقيقة كما يعبد العقلاء وان كنا لا نفقه ذلك فقد تجاهل ، لان العبادة ضرب من الشكر والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم . والعبادة وإن كانت شكراً فانه يقارنها خضوع وتذلل . وكل ذلك يستحيل من الجماد .

ويحتمل من حيث انهم توهموا انها تضر وتنفع فقيل لهم ليس يخرج هؤلاء بذلك عن حكم الله تعالى .

وقال الحسن معناه إنها مخلوقة أمثالكم . والعبد المملوك من جنس ما يعقل ، لان الثوب مملوك ، ولا يسمى عبداً .

وقيل الدعاء الأول في الآية تسميتهم الاصنام آلهة كأنه قال « إن الذين تدعون» آلهة من دون الله فاطلبوا منهم المنافع وكشف المضار ، فاذا كان ذلك ميؤساً منها ، فعبادتها جهل وسخف .

وقوله « إن كنتم صادقين » قال الحسن معناه في انهم آلهة .

قوله تعالى:

﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ ﴾ (١٩٤) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة:

قرأ ابو جعفر « يبطشون» ويبطش - بضم الطاء حيث وقع . الباقون بكسرها . وهما لغتان ، والكسر افصح واكثر . وقراء « كيدون» بياء في الحالين : الوقف و الوصل والحلواني عن هشام ويعقوب وافقهما في الوصل ابو عمرو وابو جعفر واسماعيل

والداجوني عن هشام . الباقون بغير ياء في الحالين .

و « تنظرون » بياء في الحالين عن يعقوب .

قال ابو علي الفارسي : الفواصل وما اشبهها من الكلام التام تجري مجرى القوافي لاجتماعهما في ان الفاصلة آخر الآية ، كما ان القافية آخر البيت وقد الزموا الحذف في هذا الباب في القوافي كقوله :

فهل يمنعن ارتيادي البلاد من قدر الموت ان يأتين

والياء التي هي لام [الكلمة] كذلك نحو قوله :

يلمس الأحلاس في منزله بيديه كاليهودي المصل (١)

المعنى :

اكد الله تعالى في هذه الآية الحجة على المشركين في انه لا ينبغي لهم ان يعبدوا هذه الاصنام ولا يتخذونها آلهة فقال ﴿ ألهم ارجل يمشون بها ﴾ ، لان لفظه وان كان لفظ الاستفهام ، فالمراد به الانكار ، اي ليس لهم ارجل يمشون بها ولا لهم ايد يبطشون بها ولا اعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها ، فعرفهم بذلك انهم دون منزلتهم وان الكفار مفضلون عليهم بما انعم الله عليهم من هذه الحواس التي لم تؤت الاصنام .

واذا كنتم مفضلين عليها وكنتم أقدر على الاشياء واعلم ، فكيف يجوز لكم ان تتخذونها مع ذلك آلهة لا نفسكم .

وقوله تعالى ﴿ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ﴾ معناه ادعوا هذه الاوثان والاصنام التي تزعمون أنها آلهة وتشركونها في اموالكم فتجعلون لها حظاً

(١) قائله لبيد . اللسان « لمس » . والاحلاس ملازمة المنزل وعدم التدخل بشؤون الدولة . والمصل بمعنى الخاسر الذي ليس له شيء في الامر .

من الاموال والمواشي وتوجهون عبادتكم اليها اشراكا بالله لها . واسألوهم ان يضروني وان يكيدوني معكم ، ولا تؤخروا ذلك إن قدروا عليه . ومتى لم يتمكنوا من ذلك فتبينوا انها لا تستحق العبادة لانها في غاية الضعف والعجز .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾

(١٩٥) آية بلا خلاف.

القراءة :

روى ابن خنيس عن السوسي « ان ولي الله » بياء مشددة مفتوحة .الباقون بثلاث ياءات الاولى ساكنة والثانية مكسورة والثالثة .مفتوحة - على الاضافة - ومن قرأ مشدداً حذف الوسطى وأدغم الاولى في الثالثة . ولا يجوز ادغام الثانية في الثالثة ، لانها متحركة وقبلها ساكن لا يمكن الأدغام .

المعنى :

امر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ ان يقول المشركين « ان ولي الله الذي » يحفظني وينصرني ويحوطني ويدفع شركم عني هو الله الذي خلقني واياكم جميعاً ويملكني ويملككم الذي نزل القرآن ، وهو ينصر الصالحين الذين يطيعونه ويجتنبون معاصيه تارة بالحجة واخرى بالدفع عنهم .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا

أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ (١٩٦) آية بلا خلاف.

هذا عطف على الآية الاولى، فكأنه قال قل وليي الله القادر على نصرتي عليكم وعلى من اراد بي ضراً. والذين تتخذونهم انتم آلهة لايقدرون على ان ينصروكم ولا ان يدفعوا عنكم ضرراً. ولايقدرون ان ينصروا انفسهم ايضاً لو ان انساناً اراد بهم سوءاً من كسر او غيره.

وإنما كرر هذا المعنى لان ذكره في الآية التي قبلها على وجه التقريع، وذكره ههنا على وجه الفرق بين صفة من تجوز له العبادة ممن لا تجوز، كأنه قال ان ناصري الله ولا ناصر لكم ممن تعبدون.

وانما قال تدعون من دونه وهم يدعونه معه، لان معنى من دونه من غيره ومع ذلك فانه بمنزلة من افرد غيره بالعبادة في عظم الكفر والشرك.

قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (١٩٧) آية بلا خلاف.

قال الفراء والزجاج: المعنى ان دعوتم هؤلاء الذين تعبدونهم من الاصنام الى صلاح ومنافع لايسمعوا دعاءكم، وتراهم فاتحة اعينهم نحوكم على ما صورتموهم عليه من الصور، وهم مع ذلك لا يبصرونكم.

قال الجبائي جعل الله انفتاح عيونهم في مقابلتهم نظراً منهم اليهم مجازاً، لان النظر حقيقة تقلب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلباً لرؤيته وذلك لايتأتى في الجماد.

ويقال في اللغة تناظر الحائطان اذا تقابلا وكل شيء قابل غيره يقال نظر اليه.

وقال الحسن: المعنى وان تدع يا محمد المشركين، فلم يجعل الكناية عن الاوثان.

وقال الرماني الكناية عن الاوثان لانهم جعلوها تضر وتنفع ، كما يكون ذلك فيما يعقل .

وفي الآية دلالة على ان النظر غير الرؤية ، لأنه تعالى أثبت النظر ونفى الرؤية .

وقوله « وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون » وجه الخطاب الى النبي ﴿ ص ﴾ ولو كان امره بخطاب المشركين بمعنى قل لهم لقال وترونهم .

وقال السدي ومجاهد اراد به المشركين ، فعلى هذا يكون قوله « وإن تدعوهم » خطاباً للنبي ﴿ ع ﴾ انه إن دعا المشركين الى الهدى لا يسمعوا بمعنى لا يقبلوا وهم يرونه ولا ينتفعون برؤيته .

قوله تعالى :

﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(١٩٨) آية بلا خلاف .

امر الله تعالى نبيه ان يأخذ مع الناس بالعفو وهو التساهل فيما بينه وبينهم وقبول اليسير منهم الذي سهله عليهم ، ويسر فعله لهم وان يترك الاستقصاء عليهم في ذلك ، وهذا يكون في مطالبة الحقوق الواجبة لله تعالى وللناس وغيرها . وهو في معنى الخبر عن النبي ﴿ ع ﴾ (رحم الله سهل القضاء سهل الاقتضاء) .

ولا ينافي ذلك ان لصاحب الحق والديون وغيرها استيفاء الحق وملازمة صاحبه حتى يستوفيه ، لأن ذلك مندوب إليه دون ان يكون واجباً .

وقد يكون العفو في قبول العذر من المعتذر وترك المؤاخذة بالاساءة .

وقوله ﴿ وأمر بالعرف ﴾ يعني بالمعروف ، وهو كل ما حسن في العقل فعله او في الشرع . ولم يكن منكراً ولا قبيحاً عند العقلاء .

وقوله عز وجل ﴿ واعرض عن الجاهلين ﴾ امر بالاعراض عن الجاهـــل :

السفيه الذي ان كلمه سفه عليه وآذاه بكلامه .

وأمره إذا قام عليهم الحجة وبين بطلان ما هم عليه من الكفر والمعاصي ان يعرض عنهم ولا يجاوبهم في مكروه يسمعه ، صيانة لنفسه عنهم .

وقال عطا العفو : الفضل .

وقال مجاهد العفو من أخلاق الناس وعفو اموالهم من غير تجسس عليهم . وقال ما عفا لك من اموالهم وذلك قبل فرض الزكاة .

وقال السدي: نسخ ذلك بآية الزكاة .

وقال ابن زيد: امره بالاعراض عنهم ثم نسخ بقوله « واغلظ عليهم »(١)

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله : « وامر بالعرف » ان جبرائيل قال له معناه تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك .

قوله تعالى :

﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٩٩) آية بلا خلاف .

المعنى :

النزغ ادنى حركة تقول نزغته اذا حركته . والمعنى ان نالك يا محمد من الشيطان ادنى نزغ من معاندة وسوء عشرة فاستعذ بالله اي سل الله ان يعيذك ، ويحفظك منه فانه سميع للمسموعات وعالم بالخفيات يسمع دعاء من يدعوه ويعلم دعاءه وما يستحقه بذلك من الله .

---

(١) سورة التوبة آية ٧٤ وسورة التحريم آية ٩

اللغة والاعراب :

والنزغ الفساد ايضاً يقال نزغ فلان بيننا اي افسد ومنه قوله تعالى: « نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي » (١) يقال نزغ فلان بيننا ، ونزع ينزع ونغز ينغز اذا افسد .

وموضع ينزغنك جزم بـ (إن) التي للجزاء إلا انه لا يبين فيه الاعراب ، لأنه مبني مع نون التأكيد على الفتح اذا كانت مشددة ولا بد من تحريك ما قبلها في الجزم لالتقاء الساكنين .

والنزغ الازعاج بالاغواء واكثر مايكون ذلك عند الغضب واصل النزغ الازعاج بالحركة نزغته انزغه نزغاً .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (٢٠٠) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرا ابن كثير واهل البصرة والكسائي « طيف » بغير الف وبغير همز . الباقون بألف بعدها همزة .

اللغة :

قال الحسن : الطيف في كلام العرب اكثر من طائف . وقال ابو زيد طاف الرجل يطوف طوفاً اذا اقبل وادبر وأطاف يطوف طوفاً اذا جعل يستدبر القوم

(١) سورة يوسف آية ١٠٠

ويأتيهم من نواحيهم . وطاف الخيال طيفاً اذا ألم في المنام . وقال ابو عبيدة طيف من الشيطان بأن يلم به ، لما يقال منه طفت أطيف طيفاً . وقال قوم : الطائف ماأطاف بك من وسوسة الباطل . والطيف اللمم ، والمس .

وقال ابو عمرو بن العلا :الطيف الوسوسة .

وحكى الرماني ان الطيف اصله طيف من الواو مثل سيد وميت ، فخفف وانشد ابو عبيدة للاعشى . في الالمام :

ونصبح عن غب السرى وكأنما ألم بها من طائف الجن أولق(١)

وكان معنى الآية إذا مسهم من ينظر لهم نظرة من الشيطان . ويكون طائف مثل العاقبة والعاقية ،مما جاء المصدر منه على فاعل وفاعلة ، فالطيف أكثر لان المصدر على هذا الوزن اكثر منه على وزن فاعل ، والطائف كالخاطر .

المعنى :

وقال الحسن معناه يطوف عليهم الشيطان بوساوسه فيقبل بعض وحيه من يعصي الله .

وقوله « تذكروا» اي تذكروا ماعندهم من المخرج والتوبة « فاذا هم مبصرون» قد تابوا .

وقال مجاهد هم :المؤمنون اذا مسهم طيف اي غضب تذكروا .

وقال سعيد بن جبير : هو الرجل يغضب الغضب فيذكر فيكظم غيظه .

وقال مجاهد : هوالرجل يهم بالذنب فيذكر الله تعالى فيتركه .

اخبر الله تعالى بأن الذين يتقون الله باجتناب معاصيه إذا وسوس اليهم الشيطان واغراهم بمعاصيه تذكروا فعرفوا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه ويتركونه .

---

(٢) ديوانه : ١٤٧ ومجاز القرآن : ٢٣٦ . واللسان (طيف)

وقال مجاهد وسعيد بن جبير : الطيف الغضب .

وقال ابن عباس والسدي : هي الزلة التي إذا ارتكبها تاب منها .

وإذا الاولى بمنزلة الجزاء ولها جواب ، والثانية بمعنى المفاجأة كقولك خرجت ، فاذا زيد .

وقال ابن عباس الطيف النزغ . وقال ابو عمرو بن العلا : الوسوسة . وقال غيره هو اللمم .

قوله تعالى :

﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ (٢٠١) آية بلاخلاف .

القراءة :

قرىء « يمدونهم » بضم الياء وكسر الميم عن نافع . الباقون بفتح الياء وضم الميم

المعنى :

معنى الآية ان اخوان الشياطين من الكفار يمدهم الشياطين في الغي ، ومعناه يزيدونهم في الغواية ، والاضلال ، ويزينون لهم ما هم فيه .

ثم اخبر ان هؤلاء مع ذلك « لا يقصرون » كما يقصر الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان ، وهو قول ابن عباس والسدي وابن جريج وابي علي ، واكثر المفسرين .

وقال مجاهد هم اخوان المشركين من الشياطين .

وقال قتادة قوله : « ثم لا يقصرون » يعني الشياطين « لا يقصرون » عن استغوائهم ولا يرحمونهم .

اللغة والحجة :

وقصرت وأقصرت لغتان والقراءة على لغة أقصرت ، ومن ضم الياء فلقوله تعالى « إنما نمدهم به من مال وبنين » (١) وقوله عز وجل : « وأمددناهم بفاكهة » (٢) وقوله « أتمدونني بمال » (٣) ومن فتح الياء . فلقوله تعالى « ويمدهم في طغيانهم يعمهون » (٤) .

وامددت فيما يستحب، ومددت فيما يكره . قال ابو زيد : امددت القائد بالجند وامددت الدواة وامددت القوم بالمال والرجال .

وقال ابو عبيدة « يمدونهم في الغي » اى يزينون لهم يقال مد له في غيه هكذا يتكلمون به . ووجه قراءة نافع قوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم » .

قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْ لَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٠٣) آية بلا خلاف .

المعنى :

معنى الآية انك يا محمد إذا لم تأتهم بآية يقترحونها ، قالوا : لم لا تطلبها من الله فيأتينا بها . وقوله « لو لا » معناه هلا « اجتبيتها » معناه اختلقتها ، واقتلعتها من قبل نفسك في قول الزجاج ، والفراء ، والحسن ، والضحاك ، وقتادة ، وابن جريج ، وابن زيد ، وابن عباس .

---

(١) سورة المؤمنون آية ٥٥ (٢) سورة الطور آية ٢٢
(٣) سورة النمل آية ٣٦ (٤) سورة البقرة آية ١٥

وفي رواية اخرى عن ابن عباس وقتادة: معناه هلا اخذتها من ربك وتقبلتها منه . ويكون الاجتباء بمعنى الاختيار .

وقال الفراء اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته اذا اقتلعته من قبل نفسك .

وقال ابو عبيده اخترعته مثل ذلك .

وقال ابو زيد هذه الحروف تقولها العرب للكلام يبتدؤه الرجل لم يكن اعده قبل ذلك في نفسه .

فأمر الله تعالى نبيه ﴿ع﴾ ان يقول لهم إني لست آتي بالآيات من عندي وإنما يفعلها الله ويظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك لا بحسب اقتراح الخلق . وإنما اتبع ما يوحى إلي .

وقوله « هذا بصائر من ربكم » يعني هذا القرآن حجج وبراهين وأدلة من ربكم

اللغة :

والبصائر جمع بصيرة وهي البراهين الواضحة والحجج النيرة . وتكون البصائر جمع بصيرة . وهي طريق الدم . والبصيرة الرأس أيضاً . وجمعها بصائر ومعناها ظهور الشيء وبيانه .

المعنى :

وإنما قال « هذا بصائره » لان المراد به القرآن . وقوله تعالى « وهدى » يعني بيان وحجة ورحمة لقوم يؤمنون ، فأضافه اليهم لانهم المنتفعون بها ، دون غيرهم من الكفار ، وان كان بياناً للكل . وقال الجبائي قوله « هذا بصائر » إشارة إلى الأدلة الدالة على توحيده وصفاته وعدله وحكمته وصحة نبوة النبي وصحة ماأتى به النبي ﴿ع﴾

قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢٠٣) آيه بلا خلاف .

المعنى :

أمر الله تعالى المكلفين بأنه إذا قرىء القرآن ان يستمعوا له ويصغوا إليه ليفهموا معانيه ويعتبروا بمواعظه وان ينصتوا لتلاوته ويتدبروه ولا يلغوا فيه ليرحمهم بذلك ربهم ، وباعتبارهم به وإتعاظهم بمواعظه .

واختلفوا في الوقت الذي امروا بالانصات والاستماع .

فقال قوم : امروا حال كون المصلي في الصلاة خلف الامام الذي يأتم به وهو يسمع قراءة الامام ، فعليه ان ينصت ، ولا يقرأ ويتسمع لقراءته .

ومنهم من قال : لانهم كانوا يتكلمون في صلاتهم ويسلم بعضهم على بعض ، واذا دخل داخل وهم في الصلاة قال لهم كم صليتم فيخبرونه وكان مباحاً فنسخ ذلك ، ذهب اليه عبد الله بن مسعود ، وابوهريرة ، والزهري ، وعطا ، وعبيد الله بن ابي عمير ومجاهد ، وقتادة ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وابراهيم ، وعامر الشعبي ، وابن عباس ، وابن زيد ، واختاره الجبائي .

وقال قوم : هو امر بالانصات للامام إذا قرأ القرآن في خطبته . روي ذلك عن مجاهد .

وقال قوم : هو امر بذلك في الصلاة والخطبة . روي ذلك عن مجاهد ايضاً ، والحسن .

واقوى الأقوال الاول ، لانه لا حال يجب فيها الانصاف لقراءة القرآن إلا

حال قراءة الامام في الصلاة ، فان على المأموم الانصات لذلك والاستماع له .

فأما خارج الصلاة فلا خلاف انه لايجب الانصات والاستماع .

وعن ابي عبد الله (ع) انـــه في حال الصلاة ، وغيرها . وذلك على وجه الاستحباب .

وقال الجبائي : يحتمل ان يكون اراد بالاستماع إذا قرأ النبي (ع) عليهم ذلك ، فانه كان فيهم من المنافقين من لايستمع لذلك . والاول اكثر فائدة واعم .

وقال الزجاج يجوز ان يكون الامر بالاستماع للقرآن للعمل بما فيه وان لا يتجاوزه كما تقول سمع الله لمن حمده بمعنى اجاب الله دعاه ، لان الله سميع عليم .

اللغة :

والانصات السكوت مـــع الاستماع . قال الطرماح يصف وحشاً ، وحذرها الصيادين :

يخافتن بعض المضغ من خشية الردى وينصتن للسمع انصات المناقن(١)

عراف الماء .

قوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٢٠٤) آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى نبيه (ع) ان يذكره على حال التضرع والمراد به الامة .

ونصب تضرعاً على الحال . وعلى وجه الخوف من عذابه والخيفة هو الخوف

---

(١) اللسان (نصت)

ويكون دعاؤه خالصاً لله ويفعل هذا الدعاء « بالغدو » ، وهو اول النهار ، « والآصال » وهو جمع اصل . والاصل جمع الاصيل فالآصال جمع الجمع وتصغيره اصيلال على بدل النون . وقال قوم هو جمع اصل والاصل يقع على الواحد والجمع ومعناه العشيات . وهو ما بين العصر إلى غروب الشمس .

وقال إبن زيد: الخطاب متوجه إلى المستمع للقرآن إذا تلي ثم أكد توصية له في الدعاء بقوله « ولا تكن من الغافلين » والمعنى لا تكن من الغافلين عما امرتك به من الدعاء له والذكر لله .

وقال الجبائي في الآية دليل على ان الذين يرفعون اصواتهم بالدعاء ويجهرون بها مخطؤن على خلاف الصواب .

ومن قرأ « وخيفة » اراد اخف الدعاء واترك الاجهاد ، وهو تأكيد لما امر به من الدعاء إخفاء .

وقوله « ودون الجهر » يعني دعاء باللسان في خفاء الاجهاد .

وقال قوم : الآية متوجهة إلى من امر بالاستماع للقرآن والانصات له الذين كانوا إذا سمعوا القرآن رفعوا أصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة او النار ، ذهب اليه ابن زيد ومجاهد وابن جريج واختاره الطبري ، والأولى ان يكون ذلك متوجهاً إلى النبي ، والمراد به جميع الأمة ، فانه اكثر فائدة .

وإنما أمره بالذكر في النفس وإن كان لا يقدر عليه العبد لأمرين :

أحدهما - ان المراد به التعرض للذكر من جهة الفكر ، وهذا في الذكر المضاد للسهو .

الثاني - انه امر بالذكر الذي هو القول فيما يخفى كحديث النفس .

قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ

﴿ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ (٢٠٥) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى ان الذين عنده ، وهم الملائكة . ومعناه انهم عنده بالمنزلة الجليلة لا بقرب المسافة لانه تعالى ليس في مكان ولا جهه فيقرب غيره منه ، لان ذلك من صفات الاجسام ، وهذا حث منه على الطاعة والاستكانة والخضوع له لان الملائكة مع فضلها وارتفاع منزلتها اذا كانت لا تستكبر عن عبادته بل تسبحه دائماً وتسجد مثل ذلك فبنوا آدم بذلك اولى واحق ولهم اوجب والزم .

قال الجبائي معنى « عند ربك » انهم في المكان الذي لا يملك فيه الحكم بين الخلق سواه لانه ملك عباده الحكم في الارض على وجه حسن .

قال ويجوز ان يكون المراد بذلك أنهم رسله الذين يبعثهم في امور الانس ، واذا كانوا رسله جاز ان ينسبهم الى نفسه فيقول انهم عنده ، كما يقال عند الخليفة جيش كثير ولا يراد به فى مكانه ، ولا بالقرب منه ، وإنما يراد انهم أصحابه وان كانوا متفرقين في البلاد .

وقال الزجاج من قرب من رحمة الله وفضله فهو عند الله اي قريب من تفضله واحسانه وهذه اول سجدات القرآن ، وهي عندنا مستحبة غير واجبة وفي ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف .

وسبب نزول الآية ان قريشاً لما قالت وما الرحمن انسجد لما تأمرنا ، فنزلت هذه الآية .

(٨) سورة الأنفال

هذه السورة مدنية في قول قتادة وابن عباس ومجاهد وعثمان ، وقال هي أول ما نزل على النبي ﴿ ع ﴾ بالمدينة ، وحكي عن ابن عباس : انها مدنية إلا سبع آيات اولها (وإذ يمكر بك الذين كفروا) إلى آخر سبع آيات بعدها . وهي خمس وسبعون آية في الكوفي ، وسبع وسبعون آية في الشامي ، وست في المدنيين والبصري .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) آية بلا خلاف .

اختلف المفسرون في معنى الانفال ههنا فقال بعضهم هي الغنائم التي غنمها النبي (ع) يوم بدر ، فسألوه لمن هي فأمر الله تعالى نبيه ان يقول لهم هي لله ولرسوله ، ذهب اليه عكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، وابن عباس ، وقتادة ، وابن زيد .

وقال قوم : هي انفال السرايا ذهب اليه علي بن صالح بن يحيى .

وقال قوم : هو ما شذ من المشركين إلى المسلمين من عبد او جارية من غير قتال او ما اشبه ذلك عن عطا . وقال : هو للنبي (ع) خاصة يعمل به ما يشاء .

وروي عن ابن عباس في رواية اخرى انه ما سقط من المتاع بعد قسمة الغنائم من الفرس والدرع والرمح .

وفي رواية اخرى انه سلب الرجل وفرسه ينفل النبي (ع) من شاء .

وقال قوم : هو الخمس ، روي ذلك عن مجاهد ، قال قال المهاجرون لم يرفع منا هذا الخمس ويخرج منا ؟ فقال الله : هو لله والرسول .

وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) ان الانفال كل ما اخذ من دار الحرب بغير قتال اذا انجلى عنها اهله .

وتسمية الفقهاء فيئاً وميراث من لا وارث له وقطائع الملوك إذا كانت في ايديهم من غير غصب والآجام وبطون الأودية ، والموات وغير ذلك مما ذكرناه في كتب الفقه وقالا هو لله والرسول وبعده للقائم مقامه يصرفه حيث يشاء من مصالح نفسه ومن يلزمه مؤنته ليس لاحد فيه شيء . وقالا إن غنائم بدر كانت للنبي (ع) خاصة ، فسألوه ان يعطيهم .

وفي قراءة اهل البيت : « يسألونك الأنفال » فأنزل الله تعالى قوله : « قل الانفال لله والرسول » ولذلك قال « فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم » ولو سألوه عن موضع الاستحقاق لم يقل لهم اتقوا الله .

اللغة :

والأنفال جمع نفل والنفل هو الزيادة على الشيء ، يقال نفلتك كذا اذا زدته قال لبيد بن ربيعة :

ان تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ريثي والعجل (١)

والنفل هو ما أعطيته المرء على البلاء والغناء على الجيش على غير قسمة . وكل شيء

(١) تفسير القرطبي ٨ : ٣٦١ واللسان (نفل) . ومجاز القرآن ١ : ٢٤٠ .

كان زيادة على الأصل ، فهو نفل ، ونافلة . ومنه قيل لولد الولد نافلة ، ولما زاد على فرائض الصلاة نافلة .

سبب النزول :

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية ، فقال قوم : نزلت في غنائم بدر ، لان النبي ﴿ ع ﴾ كان نفل اقواماً على بلاء . فأبلى اقوام وتخلف آخرون مع النبي ﴿ ع ﴾ فلما انقضى الحرب اختلفوا ، فقال قوم : نحن اخذنا ، لانا قتلنا . وقال آخرون : نحن احطنا بالنبي ﴿ ع ﴾ ولو اردنا لأخذنا . وقال آخرون نحن كنا وراءكم نحفضكم فأنزل الله هذه الآية يعلمهم ان مافعل فيها رسول الله (ص) ماض جائز- ذهب اليه ابن عباس ، وعكرمة ، وعبادة بن الصامت .

وقال قوم: نزلت في بعض اصحاب النبي ﴿ ع ﴾ سأل من المغنم شيئاً قبل قسمتها فلم يعطه اياها اذ كان شركا بين الجيش فجعل الله جميع ذلك للنبي ﴿ ع ﴾ روي ذلك عن سعد بن مالك وهو ابن ابي وقاص . قال وكان سيف سعد بن العاص لما قتله اخوته وكان يسمى ذا الكثيفة ،قال سعد أتيت النبي ﴿ ع ﴾ فسألته سيفاً فقال ليس هذا لي ولا لك فوليت عنه . قال فاذا رسول الله ﴿ ص ﴾ خلفي فقال ان السيف قد صار لي فاعطانيه ، ونزلت الآية .

وروي عن ابي اسيد مالك بن ربيعة قال : اصبت سيف ابن عابد وكان يسمى المرزبان فالقيته في النفل ، فقام الارقم بن ابي الارقم المخزومي فسأل رسول الله فأعطاه إياه .

وقال آخرون ان اصحاب النبي ﴿ ع ﴾ سألوه ان يقسم غنيمة بدر عليهم يوم بدر وأعلمهم الله ان ذلك لله ولرسوله دونهم ليس لهم فيه شيء .

المعنى :

وقالوا معنى (عن) ههنا معنى (من) وكان ابن مسعود يقرؤه « يسألونك الأنفال »

على هذا التأويل . وهذا مثل ما رويناه عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﴿ع﴾ وروي ذلك عن الأعمش ، والضحاك عن ابن مسعود ، وروي ذلك عن ابن عباس ، وابن جريج وعمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده وعن الضحاك ، وعكرمة ، واختاره الطبري وهو قول الحسن .

وقال الحسن قال رسول الله ﴿ص﴾ أيما سرية خرجت بغير اذن إمامها فما اصابت من شيء ، فهو غلول .

وقال الزجاج كانت الغنائم قبل النبي ﴿ع﴾ حراماً فسألوا النبي عن ذلك فنزلت الآية ، وهذا بعيد .

واختلفوا هل هي منسوخة ام لا ؟

فقال قوم : هي منسوخة بقوله « واعلموا أنما غنمتم من شيء ... » الآية . وروي ذلك عن مجاهد وعكرمة والسدي وعامر الشعبي واختاره الجبائي .

وقال آخرون ليست منسوخة ، ذهب اليه ابن زيد واختاره الطبري ، وهو الصحيح ، لان النسخ محتاج إلى دليل ، ولا تنافي بين هذه الآية وبين آية الخمس ، فيقال انها نسختها .

واختلفوا هل لاحد بعد النبي ﴿ع﴾ ان ينفل احداً - ذكرناه في الخلاف - فقال سعيد بن المسيب لا نفل بعد رسول الله . وبه قال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

وعندنا وعند جماعة من الفقهاء واختاره الطبري : ان للأئمة ان يتأسوا بالنبي ﴿ع﴾ في ذلك .

وقوله : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم » امر من الله للمكلفين ان يتقوا معاصيه ويفعلوا طاعاته وان يصلحوا ذات بينهم .

واختلفوا في معناه ، فقال قوم هو ان النبي (ع) كان ينفل الرجل من المؤمنين سلب الرجل من الكفار اذا قتله ، فلما نزلت الآية امرهم ان يرد بعضهم على

بعض ، ذهب اليه قتادة وابن جريج .

وقال قوم : هذا نهي من الله للقوم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من امر الغنيمة يوم بدر ، ذهب اليه مجاهد وابن عباس وسفيان والسدي .

واختلفوا لم قال « ذات بينكم » فأنث والبين مذكر .

فقال قوم : اراد « ذات بينكم » للحال التي للبين ، كما يقولون ذات العشاء يريدون الساعة التي فيها العشاء ، ولم يصفوا مذكراً لمؤنث ولا مؤنثاً لمذكر .

قال الزجاج اراد الحال التي ينصلح بها امر المسلمين .

وقال الأخفش جعله ذات لأن بعض الاشياء يوضع عليه اسم المؤنث وبعضه يذكر مثل الدار والحائط انث الدار وذكر الحائط .

وقوله « واطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » امر من الله للخلق ان يطيعوه ولا يعصوه ، ويطيعوا رسوله فيما يأمرهم به ان كانوا مصدقين لرسوله فيما يأتيهم به من قبل الله ، لانهم متى لم يطيعوه ولا يقبلوا منه لم يكونوا مؤمنين .

وروي : ان رسول الله (ص) قسم غنائم بدر بينهم عن تواء ، يعني سواء ، ولم يخمس وإنما خمس بعد ذلك .

وقال الزجاج : ﴿ذات بينكم﴾ معناه حقيقة وصلكم . والبين الوصل ، لقوله تعالى « لقد تقطع بينكم » اي وصلكم .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ

حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

ثلاث آيات بلا خلاف .

المعنى :

استدل من قال ان الايمان يزيد وينقص وان افعال الجوارح قد تكون ايماناً بهذه الآيات ، فقالوا : نفى الله ان يكون المؤمن إلا من اذا ذكر الله وجل قلبه وإذا تليت عليه اي قرأت زادتهم الآية ايماناً ، بمعنى انهم يزدادون عند تلاوتها ايماناً ، وانهم على الله يتوكلون في جميع امورهم « الذين يقيمون الصلاة » بمعنى يأتون بها على ما بينها النبي (ع) وينفقون مما رزقهم الله في ابواب البر ، واخراج الواجبات من الزكاة وغيرها . ثم وصفهم بأن هؤلاء الذين وصفهم بهذه الاوصاف هم المؤمنون حقاً يعني الذين اخلصوا الايمان ، لا كمن كان له اسمه على الظاهر وإن لهم الدراجات عند الله وهي المنازل التي يتفاضل بها بعضهم على بعض وإن لهم المغفرة والرزق الكريم فدل على ان من ليس كذلك ليس له ذلك .

ومن خالف في ذلك قال : هذه اوصاف أفاضل المؤمنين ، وخيارهم ، وليس يمتنع ان يتفاضل المؤمنون في الطاعات وإن لم يتفاضلوا في الايمان ، يبين ذلك انه قال في اول الآية « إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ووجل القلب ليس بواجب بلاخلاف ، وإنما ذلك من المندوبات .

وقوله « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون » لانه اذا صدّق بأية آية انها من عند الله ، فلاشك ان معارفه تزداد وان لم يزد بفعل الجوارح .

وقوله « الذين يقيمون الصلاة » يدخل في ذلك الفرائض والنوافل ، ولا شك ان الاخلال بالنوافل لا يخرج من الايمان ولا ينقص منه عند الاكثر . والانفاق أيضاً قد يكون بالواجب والنفل . والاخلال بما ليس بواجب منه لا يخرج من الايمان

بلا خلاف . وقوله « اولئك هم المؤمنون حقاً » يبين ذلك انه أشار به : الى خيارهم وأفاضلهم لان هذه أوصافهم فمن اين ان غيرهم وان كان دونهم في المنزلة لا يكون مؤمناً؟!

وقال ابن عباس : اراد ان المنافق لا يدخل قلبه شيء من ذلك عند ذكر الله . وان هذه الاوصاف منتفية عنه .

اللغة :

والوجل والخوف ، والفزع واحد ، يقال: وجل فلان يوجل وجلا . ويقال ياجل ويييجل ويييجل وأفصحها يوجل . قال الله تعالى ﴿ لا توجل ﴾ اى لا تخف قال الشاعر :

لعمرك ما ادري واني لأوجل على أينا تعدو المنية اول (١)

وانما وصفهم بالوجل ههنا وباطمئنان القلوب فى قوله : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله » (٢) لان الوجل يكون بالخوف من عقابه وبارتكاب معاصيه. والاطمئنان بذكر الله معناه : بنعمه وعدله ، ووصفهم بالوجل يكون في دار الدنيا ، وأما في الآخرة فانه « لا يحزنهم الفزع الأكبر » (٣) .

المعنى :

وقال الربيع : معنى زادتهم ايماناً زادتهم حسنة والدرجات عند الله :قال قوم : معناه أعمال رفيعة وفضائل استحقوها في أيام حياتهم ذهب اليه مجاهد. وقال غيره : معناه لهم مراتب رفيعة . والرزق الكريم ، قال قتادة : هو الجنة . وقال غيره : هو ما أعد الله لهم ووعدهم به في الجنة من أنواع النعيم والمغفرة يعني لذنوبهم ومعاصيهم سترها الله عليهم .

وقوله : « حقاً » منصوب بمعنى دلت عليه الجملة . وهي قوله : « اولئك هم المؤمنون » والمعنى أحق ذلك حقاً . والتوكل هو الثقة بالله في كل امر يحتاج اليه ،

(١) قطر الندى . ٢٣ الشاهد ٦ باب المعرب والمبنى . وغيرها كثير .

(٢) سورة الرعد آية ٣٠ (٣) سورة الأنبياء آية ١٠٣

تقول وكلت الامر الى فلان ، اذا جعلت اليه القيام به ، ومنه الوكيل القائم بالامر لغيره . والكريم القادر على النعيم من غير مانع ولم يزل الله كريماً بهذا المعنى .

قوله تعالى :

﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون (٥) يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴾ (٦) آيتان بلا خلاف .

القراءة والحجة :

من مد الف (كما) فلأن المد يقع في حروف اللين ، وهي الألف والواو والياء ، فاذا كان الحرف منها قبل همزة وكانت الواو والياء ساكنتين والالف لا تكون الا ساكنة مدّوا الالف كألف هذه الكلمة . وكقوله « من السماء من ماء » (١) بمد الف السماء والـــف ماء ، والياء نحو قوله « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » (٢) بمد الياء من الهوى ، والواو نحو قوله « قالوا أأنت فعلت هذا » (٣) بمد الواو .

الاعراب والمعنى :

واختلفوا في الكاف من قوله « كما » اشارة الى ماذا؟ فقال الزجاج وغيره قوله « كما أخرجك » معطوف على قوله « قل الأنفال لله والرسول » والمعنى في ذلك ان رسول الله لما جعل النفل لمن جعله له وسلمه المؤمنون لذلك على كراهية بعضهم له

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٤ (٢) سورة النجم آية ٣ - ٤
(٣) سورة الأنبياء آية ٦٢

كراهية طباع، فقال « الانفال لله والرسول » فامض لذلك وان كرهه قوم كما مضيت « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » وهم كارهون أيضاً لانهم كانوا كرهوا خروجه الكراهية التي ذكرناها ، وليس على المؤمنين في هذه الكراهية حرج ، اذا سلموا الامر لله ورسوله وعملوا بما فيه طاعاتها .

وقال غيره ذلك معطوف على قوله « يسألونك عن الانفال » كأنه قال: يسألونك الانفال كما جادلوك عند ما اخرجك ربك من بيتك ، فذلك قوله « يجادلونك في الحق بعد ما تبين » .

وقال قوم يجوز ان يكون الكاف على قوله : « اولئك هم المؤمنون حقاً . كما اخرجك ربك من بيتك بالحق » .

وقال بعضهم: « كما اخرجك ربك من بيتك . فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم »

وقال مجاهد « كما اخرجك ربك من بيتك بالحق . يجادلونك في الحق من بعد ما تبين » يعني يجادلونك في القتال بعد ما امرت به

وقال الفراء: قوله « كما اخرجك ربك من بيتك بالحق » جوابه قوله : « وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون » فقال: فامض لامرك في الغنائم على ماشئت « كما اخرجك ربك » مجاز اليمين كأنه قال والذي اخرجك ربك فتكون (ما) في موضع الذي كقوله: « وما خلق الذكر والانثى » (١) وتقديره والذي خلق الذكر ، وقال ابو عبيدة معمر ابن المثنى: (ما) في قوله « كما اخرجك » كما في قوله « وما بناها » (٢) أي وبنائها.

وقال عكرمة : المعنى اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وكان خير لكم .

وقال بعضهم : الكاف بمعنى (على) كأنه قال امض على الذي اخرجك من بيتك .

والحق الذي جادلوا فيه هو القتال في قول مجاهد . و« بيتك » يراد به

---

(١) سورة الليل آية ٣ (٢) سورة الشمس آية ٥

المدينة ، أخرجه الله الى بدر، في قول ابن جريج ، وابن ابي نجيح واكثر المفسرين .

ووجه كراهية القتال ما ذكره ابن عباس من ان ابا سفيان لما اقبل بعير قريش من الشام فيها اموالهم ، ندب النبي ﴿ع﴾ المسلمين الى الخروج اليها ، قال لعل الله ان ينفلكموها ، فانتدب اليهم نفر بعضهم ونفل بعضهم ، ولم يظنوا أن رسول الله ملقى كيداً ولا حزناً ، وهو قول السدي والمفسرين . واختلفوا في المؤمنين الذين كرهوا القتال ،وجادلوا النبي ﴿ع﴾ .

فقال قوم : اراد به اهل الايمان يوم بدر ذكر ذلك عن ابن عباس ، وابن اسحاق .

وقال قوم : عنى المشركين ، ذهب اليه ابن زيد ، وقال هؤلاء المشركون جادلوه في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعوهم إلى الاسلام ، وهم ينظرون ، قال وتكون هذه صفة مبتدأة لاهل الكفر . وقول ابن عباس هو الظاهر ، وعليه اكثر المفسرين ، وهو ان هذا صفة للمؤمنين لكن كرهوا ذلك كراهية الطبع ، لكونهم غير مستعدين للقتال ، ولقلتهم وكثرة المشركين ، ويقوي ذلك قوله بعد هذه الآية « وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم» فبين بذلك انهم كانوا يودون العير دون الحرب .

وقوله « بعد ما تبين » انك يا محمد لا تصنع إلا ما امرك الله به . وقال ابن عباس معناه يجادلونك في القتال بعد ما امرت به . والجدل شدة الفتل . ومنه قولهم جدلت الزمام اذا شددت فتله والاجدل الصقر لشدته . وقوله « كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » معناه كان هؤلاء الذين يجادلونك في لقاء العدو في كراهتهم للقتال إذا دعوا إليه وصعوبته عليهم بمنزلة من يساق إلى الموت وهم يرونه ويتوقعونه.

والسوق الحث على السير عجلة . والاخراج في الآية معناه الدعاء إلى الخروج الذي يقع به ، تقول اخرجته فخرج أي دعاه فخرج ومثله أضربت زيداً عمراً ، فضربه

وسمي البيت بيتاً لانه جاء مهيئاً للبيتوتة فيه ،

وقوله « من بيتك » قال الحسن وابن ابي بره وابن جريج معناه من المدينة .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٨) آية بلا خلاف .

تقدير الآية واذكر يا محمد إذ يعدكم الله احدى الطائفتين اما العير واما قريشاً .

قال الحسن كان المسلمون يريدون العير ورسول الله يريد ذات الشوكة لما وعده الله .

وقوله « احدى الطائفتين » يعني عير قريش او قريشاً ، وكان الله وعد نبيه حصول احديهما له .

الاعراب :

وقوله « احدى الطائفتين » في موضع نصب بـ (يعدكم الله) وقوله « إنها لكم » نصب بدل من قوله « احدى الطائفتين » ومثله « هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة » (١) فانها في موضع نصب بدلا من الساعة . ومثله : ﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم ﴾ (٢) قال الزجاج تقديره لولا ان تطؤهم .

« ١ » سورة الزخرف آية ٦٦ « ٢ » سورة الفتح آية ٢٥

اللغة :

وقوله « وتودون » معناه وتحبون «ان غير ذات الشوكة » يعني القتال . وإنما قال ﴿ ذات الشوكة ﴾ فأنث لانه عنى الطائفة . والشوكة الجد . يقال ما اشد شوكة بني فلان . وفلان شاك في السلاح وشائك وشاك بتشديد الكاف من الشكة . ومثله شاك ، قال الشاعر :

فيوهموني انني هو ذاكم شاك سلاحي في الحوادث معلم

المعنى :

وقال الضحاك ، وغيره كرهوا القتال وأعجبهم ان يأخذوا العير .

وقوله ﴿ ويريد الله ان يحق الحق ﴾ معناه ان الله يريد ان يظهر محمداً ﴿ص﴾ ومن معه على الحق ، ﴿ ويبطل الباطل ﴾ اي يبطل ما جاء به المشركون .

وقيل هذه الآية نزلت قبل قوله : « كما اخرجك ربك من بيتك بالحق » وهي في القراءة بعدها ذكره البلخي والحسن .

وفي الآية دلالة على ان الله لايريد الباطل ولا يريد إبطال الحق بخلاف مايقول المجبرة من ان كل ما في الارض من باطل وسفه وفسق فان الله يريده لان ذلك خلاف الآية .

وقوله « ويقطع دابر الكافرين » معناه يريد الله ان يجتث الجاحدين من اصلهم والدابر المأخر وقطعه الاتيان على جميعهم ، وهو قول ابن زيد وغيره .

وقال قوم : الحق في هذا الموضع القرآن . والباطل ابليس .

وقيل الحق الاسلام ، والباطل الشرك .

وقال ابن عباس كان عدة أهل بدر مع النبي ﴿ ص ﴾ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا . وروي ان النبي (ص) لما بلغه خروج قريش لحماية العير شاور اصحابه فقال قوم :

خرجنا غير مستعدين للقتال . وقال المقداد امض لما امرك الله به فوالله لو خضت بنا الجمر لتبعناك فجزاه خيراً واعاد الاستشارة . فقال سعد بن معاذ (رحمه الله) يارسول الله لعلك تريدنا ، قال نعم فقال سعد : إنا آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به حق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لنخوضه معك ، فسر رسول الله ﴿ ص ﴾ بقول سعد ونشطه ذلك . ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين ، والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم .

و(الحق) وقوع الشيء في موضعه الذي هو له فاذا اعتقد شيء بضرورة اوحجة فهو حق ، لأنه وقع موقعه الذي هو له ، وعكسه الباطل .

وروي ان احداً لم يشاهد الملائكة يوم بدر إلا رسول الله ﴿ ص ﴾ . ومعنى قوله « ليحق الحق » ليظهر تحقيق الحق للمخلوقين ويبطل الباطل لا انهما لم يكونا كذلك عنده .

قوله تعالى :

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (٩) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة واللغة والاعراب:

قرأ اهل المدينة ويعقوب « مردفين » بفتح الدال . الباقون بكسرها .

قال ابو علي : من قرأ بكسر الدال احتمل شيئين :

احدهما - ان يكونوا مردفين مثلهم ، كما تقول اردفت زيداً دابتي فيكون المفعول الثاني محذوفاً في الآية وذلك كثير .

الثاني ـ ان يكون معنى « مردفين » جاؤا بعدهم . قال ابو الحسن : تقول العرب بنو فلان يردفوننا اي هم يجيئون بعد . وهو قول ابي عبيدة . وردفني واردفني واحد . قال الشاعر :

اذا الجوزاء اردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا (١)

وقال قوم : ردفه صار له ردفاً واردفه جعله له ردفاً . ويكون اردفت الثريا نفسه . ومعنى البيت ان الجوزاء اذا طلعت في شدة الحر لم يبق حينئذ احد من البوادي في مناجعهم ، لان مياه الغدران يسبت فتفرق الحلل بعد اجتماعها فتفترق ظنونه في امر فاطمة انها اي ماء تأخذ لتعلق قلبه بها ، وهي فاطمة بنت حل بن عدي.

وقول ابي عبيدة ردفني واردفني واحد وهو اقوى لقوله « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين » اي جاء من بعد لاستغاثتكم ربكم فـ (مردفين) على هذه صفة للالف الذين هم الملائكة .

ومن قرأ بفتح الدال فمعناه اردفوا الناس اي انزلوا بعدهم ، فيجوز على هذا ان يكون حالا من الضمير المنصوب في ممدكم مردفين بألف من الملائكة ، والعامل في اذ يحتمل شيئين :

احدهما ـ ويبطل الباطل (اذ) الثاني ـ بتقدير اذكروا (إذ)

---

(١) قائله خزيمة بن مالك بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وهو من قدماء شعراء الجاهلية . وقيل حزيمة ـ بالحاء المهملة ـ بن نهد . الاغانى ١٣ : ٧٥ طبعة دار الثقافة . ومعجم ما استعجم : ١٩ ، وسمط اللآلى : ١٠٠ واللسان (قرظ) ، (ردف) ولهذا الشعر قصة طويلة ذكرها فى الاغانى . وفاطمة التى ذكرها قيل : هى بنت يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وكان يهواها فخطبها من أبيها فلم يعطه إياها.

و (الجوزاء) برج من الابراج الفلكية . وأردفتها أى تبعتها ويكون ذلك فى الحر الشديد .

فعلى الوجه الاول يكون متصلا بما قبله وعلى الثاني يكون مستأنفاً .

والاستغاثة طلب المعونة وهو سد الخلة في وقت شدة الحاجة .

وقيل في معنى «تستغيثون ربكم» تستجيرون به من عدوكم والاستجابة موافقة المسألة بالعطية وأصله طلب الموافقة بالارادة وليس في الاجابة معنى الطلب من هذه الجهة.

المعنى :

وقيل في معنى « مردفين » ثلاثة اقوال :

قال ابن عباس: مع كل ملك ملك ردف له . وقال الجبائي : هم ألفان لان مع كل واحد واحد ردفاً له .

والثاني - قال السدي وقتادة : ان معناه متتابعين .

الثالث - قال مجاهد ممدين بالارداف وامداد المسلمين بهم . ويقال هذه دابة لا ترادف ، ولا يقال تردف ، ويقال اردفت الرجل اذا جئت بعده . وكان يجوز ان يقرء بتشديد الدال وفتح الراء وضمها ، لان الاصل مرتدفين . وقرىء في الشواذ بضمها فمن فتح الراء نقل فتحة التاء اليها ومن كسرهـــا فلاجتماع الساكنين ومن ضمها فللاتباع .

اخبر الله تعالى عن حال اهل بدر انهم لقلة عددهم استغاثوا بالله والتجأوا اليه فأمدهم الله بألف من الملائكة مردفين ، رحمة لهم ورأفة بهم ، وهو قول ابن عباس ، وقال : الداعي كان رسول الله ﴿ ص ﴾ وهو قول أبي جعفر ﴿ ع ﴾ والسدي وابي صالح وهو المروي عن عمر بن الخطاب .

وقيل انهم قتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين .

وقال الحسن جميع ما أمدوا به من الملائكة خمسة آلاف : ما ذكر هنا ، وماذكر في آل عمران . وقال غيره جميعهم ثمانية آلاف . وقال الحسن: أردف بهؤلاء الألف

الثلاثة آلاف الذين ذكرهم في آل عمران . ثم اردفهم بألف آخرفصاروا خمسة آلاف.

قوله تعالى :

﴿ وَما جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلوبُكُمْ وَما النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠) آية بلا خلاف .

الهاء في قوله « جعله الله » يحتمل ان تكون عائدة الى الامداد ، لانه معتمد الكلام . وقال الفراء : هي راجعة الى الارداف .

ويحتمل ان تكون عائدة على الخبر بالمدد، لان تقديم ذلك اليهم بشارة في الحقيقة. اخبر الله تعالى انه لم يجعل هذا الذي اخبر به من امداد الملائكة إلا بشرى . وإنما جعله بأن اراده به فقلبه الى هذا المعنى . وقيل جعله بشرى بأن امر الملائكة ان تبشر به .

اللغة :

والجعل على ضروب : اولها - ان يكون بمعنى القلب ، كقولك جعلت الطين خزفاً . وبمعنى الحكم كقولك جعله الحاكم فاسقاً . وبمعنى الظن كقولك جعلته كريماً بحسن ظني به . وبمعنى الأمر كقولك جعله الله مسلماً بمعنى أمره بالاسلام .

وقوله « ولتطمئن به قلوبكم » فالاطمئنان الثقة ببلوغ المحبوب ، وهو خلاف الانزعاج . والطمأنينة : السكون والدعة .

المعنى :

وقوله : « وما النصر إلا من عند الله » معناه لا يكون النصر وقهر الاعداء من الكفار إلا بفضل من عند الله ونصر من جهته . وليس ذلك بشدتكم وقوة بأسكم وإنما اضافه إلى الله ، لئلا يظن انه من قبل الملائكة من غير امره .

فأما الغلبة بكثرة العدد فقد يتفق للكافر والمبطل ، فعلى هذا المؤمن ، وإن قتل فهو منصور غير مخذول . والكافر وان غلب وقتل فهو مخذول .

وهل قاتلت الملائكة يوم بدر قيل فيه قولان :

قال ابو علي الجبائي : ما قاتلت ، وانما اراد الله بالامداد البشارة بالنصر واطمئنان القلب ليزول عنهم الخوف الذي كان بهم ، قال لان ملكاً واحداً يقدر ان يدمر على جميع المشركين ، كما أهلك جبرائيل قريات لوط . وروي عن ابن مسعود : انها قاتلت . وقيل سأل ابوجهل من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص قالوا له من قبل الملائكة فقال هم غلبونا لا انتم .

وقوله « ان الله عزيز » يعني قادر لا يغالب و« حكيم » في أفعاله ليثقوا بوعده.

قوله تعالى:

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (١١) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ ابن كثير وابو عمرو « يغشاكم » بفتح الياء وسكون الغين وبألف مخفف. وقراءة اهل المدينة بضم الياء وسكون الغين وكسر الشين مخففاً من غير الف . الباقون بضم الياء وفتح الغين وتشديد الشين وكسرها من غير الف . وكلهم نصب النعاس الا ابن كثير وابو عمرو ، فانهما رفعاه .

وحجة من فتح الياء قوله ﴿ امنة نعاساً يغشى ﴾ (١) . فكما اسند الفعل الى النعاس

(١) سورة آل عمران آية ١٤٥

والأمنة ، كذلك ههنا . ومن قرأ بضم الياء وشدد الشين او خففها ، فالمعنى واحد . قال الله تعالى ﴿ فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ (١) وقال : ﴿ فغشاها ما غشى ﴾ (٢) وقال ﴿ كأنما اغشيت وجوههم ﴾ (٣) وحجتها انه اشبه بما بعده ، لانه قال ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ﴾ فكما ان ينزل مسند الى اسم الله كذلك ﴿ يغشى ﴾ .

اللغة والاعراب :

ويغشى (الغشيان) لباس الشيء ، ما يتصل به ومنه غشي الرجل امرأته فكان النعاس قد لابسهم بمخالطته اياهم . و(النعاس) ابتداء حال النوم قبل الاستثقال فيه ، وهو السنة تقول : نعس ينعس نعاساً فهو ناعس . وحكى الفراء انه سمع نعسان . و(الأمنة) الدعة التي تنافي المخافة ، تقول امن امنا وامانا وامنة .

وانتصب (امنة) بأنه المفعول له والعامل فيه (يغشى) .

المعنى :

وقوله ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ﴾ يعني مطراً وغيثاً .

وقوله : ﴿ ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ قال ابن عباس : معناه يذهب عنكم وسوسة الشيطان بأنه غلبكم على الماء المشركون حتى تصلوا وانتم مجنبين ، لأن المسلمون باتوا ليلة بدر على غير ماء ، فأصبحوا مجنبين ، فوسوس اليهم الشيطان ، فيقول : « تزعمون انكم على دين الله وانتم على غير الماء تصلون مجنبين ، وعدوكم على الماء فأرسل الله عليهم السماء ، فشربوا واغتسلوا واذهب به وسوسة الشيطان ، وكانوا في رمل تغوص فيه الاقدام فشدده المطر حتى تثبت عليه الرجال ، فهو قوله : ﴿ ويثبت به الاقدام ﴾ .

« ١ » سورة يس آية ٩　　« ٢ » سورة النجم آية ٥٤

« ٣ » « يونس آية ٢٧ .

والهاء في (به) راجعة إلى الماء .

وقال ابن زيد : يذهب بوسوسته انه ليس لكم بهؤلاء طاقة .

وقال الجبائي : لان الاحتلام بوسوسة الشيطان .

وقوله : « وليربط على قلوبكم » معناه ليشد عليها بما يسكنها .

وقوله « ويثبت به الأقدام » قيل في معناه قولان :

احدهما ـ قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وأكثر المفسرين : لتلبيده الرمل الذي لا يثبت عليه القدم .

والثاني ـ الصبر الذي أفرغه عليهم عند ذلك حتى ثبتوا ، لعدوهم في قول ابي عبيدة ، والزجاج .

و (إذ) في موضع نصب على معنى ، وما جعله الله إلا بشرى في ذلك الوقت ويجوز على تقدير إذكروا « إذ يغشاكم » .

قوله تعالى:

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (١٢) آية بلا خلاف .

المعنى :

معنى الآية اذكروا : « إذ يوحي ربك إلى الملائكة إني معكم » يعني بالمعونة والنصرة ، كما يقال فلان مع فلان بمعنى ان معونته معه . وذكر الفراء قال : كان الملك يأتي الرجل من أصحاب النبي ﴿ ع ﴾ فيقول : سمعت المشركين يقولون ، والله لئن حملوا علينا لنكشفن ، فيحدث المسلمون بعضهم بعضاً فيقوي انفسهم بذلك .

و (الايحاء) إلقاء المعنى إلى النفس من وجه يخفى . وقد يكون ذلك بنصب دليل يخفى الا على من القي إليه من الملائكة .

وقوله « فثبتوا الذين آمنوا » قيل في معناه قولان : احدهما - احضروا معهم الحرب . والثاني - قال الحسن : قاتلوا معهم يوم بـــدر . وقال قوم : معنى ذلك الاخبار بأنه لا بأس عليهم من عدوهم . وقوله « سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب » اخبار من الله تعالى أنه يلقي في قلوب الكفار الرعب ، وهو الخوف .

اللغة :

تقول رعبته أرعبه رعباً ، ورعباناً ، فانا راعب ، وذاك مرعوب . و(الرعب) إنزعاج النفس بتوقع المكروه . وأصل الرعب التقطيـــع من قولهم رعبت السنام ترعيباً : إذا قطعته مستطيلا . و الرعب يقطع حال السرور بضده من انزعاج النفس بتوقع المكروه . وجارية رعبوبة اذا كانت شطبة مشبهة بقطعة من السنام . ورعب السيل فهو راعب : اذا امتلأ منه الوادي ، لانه انقطع اليه من كل جهة . والرعيب من الرجال النصير . قال الراجز :

ولا اجيب الرعب ان دعيت (١)

وقوله « فاضربوا فوق الأعناق » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - اضربوا الأعناق ذهب اليه عطية . وقال غيره اضربوا على الاعناق . وقال قوم اضربوا فوق جلدة الاعناق .

وقوله « واضربوا منهم كل بنان » قال ابن جريج ، والضحاك ، والسدي : اراد بنان الاطراف من اليدين والرجلين والواحد بنانة . ويقال للاصبـــع بنانة . وأصله اللزوم من قولهم ابنت السحابة ابناناً اذا لزمت . وابن بالمكان اذا لزمه فسمي البنان

(١) قائله رؤبة اللسان (عب) . ويرى أن رقبت .

بناناً ، لانه يلزم به ما يقبض عليه . قال الشاعر :

ألا ليتني قطعت مني بنانة ولاقيته في البيت يقظان حاذراً(١)

وقال الفراء : اعلمهم مواضع الضرب ، فقال اضربوا الرؤوس والأيدى والأرجل .

وقال الزجاج أباح الله قتلهم بكل نوع يكون في الحرب . و(إذ) في موضع نصب على قوله (ولو يرى إذ يتوفى) ، ويجوز على تقدير واذكروا .

قوله تعالى :

﴿ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ﴾ (١٣) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه انما فعل بهؤلاء الكفار وامر بقتلهم وضرب اعناقهم وقطع بنانهم جزاء بما شاقوا الله ورسوله . قال الزجاج : معناه جانبوا الله ، اي صاروا في جانب غير جانب المؤمنين ، ومثله حاربوا الله .

اللغة :

و(الشقاق) اصله الانفصال من قولهم انشق انشقاقاً ، وشقه شقاً ، واشتق القوم اذا مر بينهم وشاقه شقاقاً اذا صار في شق عدوه عليه وتشقق تشققاً وشقق تشقيقاً ، ومنه اشتقاق الكلام لانه انفصال الكلمة عما يحتمله الأصل . ومعنى «شاقوا الله» شاقوا أولياء الله ، كما قال « إن الذين يؤذون الله ورسوله » (٢) . وقوله «ومن يشاقق الله » يجوز في العربية الاظهار والادغام ، فاما ان يأتي على الأصل للحاجة

---

(١) قائله عباس بن مرداس اللسان وتاج العروس (بنن) ومجاز القرآن ١ : ٢٤٢ وتفسير الطبرى (دار المعارف) ١٣ : ٤٣١ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٥٧

إلى حركة الأول ، واما ان يحرك الثاني لالتقاء الساكنين بالكسر . ويجوز الفتح والاول أجود مع الالف واللام لتأكد سببه .

وقوله « فان الله شديد العقاب » شدة العقاب عظمه بجنس فوق جنس أدنى منه ، لأن العظم على ضربين احدهما بالتضاعف في المرتبة الواحدة . والثاني بالترقي الى مرتبة بجنس يخالف الجنس الذي في ادنى مرتبة .

قوله تعالى

﴿ ذٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١٤) آية بلا خلاف .

الاعراب :

العامل في « ذلكم » يحتمل اـ جهين : احدهما - الابتداء على تقدير الامر « ذلكم » . قال الزجاج : من قال : ا.. يرفع (ذلكم) بما عاد عليه من الهـــاء او بالابتداء وجعل (فذوقوه) الخبر ، فقد أخطأ ، لان مابعد الفاء لايكون خبر المبتدأ لايجوز (زيد فمنطلق) ولا (زيد فاضربه) إلا ان تضمر هذا ، كقول الشاعر :

وقائلة خولان فانكح فتاتهم واكرومة الحيين خلو كما هيا (١)

اي هذه خولان . الثاني - ان يكون نصباً بذوقوا ، كما تقول زيداً ، فاضربه . والكاف في قوله « ذلكم » لا موضع له من الاعراب ، لانه حرف خطاب . ولو كان اسماً ، لجاز ان يؤكد بالنفس ، وذلك غير جائز إجماعاً . والاشارة بذلك الى ماتقدم من انواع العقوبات . وإنما ضم الى الكاف الميم ، لأنه خطاب للمشركين .

---

(١) اللسان (خلا)

اللغة والمعنى والاعراب :

وقوله (فذوقوه) فالذوق طلب ادراك الطعم بتناول اليسير بالفم كما ان الشم طلب ادراك الرائحة بالانف . وليس بالادراك ، لانه يقال ذقته فلم اجد له طعماً . وشممته فلم اجد له رائحة . وانما قال « فذوقوه » والذوق اليسير من الطعام ، لان المعنى كونوا للعذاب كالذائق للطعام ، لان معظمه بعده . وقيل لان الذائق اشد احساساً بالطعم من المستمر عليه ، فكان حالهم ابداً حال الذائق في شدة احساسه نعوذ بالله منه ،

وقوله « وإن للكافرين » فموضع (ان) يحتمل النصب والرفع ، فالرفع بالعطف على ذلكم كأنه قال « ذلكم ، فذوقوه » وذلكم « ان للكافرين عذاب النار » مع ذا .

والنصب من وجهين : احدهما - وبان للكافرين ، والآخر - واعلموا ان للكافرين ، كما انشده الفراء :

تسمع للأحشاء منه لغطاً ولليدين جسأة وبدداً (١)

اي وترى لليدين وإنما قدم الخبر في قوله : « وأن للكافرين » على الاسم لدلالته على الكفر الذي هو السبب للعذاب ومرتبة السبب قبل المسبب .

قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ﴾ (١٥) آية بلا خلاف .

هذا خطاب للذين آمنوا من بين المكلفين ناداهم الله ليقبلوا إلى أمر الله بما

---

(١) معاني القرآن للفراء ١ : ٤٠٥ . (اللغط) : الاصوات المبهمة والجساة - بضم الجيم وسكون السين - الخشونة والصلابة والغلظ . والبدد تباعد ما بين اليدين .

يأمرهم به وانتهائهم عما ينهاهم عنه بالتأمل له والتدبر لموجبه ليعملوا به ويكونوا على يقين منه . وقوله « إذا لقيتم الذين كفروا » فالالتقاء الاجتماع على وجه المقاربة ، لان الاجتماع قد يكون على غير وجه المقاربة ، فلا يكون لقاء كاجتماع الاعراض فى المحل الواحد ، و « الذين كفروا » هم الذين جحدوا نعم الله او من كان بمنزلة الجاحد ، فالمشرك كافر ، لأنه في حكم الجاحد لنعم الله إذ عبد غيره .

وقوله « زحفاً » نصب على المصدر ، فالزحف هو الدنو قليلا قليلا والتزاحف التداني ، زحف يزحف زحفاً ، وازحفت القوم اذا دنوت لقتالهم وثبت لهم ، والمزحف من الشعر الذي قد تدانت حروفه على ما أبطلت وزنه .

وقوله : « فلا تولوهم الادبار » نهي لهم عن الفرار عند لقائهم الكفار وقتالهم اياهم .

قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١٦) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى أن « من يولهم » يعني الكفار يوم القتال دبره . « فقد باء بغضب من الله » .

اللغة والاعراب :

والتولية جعل الشيء يلي غيره وهو متعد الى مفعولين . ولاه دبره اذا جعله يليه ومنه ولاه البلد من ولاية الامارة ، وتولى هو اذا قبل الولاية وأولاه نعمة ، لانه جعلها تليه . وقوله « يومئذ » يجوز اعرابه وبناؤه ، فاعرابه لانه متمكن أضيف على تقدير

الاضافة الحقيقية ، كقولك هذا يوم ذلك ، وأما البناء فلأنه اضيف الى مبني اضافة غير حقيقية ، فاشبه الأسماء المركبة . وقوله « إلا متحرفاً لقتال » فالتحرف الزوال من جهة الاستواء الى جهة الحرف . تقول تحرّف تحرفاً ، وانحرف انحرافاً وحرّفه تحريفاً واحترف احترافاً ، لانه يقصد جهة الحرف لطلب الرزق ، مثل أبعد في طلب الرزق والمحارف المحدود من جهة الرزق الى جهة الحرف . ومنه حروف الهجاء ، لانها اطراف الكلمة كحرف الجبل . ونحوه .

وقوله « اومتحيزاً الى فئة » فالتحيز طلب حيز يتمكن فيه ، تحيز تحيزاً وانحاز انحيازاً وحازه يحوزه حوزاً والحيز المكان الذي فيه الجوهر . والفئة القطعة من الناس . وهي جماعة منقطعة عن غيرها . وذكر الفئة في هذا الموضع حسن جداً ، وهو من فأوت رأسه بالسيف اذا قطعته .

المعنى :

وفي تناول الوعيد لكل فار من الزحف خلاف .

فقال الحسن ، وقتادة ، والضحاك : انما كان ذلك يوم بدر خاصة .

وقال ابن عباس : هو عام ، وهو قول أبي جعفر وابي عبد الله ﴿ع﴾ .

ثم أخبر تعالى ان من ولى دبره على غير وجه التحرف للقتال ، اوالتحيز الى الفئة انه باء بغضب من الله . اي رجع بسخطه تعالى واستحقاق عقابه . وان مستقره « جهنم وبئس المصير » هي لمن صار اليها .

الاعراب :

وقوله : « متحرفاً لقتال » نصب على الحال . وتقديره الا ان يتحرف ، لان يقاتل ، وكذلك « متحيزاً » نصب على الحال « الى فئة » ، ويجوز النصب فيهما على الاستثناء . وتقديره إلا رجلا متحيزاً أو يكون متفرداً ، فينحاز ليكون مع المقاتلة .

وأصل متحيز متحيوز فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٧) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف « ولكن الله قتلهم . ولكن الله » بالتخفيف فيهما ورفع اسم الله فيهما . الباقون بتشديد النون ونصب « الله » .

المعنى :

نفى الله تعالى ان يكون المؤمنون قتلوا المشركون يوم بدر، فقال « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم » وإنما نفى القتل عمن هو فعله على الحقيقة . ونسبه إلى نفسه ، وليس بفعل له من حيث كانت افعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل ، والمؤدي اليه من إقداره اياهم ومعونته لهم وتشجيع قلوبهم فيه ، والقاء الرعب في قلوب اعدائهم المشركين حتى خذلوا وقتلوا على شركهم عقاباً لهم .

وقوله « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » مثل الأول في انه نفي الرمي عن النبي ﴿ ص ﴾ وان كان هو الرامي واضافه إلى نفسه من حيث كان بلطفه ، واقداره .

وهذه الرمية ذكر جماعة من المفسرين ، كابن عباس وغيره: أن النبي ﴿ ص ﴾ أخذ كفاً من الحصباء فرماها في وجوههم ، وقال شاهت الوجوه ، فقسمها الله تعالى على ابصارهم ، وشغلهم بأنفسهم حتى غلبهم المسلمون ، وقتلوهم كل مقتل .

وقال بعضهم اراد بذلك رمي النبي ﴿ ص ﴾ ابي امية بن الخلف الجمحي يوم احد فأصابه فقتله .

وقال آخرون : اراد بذلك رمية سهمه يوم خيبر فأصاب ابن ابي الحقيق في فراشة رأسه ،فقتله . والأول اشهر الأقوال .

فأما تعلق من تعلق بذلك من الغلاة ، بأن قال : لما قال : « ولكن الله رمى » -وكان النبي هو الرامي -دل ذلك على انه هو الله تعالى . وجهل قلة معرفة بوجوه الكلام لانه لو كان على ما قالوه لكان الكلام متناقضاً ، لانه خطاب للنبي ﴿ ص ﴾ بأنه لم يرم فان كان هو الله تعالى فالى من توجة الخطاب ؟ وان توجـــه اليه الخطاب دل على ان الله غيره .

وايضاً فاذا كان هو الله فقد نفى عنه الرمي فاذا اضافه بعد ذلك إلى الله كان متناقضاً على انه قد دلت الأدلة العقلية على ان الله ليس بجسم ولا حال في جسم ، فبطل قول من قال إن الله كان حلّ في محمد ﴿ ص ﴾ وليس هذا موضع نقضه. وقد ذكرنا الكلام في ذلك واستوفيناه في الاصول .

واما من قال ان الفعل واحد وهو من الله تعالى بالايجاد ومن العبد بالاكتساب فباطل ، لانه خلاف المفهوم من الكلام ولو كان كذلك لم يجز ان ينفى عنه إلا بتقييد كما لا ينفى عن الله إلا بتقييد .

وقوله « وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً » معناه لينعم عليهم نعمة حسنة . والمعني ولينصرهم الله نصراً جميلا ويختبرهم بالتي هي احسن ، ومعنى يبليهم ههنا يسدي اليهم . وقيل للنعمة بلاء وللمضرة ايضاً مثل ذلك ، لان اصله ما يظهر به الامر من الشكر اوالصبر ومنه يبتلي بمعنى يختبر ويمتحن . وسميت النعمة بذلك لاظهار الشكر والضر ولاظهار الصبر الذي يجب به الأجر .

وقوله « إن الله سميع عليم » معناه انه يسمع دعاء من يدعوه ويعلم ما له فيه

من المصلحة فيجيبه اليه .

قوله تعالى :

﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٨) آية بلاخلاف.

القراءة :

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابوبكر عن عاصم : « موهن » خفيفة منونة . وقرأ ابو عمرو وابن كثير ونافع شديدة . وقرأ حفص عن عاصم خفيفة مضافة وخفض (كيد) . وقرأ الباقون بنصب كيد .

اللغة :

تقول وهن الشيء وأوهنته انا كما تقول فرح وأفرحته وخرج واخرجته . فمن قرأ «موهن» مخففاً فمن اوهن اي جعله واهناً ، ومن شدد فمن قولهم وهنته كما تقول خرج وخرجته وعرف وعرفته . ومنه قوله « فما وهنوا لما أصابهم » (١) وقوله : وهن يهن مثل ومق يمق . وولي يلي ، وهو ايضاً ، يثقل بالهمزة . وتثقيل العين ايضاً والأمران جميعاً حسنان ، واختار الاخفش القراءة بالتخفيف . والوهن الضعف ومنه قولهم توهن توهنا اي ضعف ، ومن قال قوله « ذلكم » في موضع رفع وتقديره قال الزجاج : الامر « ذلكم وان الله » والامر ان الله

المعنى :

قوله « ذلكم » اشارة الى قتل المشركين ورميهم حتى انهزموا . وابتلا المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم وامكانهم من قتلهم واسرهم فعلنا الذي فعلناه . ومعنى «وان الله موهن

(١) سورة آل عمران آية ١٤٦

كيد الكافرين » يضعف مكرهم حتى يذلوا ويهلكوا . وفي فتح (ان) من الوجوه ما في قوله « ذلكم فذوقوه ، وان للكافرين عذاب النار » وقد بيناه - والكيد يقع بأشياء منها الاطلاع على عوراتهم ، ومنها ابطال حيلتهم ، ومنها القاء الرعب في قلوبهم ، ومنها تفريق كلمتهم ، ومنها نقض ما ابرموا باختلاف عزومهم .

قوله تعالى :

﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٩) آية بلا خلاف .

القراءة والاعراب :

قرأ نافع وابن عامر وحفص « وان الله » بفتح الالف . الباقون بالكسر . من فتح الهمزة فوجهه ولن تغني « عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت » ولان الله مع المؤمنين اي لذلك لا تغني عنكم فئتكم شيئاً . ومن كسر قطعه عما قبله واستأنفه وقوي ذلك لما روي ان في قراءة ابن مسعود « والله مع المؤمنين » . والكسر اختيار الفراء ، ومن نصب فعلى أن موضعه نصب بحذف حرف الجر ، ويجوز ان يكون عطفاً على قوله : « وان الله موهن » .

اللغة والمعنى :

الاستفتاح طلب النصرة التي بها يفتح بلاد العدو كأنه قال ان تستنصروا على اعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبي ﴿ ع ﴾ .

وقال الزجاج يجوز ان يكون المراد استحكموا لان الاستفتاح الاستقضاء .

ويقال للقاضي الفتاح ، فقد جاءكم الحكم من عند الله ، وهو قول الضحاك ، وعكرمة ، ومجاهد ، والزهري ، والاول قول ابن عباس وغيره والمعنيان متقاربان . وقيل في معنى الآية قولان :

احدهما ـ قال الحسن ومجاهد والزهري والضحاك والسدي والفراء : انه خطاب للمشركين لانهم استنصروا بان قالوا اللهم اقطعنا للرحم ، واظلمنا لصاحبه فانصرنا عليه روي ان ابا جهل قال ذلك .

الثاني – قال ابو علي : هو خطاب للمؤمنين والمعنى وان تعودوا إلى مثل ما كان منكم يوم بدر في الأشر والبطر بالنعمة بعد الانكار عليكم .

وقال الحسن وان تعودوا لقتال محمد ﴿ ص ﴾ نعد عليكم بالقتل والاسر يامعشر قريش وجماعة الكفار وان تنتهوا عن الكفر بالله العظيم ورسوله وعن قتال نبيه فهو خير لكم وانفع لكم وأقرب إلى مرضاة الله .

والانتهاء ترك الفعل لاجل النهي عنه . تقول نهيته عن كذا فانتهى ، وامرته فأتمر ، على فعل المطاوع وقد تطاوع بأن يقال كسرته فانكسر ، وقد يكون الانتهاء بمعنى بلوغ الغاية .

وقوله تعالى ﴿ ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ﴾ معناه انه لن يغني عنكم جمعكم في الدفاع عنكم والنصرة وان كانوا كثيرين وإن الله مع المؤمنين بالنصرة لهم والمعونة .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ (٢٠) آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين وإنما خصهم بالخطاب ، لان غيرهم بمنزلة من لا يعتد به في العمل بما يجب عليه مع ما في افراده اياهم بالخطاب اعظام لهم واجلال

ورفع من اقدارهم . وان دخل في معناه غيرهم .

والايمان : هو التصديق بما أوجب الله على المكلف او ندبه إليه .

وقال الرماني : هو التصديق بما يؤمن من العقاب مع العمل به .

أمر الله تعالى المؤمنين ان يطيعوا الله ورسوله ، والطاعة هي امتثال أمره وموافقة إرادته الجاذبة إلى الفعل بطريق الرغبة او الرهبة والاجابة موافقة الارادة فيما يعمل من اجلها وقوله « ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون » معناه ولا تعرضوا عن أمره ونهيه وانتم تسمعون دعاءه لكم فنهاهم عن التولي في هذه الحال . وقال الحسن معناه وانتم تسمعون الحجة .

قوله تعالى:

﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾ (٢١)

آية بلا خلاف .

« ولا تكونوا » في موضع جزم وحذف النون دلالة على الجزم .

نهى الله تعالى المؤمنين الذين خصهم بالذكر في الآية الاولى عن ان يكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون وفي الكلام حذف المنهي عنه ، لانه قد دل عليه من غير جهة الذكر له وفي ذلك غاية البلاغة . والتقدير ولا يكونوا في قولهم المنكر هذا « كالذين » والتشبيه على ثلاثة أوجه : أعلى وادنى واوسط ، فالأعلى هو الذي حذف معه اداه التشبيه ، كقولهم للانسان هذا الاسد ، والأوسط تثبت معه مجردة كقوله « والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة » (١) والأدنى تأتي معه مقيدة كقولهم الجسم كالعرض في الحدوث .

---

(١) سورة النور آية ٣٩

ومعنى قوله « قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » معناه سمعنا سماع عالم قابل وليسوا كذلك ، وهو من صفة المنافقين في قول ابن اسحاق وابي علي .

وقال الحسن يعني به اهل الكتاب . وقيل هو من صفة المشركين فجعلوا بمنزلة من لا يسمع في انهم لم ينتفعوا بالمسموع .

وقال ابو علي هي نفي القبول من قولك سمع الله لمن حمده .

وقال الزجاج : يعني الذين قالوا «لو نشاء لقلنا مثل هذا» فسماهم الله لا يسمعون لانهم استمعوا استماع عداوة وبغضاء فلم يتفهموا ولم يتفكروا فكانوا بمنزلة من لم يسمع .

وقال ابن اسحاق : اراد به الذين يظهرون الايمان ويسرون النفاق .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

(٢٢) آية بلا خلاف .

اللغة والمعنى :

أخبر الله تعالى « ان شر الدواب عند الله » والشر اظهار السوء الذي يبلغ من صاحبه وهو نقيض الخير . وقيل الشر الضر القبيح ، والخير النفع الحسن . وقيل الشر الضر الشديد . والخير النفع الكثير ، واصل الشر الاظهار من قول الشاعر :

كما اشرّت بالأكف المصاحف (١)

---

(٢) نسب الى كعب بن جعيل . وقيل هو لابن الحمام المرى . وقيل لابن جهمة الأسدى راجع : وقعة صفين : ٣٣٦ ، ٤١١ . واللسان « شرر » وروايته :

فما برحوا حتى رأى الله صبرهم وحتى اشرت بالاكف المصاحف

واشرت - بتشديد الراء المفتوحه - مبني للمفعول . أي أظهرت بكثرة .

اي اظهرت وشر الرجل يشر شراً وشررت الثوب إذا بسطته في الشمس وشرر النار ما تطاير منه لظهوره بانتشاره ، وتفرقه ومنه الشر وهو ما يظهر من الضرر كشرر النار .

والدواب جمع دابة وهي ما دب على وجه الارض إلا انه تخصص في العرف بالخيل دب يدب دبيباً .

فبين ان هؤلاء الكفار شر ما دب على الارض من الحيوان ثم شبههم بالصم البكم الذين لا يعقلون من حيث لم ينتفعوا بما كانوا يسمعون من وعظ الله ولا يتكلمون بكلمة الحق ، والصمم آفة في الاذن تمنع السمع ، صم يصم صمماً وهو اصم . وصمم على الامر إذا حقق العزم عليه وتصام عن القول إذا تغافل عنه . وعود اصم خلاف المجوف واصله المطابقة من غير خلل . والبكم الخرس : الذي يولد به صاحبه لانه قد يكون لآفه عارضة ، وقد يكون لآفة لازمة .

سبب النزول :

وقال أبو جعفر ﴿ع﴾ : نزلت الآية في بني عبد الدار لم يكن أسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له سويبط .

وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث بن كلدة من بني عبد الدار بن قصي .

قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (٢٣) آية بلا خلاف .

المعنى :

معنى الآية ان الله تعالى أخبر انه لو علم فيهم ، يعني هؤلاء الكافرين

انهم يصلحون بما يورده عليهم من حججه وآياته لأسمعهم اياها ولم يخلف عنهم شيئاً منها وإن كان قد ازاح عليهم في التكليف بما نصب لهم من الأدلة الموصلة الى الحق ، ولكنهم لا يصلحون بل يتولون وهم معرضون .

وقال ابن جريج وابن زيد: لاسمعهم الحجج والمواعظ سماع تفهم .

وقال ابو علي: لاسمعهم كلام الموتى الذين طلبوا احياءهم من قصي بن كلاب وغيره

وقال الزجاج : لاسمعهم جواب كل ما يسألون عنه .

المعنى واللغة :

والاعراض خلاف الاقبال وهو الانصراف بالوجه عن جهة الشيء والاقبال الانصراف بالوجه الى جهته والاستماع ايجاده السماع بايجاده والتعريض له . فان الله تعالى يسمعهم بان يوجد السماع لهم والانسان يسمعهم بان يعرضهم للسماع الذي يوجد لهم ، هذا على مذهب من قال ان الادراك معنى ، ومن قال انه ليس بمعنى ، فمعنى الاسماع هو ان ان يوجد من كلامه الدال على ما يجب ان يسمعوه لكونهم احياء لا آفة بهم في حواسهم .

وقال الزجاج المعنى « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم » كلما يسألون عنه ولو اسمعهم كلما يخطر ببالهم لتولوا وهم معرضون .

وقال الحسن : هو إخبار عن علمه ، كما قال « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه »(١)

وفي الآية دلالة على بطلان قول من يقول يجوز ان يكون في مقدوره لطف لو فعله بالكافر لآمن .

قوله تعالى :

﴿ يا أيُّها الَّذين آمنوا اسْتَجيبُوا لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إذا دَعاكُمْ لِما

(١) سورة الأنعام آية ٢٨

يُحْيِيكُمْ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى المؤمنين ان يجيبوا الله والرسول إذا دعاهم وان يطلبوا موافقته. والاستجابة طلب موافقة الداعي فيما دعا إليه على القطع به . وقال ابو عبيدة والزجاج معنى استجيبوا اجيبوا . وقال كعب بن سعد الغنوى :

وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب (١)

اي لم يجبه . والفرق بين الدعاء الى الفعل وبين الامر به ان الامر فيه ترغيب فى الفعل المأمور به ويقتضي الرتبة وهي ان يكون متوجهاً الى من دونه وليس كذلك الدعاء لانه يصح من دونك لك .

وقوله « إذا دعاكم لما يحييكم » قيل في معناه ثلاثة أقوال :

احدها ـ دعاكم الى احياء امركم بجهاد عدوكم مع نصر الله إياكم ، وهو قول ابن اسحاق والفراء والجبائي . وقال البلخي معناه لما يبقيكم ويصلحكم ويهديكم ويحيي امركم .

الثاني ـ معناه لما يورثكم الحياة الدائمة في نعيم الآخرة من اتباع الحق: القرآن

الثالث ـ معناه لما يحييكم بالعلم الذي تهتدون به من اتباع الحق ، والاقتداء بما فيه .

وقوله « واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها ـ ان يفرق بين المرء وقلبه بالموت اوالجنون وزوال العقل ، فلا يمكنه استدراك ما فات . والمعنى بادروا بالتوبة من المعاصي قبل هذه الحال .

الثاني ـ ان معناه بادروا بالتوبة لأنه أقرب إلى المرء من حبل الوريد لا يخفى

(١) مر هذا البيت فى ١ : ٨٦ ؛ ٢ : ١٣١ ؛ ٣ : ٨٨ .

عليه خافية من سره وعلانيته وفي ذلك غاية التحذير .

والثالث - تبديل قلبه من حال الى حال لانه مقلب القلوب من حال الأمن الى حال الخوف ومن حال الخوف الى حال الأمن على ما يشاء .

وروي عن أبي عبد الله ﴿ع﴾ في معنى قوله : « يحول بين المرء وقلبه » قال لا يستيقن القلب ان الحق باطل ابداً ولا يستيقن ان الباطل حق ابداً .

فأما من قال من المجبرة ان المراد إن الله يحول بين المرء والايمان بعد امره اياه به فباطل لانه تعالى لا يجوز عليه ان يأمر احداً بما يمنعه منه ويحول بينه وبينه لان ذلك غاية السفه ، تعالى الله عن ذلك .

وايضاً فلا احد من الامة يقول ان الايمان مستحيل من الكافر فانهم وان قالوا انه لايقدر على الايمان يقولون يجوز منه الايمان ويتوهم منه ذلك ومن ارتكب ذلك فقد خرج من الاجماع .

ويحتمل ان يكون المراد ان امر الله بالموت يحول بين المرء وقلبه ، كما قال : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله » (١) أي أمر الله .

وقال قوم : يجوز ان يكون معناه يحول بينه وبين قلبه بان يسلبه قلبه فيبقى حياً بلا قلب وهذا قريب من معنى زوال العقل ، قالوا : يجوز ان يكون المراد : انه عالم بما ينظرون اليه ، وما يضمره العبد في نفسه من معصيته فهو في المعنى كأنه حائل بينه وبينه ، لأن العبد لايقدر على اضمار شيء في قلبه إلا والله عالم به ، وهذا وجه حسن . وروي في التفسير أن الله يحول بين المؤمن وبين الكفر . والمعنى في ذلك ان الله يحول بينه وبين الكفر بالوعد والوعيد ، والامر والنهي والترغيب في الثواب والعقاب . فأما ما روي عن سعيد بن جبير ، وغيره من ان الله يحول بين الكافر والايمان فقد بينا ان ذلك لا يجوز على الله . والعقل مانع منه . ولو صح ذلك

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٠

لكان الوجه فيه أن الله يحول بين الكافر و بين الايمان في المستقبل بان يميته ، لأنه لايجب تبقيته حتى يؤمن ، بل لو ابقاه لكان حسناً ، وان لم يبقه كان ايضاً حسناً. وقوله تعالى « وانه إليه تحشرون » معناه أنكم تحشرون يوم القيامة للجزاء على اعمالكم ان خيراً فخير ، وإن شراً فشر فلذلك يجب المبادرة بالطاعة والأقلاع عن المعصية بالتوبة وترك الاصرار على القبائح .

قوله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢٥) آية بلا خلاف .

المعنى واللغة :

امر الله تعالى المكلفين من خلقه أن يتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منهم خاصة. والفتنة البلية التي يظهر بها باطن امر الانسان فيها . والفتنة الهرج الذي يركب فيه الناس بالظلم .

قال ابن عباس امر الله المؤمنين ان لايقروا المنكر بين أظهرهم ، فيعمهم الله بالعذاب . وقال عبد الله : هو من قوله تعالى « انما أموالكم وأولادكم فتنة » (١) وقال الحسن الفتنة البلية . وقال ابن زيد هي الضلالة . وقال الجبائي هي العذاب . « لا تصيبن » فالاصابة الايقاع بالشيء بحسب الارادة ، وضده الخطأ . يقال اصاب الغرض او أخطأه .

وقوله « لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » معناه انها تعم لان الهرج إذا وقع دخل ضرره على كل احد . ويجوز ان يقال يخص الظالم ، ولا يعتد بما وقع بغيره

« ١ » سورة الأنفال آية ٢٨ وسورة التغابن آية ١٥ .

للعوض الذي يصل إليه . ويحتمل ان يكون اراد إن هذه العقوبة على فتنتكم لا تختص بالظالمين منكم بل كل ظالم منكم كان او من غيركم فستصيبه عقوبة ظلمه وفسقه وفتنته واراد بذلك تحذير الناس كلهم ، وانهم سواء في المعصية ، وما توجبه من العقوبة ليكون الزجر عاماً .

وفي دخول النون الثقيلة في تصيبن قولان :

احدهما - قال الفراء لانه نهي بعد امر وفيه معنى الجزاء ، كقوله : « يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده » (١) ومثله لا أرينكم ههنا .

والثاني - ان يكون خرج مخرج جواب القسم .

وقال الزجاج : يحتمل ان يكون نهياً بعد أمر وتقديره اتقوا فتنة ، ثم نهى ، فقال: « لا تصيبن الذين ظلموا » أي لا يتعرض الذين ظلموا لما ينزل معه العذاب . ومثله قال في قوله « لا يحطمنكم » فيكون لفظ النهي لسليمان ، ومعناه النمل ، كما يقول القائل لا أرينك ههنا ، فلفظ النهي لنفسك ، والمراد لا تكون ههنا ، فاني اراك .

و (الخاصة) للشيء ما كان له دون غيره ونقيضه العامة .

وقوله : « واعلموا إن الله شديد العقاب » معنـــاه لمن لم يتق معاصيه ولم يتبع أوامره .

النزول :

وقال الحسن والسدي ومجاهد وابن عباس : نزلت هذه الآية في اهل الجمل . وقال قتادة قال الزبير لقد نزلت وما نرى ان احداً منا يقع فيها ثم اختلفنـــا حتى اصابتنا خاصة . وروي ذلك عن الزبير من جهات .

---

(١) سورة النمل آية ٢٨

قوله تعالى:

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢٦ آية بلا خلاف .

اللغة والمعنى :

الذكر ضد السهو ، وهو احضار المعنى للنفس . وإنما امروا بالتعرض له ، لان احضار المعنى بقلوبهم ليس من فعلهم .

وقوله « إذ انتم قليل » فالقلة النقصان عن المقدار في العدد وكان أصحاب النبي ﴿ ع ﴾ قليلين في الأصل فلطف الله لهم حتى كثروا وعزوا ، وقل اعداؤهم وذلوا وكانوا مستضعفين ، فقووا .

والاستضعاف طلب ضعف الشيء بتهوين حاله . والضعف خلاف القوة . والاستضعاف استجلاب ضعفه بتحقير حاله ، فامتن الله عليهم بذلك وبين انهم كانوا قليلين فكثرهم وكانوا مستضعفين ، فقواهم بلطفه .

وقوله « تخافون ان يتخطفكم الناس » فالتخطيف الاخذ بسرعة انتزاع ، تخطف تخطفاً وخطف خطفاً واختطف اختطافاً ، فبين انهم كانوا خائفين من ان ينال منهم العدو.

المعنى :

وقوله « فآواكم » أى جعل لكم مأوى حريزاً ترجعون إليه وتسكنون فيه . وقال السدي « آواكم » إلى المدينة . وقوله : « وأيدكم بنصره » يعني بالأنصار في قول السدي . وقيل في المعني بقوله « الناس » قولان :

احدهما ـ مشركوا قريش في قول عكرمة وقتادة .

وقال وهب بن منبه يعني فارس والروم .

وقوله : « ورزقكم من الطيبات » أي اطعمكم غنيمتكم حلالا طيباً « لعلكم تشكرون » أي لكي تشكروه على هذه النعم المترادفة والآلاء المتضاعفة .

قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ (٢٧) آية بلا خلاف .

المعنى واللغة :

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين ينهاهم ان يخونوا الله والرسول . والخيانة منع الحق الذي قد ضمن التأدية فيه . وهي ضد الأمانه . وأصل الخيانة ان تنقص من ائتمنك أمانته ، قال زهير :

بارزة الفقاوة لم تخنها قطاف في الركاب ولا خلاء (١)

أى لم تنقص من فراهتها . والمعنى لا تخونوا مال الله الذي جعله لعباده ، فلا يخن بعضكم بعضاً فيما ائتمنه عليه في قول ابن عباس . وقال الحسن ، والسدي : لا تخونوه كما صنع المنافقون . وقال الجبائي : نهاهم ان يخونوا الغنائم . وقال ابن زيد الأمانة ههنا الدين ، نزلت في بعض المنافقين . والأمانة مأخوذة من الأمن بمنع الحق وهي حال يؤمن معها منع الحق الذي تجب فيه التأدية .

وقوله « وأنتم تعلمون » قيل في معناه قولان :

أحدهما ـ وأنتم تعلمون انها أمانه من غير شبهة .

---

(١) مقاييس اللغة ١ : ٧٩

والثاني - وانتم تعلمون ما في الخيانة من الذم والعقاب بخلاف الجهال بتلك المنزلة.

الاعراب :

وقوله : « وتخونوا » موضعه الجزم بتقدير ، ولا تخونوا في قول ابن عباس . وقال السدي هو نصب على الظرف اي انكم إذا خنتم الرسول فقد خنتم أماناتكم . قال الفراء : ومثله قول الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم (١)

وحكى الفراء في بعض القراءات : « ولا تخونوا أماناتكم »

النزول :

وقال جابر بن عبد الله نزلت الآية في بعض المنافقين حين انذر ابا سفيان بخروج النبي لأخذ العير . وقال الزهري نزلت في ابي لبابة في قصة بني قريظة ، وهو المروي عن أبي جعفر وابي عبد الله ﴿ عليهما السلام ﴾ .

قوله تعالى :

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٨) آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى المكلفين ان يعلموا ويتحققوا ان اموالهم واولادهم فتنة . وإنما يمكنهم معرفة ذلك بالنظر والفكر في الأدلة المؤدية إليه ، وهو ما يدعوا إليه الهوى في الاموال والاولاد ، وما يصرف عنه فمن تفقد ذلك وتحرز منه نجاه من مضرته .

---

(١) قطر الندى : ٧٧ الشاهد : ٢٣ وغيره كثير وقد مر في اماكن كثيرة من هذا الكتاب .

والمراد بالفتنة ههنا المحنة التي يظهر بها ما في النفس من اتباع الهوى او تجنبه فيخلص حاله للجزاء بالثواب او العقاب بحسب الاستحقاق .

والولد حيوان يتكون من حيوان بخلق الله له ، فعلى هذا لم يكن آدم ولداً وكان عيسى ولد مريم . والمال هو النصاب الذي تتعلق به الزكاة من ذهب او فضة او ابل او بقر او غنم عند بعض المفسرين وأصله الكسر من العين والورق .

و(العظم) استحقاق الصفة بالغنى . فالكثير عظيم للاستغناء به عن القليل من جنسه ، والقليل لايستغنى [به] عنه .

بيّن الله تعالى ان الاموال والاولاد في هذه الدنيا محنة وبلاء وان الله تعالى عنده الثواب العظيم على الطاعات وترك المعاصي .

وروي عن ابن مسعود انه قال : ليس احد منكم إلا وهو مشتمل على فتنة لقوله « أنما اموالكم واولادكم فتنة » فاسألوا الله تعالى ان يعيذكم منها .

قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴾ (٢٩) آية بلا خلاف .

هذا خطاب للمؤمنين خاطبهم الله بأنهم ان يتقوا معاصية ويمتثلوا طاعاته ويتقوا عقابه باجتناب معاصيه يجعل لهم اجراً على ذلك « فرقاناً » . وقيل في معنى الفرقان اقوال : —

احدها ـ قال ابن زيد وابن اسحاق يجعل هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل .

وقال مجاهد : معناه يجعل لكم مخرجاً في الدنيا والآخرة .

وقال السدي : معناه يجعل لكم نجاة . وقال الفراء : يجعل لكم فتحاً ونصراً وعزاً كقوله : ﴿ يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾ (١) وقال الجبائي : يجعل لكم نصراً وعزاً وثواباً لكم ، وعلى اعدائكم خذلاناً وذلا وعقاباً كل ذلك يفرق بينكم وبينهم في الدنيا والآخرة .

وانما جاز الشرط في اخبار الله مع اقتضائه شك المخبر منا من حيث ان الله تعالى يعامل عباده فى الجزاء معاملة الشاك للمظاهرة في العدل ولذلك جازت صفة الابتلاء والاختبار لما في ذلك من البيان ان الجزاء على ما يظهر من الفعل دون ما في المعلوم مما لم يقع منه .

ثم بين انه يضيف الى ذلك تكفير سيئاتهم وغفران ذنوبهم وسترهـــا عليهم تفضلا منه تعالى .

وقوله « والله ذو الفضل العظيم » قيل في معناه قولان :

احدهما - قال الجبائي : معناه ان من ابتدأكم بالفضل العظيم لأنه كريم لنفسه لا يمنعكم ما استحققتموه بطاعاتكم له .

الثاني - انه الذي يملك الفضل العظيم فينبغي ان يطلب من جهته .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٣٠)

آية بلا خلاف .

---

(١) سورة الأنفال آية ٤١

خاطب الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ فقال : واذكر « إذ يمكر بك الذين كفروا » والمكر الفتل الى جهة الشر في خفى واصله الالتفاف من قول ذي الرّمة .

عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب(١)

اي ملتفة . والمكر والختل والغدر نظائر . والفرق بين المكر والغدر ان الغدر نقض العهد الذي يلزم الوفاء به ، والمكر قد يكون ابتداء من غير عقد .

ووصف الله تعالى بأنه ماكر يحتمل وجهين :

أحدهما ـ انه سمى الجزاء على المكر مكراً للازدواج ، كقوله « الله يستهزىء بهم » (٢) اي يجازيهم على الاستهزاء فيكون التقدير والله خير المجازين على المكر ذكره الزجاج .

والثاني - ان يكون على غير تضمن الحيلة لكن على اصل اللغة . قال ابو علي . ومكره بهم حق وصواب ﴿ وهو خير الماكرين ﴾ مكراً .

المعنى :

وقوله « ليثبتوك » قيل في معناه قولان :

احدهما ـ ليثبتوك في الوثاق ، في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة .

والثاني - قال عطا وعبد الله بن كثير ، والسدي « ليثبتوك » في حبس . وقال ابو علي الجبائي : معناه ليخرجوك ، يقال : اثبته في الحرب إذا جرحه جراحة ثقيلة .

وقوله « او يخرجوك » قال الفراء : او يخرجوك على بعير تطرد به حتى تهلك او يكفيكموه بعض العرب . وهو قول ابي البختري وهشام .

---

(١) مقاييس اللغة ٤ : ٢٣٣

(٢) سورة البقرة آية ١٥

القصة والنزول :

وكان سبب ذلك انهم تآمروا في دار الندوة ، فقال عمرو بن هشام قيدوه تتربصون به ريب المنون . وقال البختري اخرجوه عنكم تستريحوا من اذاه لكم . وقال ابو جهل ما هذا برأي ولكن اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربونه باسيافهم ضربة رجل واحد فترضى حينئذ بنو هاشم بالدية ، فصوب ابليس هذا الرأي وخطأ الأولين ، وزينها فأوحى الله تعالى إلى نبيه ﴿ع﴾ بذلك فأمره بالخروج فخرج إلى الغار في قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وهو قوله «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ولا خلاف بين المفسرين انه بات على تلك الليلة ، وهي الليلة التي امر النبي ﴿ع﴾ بالخروج على فراشه إلى ان أصبح ، وكانوا يحرسونه إلى الصباح ، ولما طلع الفجر ثاروا اليه فاذا علي ، قالوا له أين صاحبك قال : لا ادري ، فتركوه وخرجوا في أثره .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣١) آية بلا خلاف .

المعنى :

اخبر الله تعالى عن عناد هؤلاء الكفار ومباهتتهم للحق بأنهم بلغوا في ذلك إلى رفع الحق بما ليس فيه شبهة ، وهو انه « اذا تتلى عليهم آياته » يعني القرآن . قالوا « لو نشاء لقلنا مثل هذا » وقد أبان التحدي كذبهم في ذلك وتخرصهم فيه

بما ظهر من عجزهم عن سورة مثله ، وانما قالوا « لو نشاء لقلنا مثل هذا » ولم يجز ان يقولوا لو نشاء لقلبنا الجماد حيواناً ، لأنه يتموه هذا على كثير من الناس ، ولا يتموّه ذلك . على ان قوم فرعون ظنوا ان السحرة يمكنهم قلب الجماد حيواناً .

اللغة :

وقوله « قد سمعنا » معناه ادركناه بآذاننا . والسماع إدراك الصوت بحاسة الاذن . ولو لم نذكر الصوت لا نتقض بالحرارة والبرودة والآلام واللذة اذا ادرك بها ، ولا يسمى سماعاً وعلى هذا إذا قيل ما الرؤية بالبصر ينبغي ان يقال هي ادراك المرئيات بها ، لأنه قد يدرك الحرارة والبرودة بها . فاذا قلنا المرئيات لم ينتقض بذلك .

ثم أخبر الله تعالى عن قولهم بأن قالوا ليس هذا الذي سمعناه « إلا اساطير الأولين » والأساطير جمع واحده اسطورة في قول الزجاج . وقال غيره هو جمع اسطر ، واسطر جمع سطر ، وزيدت الياء للمد ، كما قالوا دراهم . وارادوا ما هذا إلا ما سطر من الاحاديث بكتبه سطراً بعد سطر .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذ قالوا اللّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِر عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣٢) آية بلا خلاف .

النزول والمعنى :

تقديره واذكر يا محمد إذ قال هؤلاء الكفار « إن كان هذا » القرآن « هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم » شديد مؤلم . قال سعيد ابن جبير ، ومجاهد : كان الطالب لذلك النضر بن الحارث بن كلدة ، لأنه كان سمع سجع

اهل الحيرة وكلام الرهبان ، فقتله النبي ﴿ع﴾ يوم بدر صبراً ، فقال : يا رسول الله من للصبية ؟ قال النـــار . وقيل عقبة بن ابي معيط ، والمطعم بن عدي ، قتل هؤلاء الثلاثة صبراً من جملة من اسر ، وفي النضر نزل قوله « سأل سائل بعذاب واقـــع للكافرين » (١) يعني ما سأله ههنا . وهذا القول من قائله يجوز ان يكون عناداً ، فان المعاندة قد تحمله شدة عدواوته للحق على اظهار مثل هذا القول . ليوهم انه على بصيرة في امره . ويجوز ان يكون ذلك لشبهة تمكنت في نفوسهم .

وقال الجبائي ذلك دليل على اعتقادهم خلاف الحق الذي أتى به النبي ﴿ع﴾ وهو حجة اهل المعارف لانهم لو عرفوا بطلان ما هم عليه ، لما قالوا مثل هذا القول .

فان قالوا كيف طلبوا بالحق من الله العذاب وانما يطلب به الخير والثواب ؟ .

قلنا : لانهم قالوا ذلك على انه ليس بحق من الله عندهم . وإذا لم يكن حقاً من الله لم يصبهم البلاء الذي طلبوه .

فان قيل لم قال « امطر علينا حجارة من السماء » والامطار لا يكون إلا من السماء ؟ قلنا عنه جوابان :

احدهما ـ ان امطار الحجارة يمكن ان يكون من عل دون السماء .

والثاني ـ ان يكون على جهة البيان بـ (من) .

اللغة :

والحجارة واحد الاحجار ، وهو ما صلب من الاجسام ، يقال استحجر الطين إذا صلب ، فصار كالحجر . واكثر ما يقال حجر للمدر ، ومع ذلك فالياقوت حجر ، ولذلك يقال الياقوت أفضل الحجارة . ولا يقال الياقوت افضل الزجاج ، لانه ليس من الزجاج .

وكل شيء من العذاب يقال أمطرت ومن الرحمة يقال مطرت .

---

(١) سورة المعارج آية ١

الاعراب :

وقوله « هو » يجعل عماداً في ظننت واخواتها . ويسميه البصريون صلة زائدة وتوكيداً كزيادة (ما) ولا يزاد إلا في كل فعل لا يستغنى عن خبره وفي لغة تميم يرفع ذلك كله ، فيقولون « إن كان هذا هو الحق » وكذلك قوله « ولكن كانوا هم الظالمين » (١) « وتجدوه عند الله هو خير وأعظم أجراً » (٢) كل ذلك يرفعونه. وعلى الأول ينصب ما بعدها . وقوله « ويرى الذين اوتوا العلم » إلى قوله « هو الحق » (٣).

قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣٣) آية بلا خلاف .

المعنى واللغة :

أخبر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ على وجه الامتنان عليه واعلامه منزلته عنده انه لا يعذب احد من هؤلاء الكفار بهذا العذاب الذي اقترحوه على وجه الفساد للحق « وأنت » يا محمد « فيهم » موجود .

والتعذيب تجديد الآلام حالا بعد حال ، لأن اصله الاستمرار ، فالعذب من استمرار الشيء لما فيه من الملاذ . والعذاب من استمراره لما فيه من الآلام ، واللام في قوله « ليعذبهم » لام الجحد . وأصلها لام الاضافة . وإنما دخلت في النفي ولم تدخل فى الايجاب لتعلق الخبر بحرف النفي ، كما دخلت البـــاء في خبر (ما) ولم تدخل في الايجاب .

---

(١) سورة الزخرف آية ٧٦ (٢) سورة المزمل آية ٢٠
(٣) سورة سبأ آية ٦

المعنى :

وإنما لم يعاقب الله تعالى الخلق مع كون النبي ﴿ع﴾ فيهم على سلامته مما ينزل بهم ، لأنه تعالى أرسله رحمة للعالمين . وذلك يقتضي ألا يعذبهم ، وهو فيهم .

وقوله « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » قيل في معناه أقوال :

احدها - إن النبي ﴿ع﴾ لما خرج من مكة بقي فيها بقية من المؤمنين يستغفرون ، وهو قول ابن عباس ، وعطية وابي مالك ، والضحاك ، واختاره الجبائي .

وقال آخرون : اراد بذلك لا يعذبهم بعذاب الاستئصال في الدنيا ، وهم يقولون يا رب غفرانك . ويعذبهم على شركهم في الآخرة ، وذلك عن ابن عباس في رواية اخرى ، وقول ابي موسى ، ويزيد بن رومان ، ومحمد بن مبشر .

الثالث - انهم لو استغفروا لم يعذبوا وفي ذلك استدعاء إلى الاستغفار ، روي ذلك عن ابن عباس في رواية اخرى ، وبه قال مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد .

وقال الزجاج : معناه لا يعذب الله من يؤل إلى الاسلام .

وقال الحسن وعكرمة : هذه الآية منسوخة بالتي بعدها . قال الرماني : هذا غلط ، لأن الخبر لا ينسخ .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٤) آية بلا خلاف .

(ما) في قوله : « وما لهم ان لا يعذبهم الله » خرجت مخرج الاستفهام ومعناه إيجاب العذاب وجاز ذلك لانه أبلغ في معنى الايجاب من حيث انه لا جواب

– لمن سأل عن مثل هذا – يصح في نفي العذاب ، والمعنى لم لا يعذبهم ، وهذا فعلهم .

وموضع (أن) نصب بمعنى اي شيء لهم في ان لا يعذبهم . لكن لما حذف الجار عمل معنى الفعل من الاستقرار ، وجاز الحذف مع (ان) ولم يجز مع المصدر ، لطول (ان) بالصلة اللازمة من الفعل والفاعل ، وليس كذلك المصدر . وحكي عن الأخفش ان (ان) زائدة مع عملها .

وقوله « وهم يصدون عن المسجد » والصد المنع . والصد الاعراض عن الشيء من غير حيلولة بينه وبين غيره . والمراد ههنا المنع .

وقوله : « وما كانوا اولياءه » جمع ولي وهو الذي يستحق القيام بأمر الشيء ويكون أحق به من غيره ، فعلى هذا الله تعالى ولي المتقين دون المشركين . وقال أبو جعفر ﴿ع﴾ والحسن قال المشركون : نحن اولياء المسجد ، فرد الله ذلك عليهم ، فقال « وما كانوا اولياءه » . ثم اخبر الله تعالى « ان اولياؤه » بمعنى ليس « إلا المتقون » الذين يتركون معاصي الله ويجتنبونها .

وقال قوم : المعنى ان اولياؤ الله الا المتقون والاول احسن ؛ لانه مما يقتضيه الانكار .

وقيل في معنى (لا) قولان : احدهما – ان معناها الجحد اي ما لهم في الامتناع من العذاب . وقيل هي صلة ، لان المعنى ايجاب العذاب ، كما قال الشاعر :

لو لم تكن غطفان لا ذنوت لها إذن للام ذووا احسابها عمرا (١)

والاول احسن ، لان المعنى لم لا يعذبهم الله . فان قيل كيف تجمعون بين الآيتين على قول من لا ينسخ الاولى ، فان في الاول نفي ان يعذبهم الله وهم يستغفرون وفي الثانية اثبت ذلك ؟ قلنا عنه ثلاثة اجوبة :

(١) قائله الفرزدق . ديوانه . ٢٨٣ والخزانة ٢ : ٨٧ والطبري ٥ : ٣٠٢ ، و ١٣ : ٥١٩ .

احدها - ان يكون اراد وما لهم ان لا يعذبهم الله في الآخرة .

والثاني - ان يكون يعني بالاولى عذاب الاستئصال كما فعل بالامم الماضية وبالثانية اراد عذاب السيف والاسر وغير ذلك ويكون قوله « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » اي أنه لا يعذبهم بعذاب الدنيا ، والآخرة إذا تابوا واستغفروا .

وقوله : « ولكن اكثرهم لا يعلمون » دليل على بطلان قول من قال المعارف ضرورة .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٣٥) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة والاعراب:

روى الحسين العجفي عن ابي بكر « صلاتهم » نصباً « إلا مكاء وتصدية » رفع فيهما . والصواب ما عليه القراء . لان « صلاتهم » معرفة و ﴿ مكاء وتصدية ﴾ نكرة ولا يجوز ان يجعل اسم كان نكرة وخبره معرفة . ومن قرأ كذلك فلأن الصلاة لما كانت مؤنثة ولم يكن في كان علامة التأنيث اضاف الفعل إلى المذكر وهو ﴿ مكاء ﴾ . وهذا ليس بصحيح ، لأن ﴿ صلاتهم ﴾ لما كان مضافاً إلى المذكر جاز ان يذكر كما ان المذكر إذا اضيف إلى المؤنث جاز ان يؤنث ، نحو قولهم : ذهبت بعض اصابعه .

المعنى :

ومعنى الآية الاخبار من الله تعالى أنه لم تكن صلاة هؤلاء الكفار الصادين عن المسجد الحرام ﴿ إلا مكاء ﴾ لئلا يظن ظان ان مع كونهم مصلين ومستغفرين

لا يعذبهم الله ، كما قال في الآية الاولى ، فبين ان صلاتهم كانت مكاء وتصدية .

اللغة :

والمكاء صفير كصفير المكاء ؛ وهو طائر يكون بالحجاز وله صفير قال الشاعر :

ومكابها فكانما يمكوا بأعصم عاقل (١)

وأصل المكاء جمع الريح للصفير . ويقال مكا يمكو مكاء إذا صفر بفيه . ومنه يمكو است الدابة إذا انتفخت بالريح . والاست : الكوة ، والمكوان يجمع الرّجل يديه ثم يدخلها في فيه ثم يصيح . ومنه قول عنترة :

وحليل غانية تركت مجدلا تمكو فريصته كشدق الاعلم (٢)

اي يصفر بالريح لما طعنه . والتصدية التصفيق يقال صدى يصدي تصدية إذا صفق بيديه . ومنه الصدى صوت الجبل ، ونحوه . ومنه تصدى للملك إذا تعرض له ليكلمه .

وقال ابن عباس ، وابن عمر ، والحسن ، وعطية ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي : المكاء الصفير . والتصدية التصفيق ، قال الراجز :

ضنت بخد وجلت عن خد فأنا من غرو الهوى أصدي

أي اصفق بيدي تعجباً . والغرو : العجب .

المعنى :

وقال ابو علي الجبائي : كان بعضهم يتصدى لبعض ليراه بذلك الفعل ، وكان

---

(١) مجاز القرآن ١ : ٢٤٦

(٢) ديوانه : ٢٤ من معلقته الشهيرة . واللسان (مكا) وتفسير القرطبي ٧ : ٤٠٠ والطبري ١٣ : ٥٢١ وغيرها .

يصفر له . وقال سعيد بن جبير وابن زيد : التصدية صدهم عن البيت الحرام . وقيل انهم كانوا يخلطون ويشوشون بذلك على النبي ﴿ع﴾ .

وإنما سمي مكاؤهم بأنه صلاة لأمرين :

احدهما - انهم كانوا يقيمون فعلهم الصفير والتصفيق مقام الصلاة والدعاء والتسبيح .

والآخر - انهم كانوا يعملون كعمل الصلاة مما فيه هذا .

وقوله « فذوقوا العذاب » قال الحسن ، والضحاك ، وابن جريج ، وابن اسحاق : ان معناه عذاب السيف . وقال ابو علي الجبائي : يقال لهم في الآخرة : « ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » في دار الدنيا وهو قول البلخي . والمعنى باشروه وليس المراد به من ذوق الفم .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (٣٦) آية في الكوفي والمدنيين وآيتان في البصري خاصة .

المعنى :

أخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار بانهم ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله وغرضهم المنع عن سبيل الله . وسبيل الله ههنا : هو دين الله الذي أتى به محمد ﴿ص﴾ وسمي سبيل الله ههنا، لان بسلوكه واتباعه يبلغ ماعند الله ، وإن لم يعلموا انها سبيل الله

لانهم قصدوا إلى الصد عنها ، وهي سبيل الله على الحقيقة . ويجوز ان يقال قصد الصد عن سبيل الله ، وان لم يعلم . ولا يجوز قصد ان يصد من غير ان يعلم ، لأن (ان) تفسر الوجه الذي منه قصد ، فلا يكون إلا مع العلم بالوجه كقولك قصد ان يكذب ، وقصد الكذب من غير ان يعلم انه كذب .

وإنما قال « ينفقون » ثم قال « فسينفقونها » ، لأن الاول معناه ان من شأنهم ان ينفقوا للصد . والثاني - معناه انه سيقع الانفاق الذي يكون حسرة بما يرونه من الغلبة .

اللغة :

والحسرة والغم بما انكشف من فوت استدراك الخطيئة . والاصل الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسراً والحاسر خلاف الدّارع . وحسر حسرة وهو حسير قال المراد :

ما انا اليوم على شيء خلا يا بنة القين تولي يحسر (١)

المعنى :

وكان الانفاق المذكور في الآية القائم به ابو سفيان : صخر بن حرب استأجر يوم احد القين من الاحابيش من كنانة في قول سعيد ، وابن أبزى ، ومجاهد ، والحكم ابن عيينة . وفي ذلك قال كعب بن مالك :

وجئنا إلى موج من البحر وسطه احابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آ لاف ونحن نصية ثلاث مئين ان كثرن فأربع (١)

(١) اللسان (حسر) . الحسر : الندامة . والقين العبد المملوك .

(٢) سيرة ابن هشام ٣ : ١٤١ ، وطبقات فحول الشعراء : ١٨٣ . والطبري ١٣ : ٥٣٠ ومقاييس اللغة ٢ : ١٢٩ وغيرها مع اختلاف بسيط في الرواية .

وقال الضحاك إنما عني بالآية الانفاق يوم بدر .

وفي الآية دلالة على نبوة النبي ﴿ ع ﴾ ، لانه أخبر بالشيء قبل كونه فكان على ما اخبر به .

قوله تعالى :

﴿ لِيَمِيزَ اللهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾

(٣٧) آية بلا خلاف .

قرأ حمزة والكسائي « ليميز » مضمونه الياء مشددة ، والباقون بفتح الياء خفيفاً .

أخبر الله تعالى انه يحشر الكفار إلى جهنم « ليميز الخبيث » الذي هو الكافر « من الطيب » الذى هو المؤمن . (والتمييز) هو اخراج الشيء عما خالفه مما ليس منه ، وإلحاقه بما هو منه . تقول مازه يميزه ، وميزه تمييزاً . وإمتاز امتيازاً . وانماز انمياز . والخبيث الردىء من كل شيء . وضده الطيب . ومنه خبث الحديد ، وخبث الفضة ، وخبث الانسان خبثاً ، وتخبث تخبثاً ، وتخابث تخابثاً وخبثه تخبيثاً . و(الطيب) المستلذ من الطعام والطيب الحلال من الرزق ، والطيب من الولد الذي يفرح به والطيب نقيض الخبيث ، وهو الجيد من كل شي .

وقيل المعنى ليميز الله ما أنفقه المؤمنون في طاعة الله مما انفقه المشركون في معاصيه . وقوله « ويجعل الخبيث بعضه على بعض » معناه ان الكافر يكون على أسوء حال كالمتاع والركام ، هواناً ، وتحقيراً ، وإذلالا .

وقوله « فيركمه جميعاً » معناه تراكب بعضه فوق بعض ، كالرمل الركام وهو المتراكب ، ركمه يركمه ركما وتراكم تراكما وارتكم ارتكاماً . ومنه قوله تعالى فى صفة

السحاب « فيجعله ركاماً » (١) .

وقال الحسن يركمهم الله مع ما انفقوا في جهنم ، كما قال : « يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » (٢) ثم أخبر انه إذا ركمه جميعاً يجعله في جهنم . وأخبر عنهم بأنهم الخاسرون نفوسهم باهلاكهم اياها بارتكاب المعاصي والكفر المؤدي الى عذاب الابد .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣٨) آية بلا خلاف .

المعنى :

أمر الله تعالى نبيه ﴿ ع ﴾ أن يقول للكفار إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف . والمعنى إن أنابوا عن الكفر والمعاصي وتابوا منها توبة خالصة ، لأن الكف عن المعاصي مع الاصرار لا يوجب الغفران . وإنما أطلق الوعد في الآية بالانتهاء عن المعصية ، لان الانتهاء عنها لا يكون مع الاصرار عليها ، لان الاصرار معصية .

وقوله « وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين » معناه وان يعودوا ، ويرجعوا إلى المعصية « فقد مضت سنة الأولين » في تعجيل العقاب لهم في الدنيا بعذاب الاستئصال ، وما جرى مجراه من الاسر والقتل ، يوم بدر . وبالنصر من الله . في قول الحسن ، ومجاهد ، والسدي .

اللغة :

والسلوف : التقدم ، تقول سلف يسلف سلوفاً وأسلف إسلافاً وتسلف تسلفاً

(١) سورة النور آية ٤٣ (٢) سورة التوبة آية ٣٦

وسلفه تسلفاً وتسليفاً واستسلف استسلافاً . والسالفة أعلى العنق ، والسلافة اخلص الخمر وأجودها . والسلفان المتزوجان باختين .

والسنة الطريقة التي يجري عليها الامر، ومنه قولهم هذا مستمر على سنن واحد.

قوله تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٤٠) آيتان بلا خلاف .

المعنى :

أمر الله تعالى بهذه الآية نبيه ﴿ص﴾ والمؤمنين أن يقاتلوا الكفار «حتى لا تكون فتنة» وهي الكفر من غير اهل العهد ، وما جرى مجراه من البغي ، لأنهم يدعون الناس إلى مثل حالهم بتعززهم على اهل الحق وتطاولهم فيفتنونهم في دينهم . وقال ابن عباس ، والحسن : معناه حتى لا يكون شرك . وقال ابن اسحاق حتى لا يفتن مؤمن عن دينه . والفرق بين قوله « حتى لا يكون فتنة » وبين قوله حتى لا يكون كفر في ان الذليل والأسير والشريد لا يفتن الناس في دينهم لان الذل لا يدعوا إلى حال صاحبه كما يدعو العزّ .

وقوله « ويكون الدين كله لله » معناه أن يجمع اهل الباطل وأهل الحق على الدين الحق فيما يعتقدونه ويعملون به ، فيكون الدين كله حينئذ لله بالاجتماع على طاعته وعبادته . والدين ههنا الطاعة بالعبادة .

وقوله « فان انتهوا فان الله بما تعملون بصير » معناه فان رجعوا عن الكفر وانتهوا عنه فان الله يجازيهم مجازاة البصير بهم وبأعمالهم باطنها وظاهرها لا يخفى

عليه شيء منها.

وقوله « وإن تولوا فاعلموا ان الله مولاكم » في معناه قولان :

احدهما - وان تولى هؤلاء الكفار واعرضوا عن الدين الحق واتباعه فثقوا بالله وتذكروا ما وعدكم به أيها المؤمنون تسكيناً لنفوسهم وتمكيناً للحق عندهم.

والثاني - فاعلموا ان الله ينصركم عليهم على طريق الأمر، يعلم هذا ليكونوا على بصيرة في أن الغلبة لهم.

قوله « وإن تولوا » شرط. وقوله « فاعلموا ان الله » أمر في موضع الجواب، وإنما جاز ذلك لان فيه معنى الخبر، فلم يخرج من أن يجب الثاني بالاول، كأنه قال فواجب عليكم العلم بأن الله مولاكم او فينبغي ان تعلموا ان الله مولاكم.

اللغة :

والمولى ههنا هو الناصر. وهو الذي يوليكم عن الغلبة. والمولى على اقسام بمعنى الناصر وبمعنى الحليف، وبمعنى المعتق والمعتق. وبمعنى الأولى والأحق كما قال لبيد:

فقدت كلا الفرجين يحسب انه ... مولى المخافة خلفها وأمامها (١)

ومنه قول النبي ﷺ (أيما امرأة نكحت بغير اذن مولاها فنكاحها باطل) اي من هو أولى بالعقد عليها. وقال الأخطل يمدح عبد الملك بن مروان :

فاصبحت مولاها من الناس كلهم ... واحرى قريش ان تهاب وتحمدا (٢)

وقال ابو عبيدة : ومنه قوله « النار مولاهم » معناه الاولى بهم واستشهد ببيت لبيد المتقدم ذكره. وقد استوفينا اقسام مولى في غير هذا الموضع (٣) فلا نطول بذكره ههنا. والتولي عن الدين هو الذهاب عنه الى خلافه وهو والاعراض بمعنى

---

(١) مقاييس اللغة ٢ : ٢١٢ (٢) مر هذا البيت في ٣ ١٨٧

(٣) في ٣ : ١٨٦، ١٨٧.

واحد والتولي في الدين هو الذهاب إلى جهة الحق ومتابعة النبي ﴿ع﴾ والنصرة له والمعونة له .

قوله تعالى :

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤١) آية بلا خلاف .

المعنى :

الغنيمة ما اخذ من اموال اهل الحرب من الكفار بقتال . وهي هبة من الله تعالى للمسلمين . والفيء ما اخذ بغير قتال في قول عطا بن السائب ، وسفيان الثوري وهو قول الشافعي ، وهو المروي في أخبارنا .

وقال قوم : الفيء ، والغنيمه واحد . وقالوا إن هذه الآية ناسخة للتي في الحشر من قوله « ما أفاء الله على رسوله من اهل القرى ، فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (١) لأنه بين في هذه الآية ان الأربعة أخماس للمقاتلة . وعلى القول الأول لا يحتاج إلى هذا ، وعند اصحابنا ان مال الفيء للامام خاصة يفرقه فيمن شاء بعضه في مؤنة نفسه وذوي قرابته . واليتامى والمساكين وابن السبيل من أهل بيت رسول الله ليس لسائر الناس فيه شيء . واما خمس الغنيمة ، فانه يقسم عندنا ستة اقسام : فسهم لله ، وسهم لرسوله للنبي ، وهذان السهمان مع سهم ذي القربى ، للقائم مقام النبي ﴿ع﴾ ينفقها على نفسه وأهل بيته من بني هاشم وسهم

(١) سورة الحشر آية ٧

لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لأبناء السبيل من أهل بيت الرسول لا يشركهم فيها باقي الناس لأن الله تعالى عوضهم ذلك عما أباح لفقراء المسلمين ومساكينهم وأبناء سبيلهم من الصدقات إذ كانت الصدقات محرمة على أهل بيت الرسول ﴿ ع ﴾ وهو قول علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومحمد بن علي الباقر ابنه ﴿ ع ﴾ رواه الطبري باسناده عنهما .

وقال الحسين بن علي المغربي حاكياً عن الصابوني من اصحابنا ان هؤلاء الثلاثة فرق لا يدخلون في سهم ذي القربى وان كان عموم اللفظ يقتضيه لان سهامهم مفردة ، وهو الظاهر من المذهب . والذين يستحقون الخمس عندنا من كان من ولد عبد المطلب ، لأن هاشماً لم يعقب إلا منه : من الطالبيين والعباسيين والحارثيين واللهبيين ، فأما ولد عبد مناف من المطلبيين ، فلا شيء لهم فيه وعند اصحابنا الخمس يجب في كل فائدة تحصل للانسان من المكاسب وارباح التجارات والكنوز والمعادن والغوص وغير ذلك مما ذكرناه في كتب الفقه .

ويمكن الاستدلال على ذلك بهذه الآية ، لان جميع ذلك يسمى غنيمة .

وقال ابن عباس ، وابراهيم ، وقتادة ، وعطا : الخمس يقسم خمسة اقسام ، فسهم الله وسهم الرسول واحد .

وقال قوم : يقسم اربعة اقسام سهم لبني هاشم وثلاثة للذين ذكروا بعد ذلك من سائر المسلمين ذهب اليه الشافعي .

وقال اهل العراق : يقسم الخمس ثلاثة اقسام ، لان سهم الرسول صرفه الأئمة الأربعة إلى الكراع والسلاح .

وقال مالك : يقسم على ما ذكره الله . ويجوز للامام أن يخرج عنهم حسب ما يراه وإنما جاء على طريق الاولى في بعض الاحوال .

وقال ابو العالية ـ وهو رجل من صالحي التابعين ـ يقسم ستة اقسام ، فسهم

الله للكعبة ، والباقي لمن ذكر بعد ذلك .

وقال ابن عباس ومجاهد : ذو القربى هم بنو هاشم ، وقد بينا نحن أن المراد بذي القربى أهل بيت النبي ﴿ع﴾ وبعد النبي القائم مقامه . وبه قال علي بن الحسين وروى جبير بن مطعم عن النبي ﴿ع﴾ : أنهم بنو هاشـــم ، وبنوا المطلب ، واختاره الشافعي .

وقال الحسن وقتادة : سهم الله وسهم رسوله وسهم ذي القربى لولي الأمر من بعده . وهو مثل مذهبنا .

وقال ابو علي الجبائي : ان الأئمة الأربعة جعلوا سهم الرسول ، وذي القربى في الكراع والسلاح ، واجمعوا على ان سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل شائع في الناس بخلاف ما قلناه .

اللغة :

واليتيم من مات أبوه وهو صغير قبل البلوغ . وكل حيوان يتيم من قبل امه إلا ابن آدم ، فانه من قبل ابيه .

واما ابن السبيل ، فهو المنقطع به في سفره . وإنما قيل ابن السبيل بمعنى اخرجه إلى هذا المستقر ، كما يخرجه ابوه من مستقره لقي محتاجاً .

والمسكين المحتاج الذي من شأنه ان تسكنه الحاجة عما ينهض به الغني .

الاعراب :

وقوله « فان لله خمسه » قيل في فتح (أن) قولان : احدهما - فعلى ان لله خمسه وحذف حرف الجر فنصب .

الثاني - انه عطف على (ان) الاولى وحذف خبر الأولى لدلالة الكلام عليه ، وتقديره إعلموا ان ما غنمتم من شيء يجب قسمته واعلموا ان لله خمسه .

قال الفراء: انه جزاء بمنزلة « ألم تعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالداً » (١) قال الرماني هذا غلطلان (أن) لا تدخل على الجزاء إلا مع العماد ، كما لا تدخل (ان) إلا على هذا الوجه .

المعنى :

وقوله « إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » معناه اعلموا إنما غنمتم من شيء لهؤلاء الذين ذكرناهم ان كنتم مؤمنين بالله مصدقين له في اخباره وما انزله على عبده محمد ﴿ ص ﴾ من القرآن .

وقال الزجاج يجوز ان يكون قوله « إن كنتم آمنتم بالله » متعلقاً بقوله « فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير . ان كنتم أمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان » اي فأيقنوا ان الله ناصركم إذ كنتم شاهدتم من نصره ما شاهدتم . ومعنى « يوم الفرقان يوم التقى اجمعان » يوم بدر، وسمي يوم الفرقان ، لانه تميز أهل الحق مع قلة عددهم من المشركين مع كثرة عددهم بنصر الله المؤمنين .

وقيل كان يوم السابع عشر من شهر رمضان . وقيل التاسع عشر سنة اثنتين من الهجرة ، وهو المروي عن أبي عبد الله ﴿ ع ﴾ ثم قال « والله على كل شيء قدير » اي هو قادر على مجازاة من أطاعه بجزيل الثواب ، وعلى عقاب من عصاه بأليم العذاب.

قوله تعالى :

﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا (٤٢) لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى

(١) سورة التوبة آية ٦٣

﴿مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤٣) آيتان في المدنيين والبصري وآية واحدة في الكوفي .

قرأ ابن كثير وابو عمرو (بالعدوة) بكسر العين ، الباقون بضمها وهما لغتان قال الراعي في الكسر :

وعينان حمر ماؤ قيهـــما كما نظر العدوة الجؤذر (١)

وقال اوس بن حجر في الضم :

وفارس لا يحل الحي عدوته ولوا سراعاً وما حمّوا باقبال(٢)

والعدوة شفير الوادي . وقال البصريون الكسر اكثر اللغات . وقال احمد بن يحيى : بالضم اكثر . وقال قوم هما لغتان سواء .

وقرأ نافع وابو بكر عن عاصم وابن كثير في رواية البزي وشبل «حيي» باظهار الياءين.

وقرأ الباقون بالادغام وإنما جاز الادغام في (حيي) للزوم الحركة في الثاني يجري مجرى ردّوا إذا اخبروا عن جماعة قالوا : حيوا فخففوا وقد جاء مدغماً ، فقالوا حيوا ومن اختار الاظهار ، فلامتناع الادغام في مضارعه من يحيي فجرى على شاكلته ، قال الزجاج ، لان الحرف الثاني ينتقل عن لفظ الياء تقول حيي يحيى فاما أحيا يحيي فلا يجوز فيه الادغام عند البصريين ، لان الثاني إذا سكن في الصحيح من المضاعف في نحو لم يردد كان لاظهار أجود فالمعتل بذلك أولى ، لان سكونه ألزم ، فلذلك وجه الاظهار في (يحيي) لانه أحق من (لم يردد) لان السكون له الزم وقد اجاز الفراء الادغام في يحيي وانشد بيتاً لا يعرف شاعره :

وكانها بين النساء سبيكة تمشي بشدة بانها فتعي(٣)

---

(١) تفسير الطبرى ١٣ : ٥٦٥

(٢) تفسير الطبرى ١٣ : ٥٦٥ . ومنتهى الطلب . ويروى (لو تحل الخيل) و(لا يحل القوم)

(٣) معاني القرآن ١ : ٤١٢ .

المعنى والاعراب :

تقدير معنى الآية واذكروا ايها المؤمنون « إذ انتم بالعدوة » وهي الجهة التي هي نهاية الشيء من احد جانبيه . ومنه قولهم عدوتا الوادي . وهما شفيراه ، وجانباه . و(الدنيا) بمعنى الأدنى الى المدينة . و(القصوى) بمعنى الأقصى منها الى جهة مكة ، وذلك ان النبي ﴿ ص ﴾ واصحابه نزلوا بالجانب الأدنى إلى المدينة . وقريش نزلت بالجانب الأقصى منها إلى مكة فنزلا الوادي بهذه الصفة ، قد اكتنفا شفيريه. وقوله « والركب اسفل منكم » يعني ابا سفيان واصحابه في موضع اسفل منكم الى ساحل البحر . وإنما نصب اسفل ، لان تقديره بمكان اسفل ، فهو في موضع خفض ، ونصب لانه لا ينصرف وكان يجوز الرفع على تقدير ، والركب اشد سفلا منكم ، ومن نصب يجوز ان يكون اراد والركب مكاناً اسفل منكم بجعله ظرفاً . والذي حكيناه ، هو قول الحسن ، وقتادة ، وابن اسحاق ، ومجاهد والسدي .

اللغة :

واصل الدنيا الدنو بالواو ، بدلالة قولهم دنوت إلى الشيء أدنو دنواً ، فقلبت الواو ياء ، ولم تقلب مثل ذلك في القصوى ، لأنه ذهب بالدنيا مذهب الاسم في قولهم الدنيا والآخرة ، وان كان اصلها صفة ، فخففت ، لأن الاسم احق بالتخفيف . وتقول : ادناه ادناء واستدناه استدناء ، وتدانوا تدانياً ، وداناه مداناة . و(العلو) قرار تحته قرار . و(السفل) قرار فوقه قرار ، تقول : سفل يسفل سفلا ، وتسفل تسفلا وتسافل تسافلا وسفل تسفيلا ، وسافله مسافلة ، وهو الاسفل ، وهي السفلى .

وقوله ﴿ ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ﴾ والمواعدة وعد كل واحد من الاثنين الآخر وتواعدوا تواعداً . و(الاختلاف) مذهب كل واحد من الشيئين في

نقيض الآخر ، ومنه الاختلاف في الميعاد لذهاب كل واحد من الفريقين فيما يناقض الميعاد من التقدم والتأخر والزيادة والنقصان عما انعقد به الميعاد .

المعنى :

وقيل اختلافهم في الميعاد بمعنى « لو تواعدتم » ايها المؤمنون على الاجتماع في الموضع الذى اجتمعتم فيه ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد ، في قول ابن اسحاق .

ووجه آخر « ولو تواعدتم » من غير لطف الله لكم « لاختلفتم » بالعوائق والقواطع فذكر الميعاد لتأكيد امره في الاتفاق ولولا لطف الله مع ذلك لوقع على الاختلاف كما قال الشاعر :

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

وقوله « ليقضي الله امراً كان مفعولا » معناه ليفصل الله امراً كان مفعولا من عز الاسلام وعلو أهله على عبدة الاوثان وغيرهم من الكفار بحسن تدبيره ولطفه.

وقوله « ليهلك من هلك عن بينة » معناه ليهلك من هلك عن قيام حجة عليه بما راى من المعجزات الباهرات للنبي ﴿ ص ﴾ في حروبه وغيرها « ويحيى من حي عن بينة » يعني ليستبصر من استبصر عن قيام حجة ، فجعل الله المتبع للحق بمنزلة الحي ، وجعل الضال بمنزلة الهالك .

وقوله : ﴿ وإن الله لسميع عليم ﴾ معناه « سميع » لما يقوله القائل في ذلك « عليم » بما يضمره ، فهو يجازيه بحسب ما يكون منه .

قوله تعالى :

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً

لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٤٤) آية بلا خلاف .

المعنى :

التقدير واذكر يا محمد « إذ يريكهم الله في منامك قليلا » والهاء والميم كناية عن الكفار الذين قاتلوه يوم بدر « ولو اراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الامر» وهذه الرؤية كانت في المنام عند اكثر المفسرين . والرؤيا في المنام تصور يتوهم معه الرؤية في اليقظة والرؤيا على اربعة اقسام : رؤيا من الله عز وجل ، ولها تأويل . ورؤيا من وسوسة الشيطان ، ورؤيا من غلبة الاخلاط ، ورؤيا من الافكار ، وكلها اضغاث احلام إلا الرؤيا من قبل الله تعالى التي هي الهام في المنام يتصور به الشيء كأنه يرى في اليقظة . ورؤيا النبي ﴿ ص ﴾ هذه بشارة له ، وللمؤمنين بالغلبة .

وقال الحسن : معنى « في منامك» في عينك التي تنام بها ، وليس من الرؤيا في النوم وهو قول البلخي ، وهو بعيد ، لانه خلاف الظاهر من مفهوم الكلام .

قال الرماني : ويجوز ان يريه الله الشيء في المنام على خلاف ما هو به ، لأن الرؤيا في المنام يخيل له المعنى من غير قطع وان جاء معه تطلع من الانسان على المعنى وإنما ذلك على مثل تخييل السراب ماء من غير تطلع على انه ماء ، فهذا يجوز ان يفعله الله . ولا يجوز ان يلهمه إعتقاد الشيء على خلاف ما هو به ، لان ذلك يكون جهلا ، ولا يجوز ان يفعله الله تعالى .

اللغة :

والنوم ضرب من السهو يزول معه معظم الحس ، تقول نام ينام نوماً ونومه تنويماً وأنامه إنامة وتناوم تناوماً واستنام استنامة . و (المنام) موضع النوم

والمضطجع موضع الاضطجاع .

و (القلة) نقصان عن عدد ، كما ان الكثرة زيادة على عدد يقال : قل يقل قلة وقلله تقليلا ، واستقل استقلالا وتقلل تقللا . والشيء يكون قليلا بالاضافة إلى ما هو اكثر منه . ويكون كثيراً بالاضافة إلى ما هو أقل منه . وأقله إقلالا إذا أطاقه فصادفه قليلا في طاقته ، فهو مشتق من هذا واستقل من المرض إذا قوى قوة يزول بها المرض اي وجده قليلا في قوته لا يعتد به .

وقوله « لفشلتم » فالفشل ضعف الرجل لان الضعف قد يكون لمرض من غير فزع وقد يكون من فزع . فالفشل إنما هو الضعف عن فزع . فشل يفشل فشلا فهو فشل، وفشله تفشيلا : إذا نسبه إلى الفشل ، وتفاشلوا تفاشلا .

وقوله « ولتنازعتم » فالتنازع الاختلاف الذي يحاول كل واحد منهم نزع صاحبه مما هو عليه تنازعاً . ونازعه منازعة ونزع عن الامر ينزع نزوعاً ، واستنزعه: إذا طلب نزوعه . وانتزعه إذا اقتلعه عن مكانه . وقوله « ولكن الله سلم » فالسلامة النجاة من الآفة . سلم يسلم سلامة واسلمه اسلاماً إذا دفعه على السلامـــة ، وأسلم الانسان إذا دخل في السلامة من جهة الدين ، وسلمه تسليماً إذا نجاه . واستسلم استسلاماً اذا سلم نفسه للامر ، وتسلم تسلماً إذا طلب السلامة ، واستلم الحجر إذا طلب لمسه على السلامة وسالمه مسالمة ، وتسالما تسالماً .

وقوله « إنه عليم بذات الصدور » فالصدر الموضع الأجل يكون القلب فيه . وصدر المجلس أجله ، لانه موضع الرئيس ، وصدر الدار مشبه بصدر الانسان ،لانه المستقبل منه كاستقباله من الانسان يقال صدر يصدر صدوراً واصدره اصداراً وتصدّر تصدراً وصدره تصديراً وصادره مصادرة ، وتصادروا تصادراً .

المعنى :

ففائدة الآية إن الله لطف للمؤمنين بما لو لم يكن لفشلوا ولاضطرب امرهم واختلفت كلمتهم ، ولكن سلمهم الله من ذلك بلطفه لهم واحسانه بهم حتى بلغوا ما أرادوه من عدوهم .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (٤٥) آية بلاخلاف .

التقدير اذكروا أيها المؤمنون إذ يريكموهم ، فالهاء والميم كناية عن المشركين ، والكاف والميم كناية عن المؤمنين . أرى الله تعالى الكفار قليلين في أعين المؤمنين ليشتد بذلك طمعهم فيهم وجرأتهم عليهم ، وقلل المؤمنين في اعين الكفار لئلا يتأهبوا ولا يستعدوا لقتالهم ولا يكترثوا بهم ويظفر بهم المؤمنون .

اللغة :

والمراد بالرؤية ههنا الرؤية بالبصر ، وهو الادراك بحاسة البصر والرائي هو المدرك . والعين خاسة يدرك بها البصر ، والعين مشتركة ، فمنها عين الماء ، وعين الميزان ، وعين الركبة ، وعين الذهب والعين النفس ، والالتقاء اجتماع الاتصال ، لان الاجتماع على وجهين : اجتماع الاتصال واجتماع في معنى من غير اتصال كاجتماع القوم في الدار ، وان لم يكن هناك اتصال . ويقال للعسكرين إذا تصافا التقيا لوقوع العين على العين .

المعنى :

فان قيل كيف قللهم الله في اعينهم مع رؤيتهم لهم ؟

قلنا : بأن يتخيلوهم بأعينهم قليلا من غير رؤية على الصحة لجميعهم وذلك بلطف من ألطافه تعالى مما يصد به عن الرؤية من قتام يستر بعضهم ولا يستر بعضاً آخر .

وروي عن ابن مسعود انه قال رأيناهم قليلا حتى قلت لمن كان الى جانبي أتراهم سبعين رجلا ؟ فقال لي هم نحو المئة . فلما اسرنا رجلا منهم سألناه كم كانوا ، فقال ألفاً .

وقوله ﴿ ليقضي الله امراً كان مفعولا ﴾ إنما كرره في هذه الآية مع ذكرها في الآية الاولى ، لاختلاف الفائدة ، فمعناه في الآية الاولى « ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد . ولكن ليقضي الله امراً كان مفعولا » من الالتقاء على الصفة التي حصلتم عليها . ومعناه في الثاني يقلل كل فريق في عين صاحبه « ليقضي الله امراً كان مفعولا » من اعزاز الدين بجهادكم على مادبره لكم . وإنما قال « كان مفعولا » والمعنى يكون مفعولا في المستقبل لتحقيق كونه لا محالة حتى صار بمنزلة ما قد كان اذ قد علم الله انه كائن لا محالة .

وقوله تعالى ﴿ والى الله ترجع الأمور ﴾ اي ترجع الامور الى ملكه وتدبيره خاصة ، ويزول ملك كل من ملكه في دار الدنيا .

قوله تعالى :

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا إذا لَقيتُمْ فِئَةً فاثْبتُوا واذْكُروا اللهَ كَثيراً لَعلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤٦) آية بلا خلاف

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين خاصة يأمرهم بأنهم اذا لقوا جماعة من الكفار لحربهم أن يثبتوا ويذكروا الله كثيراً ، ويستنصروه عليهم لكي يفلحوا ويفوزوا بالظفر بهم ، وبالثواب عند الله يوم القيامة . وقد بينا ان معنى الايمان هو

التصديق بما أوجبه الله على المكلفين أو ندبهم اليه . والفئة الجماعة المنقطة من غيرها وأصله من فأوت رأسه بالسيف اذا قطعته . والثبوت حصول الشيء في المكان على استمرار ، يقال لمن استمر على صفة : قد ثبت كثبوت الطين . والذكر ضد السهو ، وقد يكون الذكر القول من غير سهو . والفئة المذكورة في الآية وان كانت مطلقة ، فالمراد بها المشركة او الباغية ، لأن الله لا يأمر المؤمنين بالثبوت لقتال احد الا من هو بهذه الصفة ، ولا يأمر بقتال المؤمنين .

قوله تعالى :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤٧) آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى هؤلاء المؤمنين الذين ذكرهم بأن يطيعوا الله ورسوله ، ولا يختلفوا فيضعفوا عن الحرب .

والعامل في « فتفشلوا » الفاء التي هي بدل من (أن) على معنى جواب النهي كقولك لا تأت زيداً فيهينك ، ولذلك عطف بالنصب في قوله « وتذهب ريحكم » عليه .

وقوله « وتذهب ريحكم » معناه كالمثل أي ان لكم ريحاً تنصرون بها ، يقال : ذهب ريح فلان اي كان يجري في امره على السعادة بريح تحمله اليها ، فلما ذهبت وقف امره ، فهذه بلاغة حسنة .

وقيل : المعنى ريح النصرة التي يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله ، في قول قتادة وابن زيد .

وقيل : تذهب دولتكم ، من قولهم ذهب ريحه ، اي ذهبت دولته . في قول ابي عبيدة وابي علي . وقال عبيد بن الابرص :

كما حميناك يوم النعف من شطب والفضل للقوم من ريح ومن عدد(١)

اى من ريح عز ومن عدد .

النزول :

وقال أبو جعفر ﴿ع﴾ : هذه الآية نزلت حين أشار خباب بن المنذر على النبي ﴿ع﴾ ان ينتقل من مكانه حتى ينزلوا على الماء ويجوّهم من خلفهم ، فقال بعضهم لا تغفر معصاتك يا رسول الله ، فتنازعوا ، فنزلت الآية وعمل النبي ﴿ص﴾ على قول خباب .

قوله تعالى :

﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَرِئاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾(٤٨)آية بلا خلاف .

المعنى والقصة :

نهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية ان يكونوا مثل « الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس » وهم قريش ، لما خرجت لتحمي العير ، فلما نجا ابو سفيان اوسل اليهم ان ارجعوا ، فقد سلمت عيركم وهم بالجحفة ، فقال ابوجهل والله لا نرجع حتى نرد بدراً وننحر جزراً ، ونشرب خمرا وتعزف علينا القيان ، ويرانا من غشينا من اهل الحجاز ، ذكره ابن عباس ومجاهد وعروة بن الزبير ، وابن اسحاق .

اللغة :

والبطر الخروج عن موجب النعمة - من شكرها ، والقيام بحقها - الى خلافه

(١) ديوانه : ٤٩ والطبري ١٣ : ٥٧٥ واعجاز القرآن للباقلاني : ١٣١ و (النعف) ما انحدر من حزونة الجبل و (شطب) اسم جبل .

واصله الشق ثم نه البيطار الذي يشق اللحم بالمبضع ، وبطر الانسان بطراً وابطره كثرة النعمة عليه إبطاراً وبطره تبطيراً . والرئاء اظهار الجميل مع ابطان القبيح تقول راءى يرائي مراءاة ورياء . والمرائي رجل سوء لما بينا . والنفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر . والصد المنع .

وقيل هو جعل مايدعو إلى الاعراض فهؤلاء يصدون عن سبيل الله بما يدعون الناس إلى الاعراض عنها عن معادات اهلها وقتالهم عليها وتكذيبهم بما جاء به الداعي اليها .

والفرق بين الصد والمنع ان المنع ما يتعذر معه الفعل والصد ما يدعو الى ترك الفعل .

المعنى :

وقوله « والله بما تعملون محيط » معناه يحتمل امرين :

احدهما - انه يحيط علمه بما يعملونه .

الثاني - انه قادر على جزاء ما يعملونه من ثواب او عقاب .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٤٩) آية بلا خلاف .

التقدير : واذكر « إذ زين لهم الشيطان » يعني المشركين « زين لهم الشيطان اعمالهم » بمعنى حسنها فى نفوسهم والتزيين هو التحسين .

والمعنى ان ابليس حسّن للمشركين اعمالهم وحرضهم على قتال محمد وخرجوهم من مكة . وقوى نفوسهم ، وقال لهم « لا غالب لكم اليوم من الناس » .

اللغة :

تقول غلبه يغلب غلبة ، فهو غالب ، وغالبه مغالبة وتغالبا تغالباً وغلبه تغليباً. والغلبة : القهر للمنازع ، والملك لامره .

وقوله « واني جار لكم » حكاية عما قال ابليس للمشركين ، فانه قال لهم اني جار لكم ، لانهم خافوا بني كنانة لما كان بينهم فاراد ابليس بان يسكن خوفهم ، والجار هو الدافع عن صاحبه السوء اجاره يجيره جواراً . ومنه قوله « وهو يجير ولا يجار عليه » (١) اي يعقد لمن احب دافع الضرر عنه من كل احد ، ولا يعقد عليه ، فالجار المجير .

وقوله ﴿ فلما تراءت الفئتان ﴾ معناه ، فلما التقتا ورأى بعضهم بعضاً « نكص » يعني ابليس « على عقبيه » والنكوص هو الرجوع فهقرى خوفاً مما يرى نكص ينكص نكوصاً ، قال زهير ،

هم يضربون حبيك البيض اذ لحقوا لا ينكصون اذا ما استلحموا وحموا (٢)

المعنى :

واختلفوا في ظهور الشيطان لهم حتى رأوه ، فقال ابن عباس ، والسدي ، وقتادة ، وابن اسحاق ، : ظهر لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني المدلجي في جماعة من جنده ، وقال لهم : هذه كنانة قد أتتكم بجدة ، فلما رأى الملائكة

(١) سورة المؤمنون آية ٨٩ .

(٢) ديوانه ١٥٩ من قصيدته في هرم بن سنان . والطبري ١٤ : ١١ . و (حبيك البيض) طرائق حديدة . و (البيض) الخوذ من سلاح المحارب . و (حموا) من الحمية ، وهي الانفة والغضب .

« نكص على عقبيه » فقال الحارث بن هشام الى اين يا سراق ، فقال « اني ارى ما لا ترون » وهو قول أبي جعفر وأبي عبد الله ﴿ عليهما السلام ﴾ .

وقيل انه رأى جبرائيل بين يدي النبي ﴿ ص ﴾ . وقال ابو علي الجبائي حوّله الله على صورة انسان علماً للنبي ﴿ ص ﴾ بما يخبر به عنه . وقال الحسن والبلخي : إنما هو يوسوس من غير ان يحول في صورة انسان .

وقوله ﴿ اني اخاف الله والله شديد العقاب ﴾ حكاية عن قول ابليس حين ولى ، فقال لقريش اني ارى من الملائكة ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب . وإنما خافه من أن يأخذه في تلك الحال بعقوبته دون ان يكون خاف معصيته فامتنع منها .

قال الحسن : ابليس عدو الله لا يخاف الله لكن كلما استؤصل جند من جنوده وقعت بذلك عليه مخافة وذلة .

وقال البلخي هو كقولك للرجل جمعت بين الفريقين حتى إذا وقع الشر بينهم خليتهم وانصرفت ، وقلت اعملوا ما شئتم وتريد بذلك انك خليت بينهم دون ان يكون هناك قول ، والاول هو المشهور في التفاسير .

والواو دخلت في قوله « وإذ زين لهم الشيطان » للعطف على خروجهم بطراً ورئاء الناس ، فعطف حالهم في تزيين الشيطان اعمالهم على حالهم في خروجهم بطراً .

قوله تعالى :

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥٠) آية بلا خلاف.

الاعراب والمعنى :

العامل في « إذ » يحتمل ان يكون احد شيئين : احدهما - الابتداء والتقدير

ذاك « اذ يقول » والآخر بتقدير اذكر « اذ يقول المنافقون » وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الايمان . « والذين في قلوبهم مرض » الشاكين في الاسلام مع اظهارهم كلمة الايمان ، وهم بمكة جماعة خرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا هذا القول ، وهم قيس بن الوليد بن المغيرة والحارث (١) بن زمعة وعلي بن امية والعاص بن المنبه بن الحجاج ، هذا قول مجاهد ، والشعبي .

وقال الحسن : المرض الشرك « والذين في قلوبهم مرض » المشركون وقال ابو علي فصلوا في الذكر لان المنافقين كانوا يضمرون عداوة النبي ﴿ ص ﴾ والمؤمنين ، وكانوا هؤلاء مرتبتين وكلهم في معنى المنافقين ، لان الشك في الاسلام كفر .

اللغة :

وقوله ﴿ غر هؤلاء دينهم ﴾ معناه ان المسلمين اغتروا بالاسلام . والغرور : اظهار المصحح مع ابطان الغش تقول غره يغره غروراً واغتر به اغتراراً . ومنه الغرر ، لأنه عمل بما لا يؤمن معه الغرور .

وقوله ﴿ ومن يتوكل على الله ﴾ معناه ومن يسلم لأمر الله ويثق به ويرضى بفعله ، لان التوكل على الله هو التسليم لأمره مع الثقة والرضا به ، تقول : وكل امره إلى الله ، يكل وأتكل عليه يتكل اتكالا وتوكل توكلا وتواكل القوم تواكلا اذا اتكل بعضهم على بعض ، ووكل توكيلا .

وقوله ﴿ فان الله عزيز حكيم ﴾ معناه انه قادر لا يغالب واضع للاشياء مواضعها .

قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ

(١) في بعض النسخ (وابو قيس بن الفاكهة بن المغيرة) .

وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (٥١) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ ابن عامر « اذ تتوفى » بتاءين فأدغم احدهما في الاخرى هشام عنه . الباقون بالياء والتاء . من قرأ بالتاء اسند الفعل الى الملائكة كقوله « اذ قالت الملائكة » (١) ومن قرأ بالياء ، فلأن التأنيث غير حقيقي .

المعنى :

هذا خطاب من الله تعالى للنبي ﴿ ع ﴾ يقول الله تعالى له : « ولو ترى » الوقت الذي « تتوفى الملائكة الذين كفروا » بمعنى انهم يقبضون ارواحهم على استيفائها ، لان الموت انما يكون باخراج الروح على تمامها . وجواب (لو) محذوف ، وتقديره لرأيت منظراً عظيما او امراً عجيباً او عقاباً شديداً ، وحذف الجواب في مثل هذا ابلغ ، لان الكلام يدل عليه . والمرئي ليس بمذكور في الكلام لكن فيه دلالة عليه لان تقديره : لو رأيت الملائكة يضربون من الكفار الوجوه والادبار ، وحذفه ابلغ وأوجز مع ان الكلام يدل عليه .

وقال مجاهد وسعيد بن جبير : معنى ادبارهم استاههم ، لكنه كنى عنه .

وقال الحسن : معناه ظهورهم . وقال ابوعلي : المعنى ستضربهم الملائكة عند الموت . قال الرماني : وهذا غلط ، لأنه خلاف الظاهر ، وخلاف الاجماع المتقدم انه يوم بدر .

وروى الحسن : ان رجلا قال يا رسول الله اني رأيت بظهر ابي جهل مثل الشرك ، فقال: ذاك ضرب الملائكة .

وروي عن مجاهد ان رجلا قال للنبي ﴿ ص ﴾ اني حملت على رجل من المشركين

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٥

فذهبت لاضربه فبدر راسه ، فقال : سبقك اليه الملائكة . وعن ابن عباس انه كان يوم بدر .

وقوله : « وذوقوا عذاب الحريق » تقديره ، ويقولون يعني الملائكة للكفار يقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق يوم القيامة وحذف لدلالة الكلام عليه . ومثله قوله « ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا (١) اي يقولون ربنا ابصرنا ، ودل الكلام عليه .

اللغة :

والحريق تفريق الاجسام الكبيرة العظيمة بالنار العظيمة يقال: احترق احتراقا واحرق احراقا وتحرق تحرقا وحرقه تحريقا، وجواب لو محذوف ، وتقديره لرايت منظراً هائلا وإنما حذف جواب لو لأن ذكره يخص وجهاً ومع الحذف يظن وجوه كثيرة فهو ابلغ .

قوله تعالى :

﴿ ذلكَ بِما قَدّمت ايديكمْ وأنّ اللّه ليسَ بظلامٍ للعبيدِ ﴾ (٥٢)

آية بلا خلاف .

قوله (ذلك) اشارة من الملائكة للكفار الى ما تقدم ذكره من قولهم : « ذوقوا عذاب الحريق » قالوا ذلك العذاب « بما قدمت ايديكم » وموضع بما قدمت ايديكم يحتمل وجهين من الاعراب :

احدهما : الرفع بأنه خبر ذلك .

والثاني : النصب بأنه متصل بمحذوف ، وتقديره ذلك جزاؤكم « بما قدمت

(١) سورة الم السجدة آية ١٢ .

ايديكم » وإنما قيل بما قدمت ايديكم مع ان اليد لا تعمل شيئاً لتبين انه بمنزلة مايعمل باليد في الجناية ولذلك لم يذكر القلوب ، وان كان بها معتمد العصيان ، لانه قصد اظهار ما يقع به الجنايات في غالب الأمر وتعارف الناس .

والتقديم ترتيب الشيء أولا قبل غيره : قدمه تقديماً وتقدم تقدما واستقدم استقداماً وتقادم عهده تقادماً وأقدم على الأمر اقداما .

وقوله : « ان الله ليس بظلام للعبيد » العامل في (ان) يحتمل شيئين :

احدهما - ان يكون موضعه نصباً بتقدير ، وبأن الله او خفضا على الخلاف فيه.

والثاني - ان يكون رفعاً بمعنى وذلك ان الله كما تقول ذلك هذا .

وإنما نفى المبالغة فى الظلم عنه تعالى دون نفي الظلم رأساً ، لأنه جاء على جواب من اضاف اليه فعل جميع الظلم ، ولأن ما ينزل بالكفار لولم يكن باستحقاق لكان ظلماً عظيما ، ولكان فاعله ظلاماً .

قوله تعالى:

﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٥٣) آية .

الاعراب :

العامل في قوله : « كداب آل فرعون » الابتداء وتقديره دأبهم كداب آل فرعون ، فموضعه رفع ، لانه خبر المبتدأ ، كما تقول زيد : خلفك ، فموضع خلفك رفع بأنه خبر المبتدأ ، ولفظه نصب بالاستقرار ، فكذلك الكاف في « كداب » .

اللغة :

والداب العادة والطريقة تقول ما ذلك دأبه ودينه وديدنه .

والمعنى انه جوزي هؤلاء بالقتل والأسر كما جوزي آل فرعون بالغرق . وقال الزجاج الداب إدامة الفعل دأب يدأب في كذا إذا دام عليه ، ودأب يدأب دأبا ودؤبا فهو دائب يفعل كذا اي يجري فيه على عادة . وقال خداش بن زهير العامري:

وما زال ذاك الداب حتى تجادلت هوازن وارفضت سليم وعامر (١)

وآل فرعون المراد به اتباعه فيما دعاهم اليه من ربوبيته سموا (آل) لأن مرجع امرهم اليه بسبب اكيد .

والفرق بين (آل فلان) و(الأصحاب) ان الأصحاب ماخوذ من الصحبة لطلب علم او غيره ، كالأصحاب في السفر، وكثر في الموافقة على المذهب ، كما يقولون اصحاب مالك واصحاب الشافعي يراد به الموافقة في المذهب ، ولا يوصفون بأنهم آل الشافعي او ابى حنيفة . والآل يرجعون اليه بالسبب الأوكد الأقرب .

وقوله : « إن الله قوي » معناه قادر وقد يكون القوي بمعنى الشديد ، وذلك لايجوز اطلاقه على الله ، وكذلك لا يوصف بأنه شديد العقاب وإنما وصف عقابه بأنه شديد دون الله تعالى .

المعنى :

فمعنى الآية تشبيه حال المشركين في تكذيبهم بآيات الله التي اتى بها محمد (صلى الله عليه وآله) بحال آل فرعون في التكذيب بآيات الله التي اتى بها موسى عليه السلام لأن تعجيل العقاب لهؤلاء بالاهلاك كتعجيله لأولئك بعذاب الاستئصال .

قوله تعالى :

﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ﴾ (٥٤) آية بلا خلاف .

---

(١) روح المعاني ١٠ : ١٧ ، ومجاز القرآن ١ : ٢٤٨ . في المطبوعة (تخاذلت) بدل (تجادلت) .

الاعراب والمعنى :

الاشارة بقوله : « ذلك » الى ما تقدم ذكره من اخذ الله الكفار بالعقاب فكانه قال ذلك العقاب المدلول عليه بأن الله لا يغير النعمة الى النقمة إلا بتغيير النفس الى الحال القبيحة ، فذلك ابتداء وخبره بأن الله كما يقول القائل العقاب بذنوب العباد والكاف في ذلك للخطاب وهو اشارة الى البعيد وذلك اشارة الى ما دونه ، و(ذا) اشارة الى ما هو حاضر .

وقوله « لم يك » أصله يكون ، فحذفت الواو علامة للجزم ، ثم حذفت النون استخفافا لكثرة الاستعمال مع انه لا يقع بالحذف إخلال بالمعنى ، لأن كان ويكون ام الافعال ألا ترى أن كل فعل فيه معناها ، لأنك إذا قلت ضرب معناه كان ضرب ويضرب معناه يكون يضرب ، فلما قربت بأنها ام الأفعال وكثر استعمالها احتمل الحذف ولم يحتمل نظائرها ، وذلك مثل لم يجز ولم يصن كما جاز فيها .

والتغيير تصيير الشيء على خلاف ما كان بما لو شوهد لشوهد على خلاف ما كان وإنما قيل بما لو شوهد لشوهد على خلاف ما كان لتفرق بينه وبين ما يصير على خلاف ما كان بالحكم فيه بما لم يكن عليه ، ألا ترى ان المعلوم بعد ان لم يكن معلوماً لا يتغير بهذا العلم ، لأنه لو شوهد لم يشاهد على خلاف ما كان ، والقدرة شوهدت على خلاف ما يشاهد العجز .

المعنى :

وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة ، لأنها تدل على انه لا يكون العقاب الا بتغيير النفس الى ما لا يجوز ان يغير اليه وهذا يبين انه لا يحسن من الله العقاب إلا لمن فعل قبيحاً او اخل بواجب ، وذلك يبطل قول من قال : يجوز ان يعاقب الله البريء بجرم السقيم ، وجملة معنى الآية إنا اخذنا هؤلاء الذين كذبوا

بآياتنا من مشركي قريش ببدر بذنوبهم ، وتغييرهم نعمة الله عليهم من بعث رسوله وتكذيبهم إياه واخراجهم له من بين اظهرهم ، ففعلنا بهم مثل ما فعلنا بالماضين من الكفار .

قوله تعالى :

﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ﴾ (٥٥) آية بلا خلاف .

انما اعاد قوله : « كداب آل فرعون والذين من قبلهم » لا على وجه التكرار بلا فائدة بل لوجهين :

احدهما - قال ابو علي : لأنه على نوعين مختلفين من العقاب .

وقال الرماني : فيه تصريف القول في الذم بما كانوا عليه من قبح الفعل وتقدير الكلام : داب هؤلاء الكفار مثل داب آل فرعون .

ويحتمل ان يكون كناية عن هؤلاء الكفار « كذبوا بآياتنا » .

والتكذيب نسبة الخبر الى الكذب ، فالتكذيب بالحق مذموم ، والتكذيب بالباطل - لأنه باطل - ظاهر امره محمود ، وانما وجب في التكذيب بآيات الله تعجيل العقوبة ، ولم يجب ذلك في غيره لما في تعجيل عقوبتهم من الزجر لغيرهم ، فيصلحون به مع علم الله بأنه ليس فيهم من يفلح - على مذهب من يقول : لو علم الله ان فيهم من يؤمن ، لأبقاه .

وانما كان التكذيب بآيات الله من اعظم الاجرام ، لما يتبعه من تضييع حقوق الله فيما يلزم من طاعاته التي لا تصح الا بالتصديق بآياته التي جاءت بها رسله . اخبر الله انه كما اهلك هؤلاء الكفار بتكذيبهم النبي عليه السلام كذلك اهلك من الكفار

قوماً آخرين بتكذيبهم بآيات الله واغرق آل فرعون بمثل ذلك ثم اخبر ان كل هؤلاء كانوا ظالمين لنفوسهم بارتكاب معاصي الله وبترك طاعاته .

قوله تعالى :

﴿إِنَّ شَرَّ الدوابِّ عِندَ اللهِ الذينَ كَفروا فَهم لايؤمِنونَ﴾(٥٦)

آية بلا خلاف .

اللغه والمعنى :

الشر الرمي بالمكاره كشرر النار ومثله الضرر، وضد الشر الخير وضد الضرر النفع . والدابة ما من شأنه ان يدب على الأرض لكن بالعرف لا يطلق إلا على الخيل ، ومن ذلك قوله « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها (١) » وقوله : «عند الله» معناه في معلوم الله وفي حكمه واصل (عند) أن يكون ظرفاً من ظروف المكان إلا أنه قد تصرف فيها على هذا المعنى .

الاعراب والمعنى :

والفاء في قوله : « فهم لا يؤمنون » معناه عطف جملة على جملة ، وهو من الصلة ، كأنه قال : كفروا مصممين على الكفر « فهم لا يؤمنون » وانما حسن عطف جملة من ابتداء وخبره على جملة من فعل وفاعل ، لما فيها من التأدية الى معنى الحال وذلك ان صلابتهم بالكفر ادى الى الحال في انهم لا يؤمنون .

فاخبر الله تعالى في هذه الآية ان شر خصلة يكون الانسان عليها هو الكفر لما في ذلك من تضييع نعم الله التي توجب اعظم العقاب .

---

(١) سورة هود آية ٦ .

والآية متناولة لمن علم الله منه انه لا يؤمن ، لأن قوله : « فهم لا يؤمنون » اخبار عن نفي ايمانهم فيما بعد .

قوله تعالى :

﴿ الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ﴾ (٥٧) آية بلا خلاف .

قال مجاهد : هذه الآية نزلت في بني قريظة ، لما نقضت عهد النبي (صلى الله عليه وآله) في ألا يحاربوه ولا يمالؤا عليه ، فنقضوا عهده ، ومالؤا عليه ، وعاونوا قريشاً يوم الخندق ، فانتقم الله منهم .

المعاهدة المعاقدة على أمر يتقدم فيه الوثيقة به بالايمان المؤكدة على ما يعقد عليه ، ونقض العهد مثل نقض الوعد لأنه حق للمعاهد كما أن ذلك حق للموعود ، ونقض العزم هو الرجوع عما عزم عليه . والنقض يكون بشيئين :

احدهما - فيما كان من بناء وشبهه .

الثاني - في عقد أو امر يعزم عليه .

وقوله تعالى : « ثم ينقضون » عطف المستقبل على الماضي ، لان الغرض أن من شأنهم نقض العهد مرة بعد اخرى في مستقبل أوقاتهم بعد العهد اليهم .

وقوله : « فهم لا يتقون » معناه نقضوا عهدك من غير أن يتقوا عقاب الله عاجلا وآجلا .

قوله تعالى :

« فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون » (٥٨) آية بلا خلاف .

معنى « تثقفن » تصادفن وتلقين . واصله الادراك بسرعة تقول ثقف الكلمة فهو ثقف وثقفه اذا قومه وثاقفه مثاقفة اذا تدارك كل واحد منهما أمر صاحبه بسرعة

الاعراب :

ودخلت نون التأكيد لما دخلت (ما) ولو لم تدخله لما حسن دخول النون ، لأن دخول (ما) كدخول القسم في أنه علامة تؤذن أنه من مواضع التأكيد المطلوب من التصديق ، لأن النون تدخل لتأكيد المطلوب فيما يدل على المطلب ، وهي في ستة مواضع : الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والعرض ، والقسم ، والجزاء مع (ما)

المعنى :

وقوله : « فشرد بهم من خلفهم » يحتمل معنيين :

احدهما - اذا اسرتهم فنكل بهم تنكيلا يشرد غيرهم من ناقضي العهد خوفا منك وهو قول الحسن وقتادة وسعيد بن جبير والسدى وابن زيد .

الثاني - افعل بهم من القتل مايفرق من خلفهم في قول الزجاج .

اللغة :

والتشريد التفريق على اضطراب ، شرد يشرد شروداً وشرده تشريداً وتشرد تشرداً . ودابة شرود . والتشريد والتطريد والتبديد والتفريق نظائر .

وقوله : « لعلهم يذكرون » معناه لكي يفكروا فيتعظوا ويزجروا عن الكفر والمعاصي .

وروى في الشواذ « من خلفهم » والمعنى نكل بهم انت يا محمد من ورائهم . والأول اجود . وعليه القراء .

قوله تعالى :

﴿ واما تَخافَنَّ مِن قَومٍ خِيانَةً فانبِذْ اليهم على سَواءٍ إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الخائنينَ ﴾ (٥٩) آية بلا خلاف .

الاعراب :

بنى المضارع مع نون التأكيد ، لأن النون لما ابطلت السكون اللازم للجزم الذي هو أمكن في الفعل ، كانت على ابطال غيره من الاعراب أقوى . وإنما بني على الفتح لسلامتها من البابين الكسرة والضمة في المؤنث والجمع ، في قولهم لا تحسبن يا امرأة ، ولا تحسبن يا قوم . وتثبت الألف مع الجازم في (اما تخافن) ولم تثبت مع الجازم في قولك : (لا تخف القوم) لان الحركة في هذا عارضة ، لأن التقاء الساكنين من كلمتين .

اللغة والمعنى :

امر الله تعالى نبيه انه متى خاف -ممن بينه وبينه عهد- خيانة ان ينبذ اليه عهده على سواء . والخيانة نقض العهد فيما ائتمن عليه ، تقول : خانه يخونه خيانة ، واختان المال اختيانا . وتخونه تخوناً وخونه تخويناً . و (النبذ) القاء الخبر الى من لا يعلمه بما يوجب أنه حرب بنقض عهد أو إقامة على بغي تقول : نبذ ينبذ نبذاً وانتبذ انتباذاً وتنابذ القوم تنابذاً ، ونابذه منابذة .

وقوله : « على سواء » قيل في معناه قولان :

احدهما - على استواء في العلم به أنت وهم في انكم حرب لئلا يتوهموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب .

والثاني -ان معناه على عدل من قول الراجز :

فاضرب وجوه الغدر الاعداء حتى يحيوك على السواء (١)

أي على العدل . ومنه قيل للوسط سواء ، لاعتداله الى الجهات ، كما قال حسان بن ثابت :

يا ويح انصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد (٢)

اي في وسطه . وقال الوليد بن مسلم : معناه على مهل وهذا بعيد ، لأنه لا يعرف في اللغة .

فان قيل كيف جاز نبذ العهد ، ونقضه بالخوف من الخيانة ؟

قيل: انما فعل ذلك لظهور امارات الخيانة التي دلت على نقض العهد ولم تشتهر ، ولو اشتهرت لم يجب النبذ ، كما حارب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة ، وهم في ذمة النبي (ص) فلما فعلوا ذلك فعلا ظاهراً مشهوراً أغنى ذلك عن نبذ العهد اليهم ، ولو نقضوه على خفى لم يكن بد من نبذ العهد اليهم ، لئلا ينسب الى نقض العهد والغدر .

قوله : « ان الله لا يحب الخائنين » معناه انه يبغضهم وانما عبر بحرف النفي ، لأن صفة النفي تدل على الاثبات إذا كان هناك ما يدل عليه ، وهو أبلغ في هذا الموضع ، لأن معناه : انهم حرموا محبة الله بخيانتهم واوجب ذلك بغضه اياهم ، ومحبة الله للخلق ارادة منافعهم وبغضه اياهم ارادة عقابهم .

والآيتان معاً نزلتا فى بني قريظة ، قال الواقدي : نزلت هذه الآية في بني قينقاع ، وبهذه الآية سار النبي (عليه السلام) اليهم .

---

(١) تفسير الطبرى ١٤ : ٢٧ والقرطبى ٨ : ٣٣ .

(٢) تفسير القرطبى ٨ : ٣٣ وقد مر تخريجه فى ١ : ٤٠٥ من هذا الكتاب .

قوله تعالى :

﴿ ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون ﴾(٦٠)

آية بلا خلاف .

القراءة والحجة والاعراب :

قرأ ابن عامر وحمزة وحفص وأبو جعفر « ولا يحسبن » بالياء . والباقون بالتاء . وقرأ ابن عامر « انهم » بفتح الهمزة . الباقون بكسرها .

قال ابو علي الفارسي من قرأ بالتاء جعل الذين كفروا المفعول الأول وسبقوا المفعول الثاني ، وموضعه النصب ، وهو واضح .

ومن قرأ بالياء احتمل ثلاثة اشياء :

احدها - (لا يحسبن الذين كفروا) وهو قول أبي الحسن .

الثاني - ان يكون اضمر المفعول الأول وتقديره : ولا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقونا واياهم سبقوا .

الثالث - ان يقدر على حذف (ان) كانه قال : ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا . قال الزجاج يقوي ذلك ، ان في قراءة ابن مسعود « إنهم لا يعجزون » فعلى هذا يكون ان سبقوا سدمسد المفعولين ، كما ان قوله : « أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا » (١) كذلك .

ومن فتح الهمزة جعل الجملة متعلقة بالجملة الاولى والتقدير ولا تحسبنهم سبقوا ، لانهم لا يفوتون فهم يجازون على كفرهم .

ومن كسر استأنف الكلام ، قال ابو عبيدة: سبقوا معناه فاتوا فانهم لا يعجزون

---

(٣) سورة العنكبوت آية ٢ .

اي لا يفوتون . ومثله « ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا » ثم استأنف، فقال : «ساء ما يحكمون (١)» فكذلك هاهنا استأنف الكلام. وانما امتنع الاقتصار على احد المفعولين في حسب ، لأن المفعول الثاني خبر عن الأول ، والفعل متعلق بما دلت عليه الجملة فهو بخلاف (اعطيت) في هذا .

اللغة :

والحسبان هو الظن . وقال الرماني : هو شك يقوى فيه احدى النقيضين لقوة المعنى في حيز القولين . واصله الحساب ، لأن المعنى فيه داخل فيما يحسب به ويعمل عليه . والاحتساب قبول الحساب والاعتداد به وفي المضارع لغتان، فتميم تفتح السين واهل الحجاز يكسرونها . والسبق تقدم الشيء على طالب اللحوق به : سبق يسبق سبقا وتسابقا تسابقاً، وسابقه مسابقة واستبقوا استباقاً وسبقه تسبيقا إذا اعطاه السبق . والسابق والمصلى في صفة الفرس . والاعجاز ايجاد ما يعجز عنه : اعجزه اعجازاً وعجزه تعجيزاً وعاجزه معاجزة واستعجز استعجازاً .

المعنى :

وقال ابو عبيدة : معنى لا «يعجزون» لا يفوتون . وقال الحسن: معنى لا يعجزون الله لا يفوتونه حتى لا يثقفنهم يوم القيامة . وقال الجبائي : معناه لا يعجزونك حتى يظفرك الله بهم . وقال الزجاج: المعنى لا يحسبن من افلت من هذه الحرب قد سبق الى الحياة . وقال الزجاج : يجوز ان تكون (لا) صلة على ضعف فيه . والمعنى لا تحسبن الذين كفروا انهم يعجزون . اي يفوتون .

قوله تعالى :

« وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ

(١) سورة العنكبوت آية ٤ .

عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿

(٦١) اية بلا خلاف .

امر الله تعالى المؤمنين أن يعدوا ما قدروا عليه من السلاح وآلة الحرب والخيل وغير ذلك . والاعداد اتخاذ الشيء لغيره مما يحتاج اليه في امره ولو اتخذه له في نفسه محبة له لم يكن اعداداً وهو مما يعد فيما يحتاج اليه من غيره والاستطاعة معنى تنطاع بها الجوارح للفعل مع انتفاء المنع تقول : استطاع استطاعة ، وطاوع مطاوعة واطاع طاعة ، وتطوع تطوعاً ، وإنطاع انطياعاً . وقوله تعالى : « من قوة » اي مما تقوون به على عدوه . وقيل معناه : من الرمي ذكره الفراء . ورواه عن النبي (ص) عقبة بن عامر على ما ذكره الطبري . وقال عكرمة : اراد به الحصون .

وقوله تعالى : « ومن رباط الخيل » فالرباط شد ايسر من العقد : ربطه يربطه ربطاً ورباطاً وارتبطه ارتباطاً ورابطه مرابطة .

وقوله : « ترهبون به عدو الله وعدوكم » فالهاء في (به) راجعة الى الرباط وذكره ، لأنه على لفظ الواحد وان كان في معنى الجمع ، لأنه كالجراب والقراب والذراع . والارهاب ازعاج النفس بالخوف تقول : ارهبه ارهاباً ورهبه ترهيباً ورهب رهبة وترهب ترهباً واسترهبه استرهاباً ، وقال طفيل :

ويل ام حي دفعتم في نحورهم بني كلاب غداة الرعب والرهب (١)

والعدو المراصد بالمكاره لتعديتها الى صاحبها . والعدو ضد الولي .

وقوله « وآخرين من دونهم » لا تعلمونهم تقديره وترهبون آخرين ، فهو نصب

(١) ديوانه : ٦٥ ومجاز القرآن ١ : ٢٤٩ .

بـ (ترهبون) ويجوز أن يكون نصباً بقوله : (واعدوا لهم) والآخرين من دونهم . وقيل في المعنيين بذلك خمسة اقوال : احدها - قال مجاهد هم بنو قريظة ، وقال السدي : هم أهل فارس . وقال الحسن وابن زيد : هم المنافقون . الرابع - الجن ، وهو اختيار الطبري ، قال : لأن الاعداد للاعداء دخل فيه جميع المتظاهرين بالعداوة فلم يبق إلا من لا يشاهد . الخامس - قال الجبائي : كل من لا تعرفون عداوته داخل فيه . ومعنى « لا تعلمونهم » لا تعرفونهم فلذلك لم يكن معه المفعول الثاني .

وقوله : « الله يعلمهم » معناه يعرفهم كما قال الشاعر :

فان الله يعلمني وهبا　　وإنا سوف نلقاه كلانا (١)

قوله تعالى : «وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون» يعني ما من شيء تنفقونه في الجهاد إلا والله يوفيكم ثوابه على ذلك بأتم الجزاء ، ولا تبخسون ، فمعنى الآية الأمر باعداد السلاح والكراع لاخافة اعداء الله بما يملأ صدورهم من الاستعداد لقتالهم مع تضمن اخلاف ما انفق في سبيل الله احوج مايكون صاحبه اليه بما تربح فيه تجارته .

قوله تعالى :

﴿ وإنْ جَنَحوا للسَّلمِ فاجْنَحْ لَها وَتَوكَّلْ عَلى اللهِ إنَّهُ هُوَ السَّميعُ العَليمُ ﴾ (٦٢) آية بلا خلاف .

القراءة واللغة :

قرأ ابو بكر عن عاصم السلم بكسر السين . الباقون بفتحها وفي ذلك ثلاث لغات : الفتح والكسر مع سكون اللام وفتح السين واللام معاً . ومعناها المسالمة ولذلك انث

(١) قائله النمر بن تولب العكلي . الاقتضاب : ٣٠٣ ، والمفصل للزمخشري : ٨٨ وتفسير الطبري ١٤ : ٣٩ .

قال رجل من اليمن جاهلي :

أنا بل انني سلم لاهلك فاقبلي سلمي (١)

قال ابو الحسن : الصلح ، فيها الكسر والفتح لغتان . وقال غيره : السلم بفتح السين واللام على ثلاثة أوجه ، تقول : أخذت الأسير سلما أي على الاستسلام . والسلم السلف على السلامة . والسلم شجر واحده سلمة تقول له بالسلامة .

وقوله : « وإن جنحوا للسلم » معناه ان مالوا الى المسالمة ، تقول : جنح يجنح جنوحاً وجنحت السفينة إذا مالت الى الوقوف ، ومنه جناح الطائر لانه يميل به في احد شقيه . ولا جناح عليه في كذا أي لا ميل الى مأثم ، قال أبو زيد : جنح يجنح جنوحاً إذا اعطى بيده او عدل الى ما يحب القوم ، وجنح العدو والخيل ، وجنحت الابل إذا اخفضت في السير .

المعنى :

وليس في الآية ما يدل على ان الكفار إذا مالوا الى الهدنة وجب اجابتهم اليها على كل حال ، لأن الأحوال تختلف في ذلك ، فتارة تقتضي الاجابة ، وتارة لا تقتضي ، وذلك إذا ورأوا المسلمين بأمر يقتضي الغلظة مع حصول العدة والقوة .

فان قيل : اذا جازت الهدنة مع الكفار فهلا جاز المكافة في امر الامامة حتى يجوز تسليمها الى من لا يستحقها .

قلنا : تسليم الامامة الى من لا يستحقها فساد في الدين كفساد تسليم النبوة الى مثله .

وقوله : « وتوكل على الله » اي فوض امرك اليه تعالى وثق بأنه لا يدبره الا على ما تقتضيه الحكمة .

---

(١) مجاز القرآن ١ : ٢٥٠ والتاج واللسان (سلم).

واختلفوا هل في الآية نسخ ؟ فقال الحسن وقتادة وابن زيد : نسخها قوله : « اقتلوا المشركين » (١) وقال قوم ليست منسوخة ، لانها في الموادعة لاهل الكتاب والاخرى في عباد الاوثان ، والصحيح انها ليست منسوخة ، لأن قوله : « اقتلوا المشركين » نزلت في سنة تسع وبعث بها رسول الله الى مكة ثم صالح اهل نجران بعد ذلك على الفي حلة الف في صفر والف في رجب . وقوله : « انه هو السميع العليم » معناه انه يسمع دعاء من يدعوه عليم بما يقتضي المصلحة من اجابته وحسن تدبيره .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٣) آيتان في الكوفي ، والمدني وآية في البصري .

هذا خطاب للنبي (صلى الله عليه وآله) يقول له : « ان يريدوا » يعني الكفار وقيل هم بنو قريظة ، ومعناه إن قصدوا بالصلح خديعتك . والخديعة اظهار المحبوب في الامر للاستجابة له مع ابطان خلافه : خدع خدعاً وخديعة واختدعه اختداعا وتخادع له تخادعا وانخدع انخداعاً . وقوله : « فان حسبك الله » معناه ، فان الله كافيك يقال : اعطاني ما احسبني اي كفاني . واصله الحساب ، وانما اعطاه بحساب ما يكفيه . وقوله : « هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين » فالتأييد التمكين من الفعل على اتم ما يصح فيه تقول : ايده تأييداً وتأيد تأيداً . والأيد القوة . والمعنى ان الله قواه بالنصر من عنده ، بالمؤمنين الذين ينصرونه على اعدائه . وقوله «والف

(١) سورة التوبة آية ٦ .

بين قلوبهم » والتأليف الجمع على تشاكل ، فلما جمعت قلوبهم على تشاكل فيما تحبه وتنازع اليه كانت قد الفت ، ولذلك قيل هذه الكلمة تاتلف مع هذه ، ولا تأتلف . والمراد بالمؤمنين الانصار وبتأليف قلوبهم ما كان بين الأوس والخزرج من المعاداة والقتال، هذا قول ابي جعفر (ع) والسدي وبشر بن ثابت الانصاري وابن اسحاق.

وقال مجاهد : هو في كل متحابين في الله . وانما كان الجمع على المحبة تأليفاً بين القلوب ، لانه ماخوذ من الالفة وهي الاجتماع على الموافقة في المحبة ، ولا يجوز في الجمع على البغضاء ان يسمى بذلك . وقوله : « لو أنفقت ما في الارض جميعاً » فالانفاق اخراج الشيء عن الملك . والمعنى « لو انفقت ما في الأرض جميعاً » لتجمعهم على الالفة ما تم لك ذلك ، ولكن الله الف بينهم بلطف من الطافه، وحسن تدبيره، وبالاسلام الذي هداهم الله اليه ، ونصب جميعاً على الحال . وقوله : « انه عزيز حكيم » معناه قادر لا يمتنع عليه شيء يريد فعله « حكيم عليم » لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة فعلى ذلك جمع قلوبهم على الالفة .

قوله تعالى :

﴿ يا أيُّها النّبيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَن اتّبَعَكَ مِنَ المؤْمِنينَ ﴾

(٦٤) آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد (ص) يقول له : يكفيك ان يكون ناصرك على اعدائك الله تعالى ، والذين اتبعوك من المؤمنين من المهاجرين والانصار ، وانما كرر قوله : (حسبك) مع انه قد ذكر فيما قبل ، لأن المعنى هناك ان ارادوا اخداعك كفاك الله امرهم . وهاهنا معناه عام في كل ما يحتاج فيه الى كفاية الله اياه .

وقوله « ومن اتبعك » يحتمل اعرابه وجهين :

احدهما - ان يكون نصباً . والمعنى ويكفي من اتبعك على التأويل ، لأن الكاف في موضع خفض بالاضافة لكنه مفعول به في المعنى ، فعطف على المعنى ، وليس ذلك بكثير . واجاز الفراء الرفع لقوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ومثله قوله : « انا منجوك واهلك » (١) وقال الشاعر :

اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند(٢)

وهو معنى قول الشعبي وابن زيد . وقال الحسن : هو عطف على اسم الله ، فيكون رفعاً .

والكسائي ، والفراء ، والزجاج أجازوا الوجهين وحمل عليهما معاً أبو علي الجبائي .

والاتباع موافقة الداعي فيما يدعوا اليه من اجل دعائه . والمؤمنون يوافقون النبي (عليه السلام) في كل ما دعا اليه . وقال الواقدي : نزلت هذه الآية في بني قريظة وبني النضير لما قالوا له : نحن نسلم ونتبعك .

قوله تعالى :

﴿ يا أيُّها النَّبيُّ حرِّضِ المؤمنينَ عَلى القِتالِ إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرونَ يَغْلِبوا مِأتَينِ وإنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِئةٌ يَغْلِبوا ألفاً مِنَ الَّذينَ كَفَروا بِأنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهونَ ﴾ (٦٥) آية بلا خلاف .

وهذا أيضاً خطاب للنبي (ص) يأمره الله بأن يحرض المؤمنين على قتال المشركين .

---

(١) سورة العنكبوت آية ٣٣ .

(٢) القرطبي ٨ : ٤٢ ومعاني القرآن ١ : ٤١٧ . وتفسير القاسمي ٨ : ٣٠٣٠ .

اللغة :

والتحريض والحث نظائر ، وهو الدعاء الوكيد بتحريك النفس على أمر من الامور . وضده التفتير . والمعنى حثهم على القتال ، والتحريض الحث على الشيء الذي يعلم معه انه حارض إن خالف وتأخر . والحارض هو الذي قارب الهلاك . ومنه قوله : « حتى تكون حرضا » (١) اي حتى تذوب غما على ذلك وتقارب الهلاك « او تكون من الهالكين » . وحارض فلان على أمره إذا واظب عليه . والتحريض ترغيب في الفعل بما يبعث على المبادرة اليه مع الصبر عليه . والقتال محاولة الصد والمنع بما فيه تعرض للقتل . والمجاهدة ان يقصد الى قتل المشركين بقتاله ، ومن يدفع عن نفسه فليس كذلك . والصبر هو حبس النفس عما تنازع اليه من صد ما ينبغي أن يكون عليه . وضده الجزع ، وقال الشاعر :

فان تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالامر ما تريان (٢)

والغلبة الظفر بالبغية في المحاربة قتلا أو اسراً اوهزيمة . وقد يقال في الظفر بالبغية في المنازعة بالغلبة .

المعنى :

ومعنى « لا يفقهون » ها هنا انهم على جهالة خلاف من يقاتل على بصيرة ، وهو يرجو به ثواب الآخرة . وقال قوم : معناه لايعلمون ما لهم من استحقاق الثواب بالقتال . وقوله : «ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين» وان كان بلفظ الخبر ، فالمراد به الأمر ويدل على ذلك قوله : « الآن خفف الله عنكم » لأن التخفيف لايكون الا بعد المشقة .

(١) سورة يوسف آية ٨٥ . (٢) مجمع البيان ٢ : ٥٥٦ .

قوله تعالى :

﴿ الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٦٦) آية بلا خلاف.

القراءة والحجة :

قرأ اهل الكوفة « ان يكن ... مئة . وان يكن ... الف » بالياء فيهما وافقهم أهل البصرة في الاولى . وقرأ أهل الكوفة الا الكسائي « ضعفاً » بفتح الضاد . الباقون بضمها ، ولكنهم سكنوا العين الا أبا جعفر فانه فتحها ، ومد وهمز على وزن فعلاء على الجمع. من قرأ « ان يكن » بالياء فلان المراد به المذكر بدلالة قوله : «يغلبوا» وكذلك ما وصف به المئة بقوله : « صابرة » لأنهم رجال : حملا على المعنى كما حمل على المعنى في قوله : « فله عشر أمثالها » (١) فانث لما كانت في المعنى حسنات . ومن قرأ بالتاء فلان اللفظ لفظ التأنيث . ومن قرأ الأول بالتاء والثاني بالياء فلان القراءة بالتاء في الاولى أشد مشاكلة لقوله : « مئة صابرة » وليس كذلك في الاخرى ، لانه اخبر عنهم بقوله : « يغلبوا » .

المعنى واللغه :

وقال سيبويه يقال : ضعف ضعفاً فهو ضعيف . قال وقالوا الفقر كما قالوا الضعف، فعل ذلك انهما لغتان .

هذه الآية نسخت حكم ما تقدمها ، لأن في الاولى كان وجوب ثبات الواحد للعشرة والعشرة للمئة فلما علم الله تعالى ان ذلك يشق عليهم وتغيرت المصلحة في ذلك

(١) سورة الانعام آية ١٦٠ .

نقلهم الى ثبات الواحد للاثنين والمئة للمئتين ، فخفف ذلك عنهم ، وهو قول ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد والسدي وعطا والبلخي والجبائي والرماني ، وجميع المفسرين .

والتخفيف رفع المشقة بالخفة . والخفة نقيض الثقل والخفة والسهولة بمعنى واحد والضعف نقصان القوة ، وهو من الضعف لانه ذهاب بعض القوة وقوله : « باذن الله » فالاذن الاطلاق في الفعل ، لأنه يسمع بالاذن ، ومنه الاذان والايذان والاستئذان ، وقوله : « الآن » مبني مع الالف واللام لأنه خرج عن التمكن بشبه الحرف ، لأنه ينكر تارة ويعرف اخرى ، فاستبهم استبهام الحروف بأنه للفصل بين الزمانين على انتقال معناه الى الذي يليه من الوقت كما ينتقل امس ، فالامس والغد والآن نظائر وأحكامها مختلفة لعلل لزمتها .

وقوله تعالى : « والله مع الصابرين » معناه انه معهم بالمعونة لهم ، والمعنى ان معونة الله مع الصابرين وحقيقة (مع) ان تكون للمصاحبة للجهة بالمعونة وذلك لا يجوز عليه تعالى . وقيل هذه الآية نزلت بعد الاولى بمدة .

قوله تعالى :

﴿ ما كانَ لنبيٍّ أنْ يكونَ لَهُ أسْرى حتى يُثْخِنَ في الارْضِ تُريدونَ عَرَضَ الدُّنيا واللهُ يُريدُ الآخِرَةَ واللهُ عَزيزٌ حَكيمٌ ﴾(٦٧)

آية بلا خلاف .

القراءة والحجة واللغة :

قرأ اهل البصرة وابن شاهي « ان تكون » بالتاء . الباقون بالياء . وقرأ ابو جعفر اسارى ومن الاسارى بفتح الهمزة منهما ، وبألف بعد السين ، ووافقه ابو عمرو في

الثاني . الباقون بفتح الهمزة وسكون السين من غير الف فيهما .

من قرأ بالتاء فلأن لفظ الأسرى لفظ التأنيث ، فحمله على اللفظ .

ومن قرأ بالياء فلأن الفعل مقدم والأسرى المراد به المذكورون . وأيضاً فقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل وكل واحد من ذلك إذا انفرد يذكر الفعل معه ، مثل جاء الرجل وحضر القاضي امرأة ، فاذا اجتمعت هذه الأشياء كان التذكير أولى . واختار الأخفش التذكير . وقال ابو علي الفارسي : الأسرى اقيس من الأسارى لأن اسير فعيل بمعنى مفعول ، وما كان كذلك لايجمع بالواو والنون ، ولا بالالف والتاء . وإنما يجمع على فعلى مثل جريح وجرحى وقتيل وقتلى وعفير وعفرى ، ولديغ ولدغى ، وكذلك كل من اصيب في بدنه مثل مريض ومرضى وأحمق وحمقى وسكران وسكرى .

ومن قرأ اسارى شبهه بكسالى وقالوا كسلى شبهوه باسرى وأسارى في جمع اسير ليس على بابه وقال ابو الحسن : الأسرى مالم يكن موثقاً والاسارى موثوقون . قال : والعرب لا تعرف ذلك بل هما عندهم سواء . وقال الأزهري : الاسارى جمع اسرى فهو جمع الجمع ، والأسر الشد على المحارب بما يصير به في قبضة الأخذ له . وأصله الشد ، يقال : قتب ماسور اي مشدود وكانوا يشدون الاسير بالقد .

اللغة والمعنى والنزول :

والمعنى : ما كان لنبي ان يحبس كافراً للفداء والمن حتى يثخن في الأرض ، والاثخان في الأرض تغليظ الحال بكثرة القتل . وقال مجاهد : الاثخان القتل . والثخن والغلظ والكثافة نظائر .

وقوله : « يريدون عرض الدنيا » يعني تريدون الفداء والعرض متاع الدنيا وسماه عرضاً لقلة لبثه لانه بمعنى العرض في اللغة .

وقوله : « والله يريد الآخرة » معناه والله يريد عمل الآخرة من الطاعات التي تؤدى الى الثواب وارادة الله لنا خير من ارادتنا لا نفسنا .

وقوله : « والله عزيز حكيم » معناه يريد عمل الآخرة ، فانه يعزكم ويرشدكم الى اصلاحكم ، لانه عزيز حكيم ، فلا تخافوا قهراً مع إعزازه اياكم .

وهذه الآية نزلت في اسارى بدر قبل أن يكثر الاسلام ، فلما كثر المسلمون قال الله تعالى : « فاما منا بعد وإما فداء » (١) وهو قول ابن عباس وقتادة . وقال فادوهم بأربعة الآف ، وفي الآية دليل على بطلان المجبرة لانه تعالى فصل إرادة نفسه من إرادتهم ، ولو كان يريد ما ارادوه لم يصح هذا الفعل من التفصيل .

فان قيل : كيف يكون القتل فيهم كان أصلح وقد اسلم منهم جماعة ومن علم الله من حاله انه يؤمن يجب تبقيته ؟! .

قلنا : في ذلك خلاف . فمن قال : لا يجب ذلك لا يلزمه السؤال . ومن قال : ذلك واجب قال : ان الله اراد ان يأمرهم بأخذ الفداء وإنما عاتبهم على ذلك لانهم بادروا اليه قبل ان يؤمروا به .

قوله تعالى :

﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦٨) آية بلا خلاف .

المعنى :

قيل في معنى قوله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم » قولان : قال الحسن لولا ما كتبه الله في اللوح المحفوظ من انه لا يعذبهم على ذلك .

---

(١) سورة محمد آية ٤ .

وقال غيره : لولا ما كتب الله فيه انه يغفر لأهل بدر ما تقدم وما تأخر .

الثاني – قال مجاهد : يعني ما ذكره من قوله : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » (١) فكانه قال : لا اعذب إلا بعد المظاهرة في البيان وتكرير الحجة به . وقال قوم : « لولا ما كتبه الله » من ان الفدية ستحل لهم فيما بعد ، ذهب اليه سعيد ابن جبير . ومعنى الآية : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم » من فداء الاسرى والغنيمة عذاب عظيم ، لانهم اخذوه قبل ان يؤذن لهم . وقد كان سبق ان الله سيحله لهم في قول ابن عباس والحسن ، وقال الجبائي : والمعنى « لولا كتاب من الله سبق » وهو القرآن الذي امنتم به واستحققتم لذلك غفران الصغائر لمسكم فيما اخذتم به من الفداء عذاب عظيم . ولا يجوز ان يكون المراد به الا الصغائر لانهم قبل الغفران لم يكونوا فساقا اجماعاً . قال الجبائي : وقد كان من النبي (ص) في هذا معصية اجماعاً من غير تعيين ما هي واظن انها في ترك قتل الاسرى وهذا الذي ذكره غير صحيح ، لانه لا إجماع في ذلك بل عندنا لا يجوز على النبي (ص) فعل شيء من القبائح صغيراً كان او كبيراً لما في ذلك من التنفير عنه على ما بيناه في غير موضع . واكثر المفسرين على ان النبي (ص) لم يقع منه خلاف لأمر الله . وقد روي ان النبي (ص) كره اخذ الفداء حتى راى سعد بن معاذ كراهية ذلك في وجهه ، فقال : يا رسول الله هذا اول حرب لقينا فيه المشركين اردت ان يثخن فيهم القتل حتى لا يعود احد بعد هذا الى خلافك وقتالك ، فقال رسول الله : قد كرهت ما كرهت ، ولكن رايت ما صنع القوم ، فالمعصية في ذلك كانت من قوم من الصحابة الذين مالوا الى الدنيا واخذ الفداء . وقد قال البلخي ايضا ان اجلاء الصحابة براء من ذلك . وروي عن النبي (ص) انه قال ان الغنائم احلت لي ولم تحل لنبي قبلي .

---

(١) سورة الاسرى آية ١٥ .

اللغة :

ومعنى (لولا) امتناع الثاني لوقوع الأول كقولك : لولا زيد بالمكان الذي هو به لاتيتك ، فامتنع الايتان لمكان زيد . والسبق يكون تقدماً في الزمان والمكان والرتبة بأن يكون له وان لم يكن فيها . والمس مماسة يقع معها إدراك ، وهو كاللمس فى الحقيقة . والعظيم ما يصغر فيه قدر غيره ، ويكون ذلك بعظم الجثة تارة وبعظم الشأن اخرى . والعظيم هو المستحق للصفة بأن قدر غيره صغير عنده .

القصة :

وقال ابو جعفر (ع) : كان الفداء يوم بدر كل رجل من المشركين بأربعين اوقية من فضة والاوقية أربعون مثقالا إلا العباس فان فداءه كان مئة أوقية وكان اخذ منه حين اسر اثنين وعشرين اوقية ذهباً ، فقال النبي (ع) ذاك غنيمة ففاد نفسك وابني اخيك عقيل ونوفل بن الحارث ، فقال : ليس معي ، فقال : اين الذهب الذي سلمته الى ام الفضل وقلت ان حدث بي حدث ، فهو لك وللفضل وعبد الله وميثم ، فقال من أخبرك بهذا ؟ قال : الله ، قال : اشهد انك رسول الله ، والله ما اطلع على هذا أحد إلا الله تعالى .

قوله تعالى :

﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(٦٩) آية بلا خلاف .

اباح الله تعالى للمؤمنين بهذه الآية أن يأكلوا مما غنموه من اموال المشركين بالقهر من دار الحرب . ولفظه وإن كان لفظ الامر . فالمراد به الاباحة ورفع الحظر . والغنيمة ما أخذ من دار الحرب بالقهر . والفيء ما رجع الى المسلمين ، وانتقل اليهم من

المشركين . والاكل تناول الطعام بالفم مع المضغ والبلع ، فمتى فعل الصائم هذا فقد أكل في الحقيقة . والفرق بين الحلال والمباح ان الحلال من حيث العقد في التحريم والمباح من التوسعة في الفعل وان اجتمعا في الحل . والطيب المستلذ ، وشبه الحلال به فسمي طيباً . واللذة نيل المشتهى .

قال الزجاج : الفاء في قوله : « فكلوا » على تقدير قد أحللت لكم الفداء فكلوه .

وقوله : « واتقوا الله » معناه اتقوا معاصيه فان الله غفور رحيم لمن اطاعه وترك معاصيه .

قوله تعالى :

﴿ يا أيُّها النَّبيُّ قُلْ لِمَنْ في أيْديكُمْ مِنَ الاسرى إنْ يَعْلَمِ اللهُ في قُلوبِكُمْ خَيراً يُؤْتِكُمْ خَيراً مِما أُخِذَ مِنكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ واللهُ غَفورٌ رَحيمٌ (٧٠) آية بلا خلاف .

قرأ ابو عمرو وحده من السبعة وابو جعفر « الاسارى » الباقون « الاسرى » وابو عمرو جمع المذهبين في الاول والثاني . وحمله الباقون على النظير في المعنى .

وقد فسرنا فيما مضى الاسير من اخذ من دار الحرب من أهلها ، ولو اخذ مسلم لكان قد فك أسره . خاطب الله بهذه الآية نبيه (ص) وأمره ان يقول لمن حصل في يده من الاسرى يعني من حصل في وثاقه وسماه في يده لانه بمنزلة ما قبض على يده بالاستيلاء عليه ولذلك يقال في الملك المتنازع فيه لمن اليد ؟ وقوله : « ان يعلم الله في قلوبكم خيراً » يعني اسلاماً . وقيل معناه ان يعلم منكم خيراً في المستقبل بأن يفعلوه فيعلمه الله موجوداً ، لان مالم يفعل لا يعلمه موجوداً . والخير النفع العظيم ، وهو هاهنا البصيرة في دين الله وحسن النية في امر الله . وقوله : « يؤتكم خيراً » يعني يعطيكم خيراً « مما اخذ منكم » من الفداء . وقال الحسن اطلقهم بالفداء ، ولو لم يصلحوا لم يتركهم .

وقوله : «ويغفر لكم» يعني زيادة مما يؤتيهم يغفر لهم معاصيهم ويسترها عليهم لانه غفور رحيم . وروي عن العباس انه قال : كان معي عشرون اوقية فأخذت مني فاعطاني مكانها عشرين عبداً ووعدني بالمغفرة . وقال العباس في نزلت وفي اصحابي هذه الآية ، وهو قول ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١) آية بلا خلاف .

معنى الآية ان هؤلاء الاسارى ان علم الله في قلوبهم خيراً اخلف عليهم خيراً مما اخذ منهم . وان عزموا على الخيانة ، ونقض العهد وفعلوا خلاف ما وقع عليه العقد من تأدية فرض الله ، فقد خانوا الله من قبل هذا . والمعنى فقد خانوا اولياء الله ، لأن الله لا يمكن ان يخان ، لأنه عالم بالأشياء كلها لا يخفى عليه خافية . والخيانة هاهنا نقض عقد الطاعة لله ورسوله التي شهدت بها الدلالة . وقوله : « فامكن منهم » والمعنى لما خانوا بأن خرجوا الى بدر وقاتلوا مع المشركين ، فقد امكن الله منهم بأن غلبوا واسروا . فان خانوا ثانياً فيمكن الله منهم مثل ذلك . والامكان هو القدرة على الشيء مع ارتفاع المانع ، وما لو حرص عليه صاحبه اتم الحرص لم يصح ان يقع منه لا يكون امكاناً ، فالامكان ينافي المنع والالجاء كما ينافي العجز القدرة .

وقوله : « والله عليم حكيم » معناه عالم بما تقولونه وما في نفوسكم وبجميع الاشياء « حكيم » فيما يفعله . والحكيم هو العالم بوجوه الحكمة في الفعل مما يصرف عن خلافها . والاصل في الحكمة المنع فهي تمنع الفعل من الخلل والفساد .

قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٧٢) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة واللغة :

قرأ حمزة « ولا يتهم » بكسر الواو . والباقون بفتحها . قال الزجاج : إنما جاز الكسر لأنه يشبه الصناعة كالخياطة والقصارة والحياكة ، وقال الشاعر في الفتح :

دعيهم فهم ألب علي ولاية　　وحفرهم ان يعلموا ذاك دائب (١)

قال ابو عبيدة : بفتح الواو مصدر المولى تقول : مولى بين الولاية وإذا كسرت فهو من وليت الشيء قال ابو الحسن يفتح الواو من الولاية إلا الولاية في السلطان بكسر الواو ، وكسر الواو في الاخرى لغة .

وقرأ الأعمش بكسر الواو من الولاية في الدين هنا . قال ابو علي الفارسي : الولاية هاهنا في الدين والفتح أجود . قال بوا الحسن : وهي قراءة الناس . وعن الأعمش أنه كسر الواو ، وهي لغة . وليست بذاك . قال المبرد عن الاصمعي : ان الأعمش لحن في كسره لذلك . قال ابو علي : إذا كان ذلك لغة لا يكون لحناً . قال

(١) معاني القرآن ١ : ٤١٩ .

الفراء : والكسر أحب الي ، لأنها ولاية المواريث . وقال الازهري : في النصرة والنسب بفتح الواو . وفي الامارة بكسرها .

المعنى واللغة :

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن أحوال المؤمنين الذين هاجروا من مكة الى المدينة بقوله : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله » وعن أحوال الأنصار بقوله : « والذين آووا ونصروا » يعني النبي (ص) . ثم قال : اولئك يعني المهاجرين والانصـــار « بعضهم أولياء بعض » والهجرة فراق الوطن الى غيره من البلاد فراراً من المفتنين في الدين ، لأنهم هجروا دار الكفار الى دار الاسلام . والجهاد تحمل المشاق في قتال اعداء الدين جاهد جهاداً وجهده الأمر جهداً واجتهد اجتهاداً ، وجاهد مجاهدة . والايواء ضم الانسان صاحبه اليه بانزاله عنده وتقريبه له تقول : آواه يؤويه ايواء واوى يأوى اوياً واويت معناه رجعت الى المأوى . والولاية عقد النصرة للموافقة في الديانة .

ثم اخبر تعالى عن الذين آمنوا ولم يهاجروا من مكة الى المدينة فقال : « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء » وقيل في معناه قولان :

احدهما - ولاية القرابة نفاها عنهم لأنهم كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الرحم في قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدي . وعن ابي جعفر (ع) انهم كانوا يتوارثون بالمواخاة الاولى .

الثاني - انه نفي الولاية التي يكونون بها يداً واحدة في الحل والعقد ، فنفى عن هؤلاء ما اثبته للاولين حتى يهاجروا ثم قال : « وان استنصروكم » اي طلبوا نصركم في الدين يعني الذين آمنوا ولم يهاجروا فعليكم نصرهم بسبب الايمان والذي يجب عليكم ان تنصروهم على الكفار « إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق » يعني موادعة

ومهادنة تقتضيه من جهة ان عقدهم بخلاف عقـــدهم . وقيل انه نسخ ذلك بقوله : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض » وقوله : « والله بما تعملون بصير » يعني عالم بما يعملونه .

قوله تعالى :

﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير (٧٣) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن الكافرين أن بعضهم اولياء بعض بمعنى النصرة ، لأنه ينصر بعضهم بعضاً . وقوله : « الا تفعلوه » الهاء عائدة الى معنى ما أمروا به في الآية الاولى والثانية . ومخرجه مخرج الخبر والمراد به الأمر وتقديره الا تفعلوا ما امرتم به من التناصر والتعاون ، والبراءة من الكفار « تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » على المؤمنين الذين لم يهاجروا . فالفتنة ها هنا المحنة بالميل الى الضلال ، لأنه إذا لم يتوال المؤمن المؤمن على ظاهر حاله من الايمان والفضل ولم يدعه الى التبري من الضلال ادى ذلك الى الضلال والفساد ضد الصلاح وهو الانقلاب الى الضرر القبيح . والصلاح جريان الشيء على استقامة . والولي هو المختص بالعقد على النصرة في وقت الحاجة ، وقد يعقد بالعزم ، وقد يعقد بالحكم .

وقيل في معنى قوله : «والذين كفروا بعضهم أولياء بعض» قولان :

احدهما - في الميراث ، في قول ابن عباس ، وابى مالك .

والثاني - قال قتادة وابن اسحق في النصرة .

قوله تعالى :

﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين

آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ (٧٤) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وهاجروا من ديارهم وأوطانهم يعني من مكة الى المدينة ، وجاهدوا مع ذلك في سبيل الله وقتال اعدائه . والذين آووا من الأنصار ومعناه ضموهم اليهم ونصروا النبي (ص) بأنهم المؤمنون حقاً .

وقيل في معناه قولان :

احدهما - انهم المؤمنون الذين حققوا ايمانهم لما يقتضيه من الهجرة والنصرة بخلاف من اقام بدار الشرك .

الثاني - قال ابو علي الجبائي : معناه انهم المؤمنون حقاً ، لان الله حقق ايمانهم بالبشارة التي بشرهم بها ، ولو لم يهاجروا ولم ينصروا لم يكن مثل هذا .

واختلفوا في هل يصح الهجرة في هذا الزمان او لا ؟

فقال قوم : لا تصح لان النبي (ص) قال : لا هجرة بعد الفتح ولأن الهجرة انتقال من دار الكفر الى دار الاسلام على هجر الأوطان ، وليس يقع مثل هذا في هذا الزمان لاتساع بلاد الاسلام إلا ان يكون نادراً لا يعتد به .

وقال الحسن : بقيت هجرة الاعراب الى الامصار الى يوم القيامة .

والأقوى ان يكون حكم الهجرة باقياً ، لأن من اسلم في دار الحرب ثم هاجر الى دار الاسلام كان مهاجراً .

وسمي الجهاد في سبيل الله لأنه طريق الى ثواب الله في دار كرامته .

وقوله : « لهم مغفرة ورزق كريم » اخبار منه تعالى ان لهؤلاء المغفرة لذنوبهم والرزق الكريم يعني العظيم الواسع والكريم الذي يصح منه الكرم من غير مانع .

والكرم الجود العظيم والشرف قال الشاعر :

تلك المكارم لا قعبان من لبن　　شيباً بماء فعادا بعد ابوالا (١)

وقيل الرزق الكريم هنا طعام الجنة لانه لا يستحيل الى اجوافهم نجواً بل يصير كالمسك ريحاً .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٥) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى بأن الذين هاجروا بعد هجرة من هاجر وقيل اراد بعد الفتح وجاهدوا مع المؤمنين بأن قال : فأولئك منكم ، ومعناه حكمهم حكمكم في وجوب موالاتهم ومواريثهم ونصرتهم .

وقوله : « اولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » قيل في معنى « كتاب الله » قولان :

احدهما – في كتاب الله من اللوح المحفوظ ، كما قال : « ما اصاب من مصيبة في الارض ، ولا في انفسكم إلا في كتاب من قبل ان نبراها » (٢) .

والثاني – قال الزجاج : يعني في حكم الله .

ومعنى « اولوا » ذووا واحده ذو ، ولا واحد له من لفظه .

وفي الآية دلالة على ان من كان قرباه اقرب الى الميت كان اولى بالميراث سواء كان عصبة او لم يكن او له تسمية او لم يكن ، لان مع كونه اقرب تبطل التسمية

(١) مجمع البيان ٢ : ٥٦٢ .

(٢) سورة الحديد آية ٢٢ .

ومن وافقنا في توريث ذوي الأرحام يستثني العصبة ، وذوي السهام .

وهذه الآية نسخت حكم التوارث بالنصرة والهجرة فانهم كانوا لا يورثون الاعراب من المهاجرين على ما ذكر في الايات الاول . ومن قال الولاية في الآيات الأولة ولاية النصرة دون الميراث يقول : ليست هذه ناسخة لها بل هما محكمتان .

ودخلت الفاء في قوله : « فاولئك » كما تقول الذي يأتيني فله درهم ، لأن فيه معنى المجازات .

وقال مجاهد في هذه الآيات الثلاث ذكر ما ولاية رسول الله بين المهاجرين والأنصار في الميراث ، ثم نسخ ذلك بآخرها من قوله : « واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » وقال عبد الله بن الزبير نزلت في العصبات كان الرجل يعاقد الرجل يقول : ترثني وارثك فنزلت « واولوا الارحام » الى آخرها .

وقال الحسن : والذين آمنوا من بعد يعني بعد فتح مكة . وقوله : « منكم » معناه مؤمنون مثلكم ، ولا هجرة بعد فتح مكة ، وقال : الهجرة الى الأمصار قائمة الى يوم القيامة .

وكان الحسن يمنع ان يتزوج المهاجر الى اعرابية . وروي عن عمر أنه قال : لا تنكحوا أهل مكة ، فانهم اعراب .

واكثر هذه السورة في قصة بدر . وكانت في صبيحة السابع عشر من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة من شهد هذه الواقعة فله الفضل .

سورة براءة

مدنية وهي مئة وعشرون آية في الكوفي
وثلاثون في البصرى والمدنيين

قال مجاهد وقتادة وعثمان : هي مدينة وهي آخر ما نزلت على النبي (ص) بالمدينة وروي عن حذيفة انه قال : كيف يسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب ؟

وروي عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة قال : تلك الفاضحة ما زالت تنزل وفيهم ومنهم حتى خشينا الا تدع احداً . قال : وسورة الأنفال نزلت في بدر ، وسورة الحشر في بني النضير .

قوله تعالى :

﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسولهِ الى الَّذينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشركينَ (١) آية .

قيل في علة ترك افتتاح هذه السورة بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) قولان :

احدهما - ما روي عن ابي بن كعب أنه ضمت هذه السورة الى الأنفال

بالمقاربة ، فكانت كسورة واحـــدة لأن الاولى في ذكر العهود والاخرى في رفع العهود .

وقال عثمان لاشتباه قصتها ، لأن الاولى في ذكر العهود والاخرى في رفع العهود.

وقال المبرد : لأن (بسم الله الرحمن الرحيم) أمان وبراءة نزلت برفع الامان .

الاعراب واللغه :

ويحتمل رفع براءة وجهين :

احدهما - ان يكون خبرا لمبتدأ المحذوف وتقديره هذه الايات براءة .

والثاني - ان يكون مبتدءاً وخبره الظرف في قوله «الى الذين» .والأول أجود لانه يدل على حصول المدرك كما تقول لما تراه حاضرا : حسن والله أي هذا حسن.

ومعنى البراءة انقطاع العصمة برئ براءة وابرأه ابراءاً وتبرأ تبرؤاً وبرأت من المرض وبرئت ابرأ وأبرؤ وبر تبرئاً . وروى أهل اللغة برأت أبرؤ برءاً،ولم يجئ من المهموز (فعلت افعل) إلا في هذا الحرف الواحـد وبريت القلم ابريه بريا بغير همز وبراه السير إذا هزله.وبرئ له يبرى إذا تعرض له وباراه إذا عارضه وابرأت البعير إذا جعلت لانفه براه بالالف .

المعنى واللغة :

ومعنى الآية برىء الله من المشركين ، ورسوله « إلا الذين عاهـدتم من المشركين » من اعطائهم الامان ، والعهود والوفاء لهم بها إلا إذا نكثوا،لانهم كانوا ينكثون ما كان بينهم وبين النبي (ص) ، فأمر الله تعالى النبي (ص) ان ينبذ أيضاً اليهم عهدهم .

وقوله : « إلا الذين عاهدتم من المشركين » فالعهد العقد الذي يتقدم به لتوثيق

الامر عهد عهداً وعاهد معاهدة وتعاهد الامر تعاهداً وتعهده تعهداً. وقوله: «عاهدتم» انما جاء بلفظ الخطاب ، لأن فيه دلالة على الأمر بالنبذ الى المشركين برفع الامان ولولا ذلك لجاز عاقدنا ، لأن معاقدة النبي (ص) انما هي عن الله عز وجل . ويجوز رفع الامان والبراءة من غير نقض العهد إذا كان مشروطاً الى أن يرفعه الله اليهم .

قوله تعالى :

﴿ فَسيحوا في الأرْضِ أربَعَةَ أشْهُرٍ واعلَموا أنَّكُمْ غيرُ مُعْجِزي اللهِ وَأنَّ اللهَ مُخزي الكافِرينَ ﴾ (٢) آية بلا خلاف .

اللغة والمعنى :

السيح السير في الأرض على مهل تقول : ساح يسيح سيحاً وسياحة وسيوحاً وسيحاناً وإنساح الماء إنسياحاً وسيحه تسيحاً .

أمر الله تعالى في هذه الآية ان يقال لهؤلاء المشركين ان يسيحوا في الأرض اربعة اشهر آمنين وإنما احلهم هذه الاشهر لانها الاشهر الحرم الى آخر المحرم من اول شوال ، في قول ابن عباس والزهري .

وقال الفراء : كانت المدة الى آخر المحرم لأنه كان فيهم من كان مدته خمسين ليلة ، وهو من لم يكن له عهد من النبي (ص) فجعل الله ذلك له . قال : ومعنى الاشهر الحرم المحرم وحده وإنما جمعه لانه متصل بذي الحجة وذي القعدة فكأنه قال : فاذا انقضت الثلاثة اشهر .

وقال ابو عبد الله (ع) اول الاربعة الاشهر يوم النحر وآخرها العاشر من شهر ربيع الآخر وهو قول محمد بن كعب القرظي ومجاهد وقال الحسن : إنما جعل لهم هذه المدة ، لان منهم من كان عهده اكثر من اربعة اشهر فحط اليها . ومنهم من

كان اقل فرفع اليها . وقال ابو علي الجبائي كان يوم النحر لعشرين من ذي القعدة الى عشرين من ربيع الاول ، لان الحج كان تلك السنة في ذلك الوقت ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة وفيها حجة الوداع ، وكان سبب ذلك النسيء الذي كان في الجاهلية .

وقرأ براءة على الناس يوم النحر بمكة علي بن ابي طالب (ع) لان ابا بكر كان على الموسم في تلك السنة فاتبعه النبي (ص) بعلي (ع) ، وقال : لا يبلغ عني الا رجل مني في قول الحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، والجبائي .

وروى اصحابنا ان النبي (ص) كان ولاه ايضاً الموسم ، وانه حين أخذ البراءة من ابي بكر رجع ابو بكر فقال : يا رسول الله انزل في قران ، فقال : لا ، ولكن لا يؤدي إلا انا او رجل مني .

وروى الشعبي عن محرز بن ابي هريرة قال قال ابو هريرة : كنت أنادي مع علي (ع) حين اذن المشركين فكان إذا اضمحل صوته مما ينادي دعوت مكانه ، قال فقلت يا ابه اي شيء كنتم تقولون ؟ قال : كنا نقول لا يحج بعد عامنا هذا مشرك قال : وما حج بعد عامنا مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة الا مؤمن ومن كانت بينه وبين رسول الله (ص) مدة فان اجله الى اربعة اشهر فاذا انقضت اربعة اشهر فان الله بريء من المشركين ورسوله .

وفتحت مكة سنة ثمان ونزلت براءة سنة تسع وحج رسول الله (ص) حجة الوداع سنة عشر .

وقوله « واعلموا انكم غير معجزي الله » معناه انكم غير فائتين كما يفوت مايعجز عنه ، لانكم حيث ما كنتم في سلطان الله وملكه والاعجاز ايجاد العجز والعجز ضد القدرة عند من اثبته معنى .

وقوله : « وان الله مخزي الكافرين » فالاخزاء الاذلال بما فيه الفضيحة والعار . والخزي النكال الفاضح .

قوله تعالى :

﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣) آية اجماعا .

الاذان الاعلام في قول ابن زيد والزجاج ، والجبائي ، تقول : اذنني فلان كذا فأذنت اي اعلمني فعلمت . وقال بعضهم : معناه النداء الذي يسمع بالاذن .

وقال الفراء والزجاج انما ارتفع ، لأنه عطف على قوله براءة . وقيل : معناه عليكم اذان ، لان فيه معنى الامر .

والحج المقصد الى اعمال المناسك على ما امر الله به وقد بينا شرائط الحج واركانه وفرائضه في كتب الفقه ، ولا نطول بذكره هاهنا .

والحج الاكبر قال عطا ، ومجاهد ، وعامر وبشر بن عبادة : هو ما فيه الوقوف بعرفة والاصغر العمرة ، وقال مجاهد : الحج الاكبر هو القران ، والحج الاصغر هو الافراد .

وقيل في معنى « يوم الحج الاكبر » ثلاثة اقوال :

احدها ما روي عن النبي (ص) انه قال : عرفة ، وهو المروى عن عمر وابن عباس بخلاف فيه وبه قال عطا ومجاهد وابن الزبير وابو حنيفة .

والثاني - في رواية اخرى عن النبي (ص) وعلي (ع) وابن عباس وسعيد ابن جبير ، وعبد الله بن ابي اوفى ، وابراهيم ومجاهد انه يوم النحر وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) .

وسمي بالحج الاكبر لانه حج فيه المشركون والمسلمون ولم يحج بعدها مشرك.

الثالث - قال مجاهد وشعبة: هو جميع ايام الحج .

اعلم الله تعالى في هذه الآية المشركين انه ورسوله بريء من المشركين وانه ان تبتم ورجعتم الى الايمان وطاعة الرسول « فهو خير لكم » وان اعرضتم وتوليتم فاعلموا انكم لا تفوتون الله وان الله يبشر الكافرين بعذاب اليم اي شديد مؤلم .

قال الحسن الحج الاكبر ثلاثة أيام الحج اجتمعت في تلك الايام الثلاثة اعياد المسلمين وأعياد اليهود وأعياد النصارى ، فقال رسول الله (ص) لم يكن فيما خلا ولا يكون الى يوم القيامة .

قوله تعالى :

﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٤) آية في الكوفي والمدنيين وآيتان في البصري .

استثنى الله تعالى من براءته عز وجل ، وبراءة رسوله (ص) من المشركين من كان لهم العهد ، في قول الزجاج . وقال الفراء : هذا استثناء في موضع نصب ، وهم قوم من بني كنانة كان قد بقي من أجلهم تسعة اشهر ، فقال الله تعالى : « فأتموا

اليهم عهدهم الى مدتهم » لا تحطوهم الى الاربعة أشهر ، فقال مجاهد عنى بذلك جماعة من خزاعة ومدلج . وقال ابن عباس توجه ذلك الى كل من كان بينه وبين رسول الله عهد قبل براءة . وينبغي ان يكون ابن عباس اراد بذلك من كان بينه وبينه عقد هدنة او الى قوم من المشركين لم يتعرضوا له (ع) بعداوة ولا ظاهروا عليه عدوه ، لان النبي (ص) صالح اهل هجر وأهل البحرين وايلى ودومة الجندل ، وأدرج وأهل معنا ، وهم ناس من اليهود في توجهه الى تبوك او في مرجعه منها وله عهودا لصلح والحرب غير هذه ، ولم ينبذ اليهم بنقض عهد ، ولا حاربهم بعد ان صاروا اهل ذمة الى ان مضى لسبيله ووفي لهم بذلك من بعده فمن حمل ذلك على جميع العهود ، فقد اخطأ .

وقال الحسن هذا استثناء من قوله تعالى : « اقتلوا المشركين » ، « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » ثم نقلت الى هاهنا وباقي الناس على خلافه .

وقوله : « ثم لم ينقصوكم شيئاً » والنقصان حط المدة عن عدة الزيادة والحاق المدة بمدة . والمعنى ثم لم ينقصوكم من شروطكم العهد شيئا ، ولم يظاهروا عليكم احداً كالمظاهرة المعاونة على العدو للظهور عليه فهؤلاء ان لم يعاونوا عليكم احداً من اعدائكم ولا نقصوكم شيئاً من حقكم في عهدهم فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ، وهو امن من الله تعالى الى ان يبلغوا المدة التي وافقوهم عليها .

قال قتادة : وهم مشركوا قريش كانوا عاهدوه في الحديبية وبقي من مدتهم اربعة اشهر بعد يوم النحر .

والاتمام بلوغ الحد في المدة من غير زيادة ولا نقصان فهنا معناه امضاء الامر على ما تقدم به العهد الى انقضاء اجل العقد . والمدة زمان طويل الفسحة واشتقاقه من مددت له في الاجل للمهلة . والمعنى الى انقضاء مدتهم .

وقرأ عطاء « ثم لم ينقضوكم » بالضاد المعجمة وهي شاذة وان بفتح الهمزة ، لان تقديره بأن الله بريء من المشركين ، ولا يجوز ان يكون المراد نبذ العهد الى مكة ، لان مكة فتحت سنة ثمان وصارت دار الاسلام ونبذ العهد كان في سنة تسع فعلم بذلك ان المراد غيرهم .

قوله تعالى :

﴿ فاذا انْسَلَخَ الاشْهُرُ الْحُرُمُ فاقْتُلوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فانْ تابوا وأقاموا الصلاةَ وآتَوا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سبيلَهُمْ إنَّ اللهَ غفورٌ رَحيمٌ ﴾ (٥) آية بلا خلاف .

الانسلاخ اخراج الشيء مما لابسه وكذلك سلخ الشاة إذا نزع الجلد عنها وسلخنا شهر كذا نسلخه سلخا وسلوخا . وقيل في الاشهر الحرم قولان :

احدهما - رجب وذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم ، ثلاثة سرد وواحد فرد .

الثاني - الاشهر الأربعة التي جعل لهم ان يسيحوا فيها آمنين ، وهي عشرون من ذي الحجة ، والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الآخر في قول الحسن والسدي ، وغيرهما .

امر الله تعالى نبيه (ص) والمؤمنين انه إذا انقضت مدة هؤلاء المعاهدين ، وهي الاربعة اشهر ان يقتلوا المشركين حيث وجدوهم . قال الفراء : سواء كان في الاشهر الحرم او غيرها او سواء في الحل او في الحرم . وان يأخذوهم ، ويحصروهم .

اللغة :

والحصر المنع من الخروج عن محيط واحصر الرجل احصاراً وحاصره العدو محاصرة وحصاراً ، وحصر في كلامه حصراً وانحصر الشيء انحصاراً . والحصر والحبس والأسر نظائر .

وقوله : «واقعدوا لهم كل مرصد» يعني كل موضع يرقب فيه العدو . والمرصد الطريق ومثله المرقب والمرقباه يقال رصده يرصده رصداً ونصب كل مرصد على تقدير على كل مرصد على قول الاخفش كما قال الشاعر :

نغالي اللحم لاضياف نيا ونرخصه اذا نضج القدور (١)

أي نغالي باللحم وقال الزجاج هو ظرف كقولك ذهبت مذهباً ، وقال الشاعر :

إن المنية للفتى بالمرصد (٢)

فجعله بمنزلة المحدود والمرصد مبهم والطريق محدود فهذا فرق ما بينهما .

المعنى :

واستدل بهذه الآية على أن تارك الصلاة متعمداً يجب قتله ، لأن الله تعالى أوجب الامتناع من قتل المشركين بشرطين : احدهما ان يتوبوا من الشرك ، والثاني أن يقيموا الصلاة ، فاذا لم يقيموا الصلاة وجب قتلهم .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ

(١) مر تخريج هذا البيت فى ١ : ٤٧٠ تعليقة ٣ .

(٢) تفسير القرطبي ٨ : ٧٣ ومجاز القرآن ١ : ٢٥٣ وصدره :

ولقد علمت وما اخالك ناسيا .

كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمونَ (٦) آية بلا خلاف .

الاعراب :

قوله : « احد » ليست التي تقع في النفي في مثل قولك : (ما جائني احد) لأن الايجاب لا يصح فيه اعم العام الذي هو هو على الجملة . والتفصيل كقولك : ليسوا مجتمعين، ولا متفرقين ، ولا يصح مثل ذلك في الايجاب ، ويصح في الاستفهام لأن فيه معنى النفي ، ولولا ذلك لم يصح جوابه بـ (لا) والتقدير وان استجارك احد من المشركين استجارك فاضمر الفعل ، ولم يجز في الجواب ان يقول ان يقوم احد زيد يذهب ، لقوة (ان) انها للفعل خاصة ومثله انشد الاخفش :

لا تجزعي ان منفساً اهلكته ... واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي (١)

فاخبر . ثم جزم على جواب الجزاء لانها شرط وليس كذلك الجواب ، لانه قد يكون بالفاء ولا يجوز اضمار الفعل في شيء من حروف المجازاة الا في (أن) لانها ام الباب وهي الاصل الذي يلزمه ، قال الشاعر :

فان انت تفعل فللفا عليه ... ن انت المجيرين تلك الغمارا (٢)

وأما قول الشاعر :

فتى واغل بينهم يحبوه ... ويعطف عليه كاس الساقي (٣)

فانما هو ضرورة ، لا يجوز مثله في الكلام . قال الفراء : « استجارك » في

---

(١) القرطبي ٨ : ٧٧ . نسبة للنمير بن تولب.

(٢) معاني القرآن ١ : ٤٢٢ . نسبة للكميت.

(٣) مجمع البيان ٣ : ٧ .

موضع جزم ، وان فرق بين الجازم والمجزوم بـ (احد) وذلك جائز في (ان) خاصة وقد يفرق بينهما وبين المجزوم بالمنصوب والمرفوع ، فالمنصوب مثل قولك : ان اخاك ضربت ظلمت ، والمرفوع مثل قوله تعالى : « ان امرؤ هلك ليس له ولد » (١) .

المعنى واللغة :

امر الله تعالى نبيه (ص) انه متى استجاره احد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم أي طلب منه الجار في رفع الاذى عن صاحبه .

وقيل المعنى ان استأمنك أحد فأمنه « حتى يسمع كلام الله » .

والمشرك يصح ان يسمع كلام الله على الحقيقة ، لان حكاية كلام الله يطلق عليه الاسم بأنه كلام الله لظهور الأمر فيه ، ولا يحتاج ان يقدر اصل له ، كما يقال كلام سيبويه وغيره . ومن ظن ان الحكاية تفارق المحكي لاجل هذا الظاهر ، فقد غلط ، لان المراد ما ذكرناه فيما يقال في العرف انه كلام الله .

وقوله : « ثم ابلغه مأمنه » فالابلاغ التصيير الى منتهى الحد . والابلاغ والاداء نظائر .

وفي الآية دلالة على بطلان قول من قال : المعارف ضرورية لانها لو كانت كذلك لما كان لطلب ما هو عالم به معنى .

ومعنى قوله : « لا يعلمون » اخبار عن جهلهم في افعالهم ، لا انهم لا يعقلون وانما اراد لا ينتفعون بعلمه . ولا يعرفون ما لهم وعليهم من الثواب والعقاب .

قوله تعالى :

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ

(١) سورة النساء آية (٧٥) .

إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين (٧) آية بلا خلاف .

الاعراب والمعنى :

قال الفراء هذا على التعجب كما تقول : كيف تستبقي مثلك اي لا ينبغي ان يستبقى ، وفي قراءة عبد الله : كيف يكون عهد عند الله ، ولا ذمة ، فادخل الكلام (لا) مع الواو ، ولان معنى الاول جحد . وقال غيره : في الكلام حذف ، لان الكلام خرج مخرج الانكار عليهم . وتقديره كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله مع اضمار الغدر في عهدهم ، فجاء الانكار ان يكون لهم عهد مع ما ينبذ من العهد على ذلك ، وذلك يقتضي اضمار الغدر فيما وقع من العهد . ثم استثنى من ذلك « الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » فكان ذلك ايجاباً فيهم لان ما قبله في معنى النفي والتقدير ليس للمشركين عهد الا الذين . وموضع (الذين) يحتمل الجر والنصب وحكي الكسائي اين كنت لتنجو مني اي ما كنت .

اللغه والمعنى :

و (المسجد) الموضع المهيأ لصلاة الجماعة ، والمراد هاهنا مسجد مكة خاصة وأصله موضع السجود كالمجلس موضع الجلوس و (الحرام) المحظور بعض احواله فالخمر حرام لحظر شربها ، وسائر انواع التصرف فيها . والام حرام بحظر نكاحها . والمسجد الحرام لحظر صيده وسفك الدم فيه وابتذاله ما يبتذل به غيره . وقوله : « فما استقاموا لكم » معناه ما استمروا لكم على العهد والاستقامة الاستمرار على جهة الصواب . ومتى كان الاستمرار على وجه الخطأ لا يسمى استقامة . ومعنى « فاستقيموا لهم » استمروا لهم على العهد مثلهم .

والمراد بالذين عوهدوا عند المسجد الحرام ، قيل فيهم ثلاثة اقوال : قال مجاهد هم خزاعة ، وقال ابن اسحاق : هم قوم من بني كنانه . وقال ابن عباس : هم قريش .

وقوله : « ان الله يحب المتقين » اخبار منه تعالى انه يحب من يتقى معاصيه ويعمل بطاعاته وانه يريد ثوابه ومنافعه .

وفي الآية دليل على ان تمكين الحربي من المقام في دار الاسلام بعد قضاء حاجته ليس بجائز .

قوله تعالى :

﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) آية بلا خلاف .

وتقديرها كيف لهم عهد وكيف لا تقتلونهم وحذف ، لان قوله في الآية الاولى « كيف يكون للمشركين عهد » دل على ذلك ومثله قول الشاعر :

وخبرتماني انا الموت في القرى وكيف وهاتا هضبة وقليب (١)

ويروى وهذى اي كيف مات وليس في قرية . وقال الحطيئة في حذف الفعل بعد كيف :

فكيف ولم اعلمهم خذلوكم على معظم ولا اديمكم قدوا (٢)

---

(١) قائله كعب بن سعيد الغنوى . الاصمعيات : ٩٩ ، وتفسير الطبرى ١٤ : ١٤٥ ، وطبقات فحول الشعراء : ١٧٦ ، وامالى القالى ٢ : ١٥١ ومعانى القرآن للفراء ١ : ٤٢٤ فى المطبوعة (وخبرتم انى) بدل (وخبرتمانى) .

(٢) معانى القرآن ١ : ٤٢٤ .

اي كيف تلومونني على مدح قوم تذمونهم . والمعنى كيف لهم يعني لهؤلاء المشركين عهدوهم ان يظهروا عليكم بمعنى علوا عليكم بالغلبة ، لان الظهور هو العلو بالغلبة . واصله خروج الشيء الى حيث يصح ان يدرك « لا يرقبوا فيكم » معناه لا يراعوا فيكم . والرقوب هو العمل فى الامر على ماتقدم به العمل والمراقبة والمراعاة نظائر في اللغة .

وقوله : « الا ولا ذمة » قيل في معنى الأول ستة اقوال :

اولها - قال مجاهد وابن زيد: ان معناه العمد .

والثاني — في رواية اخرى عن مجاهد انه اسم الله . ومنه قول ابي بكر لما سمع كلام مسيلمة لم يخرج هذا من ال فاين يذهب بكم .

الثالث - قال ابن عباس هو القرابة .

الرابع - قال الحسن هو الجوار .

الخامس - قال قتادة هو الحلف .

السادس - قال ابو عبيدة هو التميز . والاصل في جميع ذلك العهد وهو مأخوذ من الاليل وهو البريق ، يقال : ال يؤل اذا لمع والالة الحربة لمعانها واذن مؤللة مشبهة بالحربة في تحديدها .

وقال الزجاج : اصله التحديد قال الشاعر :

وجدناهم كاذباً الهم　　وذو الال والعهد لا يكذب (١)

اي ذو العهد ، وقال ابن مقبل :

افسد الناس خلوف خلفوا　　قطعوا الال واعراق الرحم (٢)

يعني القرابة ، وقال حسان :

---

(١) تفسير الطبرى ١٤ : ١٤٩ . (الال) - بتشديد اللام - قيل انه مرادف للعهد .

(٢) تفسير الطبرى ١٤ : ١٤٨ .

لعمرك ان ألك في قريش كأل السقب من رال النعام (١)

وقوله : « يرضونكم بافواههم » معناه يقولون قولا يرضيكم بذلك في الظاهر وتأبى قلوبهم ان يذعنوا لكم بتصديق ما يبدونه لكم . ثم اخبر تعالى عن حالهم بأن اكثرهم فاسقون . وقال ابن الاخشاد اراد بذلك انهم متمردون في شركهم لأن الفاسق هو الخارج من الشيء من قولهم فسقت الرطبة . وانما كان اكثرهم بهذه الصفة ولم يكن جميعهم وان كانوا كلهم فاسقين [لان المراد به رؤساءهم] .

قوله تعالى :

﴿ إِشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩) آية .

قيل في من نزلت هذه الآية بسببه قولان :

قال مجاهد : نزلت في أبي سفيان لما جمعهم على طعامه فاطعم حلفاءه وترك حلفاء النبي (ص) .

وقال ابو علي الجبائي : نزلت في قوم من اليهود دخلوا في العهد فيما دلت عليه هذه الصفة .

ومعنى « اشتروا بآيات الله » استبدلوا بحجج الله وبيناته العظيمة الشأن « ثمناً قليلا » أي عوضاً قليلا . وأصل الاشتراء استبدال ما كان من المتاع بالثمن ، ونقيضه البيع ، وهو العقد على تسليم المتاع بالثمن . والثمن ما كان من العين والورق في الأصل ثم قيل لما اخذوه بدل آيات الله ثمن ، لأنه بمنزلته في انه يستبدل به .

وقوله : « فصدوا عن سبيله » اي صدوا عن الاسلام .

---

(١) ديوانه : ٤٠٧ واللسان (ألل) . وتفسير الطبرى ١٤ : ١٤٩ .

ومعنى هذه الفاء كمعنى جواب الجزاء ، لان اشتراءهم هذا اداهم الى الصد عن سبيل الله . والصد هو المنع . ثم اخبر تعالى عنهم بئس ما كانوا يعملونه من هـــذا الاستبدال .

قوله تعالى :

﴿ لا يَرْقُبونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدونَ

(١٠) آية بلا خلاف .

قد بينا ان المراقبة هي المراعاة لما تقدم من العهد الذي يلزم الديانة لئلا يقع اخلال بشيء منه . والال العهد . والذمة عقد الجوار ، وهما متقاربان . وفصل بينهما بأن الذمة عقد قوم يذم نقضه . والال الذي هو العهد عقد يدعو الى الوفاء . والبيان الذي فيه ، لأنه يلوح المعنى الذي يدعو الى الوفاء إذا ضل كل واحد منهما يقتضي هذا . وانما اعيد ذكر « لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة » لانه في صفة « الذين إشتروا بآيات الله ثمنا » والأول في صفة جميع الناقضين للعهد . وقال في الثاني : « فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين » ، فلذلك كرر بوصفين مختلفين وقال الجبائي : لانه في صفة اليهود خاصة ، والأول في صفة الناقضين عامته ، وإنمـا ذموا بترك المراقبة ، لان مع تركها الغالب ان يقع اخلال بما تقدم من العقد ، فلزمت المراقبة لهذه العلة . وترك المراقبة في عهد المؤمن اعظم منها في ترك عهد غيره لكثرة الزواجر عن الغدر بالمؤمن ، لأنه ليس من شأنه الغدر .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء المشركين انهم لا يراعون في المؤمن عقد العهد ، ولا ذمة الجوار ، وانهم مع ذلك معتدون . والاعتداء الخروج من الحق وأصله المجاوزة ، ومنه التعدي وهو تجاوز الحد ومعاداة القوم مجاوزة الحد في البغضة وكذلك العداوة والاستعداء طلب معاملة العدو في الايقاع به ، والعدو مجاوزة

حد السعي . والغرض بالآية حث المسلمين على قتالهم ، وان لا يبقوا عليهم كما انهم لو ظهروا على المسلمين لم يبقوا عليهم .

قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١١) آية .

شرط الله لهؤلاء المشركين بأنهم إن تابوا ورجعوا عما هم عليه من الشرك الى طاعة الله ، والاعتراف بوحدانيته ، والاقرار بالنبي (ص) ، وأقاموا الصلاة المفروضة على ما شرعها الله وأعطوا الزكاة الواجبة عليهم ، فانهم يكونون اخوان المؤمنين في الدين ، والايمان . وتقديره فهم اخوانكم .

والتوبة هي الندم على القبيح لقبحه مع العزم على ترك العود الى مثله في القبح ، وفي الناس من قال الى مثله في صفته ، فمن قال ذلك قال توبة المحبوب من الزنا هي الندم على الزنا مع العزم على ترك المعاودة الى مثله على ما يصح ويجوز من الامكان ، وهو انه لو رد الله عز وجل عضوه ما زنى ، فاما من نسي الذنب فان توبته صحيحة لا يؤاخذ بالذنب ، لانه مكلف قد أدى جميع ما عليه في الحال ، فقد تخلص بذلك من العقاب .

فان قيل لم شرط مع التوبة من الشرك وحصول الايمان ايتاء الزكاة ؟ مع انه ليس كل مسلم عليه الزكاة .

قلنا : انما يجب عليه بشرط الامكان فاذا اقر بحكم الزكاة مع التعذر عليه دخل في حكم الصفة التي يجب بها .

وقوله : « ونفصل الآيات » معناه نبينها ونميزها بخاصة لكل واحد منها بما يتميز به من غيرها حتى يظهر مدلولها على اتم ما يكون من الظهور فيها « لقوم

يعلمون » ذلك ويثبتونه دون الجهال الذين لا يعقلون عن الله .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾(١٢) آية بلا خلاف.

القراءة :

قرأ أهل الكوفة وابن عامر «أئمة» بهمزتين ، إلا هشاماً عن ابن عامر ، فانه فصل بين الهمزتين بالف . الباقون بهمزة واحدة وياء بعدها . وفصل بينهما بالف ابو جعفر ، والمري عن المسبي والسوسنجرذي عن يزيد بن اسماعيل . وقرأ ابن عامر والحسن « لا ايمان لهم » بكسر الالف . الباقون بفتحها .

الحجة واللغة والاعراب :

الكسر يحتمل وجهين : احدهما - انهم ارتدوا ، ولا اسلام لهم ذكره الزجاج قال : ويجوز « لا ايمان لهم » على المصدر ، وتقديره لا تؤمنوهم بعد نكثهم العهد . والآخر - لانهم كفروا « لا ايمان لهم » ويحتمل ان يكون المراد انهم آمنوا ايماناً لا يفون به فلا ايمان لهم .

ومن فتح الهمزة فلقوله : « وان نكثوا ايمانهم » ولقوله : « عهدهم » واثبت لهم الايمان .

فان قيل كيف نفى ، فقال : « انهم لا ايمان لهم » وقد اثبتها في الاول من الآية بقوله : « وان نكثوا ايمانهم » ؟!

قلنا : اليمين التي اثبتها هي ما حلفوا بها وعقدوا عليها ، ولم يفوا، وانما المراد به انهم لا ايمان لهم يفون بها ، ويتمسكون بموجبها .

وقال ابو علي النحوي (أئمة) على وزن افعلة جمع امام نحو مثال وأمثلة فصار أئمة واجتمع همزتان ألف أفعلة ، والهمزة التي هي فاء الفعل.والتي هي فاء الفعل ساكنة فنقل اليها حركة التي بعدها ليمكن النطق بها . فمن خففها اتى بالهمزتين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة . ومن كره ذلك قلب الثانية ياء ولم يجعلها بين بين ، لأن همزة بين بين في تقدير التحقيق وذلك مكروه عندهم .

قال الرماني : انما جاز اجتماع الهمزتين في كلمة لئلا يجتمع على الكلمة تغيير الادغام والانقلاب مع خفة التحقيق ، لأجل ما بعده من السكون ، وهو مذهب ابن ابي اسحاق من البصريين . والباقون لا يجيزونه ، ذكره الزجاج ، قال : لانه يلزم عليه ان يقرأ أأدم بهمزتين وذلك باطل بالاتفاق . وعلى هذا القول هذا أأم بهمزتين ، قال : وانما قلبت الهمزة في أئمة على حركتها دون حركة ما قبلها ، لان الحركة إنما نقلها الى الهمزة لبيان زنة الكلمة ، فلو ذهبت تقلبها على ما قبلها لكان مناقضا للغرض فيها.واذا بنيت من الامامة هذا افعل من هذا قلت هذا أوم من هذا -في قول المازني- لأن اصله كان أأم فلم يمكنه ان يبدل منها الفا لاجتماع الساكنين ، فجعلها واوا ، كما قالوا في جمع آدم أوادم .

قال الزجاج : وهو القياس وهذا أيم من هذا في قول الأخفش ، قال : لانها صارت الياء في ايمة بدلا لازماً .

اللغة والمعنى :

قوله : « وان نكثوا ايمانهم » فالنكث نقض العهد الذي جعل لتوثيق الامر وذلك بالخلاف لما تقدم من العزم . و (الايمان) جمع يمين ، وهو القسم والقسم هو قول عقد بالمعنى لتاكيده ، وتغليظ الأمر فيه نحو والله

ليكونن وتالله ما كان ، فيجوز أن يكون من أعطى صفقة يمينه ، ويجوز ان يكون من يمن التيسير في فعله . وقوله : « وطعنوا في دينكم » فالطعن هو الاعتماد بالعيب . واصله الطعن بالرمح ، ونحوه في الشيء لنقض بنيته .

وقوله : « فقاتلوا ائمة الكفر » امر من الله تعالى بقتال أئمة الكفر ، وهم رؤساء الضلال والكفار ، والامام هو المتقدم الاتباع ، فأئمة الكفر رؤساء الكفر والامام في الخير مهتد ، هاد ، وفي الشر ضال مضل ، كما قال تعالى : « وجعلناهم ائمة يدعون الى النار » (١) والمعنى بائمة الكفر رؤساء قريش ، في قول ابن عباس ومجاهـــد . وقال قتادة : هم ابو جهل بن هشام ، وامية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب ، وسهيل بن عمرو ، وهم الذين هموا باخراجه ، وكان حذيفة يقول : لم يأت أهل هذه الآية .

وروى عن ابي جعفر (ع) انها نزلت في أهل الجمل . وروي ذلك عن علي (ع) وعمار ، وغيرهما ، ويقول حذيفة قال يزيد بن وهب وقوله : « انهم لا ايمان لهم » معناه لا تؤمنوهم .

ومن كسر معناه ، لانهم كفروا لا ايمان لهم .

وقوله : « لعلهم ينتهون » معناه لكي ينتهوا .

وفي الآية دلالة على أن الذمي إذا اظهر الطعن في الاسلام فانه يجب قتله ، لان عهده معقود على أن لا يطعن في الاسلام ، فاذا طعن فقد نكث عهده .

قوله تعالى:

﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ

---

(١) سورة القصص آية ٤١ .

وَهُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣) آيه بلا خلاف.

اللغه :

قوله : « ألا » كلمة موضوعة للتحضيض على الفعل ، وأصلها (لا) دخلت عليها الف الاستفهام ، فصار تحضيضا كما انها إذا دخلت على (ليس) صارت تقريراً و (لا) موافقة للتحضيض بالاستقبال و(ليس) انما هي للحال ، فهي موافقة للحال بهذا المعنى . وإذا قال : « ألا تقاتلون » كان معناه التحضيض على قتالهم ، وإذا قال: (الا قاتلتم) كان ذلك تأنيباً ، لأن ما يلزم اذا ترك ذم على تركه ويحض على فعله قبل وقته . حض الله تعالى المؤمنين على قتال الكفار الذين « نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول » من مكة اي قصدوه . والهم مقاربة الفعل بالعزم من غير اتباع له، وقد ذموا بهذا الهم ففيه دليل على العزم . وقد يستعمل الهم على مقارنة العزم .

وقوله : « وهم بدؤكم اول مرة » فالبدوء فعل ما لم يتكرر والمرة الفعلة من المر. والمرة ، والكرة والدفعة نظائر .

المعنى :

ومعنى « بدؤكم اول مرة » بدؤا حلفاء النبي (ص) بالقتال من خزاعة في قول الزجاج ، وقال ابن اسحاق والجبائي : بدؤوا بنقض العهـــد . وقال الطبري : بدؤهم بخروجهم الى بدر ؛ لقتالهم .

وقوله : « اتخشونهم » معناه اتخافونهم . ثم قال : « والله احق ان تخشوه » اى تخافوه « ان كنتم مؤمنين » وفي ذلك غاية الفصاحة لانه جمع بين التهديد

والتشجيع . والمعنى أتخشون ان ينالكم من قتالهم مكروه ، فالله احق ان تخشوا عقابه في ارتكاب معاصيه ان كنتم مصدقين بعقابه وثوابه .

قوله تعالى :

﴿ قاتِلوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٥) آيتان بلا خلاف .

هذا امر من الله تعالى للمؤمنين بأن يقاتلوا هؤلاء الناقضين للعهد البادئين بقتال حلفاء النبي (ص) من خزاعة ، فانهم اذا قاتلوهم يعذب الله الكفار بأيديهم يعني بأيدي المؤمنين الذين يقاتلونهم وينصركم ايها المؤمنون ينصركم الله « عليهم ويشف » بذلك « صدور قوم مؤمنين » وفي ذلك دليل على انه اشتد غضب جماعة المؤمنين لله ، فوعدهم الله النصر ، في قول قتادة والزجاج . وفيها دلالة على نبوة النبي (ص) لأنه وعده النصر فكان الأمر على ما قال .

وقوله : « ويذهب غيظ قلوبهم » قيل المراد بهم خزاعة الذين قاتلوهم ، في قول السدي وغيره ، لأنهم كانوا حلفاء النبي (ص) .

والتعذيب ايقاع العذاب لصاحبه والعذاب ألم تستمر به ، قال عبيد بن الابرص :

والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

ومعنى «يعذبهم الله بايديكم» اي انكم اذا تناولتموهم بالسلاح من السيوف والنبل والرماح انزل الله بهم العذاب . وقال ابو علي ذلك مجاز . والمعنى انه لما كان ذلك بأمر الله اضافه الى نفسه ، وهو احسن من الاول .

وقوله : « ويخبرهم » معناه يذلهم والاخزاء الاذلال بما فيه الفضيحة على صاحبه خزى خزياً واخزاه الله إخزاء .

وقوله : « ويشف صدور قوم مؤمنين » فالشفاء ملامة النفس بما يزيل عنها الأذى فكلما وافق النفس وازال عنها الهم فهو شفاء .

وقيل : « ويشف صدور قوم مؤمنين » يعني خزاعة ، لأنهم نقضوا العهد بقتالهم في قول مجاهد والسدي .

والصدور جمع الصدر ، وهو الموضع الاجل الذي يصدر عنه الأمر ، ومنه الايراد والاصدار .

ويجوز في « ويخزهم » ثلاثة اوجه من الاعراب : الجزم باللفظ ، وعليه القراء والنصب على الصرف والرفع على الاستئناف . ولم يقرأ بهما .

وقوله : « ويذهب غيظ قلوبهم » معناه يبطل غيظهم ويعدمه . والاذهاب جعل الشيء يذهب والذهاب الانتقال عن الشيء والمجيء الانتقال الى الشيء ، والغيظ نقص الطبع بانزعاج النفس . تقول غاظه يغيظه غيظاً واغتاظ اغتياظاً وغايظه مغايظة .

وقوله : « ويتوب الله على من يشاء » معناه يقبل الله توبة من يشاء من عباده . ووجه اتصال قوله : « ويتوب الله على من يشاء » بما قبله من وجهين :

احدهما - بشارتهم بأن فيهم من يتوب ويرجع عن الكفر الى الايمان .

والآخر - انه ليس في قتالهم اقتطاع لاحد منهم عن التوبة .

ورفع « ويتوب الله على من يشاء » بخروجه عن موجب القتال فاستأنفه .

وقوله : « والله عليم حكيم » معناه عليم بتوبتهم إذا تابوا حكيم في امركم بقتالهم إذا نكثوا قبل ان يتوبوا ويرجعوا ، لان افعاله كلها صواب وحكمة .

قوله تعالى :

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٦) آية بلا خلاف .

اللغه والمعنى :

قوله : « ام حسبتم » من الاستفهام الذي يتوسط الكلام فيجعل بأم ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ الذي لم يتصل بكلام ولو كان المراد الا بتداء لكان اما بالالف او بهل كقوله : « هل اتى على الانسان » (١) والمعنى ظننتم ان تتركوا . والظن والحسبان نظائر والحسبان قوة المعنى في النفس من غير قطع ، وهو مشتق من الحساب ، لدخوله فيما يحتسب به « ان تتركوا » معنى الترك هو ضد ينافي الفعل المبتدأ في محل القدرة عليه . ويستعمل بمعنى الا يفعل ، كقوله : « وتركهم في ظلمات لا يبصرون » (٢) وقوله : « ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم » إذا قيل: لما يفعل ، فهو نفي للفعل مع تقريب لوقوعه . وإذا قيل لم يفعل ، فهو نفي بعد اطماع في وقوعه . والمعنى ، ولما يجاهدوا ويمتنعوا ان يتخذوا وليجة ويعلم الله ذلك منكم فجاء مجيء نفي العلم لنفي العلوم ، لأنه متى كان علم الله انه كائن . وكان ابلغ واوجز ، لأنه اتى على طريقة نفي صفات الله تعالى .

وقوله : « ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة » تقديره

---

(١) سورة الدهر آية ١ .

(٢) سورة البقرة آية ٧ .

ولما يعلم الله الذين آمنوا لم يتخذوا من دون الله ولا رسوله وليجة .

فالوليجة الدخيلة في القوم من غيرهم تقول : ولج يلج ولوجاً وأولج إيلاجاً وتولج تولجاً بمعنى الدخول . والوليجة والدخيلة والبطانة نظائر . وكل شيء دخل في شيء وليس منه فهو وليجة ، قال طرفة :

فان القوافي يتلجن موالجاً تضايق عنه ان تولجها الابر(٣)

وقال آخر :

متخذاً من ضعوات تولجا متخذاً فيها اياداً دولجا (٤)

يعني الكأس .

المعنى :

وقال الفراء : نهو ان يتخذوا بطانة يفشون اليهم اسرارهم . وقال الجبائي : اتخاذ الوليجة من دون الله ، ودون رسوله هو النفاق . نهوا ان يكونوا منافقين ، وهو قول الحسن فانه قال الوليجة هي الكفر ، والنفاق .

وفي الآية دلالة على انه لا يجوز ان يتخذ من الفساق وليجة ، لان في ذلك تأنيباً بالفسق يجرى مجرى الدعاء اليه مع أن الواجب معاداة الفساق ، والبراءة منهم ومع ذلك ، فهو غير مأمون على الأسرار والاطلاع عليها .

قال الزجاج : كانت براءة تسمى الحافرة ، لانها حفرت عن قلوب المنافقين ، لأنه لما فرض القتال تميز المؤمنون من المنافقين ومن يوالي المؤمنين ممن يوالي اعداءهم .

---

(٣) مجاز القرآن ١ : ٢٥٤ وملحق ديوانه من الستة . واللسان (ولج) والعيني ٤ : ٥٨١ .

(٤) الشطر الاول في اللسان (ولج) بغير الشطر الثاني نسبه الى جرير . والشطر الثاني في ديوان جرير (نشر الصاوي) ٩٢ . ومجاز القرآن ١ : ٢٥٤ .

قوله تعالى :

﴿ ما كانَ لِلْمُشْرِكينَ أنْ يَعْمُروا مَساجِدَ اللهِ شاهِدينَ عَلى أنْفُسِهِمْ بالكُفْرِ أُولئِكَ حَبِطَتْ أعمالُهُمْ وَفي النّارِ هُمْ خالِدُونَ ﴾ (١٧) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ ابن كثير وابو عمرو « مسجد الله » على التوحيد . الباقون على الجمع فمن قرأ على التوحيد ، قال الحسن اراد به المسجد الحرام وبه قال الجبائي . ويحتمل ان يكون اراد المساجد كلها ، لأن لفظ الجنس يدل على القليل والكثير . ومن قرأ على الجمع يحتمل ان يكون اراد جميع المساجد . ويحتمل ان يكون اراد المسجد الحرام . وانما جمع لأن كل موضع منه مسجد يسجد عليه . والقراءتان متناسبتان .

اللغة والاعراب :

والاصل في المسجد هو موضع السجود في العرف يعبر به عن البيت المهيأ لصلاة الجماعة فيه .

اخبر الله تعالى انه ليس لمشرك ان يعمر مسجد الله . والعمارة ان يجدد منه ما استرم من الأبنية ، ومنه قولهم : اعتمر اذا زار ، لأنه يجدد بالزيارة ما استرم من الحال .

وقوله : « شاهدين على انفسهم بالكفر » نصب على الحال ، فالشهادة خبر عن علم مشاهد بأن يشاهد المعنى او يظهر ظهور ما يشاهد كظهور المعنى في شهادة أن لا إله إلا الله .

المعنى :

والمعنى في ذلك أحد شيئين :

احدهما - ان فيما يخبرون به دليلا على كفرهم ، لا انهم يقولون نحن كفار ، ولكن كما يقال للرجل ان كلامك ليشهد انك ظالم - هذا قول الحسن .

والثاني - قال السدي : ان النصراني إذا سئل ما أنت ؟ قال نصراني واليهودي يقول انا يهودي وعابد الوثن يقول مشرك فذلك شهادتهم على انفسهم بالكفر . وقال الكلبي : معناه شاهدين على النبي بالكفر ، وهو من انفسهم .

وقوله : « اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون » اخبار منه تعالى أن اعمال هؤلاء الذين شهدوا على انفسهم بالكفر باطلة بمنزلة ما لم يعمل ، لأنهم أوقعوها على وجه لا يستحق بها الثواب ، وانهم مع ذلك مخلدون في نار جهنم معذبون بأنواع العذاب .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الاخِرِ وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسى أُولئِكَ انْ يَكونُوا مِنَ المُهْتَدِينَ ﴾ (١٨) آية .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه ينبغي الا « يعمر مساجد الله » إلا « من آمن بالله » واقر بوحدانيته واعترف باليوم الآخر يعني يوم القيامة ثم اقام بعد ذلك « الصلاة » بحدودها . وأعطى « الزكاة » الواجبة - ان وجبت عليه - مستحقيها ولم يخف سوى الله احداً من المخلوقين ، فاذا فعلوا ذلك فانهم « يكونون من المهتدين » الى الجنة ونيل ثوابها ، لأن عسى من الله واجبة ليست على طريق الشك ، وهو قول

ابن عباس والحسن . وقال قوم : انما قال عسى ليكونوا على طريق الحذر ، مما يحبط اعمالهم ويدخل في عمارة المساجد عمارتها بالصلاة فيها ، والذكر لله . والعبادة له ، لأن تجديد احوال الطاعة لله من أوكد الأسباب التي تكون بها عامرة ، كما ان اهمالها من اوكد الأسباب في اخرابها ، وذكر قوله : « وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » بعد ذكر قوله : « من آمن بالله واليوم الآخر » يدل على ان الايمان لا يقع على افعال الجوارح ، لانه لو كان الايمان متناولا لذلك اجمع لما جاز عطف ما دخل فيه عليه . ومن حمل ذلك على ان المراد به التفضيل وزيادة البيان فيما يشتمل على الايمان تارك للظاهر .

والخشية انزعاج النفس لتوقع ما لا يؤمن من الضرر تقول : خشي يخشى خشية فهو خاش ومثله خاف يخاف خوفا ومخافة ، فهو خائف . والخاشي نقيض الآمن والاهتداء المذكور في الآية هو التمسك بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة وفاعلها يسمى مهتديا .

قوله تعالى :

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٩) آية .

المعنى واللغه :

خاطب الله تعالى بهذه الآية قوماً جعلوا القيام بسقي الحجيج وعمارة المسجد الحرام من الكفار مع مقامهم على الكفر مساوياً أو افضل من ايمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ، فأخبر تعالى انهما لا يستويان عند الله في الفضل ، لان

الذي آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله افضل ممن يسقي الحجيج ولم يفعل ذلك . وفي الآيه حذف احد امرين : احدهما - ان يكون تقديره كايمان من آمن بالله وأقام الاسم مقام المصدر ، لأن اصل السقاية مصدر ، كما قال الشاعر :

لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى ولكنما الفتيان كل فتى ندى (١)

اي فتيان نبات . والسقاية آلة تتخذ لسقي الماء . وقيل كانوا يسقون الحجيج الماء ، والشراب وبيت البئر سقاية ايضاً قال الرماني المشبه لا يجوز ان يكون مجاهداً في سبيل الله ، لأنه لا يعرف الله فيتبع امره في ذلك والمجاهد اذا عرف الله صح ان يكون مطيعاً بالجهاد لاتباعه امر الله فيه .

النزول والمعنى :

وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) ان الآية نزلت في امير المؤمنين(ع) والعباس (ره) وروى الطبري باسناده عن ابن عباس انها نزلت في العباس حين قال يوم بدر ان سبقتمونا الى الاسلام والهجرة لم تسبقونا الى سقاية الحاج وسدنة البيت ، فأنزل الله الآية . وروى الطبري باسناده عن الحسن انهما نزلت في علي والعباس وعثمان وشيبة . وقال الشعبي : نزلت في علي والعباس ، وبه قال ابن وهب والسدي .

وقوله : «والله لا يهدي القوم الظالمين» اخبار منه تعالى انه لا يهدي احداً ممن ظلم نفسه وكفر بآيات الله ، وجحد وحدانيته الى الجنة كما انه يهدي اليها من كان عارفا بذلك فاعلا لطاعته مجتنباً لمعصيته .

واختلفوا في سبب نزول الآية فقال قوم : سأل المشركون اليهود فقالوا نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد وأصحابه ، فقالت اليهود

---

(١) تفسير الطبري ١٤ : ١٧٢ ومعاني القرآن للفراء ١ : ٤٢٧ .

لهم انتم أفضل عناداً للنبي (ص) والمؤمنين . وقال آخرون : تفاخر المسلمون الذين جاهدوا والذين لم يجاهدوا . فنزلت الآية ذكره الزجاج .

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾ (٢٠)

آية بلا خلاف .

موضع (الذين) رفع بالابتداء وخبره اعظم درجة . اخبر الله تعالى ان الذين آمنوا يعني صدقوا بالله واعترفوا بوحدانيته ، وأقروا بنبوة نبيه ، وهاجروا عن اوطانهم التي هي دار الكفر الى دار الاسلام ، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم اعظم درجة عند الله . ومعناه يتضاعف فضلهم عند الله مع شرف الجنس . ولو قال اعلى درجة افاد شرف الجنس فقط .

وقوله : « اولئك هم الفائزون » اخبار منه تعالى ان من وصفه هم الذين يظفرون بالبغية ويدركون الطلبة ، لان الفوز هو الظفر بالبغية وهو والفلاح والنجاح نظائر .

وقيل انه يلحق بمثل منزلة المجاهدين من لم يجاهد بأن يجاهد في طلب العلم الديني فيتعلمه ويعلم غيره ويدعوا اليه . والى الله وربما كانت هذه المنزلة فوق تلك .

فان قيل كيف قال : « اعظم درجة » من الكفار بالسقاية والسدانة ؟

قلنا : على ما روينا عن ابي جعفر وابى عبد الله (ع) وابن عباس وغيرهم لايتوجه السؤال عن ذلك لان المفاضلة جرت بينهم ، لان لجميعهم الفضل عند الله ومن لايقول ذلك يجيب بجوابين :

احدهما - انه على تقدير ان لهم بذلك منزلة كما قال تعالى : « اصحاب الجنة

يومئذ خير مستقراً » (١) هذا قول الحسن وابي علي .

والثاني - قال الزجاج المعنى اعظم من غيرهم درجة ، والذي يجوز وصفها ولا يجوز وصف (من) اذا كانت بمعنى الذي ، لأن (من) تكون تارة معرفة موصولة فلذلك افترقا .

وقيل : معنى (الفائزين) انهم الظافرون بثواب الله الذي استحقوه على طاعتهم .

قوله تعالى :

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴾ (٢١) آية بلا خلاف .

في الآية اخبار من الله تعالى بالبشارة والاعلام للذين آمنوا وهاجروا برحمة من جهته تعالى . والبشرى والبشارة الدلالة على ما يظهر به السرور في بشرة الوجه تقول بشرته أبشره بشرى وأبشر ابشاراً واستبشر استبشاراً وتباشر تباشراً وبشره تبشيراً فاما باشره مباشرة ، فبمعنى لاقاه ببشرة ورضوان . وهو معنى يستحق بالاحسان يدعوا الى الحمد على ما كان ويضاد سخط الغضبان تقول رضى رضا ورضواناً وارضاه ارضاء وترضاه ترضيا وارتضاه ارتضاء واسترضاه استرضاء وتراضوه تراضيا .

وقوله : « وجنات » يعني البساتين التي يجنها الشجر وأما الرياض ، فهي الموطأة للخضر التي قد ينبت فيها نبات الزهر ومنه الرياضة ، لانها توطية لتقريب العمل .

وقوله : « لهم فيها نعيم مقيم » فالنعيم لين العيش اللذيذ وهو مشتق من النعمة وهي اللين وأما النعمة بكسر النون ، وهي منفعة يستحق بها الشكر لانها كنعم العيش والمقيم الدائم بخلاف الراحل فكأنه قال : المقيم أبدا .

---

(١) سورة الفرقان آية ٢٤ .

قوله تعالى :

﴿ خالِدينَ فيها أَبَداً إنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظيمٌ ﴾ (٢٢)

آية بلا خلاف .

(خالدين) نصب على الحال من الهاء والميم في قوله : « لهم » والخلود في العرف الدوام في الشيء كالخلود في الجنة مأخوذ من قولهم : خلد هذا الكتاب في الديوان على تقدير الدوام من غير انقطاع . والابد الزمان المستقبل من غير آخر كما أن قط للماضي تقول : ما رأيته قط ، ولا اراه أبدا . وجمع الأبد آباد وابود تقول : لا افعل ذلك أبداً . وتأبد المنزل اذا اقفر وأتى عليه الابد . والاوابد الوحش سميت بذلك لطول اعمارها ، وبقائها . وقيل لم يمت وحشي حتف أنفه وانما يموت بآفة وجاء فلان بأبدة أي بداهية واتان آبد تسكن القفر متأبدة .

وقوله : « ان الله عنده اجر عظيم » اخبار منه تعالى أن عنده الجزاء أي في مقدوره الجزاء الذي يستحق بالاعمال تقول : آجره ياجره اجرا وأجره أجارة واستأجره استئجاراً ومنه الاجير . وقوله : « عظيم » يعني كبير متضاعف لا تبلغه نعمة غيره من الخلق والابد قطعة من الدهر متتابعة في اللغة قال الحر ابن البعيث :

أهاج عليك الشوق اطلال دمنة　　بناصفة البردين أو جانب الهجل
أتى أبد من دون حدثان عهدها　　وجرت عليها كل ناخة شمل (١)

ومن الدليل على ان الابد قطعة من الدهر انه ورد مجموعاً في كلامهم . قالت صفية بنت عبد المطلب تخاطب ولدها الزبير :

وخالجت آباد الدهور عليكم　　وأسماء لم تشعر بذلك ايم

(١) اللسان « شمل » .

فلو كان زبر مشركاً لعذرته ولكن زبراً يزعم الناس مسلم

ويقال : تأبد الربيع إذا مر عليه قطعة من الدهر وليس يعنون انه مر عليه ابد لا غاية له قال مزاحم العقيلي :

اتعرف بالغرين داراً تأبدت من الحي واستبت عليها العواصف

فأما الخلود ، فليس في كلام العرب ما يدل على انه بقاء لا غاية له . وإنما يخبرون به عن البقاء الى مدة كما قال المخبل السعدي :

الا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سحم (١)

اراد دفع الرياح عن النؤي الى هذا الوقت هذه الاثافي التي بقيت الى هذا الوقت .

قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾ (٢٣) آية بلا خلاف .

روي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) ان هذه الآية نزلت في خاطب بن بلتعة حيث كتب الى قريش يخبر النبي (ص) حين اراد فتح مكة .

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين ينهاهم فيه عن اتخاذ آبائهم وإخوانهم أولياء متى استحبوا الكفر ، وآثروه على الايمان .

و (الاتخاذ) هو الافتعال من اخذ الشيء . والاتخاذ اعداد الشيء لأمر من الامور . واتخاذهم أولياء : هو ان يعتقدوا موالاتهم ووجوب نصرتهم فيما ينوبهم .

---

(١) مر هذا البيت في ٢ : ٢٨ .

وليس ذلك بمانع من صلتهم ، والاحسان اليهم ، لأنه تعالى حث على ذلك ،فقال: « وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً » (١) . والاب والوالد نظائر . والاخ الشقيق في النسب من قبل الأب والأم وكل من رجع مع آخر الى واحد في النسب من والد ووالدة ؛ فهو أخ . والأولياء جمع ولي وهو من كان مختصاً بايلاء التصرف في وقت الحاجة .

وقال الحسن : من تولى المشرك ، فهو مشرك . وهذا إذا كان راضياً بشركه ، ويكون سبيله سبيل من تولى الفاسق أن يكون فاسقاً .

وقوله : « ان استحبوا الكفر على الايمان » معناه إن طلبوا محبة الكفر على الايمان . وقد يكون استحب بمعنى أحب كما ان استجاب بمعنى اجاب . ثم اخبر تعالى ان من استحب الكفار على المؤمنين فانهم أيضاً ظالمون نفوسهم والباخسون حظها من الثواب ، لأنهم وضعوا الموالاة في غير موضعها .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٤) آية بلا خلاف .

---

(١) سورة لقمان آية ١٥ .

القراءة والحجة :

قرأ ابو بكر عن عاصم و « عشيراتكم » على الجمع . الباقون على التوحيد .

من جمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة ، فاذا جمع قال : وعشيراتكم . ومن افرد قال العشيرة تقع على الجمع . وقال ابو الحسن : العرب لا تجمع العشيرة عشيرات . وانما تقول عشائر .

اللغة والمعنى :

امر الله تعالى بهذه الآية نبيه (ص) ان يخاطب هؤلاء الذين تخلفوا عن الهجرة الى دار الاسلام . واقاموا بدار الكفر ، وقال الجبائي : هو خطاب للمؤمنين اجمع وتحذير لهم من ترك الجهاد وحث عليه ، فأمره ان يقول لهم : « إن كان آباؤكم » الذين ولدوكم « وأبناؤكم » الذين ولدتموهم ، وهم الأولاد الذكور « وأزواجكم » جمع زوجة وهي المرأة التي عقد عليها عقدة نكاح صحيح ، لأن ملك اليمين والمعقود عليها عقد شبهة لا تسمى زوجة « وعشيرتكم » وهي الجماعة التي ترجع الى عقد كعقد العشرة . ومنه المعاشرة ، وهي الاجتماع على عقد يعم . ومنه العشار النوق التي اتى على حملها عشرة اشهر « واموال) جمع مال « اقترفتموها » اي اقتطعتموها واكتسبتموها ،ومثله الاحتراف والاقتراف اقتطاع الشيء عن مكانه الى غيره «وتجارة تخشون كسادها» يعني ماشتريتموه طلبا الربح تخافون خسرانها ووقوفها «ومساكن» جمع مسكن وهي المواضع التي تسكنونها وترضونها « احب اليكم من الله ورسوله » يعني آثر في نفسوكم وأقرب الى قلوبكم . والمحبة ارادة خاصة للشيء فمن احب الجهاد فقد اراد فعله ومن احب الله اراد شكره وعبادته . ومن احب النبي اراد اجلاله وإعظامه والذي اقتضى نزول هذه الآية محبتهم التي منعتهم الهجرة . وقوله : « فتربصوا » اي فتثبتوا . والتربص التثبت في الشيء حتى يجيء وقته . والتربص

والتنظر والتوقف نظائر في اللغة . ونقضيه التعجل بالامر .

وقال مجاهد قوله : « حتى يأتي الله بأمره » من عقوبة عاجلة او آجلة وقوله: «والله لا يهدي القوم الفاسقين» معناه انه لا يهديهم الى الثواب والجنة لأنه تعالى قد هداهم الى الايمان فقال: «وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى»(١) .

قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ (٢٥) آية بلا خلاف

اللغه والاعراب والمعنى :

اقسم الله تعالى في هذه الآية - لان لام (لقد) لام القسم - بأنه نصر المؤمنين في مواطن كثيرة ومواطن في موضع جر بـ(في) وانما نصب، لأنه لا ينصرف ، لأنه جمع لا نظير له في الآحاد ، فلا ينصرف . وجر كثيرة على الموضع وأنثه على اللفظ . ومواطن جمع موطن . ومعنى النصر الغلبة على العدو . والمعونة قد تكون في حمل الثقيل ، وتكون في شراء متاع وتكون في قضاء حاجة ولا يكون النصر إلا المعونة على العدو خاصة . والموطن هو الموضع الذي يقيم فيه صاحبه ، وإنما قد قاموا في هذه المواطن للقتال .

ومعنى كثيرة روي عن ابي عبد الله (ع) انها كانت ثمانين موطناً والكثيرة عدة زائدة على غيرها فهي كثيرة بالاضافة الى ما دونها قليلة بالاضافة الى ما فوقها.

وقوله : « ويوم حنين » ، وحنين اسم واد بين مكة والطائف في قول قتادة ، وقال عروة : هو واد الى جانب ذي المجاز . فلذلك صرف ويجوز ترك صرفه على أنه

(١) حم . السجدة آية ١٧ .

اسم للبقعة قال الشاعر :

نصروا نبيهم وشدوا ازره بحنين يوم تواكل الابطال (١)

وقوله : « إذ اعجبتكم كثرتكم » فالاعجاب السرور بما يتعجب منه والعجب السرور بالنفس على الفخر بما يتعجب منه .

المعنى والقصة واللغة :

وقال قتادة : انه كان سبب انهزام المسلمين يوم حنين أن بعضهم قال حين رأى كثرة المسلمين يوم حنين لانهم كانوا اثنى عشر الفاً ، فقال : لن نغلب اليوم عن قلة فانهزموا بعد ساعة . وقيل : انهم كانوا عشرة آلاف . وقال بعضهم : ثمانية آلاف والأول أشهر .

ولما انهزموا لم يبق مع النبي (ص) الا تسعة نفر من بني هاشم وأيمن ابن ام ايمن . والعباس بن عبد المطلب . وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعلي بن ابي طالب (ع) في آخرين فأخذ النبي (ص) كفاً من الحصباء فرماهم به ، وقال : شاهت الوجوه ، فانهزم المشركون .

وقوله : « فلم تغن عنكم شيئا » معناه لم تغن كثرتكم شيئا . والاغناء اعطاء ما يرفع الحاجة . ولذلك قيل في الدعاء اغناك الله .

وقوله : « فلم تغن عنكم شيئاً » معناه لم تعطكم ما يرفع حاجتكم .

وقوله: «وضاقت عليكم الأرض بما رحبت » معناه ليس فيها موضع يصلح لكم لفراركم عن عدوكم . والضيق مقدار ناقص عن مقدار. والرحب السعة في المكان ، وقد يكون في الرزق . والسعة في النفقة .

وقوله : « ثم وليتم مدبرين » فالادبار الذهاب الى جهة الخلف والاقبال الى

---

(١) قائله حسان بن ثابت . ديوانه : ٣٣٤ ومعاني القرآن للفراء ١ : ٤٢٩ واللسان « حنن » .

جهة القدام . والمعنى وليتم عن عدوكم منهزمين وتقديره وليتموهم الادبار وكانت غزوة حنين عقيب الفتح في شهر رمضان أو في شوال سنة ثمان ، فان قيل كيف قال انه نصرهم في مواطن كثيرة ، والمؤمنون منصورون في جميع الأحوال ؟ قلنا عنه جوابان : احدهما - ان ذلك اخبار بأنه نصرهم دفعات كثيرة ، ولا يدل على انه لم ينصرهم في موضع آخر ، وقلنا : لأنهم لما انهزموا لم يكونوا منصورين وكان ذلك منهم خطأ وان وقع مكفراً .

قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٦) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه حين انهزم المسلمون وبقي النبي (ص) في نفر من قومه انه انزل السكينة ، وهي الرحمة التي تسكن اليها النفس ويزول معها الخوف حتى رجعوا اليهم وقاتلوهم وهزمهم الله تعالى بأن انزل النصر وأنزل السكينة . وقيل السكينة هي الطمأنينة والامنة . وقال الحسن : هي الوقار قال الشاعر :

لله قبر غالها ماذا يجن لقد اجن سكينة ووقارا (١)

وقوله : « وانزل جنوداً لم تروها » والجنود هي الجموع التي تصلح للحروب . والمراد بها ها هنا الملائكة ، جند واجناد وجنود فانزل الله الملائكة مددا للمؤمنين .

وقال الجبائي : إنما نزلت الملائكة يوم حنين من جهة الخاطر الذي يشجع قلوبهم ويجبن عنهم اعداءهم ، ولم تقاتل إلا يوم بدر خاصة .

---

(١) مجمع البيان ٣ : ١٧ ، ومجاز القرآن ١ : ٢٨٦ .

محقين ، فأما اعتقادهم لشريعة التوراة فانما وصف بأنه غير حق لامرين :

احدهما - انها نسخت فالعمل بها بعد النسخ باطل غير حق .

الثاني - ان التوراة التي هي معهم مغيرة مبدلة لقوله : « يحرفون الكلم عن مواضعه » (١) ويقلبونه عن معانيه .

وقوله : « ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله » معناه انهم لا يعترفون بالاسلام الذي هو الدين الحق ، ولا يسلمون لأمر الله الذي بعث به نبيه محمد (ص) في تحريم حرامه وتحليل حلاله . والدين في الاصل الطاعة قال زهير :

لئن حللت بجو في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك (٢)

وقوله : « حتى يعطوا الجزية عن يد » فالجزية عطية عقوبة جزاء على الكفر بالله على ما وضعه رسول الله (ص) على اهل الذمة - وهو على وزن جلسة ، وقعدة - لنوع من الجزاء . وإنما قيل « عن يد » ليفارق حال الغصب على اقرار أحد . وقال ابو علي : معناه يعطونا من ايديهم يجيئون بها بنفوسهم لا ينوب عنهم فيها غيرهم إذا قدروا عليه ، فيكون اذل لهم . وقال قوم : معناه عن نقد كما يقال : باع يداً بيد . وقال آخرون : معناه عن يد لكم عليهم ونعمة تصدونها اليهم بقبول الجزية منهم وقال الحسين بن علي المغربي : معناه عن قهر ، وهو قول الزجاج .

وقوله : « وهم صاغرون » فالصغار الذل والنكال الذي يصغر قدر صاحبه صغر يصغر صغاراً ، فهو صاغر . وقيل : الصغار اعطاء الجزية قائما . والأخذ جالس ذهب اليه عكرمة والجزية لا تؤخذ عندنا إلا من اليهود والنصارى والمجوس . وأما غيرهم

---

(١) سورة النساء آية ٤٥ وسورة المائدة آية ١٤.

(٢) ديوانه : ١٨٣ ومجاز القرآن ١ : ٢٨٦ وتفسير الطبري ١٤ : ١٩٨ ومجمع البيان ٣ : ٢١ .

من الكفار على اختلاف مذاهبهم من عباد الأصنام والأوثان ، والصابئة وغيرهم فلا يقبل منهم غير الاسلام أو السبي . وانما كان كذلك لما علم الله تعالى من المصلحة في اقرار هؤلاء على كفرهم ومنع ذلك في غيرهم ، لأن هؤلاء على كفرهم يقرون بألسنتهم بالتوحيد وبعض الأنبياء ، وان لم يكونوا على الحقيقة عارفين . واولئك يجحدون ذلك كله ، فلذلك فرق بينهما .

وان قيل : اعطاء الجزية منهم لا يخلوا ان يكون طاعة او معصية ، فان كان معصية فكيف امر الله بها . وان كان طاعة وجب ان يكونوا مطيعين لله .

قلنا : اعطاؤهم ليس بمعصية . واما كونها طاعة لله فليس كذلك ، لأنهم انما يعطونها دفعاً للقتل عن انفسهم لا طاعة لله ، فان الكافر لا يقع منه طاعة عندنا بحال ، لأنه لو فعل طاعة لله لاستحق الثواب والاحباط باطل ، فكان يجب ان يكون مستحقاً للثواب وذلك خلاف الاجماع .

قوله تعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٣٠) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة والاعراب :

قرأ (عزير) بالتنوين عاصم والكسائي وعبد الوارث عن ابي عمرو . والباقون بترك التنوين . وقرأ عاصم وحده (يضاهؤن) بالهمزة الباقون بغير همزة .

من ترك التنوين في « عزير بن الله » قيل في وجه ذلك ثلاثة اقوال : احدها -

انه اعجمي معرفة لا ينصرف ، الثاني - لأن ابن هاهنا صفة بين علمين والخبر محذوف والتقدير معبودنا أو نبينا عزير ابن الله. الثالث - انه حذف التنوين لالتقاء الساكنين تشبيهاً بحرف اللين ، كما قال الشاعر :

فألفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله إلا قليلا (١)

هـذا الوجه قول الفراء : وعند سيبويه هو ضرورة في الشعر قال ابو علي : من نونه جعله مبتدأ وجعل ابنا خبره ولا بد مع ذلك من التنوين في حال السعة ، والاختيار لأن أبا عمرو وغيره يصرف عجمياً كان أو عربياً . ومن حـذف التنوين يحتمل وجهين :

احدهما - انه جعل الموصوف والصفة بمنزلة اسم واحد ، كما يقال : لا رجـل ظريف . وحذف التنوين ولم يحرك لالتقاء الساكنين ، كما يحرك يا زيد العاقل ، لأن الساكنين كأنهما التقيا في تضاعيف كلمة واحدة ، فحذف الأول منهما ولم يحرك لكثرة الاستعمال . والوجه الآخر ان يجعل مبتدأ والآخر الخبر مثل من نون وحذف التنوين لالتقاء الساكنين .

وعلى هذا قراءة من قرأ « قل هو الله احدالله » فحذف التنوين لالتقاء الساكنين.

المعنى :

فان قيل كيف اخبر الله عن اليهود بانهم يقولون عزير ابن الله . واليهود تنكر هذا ؟! قلنا : إنما اخبر الله بذلك عنهم ، لأن منهم من كان يذهب اليه والدليل على ذلك ان اليهود في وقت ما انزل الله القرآن سمعت هذه الآية فلم تنكرها. وهو كـقولك الخوارج تقول بتعذيب الأطفال ، وإنمـا يقول بذلك الازارقة منهم خاصة . قال ابن عباس : القائل لذلك جماعة جاءوا الى النبي (ص) ، فقالوا له ذلك ، وهو سـلام

(١) مر تخريجه في ٢ : ٧٦ تعليقة ٣ .

ابن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف ، فانزل الله فيهم الآية .

وقوله : « ذلك قولهم بافواههم » معناه انه لا يرجع الى معنى صحيح ، فهو لا يجاوز افواههم ، لأن المعنى الصحيح ما رجع الى ضرورة العقل او حجته او برهانه او دليل سمعي .

اللغة :

وقوله : « يضاهون قول الذين كفروا من قبل » معناه يشابهون . ومنه قولهم امرأة ضهياء التي لا تحيض ، ولا يخرج ثدياها اي اشبهت الرجال . وقال ابو علي الفارسي : ليس يضاهؤن من قولهم امرأة ضهياء ، لأن هذه الهمزة زائدة غير اصلية لأنه ليس في الكلام شيء على وزن فعيلاء ويشبه ان يكون ذلك لغة ، كما قالوا ارجأت وارجيت . واختار الزجاج ان تكون الهمزة اصلية ، كما جاء كثير من الأشياء على وزن لا يطرد نحو (كنهبل) وهو الشجر العظام ، وكذلك (قرنفل) لا نظير له . ووزنه فعنلل .

المعنى :

وقال ابن عباس : « الذين كفروا » اراد به عبدة الأوثان وقال الفراء : يشابهونهم في عبادة اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى . وقال قوم في قولهم : الملائكة بنات الله . وقال الزجاج : شابهوهم في تقليدهم اسلافهم في هذا القول .

وقوله : « قاتلهم الله » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها — قال ابن عباس معناه لعنهم الله .

الثاني — معناه قتلهم الله كقولهم عافاه الله من السوء .

الثالث — كالمقاتل لغيره في عداوة الله .

وقوله : « انى يؤفكون » معناه كيف يصرفون عن الحق الى الافك الذي هو

وقوله : « وعذب الذين كفروا » معناه هاهنا القتل والأسر وسلب الأموال مع الاذلال والصغار . ثم قال : « وذلك » يعني ذلك العذاب « جزاء » من جحد نعم الله وانكر وحدانيته ، وجحد نبوة نبيه مع ما اعده لهم من عذاب النار .

قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢٧) آية بلا خلاف .

الاعراب :

معنى (ثم) هاهنا العطف على الفعل الاول ، وقد ذكرت (ثم) في ثلاثة مواضع متقاربة : فالاول - عطف على ما قبلها . والثانية - عطف على وليتم مدبرين « ثم انزل الله سكينته » . والثالثة - عطف على (انزل) ثم يتوب . وانما حسن عطف المستقبل على الماضي لانه مشاكله فان الأول تذكير بنعمه والثاني وعد بنعمه .

المعنى :

والتوبة هي الندم على ماضي من القبيح والعزم على أن لا يعود الى مثله أما في الجنس أو في القبيح على الخلاف فيه فشرط الندم بالعزم ، لأن الندم إنما هو على الماضي والعزم على ما يستقبل ، فلو لم يجتمعا لم تكن توبة .

ومعنى « ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء » انه يقبل التوبة من بعد هزيمة من انهزم ويجوز أن يكون المراد بعد كفر من كفر يقبل توبة من يتوب ويرجع الى طاعة الله والاسلام ، ويندم على ما فعل من القبيح « على من يشاء » وإنما علقه بالمشيئة ، لأن قبول التوبة واسقاط العقاب عندها تفضل عندنا . ولو كان ذلك واجباً لما جاز تعليق ذلك بالمشيئة كما لم يعلق الثواب على الطاعة والعوض على الألم في موضع

بالمشيئة . ومن خالف في ذلك قال : إنما علقها بالمشيئة ، لأن منهم من له لطف يؤمن عنده . فالله تعالى يشاء أن يلطف له مع صرف العمل في ترك التوبة الى الله .

وقوله : « والله غفور رحيم » معناه انه ستار للذنوب لا يفضح احداً على معاصيه بل يسترها عليه إذا تاب منها ، وهو رحيم بعباده .

قوله تعالى :

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا إنَّما المُشْرِكونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبوا المَسْجِدَ الحَرامَ بَعْدَ عامِهِمْ هذا وَإنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إنْ شاءَ إنَّ اللهَ عَليمٌ حَكيمٌ ﴾ (٢٨) آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين يخبرهم فيه أن المشركين انجاس ويأمرهم ان يمنعوا المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا اي الذي اشار اليه ، وهي سنة تسع من الهجرة التي نبذ فيها براءة المشركين . وكانت بعده حجة الوداع ، وهو قول قتادة وغيره من المفسرين .

والمراد بالمسجد الحرام الحرم كله في قول عطاء وغيره ، وكل شيء مستقذر في اللغة يسمى نجساً ، فاذا استعمل مفرداً قيل : نجس - بفتح النون والجيم معاً - ويقع على الذكر والانثى سواء .

وظاهر الآية يقتضي أن الكفار أنجاس ، ولا يجوز مع ذلك ان يمكنوا من دخول شيء من المساجد ، لأن شركهم اجري مجرى القذر الذي يجب تجنبه ، وعلى هذا من باشر يد كافر وجب عليه ان يغسل يده إذا كانت يده او يد المشرك رطبة . وإن كانت ايديهما يابستين مسحها بالحائط .

وقال الحسن : من صافح مشركاً فليتوضأ ، ولم يفصل .

واختلفوا في هل يجوز دخولهم المسجد الحرام بعد تلك السنة ام لا ؟، فروي عن جابر ابن عبد الله ، وقتادة انه لا يدخله احـــد إلا ان يكون عبداً أو احداً من اهل الذمة .

وقال عمر بن عبد العزيز : لا يجوز لهم دخول المسجد الحرام ، ولا يدخل احد من اليهود والنصارى شيئاً من المساجد بحال . وهذا هو الذى نذهب اليه .

وقال الطبري وقتادة : سموا انجاساً ، لأنهم لا يغتسلون من جنابة .

وقوله : « فان خفتم عيلة » فالعيلة الفقر تقول : عال يعيل إذا افتقر قال الشاعر :

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل (١)

وكانوا خافوا انقطاع المتاجر بمنع المشركين ، فقال الله تعالى : « وان خفتم عيلة » يعني فقرا بانقطاعهم فالله يغنيكم من فضله إن شاء - في قول قتادة ومجاهد - وإنما علقه بالمشيئة لاحد امرين :

احدهما لان منهم من لا يبلغ هذا المعنى الموعود به ، لأنه يجوز ان يموت قبله - في قول ابي علي .

الثاني - لتنقطع الآمال الى الله تعالى ، كما قال : « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين » (٢) .

وقوله : « ان الله عليم حكيم » معناه عالم بمصالحكم حكيم في منع المشركين من دخول المسجد الحرام .

---

(١) مر هذا البيت وتخريجه فى ٣ : ١٠٩ وهو فى مجاز القرآن ١ : ٢٥٥ والجمهرة لابن دريد ٢ : ١٩٣ .

(٢) سورة الفتح آية ٢٧ .

قوله تعالى :

﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ (٢٩) آية بلا خلاف.

قوله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » امر من الله تعالى لنبيه وللمؤمنين بأن يقاتلوا الذين لا يعترفون بتوحيد الله ، ولا يقرون باليوم الآخر والبعث والنشور . وذلك يدل على صحة مذهبنا في اليهود ، والنصارى وأمثالهم انه لا يجوز ان يكونوا عارفين بالله وان اقروا بذلك بلسانهم . وانما يجوز ان يكونوا معتقدين لذلك اعتقاداً ليس بعلم . والآية صريحة بأن هؤلاء الذين هم اهل الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وانه يجب قتالهم « حتى يعطوا الجزية عن يد » .

ومن قال انهم يجوز ان يكونوا عارفين بالله تعالى ، قال : الآية خرجت مخرج الذم لهم ، لأنهم بمنزلة من لا يقربه في عظم الجرم ، كما انهم بمنزلة المشركين في عبادة الله بالكفر .

وقال الجبائي : لأنهم يضيفون اليه ما لا يليق به فكأنهم لا يعرفونه ، وانما جمعت هذه الأوصاف لهم ولم يذكروا بالكفار من اهل الكتاب للتحريض على قتالهم بما هم عليه من صفات الذم التي توجب البراءة منهم والعداوة لهم .

وقوله : « ولا يدينون دين الحق » يدل على ان دين اليهودية والنصرانية غير دين الحق ، وذلك يقوي انهم غير عارفين بالله ، لأنهم لو كانوا عارفين كانوا في ذلك

الـكذب ، ورجل مأفوك عن الخير وارض مافوكه صوف عنها المطر قال الشاعر :

انى الم بك الخيال تطيف

قوله تعالى :

﴿ إِتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِـداً لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣١) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء اليهود والنصارى الذين حكى حكايتهم انهم اتخذوا احبارهم ، وهو جمع حبر ، وهو العالم الذي صناعته تحبير المعاني بحسن البيان عندنا . وقيل حبر وحبر - بفتح الباء وكسرها - حكاه الفراء . والرهبان جمع راهب وهو الخاشي الذي يظهر عليه لباس الخشية . وقد كثر استعماله في متنسكي النصارى . وروى عنه (ع) أن معنى اتخاذهم اربابا انهم قبلوا منهم التحريم والتحليل بخلاف ما امر الله تعالى . وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) ، فسمى الله ذلك اتخاذهم اياهم اربابا من حيث كان التحريم والتحليل لا يسوغ إلا لله تعالى . وهو قول اكثر المفسرين .

وقوله : « والمسيح ابن مريم » عطف على الارباب اي واتخذوا عيسى ربّاً .

وقوله : « وما امروا إلا ليعبدوا الهاً واحداً » معناه ان الله تعالى لم يأمر هؤلاء اليهود والنصارى وغيرهم إلا بعبادة الله وحده لا شريك له . ثم اخبر فقال : « لا إله إلا هو سبحانه » يعني تنزيهاً عما يشركون . ومعنى سبحانه براءة من الله من السوء كما قال الشاعر :

اقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر (١)

(١) قائله الاعشى . وقد مر تخريجه فى ٣ : ٨١ .

والآية تدل على ان المشرك مع الله في التحليل والتحريم على مخالفة امر الله كالمشرك في عبادة الله ، لأن استحلال ما حرم الله كفر بالاجماع . وكل كافر مشرك ولا يلزم على ذلك أن يكون من قبل من الشيطان باغوائه فارتكب المعاصي أن يكون كافراً على ما استدل به بعض الخوارج ، لأن إذا قبل من الشيطان ما يعتقد انه معصية ولا يقصد بذلك طاعة الشيطان ولا تعظيمه يكون فاسقاً ، ولا يكون كافراً . وليس كذلك من ذكره الله تعالى في الآية ، لأنهم كانوا يقبلون تحريم علمائهم وأحبارهم ويقصدون بذلك تعظيمهم . ولا يلزم على ذلك قبول المعاصي من العالم ، لأن العامي يعتد بالرجوع الى العالم فيقبل منه ما أدى اجتهاده اليه وعلمه ، فاذا قصد العالم وافتاه بغير ما علمه فهو المخطيء دون المستفتي . وليس كذلك هؤلاء ، لأنهم ما كانوا تعبدوا بالرجوع الى الاحبار والقبول منهم لأنهم لو كانوا تعبدوا بذلك لما ذمهم الله على ذلك .

قوله تعالى :

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣٢) آية اجماعاً

اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى انهم « يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم » والاطفاء اذهاب نور النار . ثم استعمل في اذهاب كل نور . و « نور الله » القرآن ، والاسلام في قول المفسرين : السدي والحسن . وقال الجبائي : نور الله : الدلالة والبرهان ، لأنه يهتدى بها كما يهتدى بالأنوار .

وواحد الأفواه فم في الاستعمال . وأصله فوه فحذفت الهاء وأبدلت من الواو ميم ، لأنه حرف صحيح من مخرج الواو مشاكل لها . ولما سمى الله تعالى الحجج والبراهين نورا سمى معارضتهم له ، اطفاء . وأضاف ذلك الى الأفواه ، لأن

الاطفاء يكون بالافواه ، وهو النفخ ، وهـذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شأنهم وتضعيف كيدهم ، لأن النفخ يؤثر في الأنوار الضعيفة دون الاقباس العظيمة ذكره الحسين بن علي المغربي .

قوله : « ويأبى الله الا ان يتم نوره » والاباء الامتناع مما طلب من المعنى . قال الشاعر :

وان ارادوا ظلمنا ابينا

أي منعناهم من الظلم ، وليس الاباء من الكراهة في شيء على ما يقول المجبرة ، لأنهم يقولون : فلان يأبى الضيم ، فيمدحونه ولا مدحة في كراهة الضيم لتساوي الضعيف والقوي في ذلك . وإنما المدح في المنع خاصة . ولذلك مدح عورة بن الورد بأنه أبى للضيم بمعنى انه ممتنع منه . وقوله : (وان ارادوا ظلمنا ابينا) يدل على ذلك لأنه لا مدحة في أن يكرهوا ظلم من يظلمهم . وإنما المدحة في منع من أراد ظلمهم : والمنع في الآية يمنع الله إلا إتمام نوره . وإن كره الكافرون . ولا يجوز على قياس « ويأبى الله إلا ان يتم نوره » أن تقول ضربت الا اخاك لأن في الاباء معنى النفي ، فكأنه قال : لا يمكنهم الله إلا أن يتم نوره . وإذا لم يكن في اللفظ مستثنى منه لم تدخل (إلا) في الايجاب وتدخل في النفي على تقدير الحذف قال الشاعر :

وهل لي أم غيرها ان تركتها أبى الله إلا أن اكون لها إبنا (١)

والتقدير في الآية ويأبى الله كل شيء الا إتمام نوره . في قول الزجاج ، وأنكر أن يكون في الآية معنى الجحد .

قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ

(١) تفسير القرطبي ٨ : ٨١٢١ ومعاني القرآن ١ : ٤٣٣ .

عَلى الدِّينِ كلِّهِ وَلو كَرِهَ المُشْرِكونَ ﴾ (٣٣) آية .

اخبر الله تعالى انه « هو الذي ارسل رسوله » (ص) وحمله الرسالة التي يؤديها الى امته « بالهدى » يعني بالحجج والبينات والبيان لما يؤديهم العمل به الى ابواب الجنة . و « دين الحق » هو الاسلام وما تضمنه من الشرائع ، لأنه الذي يستحق عليه الجزاء بالثواب وكل دين سواه باطل ، لأنه يستحق به العقاب . ومن شأن الرسول ان يكون افضل من جميع امته من حيث يجب عليهم طاعته وامتثال ما يأمرهم به بما هو مصلحة لهم ، ولأنه رئيس لهم في الدين . ويقبح تقديم المفضول على الفاضل فيما كان افضل فيه .

وقوله : « ليظهره على الدين كله » معناه ليعلي دين الاسلام على جميع الأديان بالحكم والغلبة والقهر لهم . وقال البلخي : ظهوره على جميع الاديان بالحكم ، لأن جميع الأديان نال المسلمون منهم وغزوا فيهم واخذوا سبيهم وجزيتهم .

وفي الآية دلالة على صدق نبوته (ص) لأنها تضمنت الوعد بظهور الاسلام على جميع الاديان ، وقد صح ظهوره عليها .

وقال ابو جعفر (ع) ان ذلك يكون عند خروج القائم (ع) .

وقال ابن عباس [ان الهاء في « ليظهره » عائدة الى الرسول (ص) أي ليعلمه الله الاديان كلها حتى لا يخفى عليه شيء منها] (١) .

قوله تعالى :

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا إنَّ كَثيراً مِنَ الأحبارِ وَالرُّهبانِ لَيَأكُلونَ أموالَ النَّاسِ بالباطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبيلِ اللهِ وَالَّذين

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣٤) آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين يعلمهم ان كثيراً من احبار اليهود ، وعلمائهم ورؤسائهم وكثيراً من رهبان النصارى ليأكلون اموال الناس بالباطل من حيث كانوا يأخذون الرشا في الاحكام في قول اسحاق والجبائي .

واكل المال بالباطل تملكه من الجهات التي يحرم منها اخذه .

وقيل في معنى : « ليأكلون اموال الناس بالباطل » وجهان :

احدهما انهم يتملكون ، فوضع يأكلون موضعه ، لأن الاكل غرضهم .

والثاني — يأكلون اموال الناس من الطعام ، فكأنهم يأكلون الأموال ، لانها من المأكول كما قال الشاعر :

ذر الاكلين الماء لوماً فما ارى ينالون خيراً بعد اكلهم الماء (١)

اي ثمن الماء . وقوله : « ويصدون عن سبيل الله » معناه يمنعون غيرهم من اتباع الاسلام الذي هو سبيل الله التي دعاهم الى سلوكها . والغرض بذلك التحذير من اتباعهم والتهوين على المسلمين مخالفتهم .

وقوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله » معناه الذين يخبؤن اموالهم من غير ان يخرجوا زكاتها ، لأنهم لو اخرجوا زكاتها وكنزوا ما بقي لم يكونوا ملومين بلا خلاف . وهو قول ابن عباس وجابر وابن عمر ، والحسن والسدي والجبائي . قال : وهو اجماع .

واصل الكنز كبس الشيء بعضه على بعض . ومنه قولهم كنز التمر والطعام قال الهذلي :

(١) اللسان (أكل) وروايته (من) بدل (ذر) و (ظلماً) بدل (لوماً) .

لا دردري ان اطعمت نازلكم قرف الحتي وعندي البر مكنوز (١)

الحتي سويق المقل . وقوله : « ولا ينفقونها في سبيل الله » اي إنما لم يقل ولا ينفقونهما لأحد امرين : احدهما - ان تكون الكناية عائدة الى مدلول عليه وتقديره ولا ينفقون الكنوز أو الأموال .

والآخر - ان يكون اكتفى بأحدهما عن الآخر للايجاز ومثله : و«إذا رأوا تجارة او لهواً انفضوا اليها » وقال حسان :

[ان شرخ الشباب والشعر الاسـ ـود ما لم يعاص كان جنونا] (٢)

وقال الآخر :

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف(٣)

وكان يجب ان يقول راضيان . ومعنى البيت نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض وحذف الخبر من الاول لدلالة الثاني عليه كما حذف المفعول في الثاني لدلالة الأول عليه في قوله : « والذاكرين الله كثيراً والذاكرات » (٤) والتقدير والذاكرات الله . ومثل ذلك الآية . وتقديرها والذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه في سبيل الله ويكنزون الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله .

وموضع « والذين يكنزون » يحتمل وجهين من الاعراب : احدهما ان يكون نصباً بالعطف على اسم (ان) وتقديره : ويأكلون الذين يكنزون الذهب . والثاني- ان يكون رفعاً على الاستئناف .

---

(١) مقاييس اللغة ٢ : ١٣٦ واللسان «كنز» .

(٢) تفسير القرطبي ٨ : ١٢٨ ومجاز القرآن ١ : ٢٥٨ وتفسير الطبري ١٤ : ٢٢٩ وهذا البيت كله ساقط من المطبوعة مع وجود (قال حسان) .

(٣) تفسير القرطبي ٨ : ١٢٨ ومعاني القرآن ١ : ٤٣٤ ، ٤٤٥ وغيرها وقد مر في موارد كثيرة من هذا الكتاب .

(٤) سورة الاحزاب آية ٣٥

وقال ابن عمر كل ما اخرجت زكاته فليس بكنز ، وبه قال عكرمة . وقال الجبائي وغيره : « الذين يكنزون » نزلت في مانعي الزكاة من اهل الصلاة . وقال قوم : نزلت في المشركين ، والأولى ان تحمل الآية على العموم في الفريقين .

وقوله : « فبشرهم بعذاب اليم » قيل في معناه قولان :

احدهما - ان اصل البشرى مما يظهر في بشرة الوجه من فرح أو غم . إلا انه كثر استعماله في الفرح كما قال الجعدي :

واراني طرباً في اثرهم طرب الواله او كالمختبل (١)

لأن اصل الطرب ما يستخف من سرور او حزن .

والثاني — انه وضع الوعيد بالعذاب الاليم موضع البشرى بالنعيم . وروي عن علي (ع) انه قال : كلما زاد على اربعة آلاف ، فهو كنز اديت زكاته أو لم تؤد ، وما دونها فهو نفقة . وقال ابو ذر : من ترك بيضاء أو صفراء كوى بها . وسئل رسول الله (ص) عن نزول هذه الآية اي مال يتخذ فقال : لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة تعين احدكم على دينه .

قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (٣٥) آية بلا خلاف .

قوله : « يوم يحمى » متعلق بقوله : « فبشرهم بعذاب اليم » في يوم يحمى عليها . ومعناه انه يدخل الذهب والفضة الى النار فيوقد عليها يعني على الكنوز

(١) مقاييس اللغة ٣ : ٤٤٥ واللسان (خبل) .

التي كنزوا فالهاء في قوله : « عليها » عائدة على الكنوز او الفضة .

والاحماء جعل الشيء حاراً في الاحساس ، وهو فوق الاسخان ، وضده التبريد تقول : حمى حماً وأحماه احماء إذا امتنع من حر النار .

وقوله : « تكوى » فالكي الصاق الشيء الحار بالعضو من البدن . ومنه قولهم اخر الداء الكي لغلظ امره كقطع العضو إذا عظم فساده تقول : كواه يكويه كياً واكتوى اكتواء .

وقوله : « جباههم » جمع جبهة وهي صفحة اعلى الوجه فوق الحاجبين. وجبهه بالمكروه يجبهه جبهاً إذا استقبله به . وجنوبهم جمع جنب والجنب والضلع والأبطل نظائر، وظهورهم جمع ظهر ، وهو الصفحة العليا من خلف المقابلة للبطن ، يقال : كتب في ظهر الدرج وبطنه إذا كتب في جانبيه .

والمعنى ان الله يحمي هذه الكنوز بالنار ليكوي بها جباه من كنزها ولم يخرج حق الله منها وجنوبهم ، فيكون ذلك اشد لعذابهم وأعظم لخزيهم .

وقوله : « هذا ما كنزتم » اي يقال لهم : هذا ما ذخرتموه لانفسكم «فذوقوا ما كنتم تكنزون » ومعناه فاطعموا جزاء ما كنتم تدخرونه من منع الزكوات والحقوق الواجبة في اموالكم .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٦) آية بلا خلاف .

قرأ ابو جعفر « اثنا عشر » واحد عشر وتسعة عشر بسكون الشين فيهن إلا النهرواني روي عنه حذف الالف التي قبل العين .

لما ذكر الله تعالى وعيد الظالم لنفسه بكنز المال من غير اخراج الزكاة وغيرها من الحقوق التي لله منه ، اقتضى ذلك ان يذكر النهي عن مثل حاله ، وهو الظلم في الاشهر الحرم التي تؤدي الى مثل حاله او شر منها في سوء المنقلب ، فاخبر تعالى « ان عدة الشهور » في السنة على ما تعبد المسلمون بأن يجعلوه لسنتهم دون ما يعتبره مخالفوا الاسلام « اثنا عشر شهراً » وانما قسمت السنة اثنى عشر شهراً لتوافق امر الاهلة مع نزول الشمس في اثنى عشر برجـــاً تجري على حساب متفق ، كما قال : « والشمس والقمر بحسبان » (١) والشهر مأخوذ من شهرة امره لحاجة الناس اليه في معاملاتهم ومحل ديونهم وحجهم وصومهم ، وغير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشريعة.

وقوله : « في كتاب الله » معناه فيما كتبه الله في اللوح المحفوظ وفي الكتب المنزلة على انبيائه .

وقوله : « يوم خلق السماوات والارض » متصل بـ « عند الله » والعامل فيها الاستقرار . ثم بين امر هذه الاثنى عشر شهراً « اربعة حرم » وهي ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب : ثلاثة سرد وواحد فرد كما يعتقده العرب .

ومعنى (حرم) انه يعظم انتهاك المحارم فيها اكثر مما يعظم في غيرها ، وكانت العرب تعظمها حتى ان الرجل لو لقي قاتل ابيه لم يهجه لحرمته .

وانما جعل الله تعالى بعض الشهور اعظم حرمة من بعض لما علم في ذلك من المصلحة في الكف عن الظلم فيها فعظم منزلتها وانه ربما ادى ذلك الى ترك الظلم

---

(١) سورة الرحمان آية ٥ .

اصلا لانطفاء الثائرة تلك المدة وانكسار الحمية ، فان الأشياء تجر الى اشكالها .

وقوله : « ذلك الدين القيم » معناه التدين بذلك هو الدين المستقيم .

وقوله : « فلا تظلموا فيهن انفسكم » نهي منه تعالى لخلقه عن ان يظلموا انفسهم لأن من فعل قبيحاً يستحق عليه العقاب ، فقد ظلم نفسه بذلك بادخال الضرر عليها .

وقال ابو مسلم : معناه لا تدعوا قتال عدوكم في هذه الأشهر بأجمعكم ، ولا تمتنعوا من احد الا من دخل تحت الجزية والصغار ، وكان من اهلها بدلالة قوله : « وقاتلوا المشركين كافة » وكافة مشتق من كفة الشيء وهي طرفه وانما اخذ من ان الشيء إذا انتهى الى ذلك كف عن الزيادة ، ولا يثنى كافة ولا يجمع .

وقوله : « وقاتلوا المشركين كافة » امر منه تعالى بقتال المشركين اجمع : امر الله تعالى المؤمنين بأن يقاتلوهم كما ان المشركين يقاتلونهم كذلك ، والضمير في قوله : « فيهن » يحتمل ان يكون عائداً على الشهور كلها على ما قال ابن عباس ، ويحتمل ان يعود على الأربعة الحرم على ما قال قتادة لعظم امرها واختار الفراء رجوعها الى الأشهر الحرم . قال : لانه لو رجع الى الاثني عشر لقال فيها . والصحيح ان الجميع جائز وانما خص الأربعة اشهر بذلك في قول قتادة لتعاظم الظلم لا ان الظلم يجوز فعله على حال من الأحوال .

وقوله : « ذلك الدين القيم » معناه ذلك الحساب الصحيح هو الدين القيم لا ما كانت عليه العرب من النسيء . وقيل معناه ذلك التدين هو الدين القيم . وقوله : « كافة » نصب على المصدر ، ولا يدخل عليها الالف واللام ، لأنه من المصادر التي لا تتصرف لوقوعه موقع معاً وجميعاً بمعنى المصدر الذي هو في موضع الحال المذكورة ، فهو في لزوم النكرة نظير اجمعين في لزوم المعرفة .

وقوله : « اعلموا ان الله مع المتقين » لمعاصيهم وما يؤدي الى عقابه ويكون

معهم بالنصرة والولاية دون الاجتماع في مكان او محل ، لان الله لا يجوز عليه ذلك لانه من امارات الحدث .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٧) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة واللغة :

قرأ ابو جعفر وابن فرج عن البزي انما « النسيّ » من غير همز قلب الهمزة ياء وادغم الياء الاولى فيها فلذلك شدد . الباقون « النسيء » ممدود مهموز على وزن فعيل .

وروي عن ابن مجاهد وابن مسعود عن عبيد بن عقيل عن شبل عن ابن كثير « النسْء » على وزن النسع .

وقرأ اهل الكوفة إلا ابا بكر « يضل » بضم الياء وفتح الضاد . وقرأ يعقوب بضم الياء وكسر الضاد . الباقون بفتح الياء وكسر الضاد .

وقال ابو علي : وجه قراءة ابن كثير اذا قرأت على وزن النسع ان (النسيء) التأخير . قال ابو زيد : نسأت الابل في ظمئها يوماً او يومين او اكثر من ذلك ، والمصدر (النسيء) ويقال : الابل نسأتها على الحوض وأنا أنسأها نسئاً اذا اخرتها عنه . قال : وما روي عن ابن كثير من قراءته بالياء فذلك على ابدال الياء من الهمزة ، ولا أعلمها لغة في التأخير ، كما ان ارجيت لغة في ارجأت . وما روي

فيه من التشديد فعلى تخفيف الهمز، لأن النسيّ بتشديد الياء على وزن فعيل بالتخفيف قياسي . وسيبويه لا يجيز نحو هذا القلب الذي في النسيء الا في ضرورة الشعر ، وابن زيد يراه . ويروى كثيراً عن العرب. ومن قرأ بالمد والهمز فلأنه اكثر هذا في المعنى . قال ابو زيد : أنسأته الدين انساء اذا أخرته واسم ذلك النسيئة والنسأ وكان النسيء في الشهور تأخير حرمة شهر الى شهر ليست له تلك الحرمة فيحرمون بهذا التأخير ما احل الله ويحلون ما حرم الله .

والنسيء مصدر كالنذير والنكير وعذير الحي . ولا يجوز أن يكون (فعيلا) بمعنى مفعول لأنه حمل على ذلك كان معناه انما المؤخر زيادة فى الكفر. والمؤخر الشهر وليس الشهر نفسه بزيادة في الكفر ، وانما الزيادة في الكفر تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر ليست له تلك الحرمة .

وقال ابو عبيدة فيما روي عن الثوري من قوله : انما النسيء زيادة في الكفر قال : كانوا قد وكلوا قوماً من بني كنانة يقال لهم : بنوا فقيم وكانوا يؤخرون المحرم وذلك نساء الشهور لا يفعلون ذلك الا في ذى الحجة اذا اجتمعت العرب للموسم فينادى مناد أن افعلوا ذلك لحاجة او لحرب وليس كل سنة يفعلون ذلك فان ارادوا ان يحلوا المحرم نادوا هذا صفر وأن المحرم الاكبر صفر وربما جعلوا صفر محرماً مع ذي القعدة حتى يذهب الناس الى منازلهم اذا نادى المنادي بذلك وكانوا يسمون المحرم صفراً ويقدمون صفراً سنة ويؤخرنه .

وقال الفراء : والذي تقدم به رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن يعرو كان رئيس الموسم ، فيقول : أنا الذي لا اعاب ولا أجاب ولا يرد لي قضاء فيقولون : نعم صدقت انسئنا شهراً او أخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر وأحل المحرم فيفعل ذلك . وانما دعاهم الى ذلك توالى ثلاثة اشهر حرم لا يغيرون فيها وكان معاشهم في الغارة. والذي كان ينسأها حين جاء الاسلام هو جبارة بن عوف بن ابي امية وكان فى

بني عدي ان قبل بني كنانة قال الشاعر :

السنا الناسئين على عدّي شهور الحل نجعلها حراماً (١)

المعنى :

وقال ابن عباس كانوا يجعلون المحرم صفراً . وقال ابو علي : كانوا يؤخرون الحج في كل سنة شهراً وكان الذين ينسؤن بنو سليم وغطفان ، وهوازن ، ووافق حج المشركين في السنة التي حج فيها ابو بكر في ذي القعدة ، فلما حج النبي (ص) في العام المقبل وافق ذلك في ذي الحجة فلذلك قال : الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والارض .

وقال مجاهد : فكان النسيء المنهي عنه في الآية تأخير الأشهر الحرم عما رتبها الله ، وكانوا في الجاهلية يعملون ذلك وكان الحج يقع في غير وقته واعتقاد حرمة الشهر في غير أوانه فبين تعالى ان ذلك زيادة في الكفر .

قال ابو علي : من قرأ « يضل » بفتح الياء وكسر الضاد قال الذين كفروا لا يخلوا أن يكونوا مضلين لغيرهم أو ضالين هم في انفسهم فاذا كان كذلك لم يكن في حسن اسناد الضلال في قوله : « يضل » اشكال ألا ترى أن المضل لغيره ضال بفعله اضلال غيره كما ان الضال في نفسه الذي لم يضله غيره لا يمتنع اسناد الضلال اليه .

ومن ضم الياء وكسر الضاد فمعناه ان كبراءهم واتباعهم يضلونهم بأمرهم اياهم بحملهم على هذا التأخير في الشهور . وروى في التفسير ان رجلا من كنانة يقال له ابو ثمامة كان يقول للناس في منصرفهم من الحج ان آلهتكم قد اقصمت لتحرمن وربما قال لتحلّن هذا الشهر يعني المحرم فيحلونه ويحرمون صفراً وان حرموه احلوا

(١) قائله الكميت . تفسير القرطبي ٨ : ١٣٨ .

صفراً وكانوا يسمونها الصفرين فهذا اضلال من هذا المنادي .

ومن قرأ بضم الياء وفتح الضاد وقيل انها قراءة ابن مسعود يقوي ذلك ، قوله : « زين لهم سوء اعمالهم » اي زين ذلك لهم حاملوهم عليه وداعوهم اليه. وعلى هذه القراءة يكون الذين كفروا في موضع رفع بأنهم فاعلون والمفعول به محذوف وتقديره يضل منسؤ الشهور الذين كفروا تابعيهم والآخذين لهم بذلك .

ومعنى قوله : « ليواطئوا » فالمواطأة موافقة امر التوطئة والمعنى ليواطئوا العدة في الاربعة اشهر .

وقوله : « زين لهم سوء اعمالهم » قال الحسن وأبو علي المزين لهم انفسهم والشيطان . وقيل : زين بالشهوة وليجتنبوا المشتهى فذكر ذلك للتحذير والاعتراف به والتزيين يكون بمعنى الفعل له ويكون بمعنى تقبل الطبع . وإنما سمى انسأهم زيادة في الكفر من حيث أنهم اعتقدوا أن ذلك صحيح وصواب فلذلك كان كفراً فلا حجة في ذلك ان تكون افعال الجوارح كفراً .

وقوله : « والله لا يهدي القوم الكافرين » معناه انه لا يهديهم الى طريق الجنة اذ كانوا كفاراً مستحقين لعذاب الابد .

قوله تعالى :

﴿ يا أيُّها الَّذين آمَنوا ما لَكُمْ إذا قيلَ لَكُمُ انْفِروا في سَبيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ الى الأرْضِ أرَضيتُمْ بالحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الآخِرَةِ فَما مَتاعُ الحَياةِ الدُّنْيا في الآخِرَةِ إلاَّ قَليلٌ ﴾ (٣٨) آية بلا خلاف .

المعنى :

هذا خطاب من الله تعالى لجماعة من المؤمنين وعتاب وتوبيخ بأنهم إذا قيل لهم

على لسان رسوله « انفروا في سبيل الله » ومعناه اخرجوا في سبيل الله يعني الجهاد وسماه سبيل الله ، لأن القيام به موصل الى معنى الجنة ورضا الله تعالى .

اللغة :

والنفر الخروج الى الشيء لامر هيج عليه وضده الهدوء تقول : نفر الى الثغر ينفر نفراً ونفيراً ولا يقال النفور إلا في المكروه كنفور الدابة عما يخاف . وقوله : « اثاقلتم الى الأرض » اصله تثاقلتم وادغمت التاء في الثاء لمناسبتها لها وادخلت الف الوصل لتمكن الابتداء بها ومثله ادارکوا قال الشاعر :

تولي الضجيع إذا ما استافها خصراً عذب المذاق إذا ما التابع القبل (١)

والتثاقل تعاطي اظهار ثقل النفس ومثله التباطيء وضده التسرع .

المعنى :

ومعنى قوله : « اثاقلتم الى الأرض » قيل فيه قولان :

احدهما — الى المقام بأرضكم ووطنكم .

الثاني — لما اخرج من الأرض من الثمر والزرع . قال الحسن ومجاهد : دعوا الى الخروج الى غزوة تبوك بعد فتح مكة وغزوة الطائف وكان ايام ادراك الثمرة ومحبة القعود في الظل فعاتبهم الله على ذلك . والآية مخصوصة بقوم من المؤمنين دون جميعهم ، لأن من المعلوم ان جميعهم لم يكن بهذه الصفة من التثاقل في الجهاد ، وهو قول الجبائي وغيره . فقال الله تعالى لهم على جهة التوبيخ ، والتعنيف ارضيتم بالحياة الدنيا على الآخرة ، آثرتم الحياة الدنيا الفانية على الحياة الآخرة الباقية . وهو

---

(١) معاني القرآن ١ ، ٤٣٨ ، وتفسير القرطبي ٨ : ١٤٠ ، والطبري ١٤ : ٢٥٢ ومجمع البيان ٣ : ٣٠ . (استاف) الشيء قرب منه وشمه . و (القبل) - بضم القاف - جمع قبلة .

استفهام والمراد به الانكار. والرضا هو الارادة غير انهـا لا توصف بذلك إلا اذا تعلقت بما مضى من الفعل. والارادة توصف بما لم يوجد بعد قال تعالى مخبراً: «فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل» اي ليس الانتفاع بما يظهر للحواس الاقيل ومنه قولهم: تمتع بالرياض والمناظر الحسان. ويقال للاشياء التي لهـا اثمان متاع تشبيهاً بالانتفاع به.

قوله تعالى:

﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣٩) آية بلاخلاف.

هذا تحذير من الله تعالى لهؤلاء الذين استبطأهم ووصفهم بالتثاقل عن سبيل الله بقوله: «الا تنفروا» اي ان لم تخرجوا الى سبيل الله التي دعيتم اليها من الجهاد يعذبكم عـذاباً اليما ويستبدل قوماً غيركم يقومون بنصرة نبيه ولا يتثاقلون فيه. والاستبدال جعل أحـد الشيئين بدل الآخر مع الطلب له. والتعذيب بطول وقت العذاب، لأنه من الاستمرار وقد يكون عقاباً وغير عقاب.

وقوله: «ولا تضروه شيئا» قيل فيمن يرجع اليه قولان:

احدهما - انه يعود على اسم الله في قول الحسن، قال: لأنه غني بنفسه عن جميع الاشياء.

والآخر - قال الزجاج: انها تعود الى النبي (ص) لأن الله عصمه من جميع الناس. وقوله: «والله على كل شيء قدير» معناه قادر على الاستبدال بكم وعلى غيره من الاشياء. وفيه مبالغة.

قوله تعالى :

﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ﴾ (٤٠) آية بلا خلاف .

قرأ يعقوب وحده « وكلمة الله هي العليا » على تقدير وجعل كلمة الله هي العليا ومن رفع استأنف ، وهو أبلغ ، لأنه يفيد ان كلمة الله العليا على كل حال . وهذا ايضاً زجر آخر وتهديد لمن خاطبه في الآية الاولى بأنهم إن لم ينصروا النبي (ص) ولم يقاتلوا معه ، ولم يجاهدوا عدوه « فقد نصره الله » أي قد فعل الله به النصر حين اخرجه الكفار من مكة ثاني اثنين . وهو نصب على الحال اي هو ومعه آخر ، وهو ابو بكر في وقت كونهما في الغار من حيث « قال لصاحبه » يعني ابا بكر « لا تحزن » اي لا تخف ، ولا تجزع ان الله معنا اي ينصرنا . والنصرة على ضربين :

احدهما - يكون نعمة على من ينصره . والآخر - لا يكون كذلك ، فنصرة المؤمنين تكون احساناً من الناصر الى نفسه لأن ذلك طاعة لله ولم تكن نعمة على النبي (ص) .

الثاني - من ينصر غيره لينفعه بما تدعوا اليه الحكمة كان ذلك نعمة عليه مثل نصرة الله لنبيه (ص) .

ومعنى « ثاني اثنين » احد اثنين يقولون هذا ثاني اثنين ، وثالث ثلاثة ، ورابع اربعة ، وخامس خمسة ، لأنه مشتق من المضاف اليه . وقد يقولون خامس اربعة أي

خمس الأربعة بمصيره فيهم بعد ان لم يكن .

والغار ثقب عظيم في الجبل قيل : وهو جبل بمكة يقال له ثور ، في قول قتادة وقال مجاهد : مكث النبي (ص) في الغار مع ابي بكر ثلاثاً . وقال الحسن : انبت الله على باب الغار ثمامة ، وهي شجيرة صغيرة . وقال غيره : الهم العنكبوت فنسجت على باب الغار . وأصل الغار الدخول الى عمق الخباء . ومنه قوله : « ان اصبح ماؤكم غوراً » (١) وغارت عينه تغور غورا اذا دخلت في رأسه . ومنه اغار على القوم اذا اخرجهم من اخبيتهم بهجومه عليهم . وقوله : « فانزل الله سكينته عليه » قيل فيمن تعود الهاء اليه قولان : احدهما — قال الزجاج : انها تعود الى النبي (ص) . والثاني — قال الجبائي : تعود على ابي بكر ، لأنه كان الخائف واحتاج الى الامن لان من وعد بالنصر ، فهو ساكن القلب والاول أصح ، لأن جميع الكنايات قبل هذا وبعده راجعة الى النبي (ص) الا ترى ان قوله : « الا تنصروه » الهاء راجعة الى النبي (ص) بلا خلاف ، وقوله : « فقد نصره الله » فالهاء ايضاً راجعة الى النبي صلى الله عليه وآله . وقوله : « اذ اخرجه » يعني النبي (ص) « اذ يقول لصاحبه » يعني صاحب النبي (ص) ثم قال : « فأنزل الله سكينته عليه » وقال بعده : « وايده بجنود » يعني النبي (ص) فلا يليق أن يتخلل ذلك كله كناية عن غيره ، وتأييد الله اياه بالجنود ما كان من تقوية الملائكة لقلبه بالبشارة بالنصر من ربه ومن القاء اليأس في قلوب المشركين حتى انصرفوا خائبين .

وقوله : « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى » أي جعلها نازلة دنية وأراد بذلك ان يسفل وعيدهم النبي (ص) وتخويفهم اياه وأبطله ، ونصر رسول الله والمؤمنين عليهم فعبر عن ذلك بأنه جعل كلمتهم كذلك ، لا انه خلق كلمتهم كما قال : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا » (٢) .

---

(١) سورة الملك آية ٣٠ . (٢) سورة الزخرف آية ١٩ .

وقيل ان كلمة الذين كفروا الشرك ، وكلمة الله التوحيد ، وهي قول : لا اله الا الله . وقيل كلمتهم هو ما تغامزوا عليه من قتله . و « كلمة الله » ما وعد به من النصر والنجاة . ثم اخبر ان « كلمة الله هي » المرتفعة أي هي المنصورة بغير جعل جاعل ، لأنها لا يجوز أن تدعوا الى خلاف الحكمة .

وقوله : « والله عزيز » معناه قادر لا يقهر « حكيم » واضع الأشياء مواضعها ليس فيها وجه من وجوه القبيح .

وليس في الآية ما يدل على تفضيل ابي بكر ، لأن قوله : « ثاني اثنين » مجرد الاخبار أن النبي (ص) خرج ومعه غيره ، وكذلك قوله : « اذ هما في الغار » خبر عن كونهما فيه وقوله : « اذ يقول لصاحبه » لا مدح فيه ايضاً ، لأن تسمية الصاحب لا تفيد فضيلة ألا ترى ان الله تعالى قال في صفة المؤمن والكافر «قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك » (١) وقد يسمون البهيمة بأنها صاحب الانسان كقول الشاعر :

وصاحبي بازل شمول

وقد يقول الرجل المسلم لغيره : أرسل اليك صاحبي اليهودي ، ولا يدل ذلك على الفضل . وقوله : « لا تحزن » ان لم يكن ذماً فليس بمدح بل هو نهي محض عن الخوف . وقوله : « ان الله معنا » قيل ان المراد به النبي (ص) ، ولو اريد به ابو بكر معه لم يكن فيه فضيلة ، لأنه يحتمل أن يكون ذلك على وجه التهديد ، كما يقول القائل لغيره إذا رآه يفعل القبيح لا تفعل إن الله معنا ، يريد انه متطلع علينا ، عالم بحالنا .

والسكينة قد بينا أنها نزلت على النبي (ص) بما بيناه من ان التأييد بجنود

---

(١) سورة الكهف آية ٣٥ .

الملائكة كان يختص بالنبي (ص) فأين موضع الفضيلة للرجل لولا العناد . ولم نذكر هذا للطعن على ابي بكر بل بينا ان الاستدل بالآية على الفضل غير صحيح .

قوله تعالى :

﴿ إنفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً وَجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ في سَبيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيرٌ لَكُمْ إنْ كُنتُمْ تَعْلَمونَ ﴾ (٤١) آية بلا خلاف .

هذا امر من الله تعالى للمؤمنين أن ينفروا الى جهاد المشركين خفافاً وثقالا . وقيل في معنى « خفافاً وثقالا » ثمانية أقوال :

احدها – قال الحسن ومجاهد والضحاك والجبائي : إن معناه شباناً وشيوخا .

وثانيها – قال صالح : معناه اغنياء وفقراء .

وثالثها – قال ابن عباس وقتادة : نشاطاً وغير نشاط .

ورابعها – قال ابو عمرو : ركباناً ومشاة .

وخامسها – قال ابن زيد : ذا صنعة وغير ذي صنعة .

وسادسها – قال الحكم : مشاغيل وغير مشاغيل .

وسابعها – قال الفراء : ذو العيال ، والميسرة : هم الثقال ، وذو العسرة وقلة العيال : هم الخفاف .

وثامنها – أن يحمل على عمومه فيدخل فيه جميع ذلك ، وهو الأولى والأليق بالظاهر ، وهو اختيار الطبري ، والرماني ويكون ذلك على حال خفة النفير وثقله لأن هذا الذي ذكر يجري مجرى التمثيل لما يعمل هذا العمل به .

وقوله : « وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم » أمر من الله لهم بأن يجاهدوا في

قتال اعدائه بأموالهم وأنفسهم . والجهاد بالمال واجب كالجهـــاد بالأنفس ، وهو الانفاق في سبيل الله ، وظاهر الآية يدل على وجوب ذلك بحسب الامكان ، فمن لم يطق الجهاد إلا بالمال فعليه ذلك يعين به من ليس له مال .

وظاهر الآية يقتضي وجوب مجاهدة البغاة كما يجب مجاهدة الكفار ، لأنه جهاد في سبيل الله ، ولقوله : « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله » (١) فاوجب قتال البغاة الى حين يرجعوا الى الحق .

وقوله : « ذلكم خير لكم » اشارة الى الجهاد ، وتقديره ذلك الجهاد خير لكم . وإنما قال : « خير لكم » وان لم يكن في ترك الجهاد خير لأحد أمرين :

احدهما خير من تركه الى المباح. والثاني — ان فيه الخير لكم لا في تركه، فلا يكون خير بمعنى أفعل من كذا .

وقوله : « ان كنتم تعلمون » معناه ان كنتم تعلمون الخير في الجملة فاعلموا أن هذا خير . وقال أبو علي : معناه « ان كنتم تعلمون » صدق الله فيما وعد به من الثواب الدائم .

وقال أبو الضحى : أول ما نزل من سورة براءة انفروا .

وقال مجاهد : أول ما نزل قوله : « لقد نصركم الله » .

وقال ابن عباس: نسخ هذه الآية قوله : «وما كان المؤمنون لينفروا كافة» (٢)

وقال جعفر بن قيس : هـذا ليس بمنسوخ ، لأن المنسوخ ما لا يجوز فعله . وهذا ليس بصحيح ، لأنه يجوز ان يكون وجوبه زال الى الندب أو الاباحة .

قوله تعالى :

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ

(١) سورة الحجرات آية ٩ . (٢) سورة التوبة آية ١٢٣ .

بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)

آية بلا خلاف .

هذه الآية في قوم تخلفوا عن النبي (ص) ولم يخرجوا معه الى غزوة تبوك . وحسن الكناية عنهم وإن لم يجر لهم ذكر لكونهم داخلين في جملة الذين أمروا بالخروج مع النبي (ص) الى الجهاد وأن ينفروا معه . والمعنى لو كان المدعو اليه عرضاً قريباً من الغنيمة وما يطمع فيه من المال . وقوله : «وسفراً قاصداً» معناه سفراً سهلا باقتصاده من غير طول في آخره وسمي العدل قصداً ، لأنه مما ينبغي أن يقصد « لاتبعوك » يعني خرجوا معك وبادروا الى اتباعك « ولكن بعدت عليهم الشقة » اي بعدت عليهم المسافة ، لأنهم دعوا الى الخروج الى تبوك ناحية الشام ، فالشقة القطعة من الأرض التي يشق ركوبها على صاحبها لبعدها . ويحتمل ان يكون من الشق ويحتمل ان يكون من المشقة . والشقة السفر والمشاقة . وقريش يضمون الشين ، وقيس يكسرنها . وقريش يضمون العين من (بعدت) .

وقوله : « سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم » اخبار منه تعالى ان هؤلاء الذين ذكرهم يحلفون ويقسمون على وجه الاعتذار اليك ويقولون فيما بعد « لو استطعنا لخرجنا معكم » اي لو قدرنا وتمكنا من الخروج لخرجنا معكم . ثم اخبر تعالى انهم يهلكون انفسهم بذلك واخبر تعالى انه يعلم انهم يكذبون في هذا الخبر الذي اقسموا عليه . وفي الآية دلالة على ان الاستطاعة قبل الفعل لانهم لا يخلون من احد امرين : إما أن يكونوا مستطيعين من الخروج وقادرين عليه ولم يخرجوا أو لم يكونوا قادرين عليه وانما حلفوا انهم لو قدروا في المستقبل لخرجوا ، فان كان الأول فقد ثبت ان القدرة قبل الفعل وإن كان المراد الثاني فقد اكذبهم الله في ذلك

وبين انه لو فعل لهم الاستطاعة لما خرجوا وفي ذلك ايضاً تقدم القدرة على المقدور وليس لهم ان يحملوا الاستطاعة على آلة السفر وعدة الجهاد ، لأن ذلك ترك الظاهر من غير ضرورة فان حقيقة الاستطاعة القدرة . وانما يشبه غيرها بها على ضرب من المجاز على انه إذا كان عدم الالة والعدة تعذر صاحبها في التأخر فمن ليس فيه قدرة اولى بأن يكون معذورا . وفي الآية دلالة على النبوة لأنه اخبر انهم سيحلفون في المستقبل على ذلك بالله « لو استطعنا لخرجنا معكم » فجاؤا فيما بعد وحلفوا على ما اخبر به.

قوله تعالى:

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٤٣) آية بلا خلاف .

هذا خطاب فيه بعض العتاب للنبي (ص) في اذنه من استأذنه في التأخر فأذن له فأخبر الله بأنه كان الأولى ان لا تأذن لهم وتلزمهم الخروج معك حتى اذا لم يخرجوا ظهر نفاقهم لأنه متى اذن لهم ثم تأخروا لم يعلم بالنفاق كان تأخرهم لغيره . وكان الذين استأذنوه منافقين . وحقيقة العفو الصفح عن الذنب . ومثله الغفران ، وهو ترك المؤاخذة على الاجرام . وقد كان يجوز ان يعفو الله عن جميع المعاصي كفراً كان او غيره غير انه أخبر انه لا يعفو عن عقاب الكفر لاجماع الامة على ذلك وما عداه من الفسق باق على ما كان عليه من الجواز .

وانما قال : « عفا الله عنك » على غير لفظ المتكلم لأنه افخم من الكناية لأن هذا الاسم من اسماء التعظيم كما ان قولك إن رأي الامير افخم من قولك اني رأيت .

وقال ابو علي الجبائي : في الآية دلالة على ان النبي (ص) كان وقع منه ذنب في هذا الاذن . قال : لأنه لا يجوز ان يقال لم فعلت ما جعلت لك فعله كما لا يجوز ان يقول لم فعلت ما امرتك بفعله . وهذا الذي ذكره غير صحيح ، لأن قوله : « عفا

الله عنك » إنما هي كلمة عتاب له (ص) لم فعل ما كان الأولى به ان لا يفعله ، لأنه وان كان له فعله من حيث لم يكن محظوراً فان الأولى ان لا يفعله كما يقول القائل لغيره إذا رآه يعاتب اخاً له لم عاتبته وكلمته بما يشق عليه ؟ وان كان له معاتبته وكلامه بما يثقل عليه . وكيف يكون ذلك معصية وقد قال الله في موضع آخر : « فان استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم » وإنما اراد الله انه كان ينبغي أن ينتظر تأكيد الوحي فيه . ومن قال هذا ناسخ لذلك فعليه الدلالة .

وقوله : « لم اذنت » فالاذن رفع التبعة ، عاتب الله تعالى نبيه (ص) لم اذن لقوم من المتأخرين عن الخروج معه الى تبوك وإن كان له اذنهم لكن كان الأولى ان لا يأذن « حتى يتبين لك » حتى يظهر لك « الذين صدقوا » في قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لأنه كان فيهم من اعتل بالمرض والعجز وعدم الحمولة «وتعلم الكاذبين» منهم في هذا القول .

قوله تعالى :

﴿ لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (٤٤) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى نبيه بعلامة المنافقين والكاذبين بأن بين انه لا يستأذن احد النبي (ص) في التأخر عنه والخروج معه الى جهاد اعدائه ولا يسأله الاذن في التأخر القوم الذين يؤمنون بالله ويصدقون به ويقرون بوحدانيته ويعترفون باليوم الآخر والاستئذان طلب الاذن من الآذن . ومعنى قوله : «ان يجاهدوا» فيه حذف وتقديره لأن لا يجاهدوا بحذف (لا) لأن ذمهم قد دل عليه – هذا قول ابي علي الجبائي .

وقال الحسن : تقديره كراهية ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم .

وقال الزجاج : هو موضع نصب لان تقديره في ان يجاهدوا فلما حذف حرف الجر انتصب ، وعند سيبويه وغيره هو في موضع الجر .

وقوله : « والله عليم بالمتقين » اخبار منه تعالى بأنه يعلم من يتقي معصية الله ويخاف عقابه ، ومن لا يتقيه . قال ابن عباس هذ تعبير للمنافقين حين استأذنوه في القعود عن الجهاد وعذر للمؤمنين ، فقال : لم يذهبوا حتى يستأذنوه . والمعنى انه لم يخرجهم من صفة المتقين إلا أنه علم أنهم ليسوا منهم .

فان قيل اي الجهادين افضل أجهاد السيف ام جهاد العلم ؟

قيل : هذا بحسب الحاجة اليه والمصلحة فيه وكذلك الجهاد بالمال والجهاد بالنفس . وإنما يقع التفاضل مع استواء الأحوال الا بمقدار الخصلة الزائدة من خصال الفضل .

وأجاز الرماني الجهاد مع الفساق إذا عاونوا على حق في قتال الكفار ، لأنهم يطيعون في ذلك الفعل كما هم مطيعون في الصلاة والصيام وغير ذلك من شريعة الاسلام . والظاهر من مذهب اصحابنا انه لا يجوز ذلك إلا ما كان على وجه الدفع عن النفس وعن بيضة الاسلام .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٤٥)

آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى فى هذه الآية بأنه انما يستأذن النبي (ص) في التأخر عن الجهاد

والقعود عن القتال معه القوم « الذين لا يؤمنون بالله » اي لا يصدقون بالله ولا يعترفون به ، واليوم الآخر » يعني بالبعث والنشور «وارتابت قلوبهم» يعني اضطربت وشكت . والارتياب هو الاضطراب في الاعتقاد بالتقدم مرة والتأخر اخرى . والريبة شك معه تهمة: رابني ريباً وريبة وارتاب ارتياباً ، واستراب استرابة .

وقوله : « فهم في ريبهم يترددون » معناه فهم في شكهم يذهبون ويرجعون والتردد هو التصرف بالذهاب والرجوع مرات متقاربة ، مثل المتحير ، ردّه ردّاً وردّده ترديداً وتردّد تردّداً وارتدّ ارتداداً ، ورادّه مرادّة . وترادّ القوم ترداداً ، واستردّه استرداداً .

وقوله : « في ريبهم يتردّدون » يدل على بطلان قول من يقول : ان المعارف ضرورة ، لأنه تعالى اخبر انهم في شكهم يتردّدون ، صفة الشاك المتحير في دينه الذي ليس على بصيرة من امره .

وقيل في معنى اليوم الآخر قولان :

احدهما - إن آخر يوم من ايام الدنيا والمؤذن بالكرة الاخيرة .

الثاني - وهو الأقوى - انه يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة وهو الأظهر من مفهوم هذه اللفظة .

قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى ان هؤلاء المنافقين لو ارادوا الخروج مع النبي (ص) نصرة له ورغبة في جهاد الكفار كما اراد المؤمنون ذلك لأعدوا للخروج عدة ، وهو مايتهيأ لهم معها الخروج ، ولكن لم يكن لهم في ذلك نية وكان عزمهم على ان النبي (ص)

ان لم يأذن لهم في الاقامة فخرجوا ، افسدوا عليك وضربوا بين اصحابك ، وأفسدوا قلوبهم فكرّه الله خروجهم على هذا الوجه ، لأن ذلك كفر ومعصية . والله لا يكره الخروج الذي امرهم به ، وهو ان يخرجوا لنصرة نبيه وقتال عدوه والجهاد في سبيله كما خرج المؤمنون كذلك فثبطهم الله عن الخروج الذي عزموا عليه ولم يثبطهم عن الخروج الذي امرهم به ، لأن الاول كفر . والثاني طاعة .

وقوله : « وقيل اقعدوا مع القاعدين » يحتمل شيئين :

احدهما — ان يكون القائلون لهم ذلك اصحابهم الذين نهوهم عن الخروج مع النبي نصرة له ورغبة في الجهاد .

الثاني — ان يكون ذلك من قول النبي (ص) لهم على وجه التهديد لا على وجه الاذن ، ويجوز ان يكون اذنه لهم في القعود الذي عاتبه الله عليه . وأنه كان الأولى ان لا يأذن لهم فيه ، ولا يجوز ان يكون ذلك من قول الله ، لأنه لو كان كذلك لكان مباحاً لهم التأخر . اللهم إلا ان يكون ذلك على وجه التهديد ، فيجوز ان يكون ذلك من قول الله .

والعدة والاهبة والالة نظائر . والانبعاث الانطلاق بسرعة في الأمر ، ولذلك يقال : فلان لا ينبعث في الحاجة اي ليس له نفاذ فيها . والتثبط التوقف عن الامر بالتزهيد فيه ومثله التعقيل .

وقوله : « مع القاعدين » يعني مع النساء والصبيان والمرضى والزمنى ، ومن ليس به حراك .

قال ابن اسحاق : كان الذين استأذنوه اشرافاً ورؤساء كعبد الله بن ابي ابن ابي سلول والجد بن قيس . وزاد مجاهد رفاعة بن التابوت واوس بن قيظي .

قوله تعالى :

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٤٧) آية بلاخلاف .

المعنى :

بين الله تعالى في هذه الآية الوجوه في كراهية انبعاثهم ووجه الحكمة في تثبيطهم عن ذلك وهو ما علم ان في خروجهم مفسدة للمؤمنين ، لأنه قال : « لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا » قال الفراء: لو قال ما زادوكم يريد خروجهم لكان جائزاً ، وهذا من سعة العربية .

اللغة :

والخبال الفساد والخبال الموت والخبال الاضطراب في الرأي بتزيين أمر لقوم وتقبيحه لآخرين ليختلفوا وتفترق كلمتهم .

وقوله : « ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة » والايضاع الاسراع في السير بطرح العلق قال الشاعر :

ارانا موضعين لامر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب (١)

وقال آخر:

يا ليتني فيها جذع اخب فيها وأضع (٢)

(١) مر تخريجه فى ١ : ٣٧٢ .

(٢) قائله دريد بن الصمة قاله يوم حنين ؛ اللسان (وضع) وسيرة ابن هشام ٤ : ٨٢ وتفسير الطبرى ١٤ : ٢٧٨ .

وربما قالوا للراكب : وضع بغير الف ، ومنه وضعت الناقة تضع وضعـــاً ، وأوضعتها ايضاعاً .

المعنى :

ومعنى الايضاع هاهنا اسراعهم في الدخول بينهم للتضريب بنقل الكلام على وجه التخويف . قال الحسن : معناه مشوا بينكم بالنميمة ، لافساد ذات بينكم .

وقوله : « وفيكم سماعون لهم » قيل في معناه قولان :

احدهما — قال قتادة وابن ابي اسحاق : فيكم القائلون منهم عند سماع قولهم .

وقوله : « إلا خبالا » استثناء منقطع وتقديره ما زادوكم قوة ولكن طلبوا لكم الخبال ويحتمل ان يكون المعنى انهم على خبال في الرأي فيعقده حتى يصير خبالا فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا .

الثاني — قال مجاهد وابن زيد : لهم عيون منهم ينقلون اخباركم الى المشركين .

وقوله : « يبغونكم الفتنة » معناه يطلبون لكم المحنة باختلاف الكلمة والفرقة . قال الحسن : يبغونكم ان تكونوا مشركين .

اللغه :

وأصل الفتنة اخراج خبث الذهب بالنار ، تقول : بغيتك كذا بمعنى بغيت لك . ومثله جلبتك وجلبت لك وخلالكم اي بينكم مشتق من التخلل ، وهي الفرجة تكون بين القوم في الصفوف وغيرها ، ومنه قول النبي (ص) تراصوا في الصفوف لا يتخللكم اولاد الخذف .

المعنى :

وقوله : « والله عليم بالظالمين » معناه ها هنا عالم بمن يستأذن النبي (ص)

في التأخر شكا في الاسلام و نفاقاً وعالماً بمن سمع حديث المؤمن وينقله الى المنافقين فان هؤلاء ظالمون انفسهم وباخسون لها حظها من الثواب .

قوله تعالى :

﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٤٨) آية .

اقسم الله تعالى ان هؤلاء المنافقين « ابتغوا » أي طلبوا إفساد ذات بينكم وافتراق كلمتكم في يوم احد حتى انصرف عبد الله بن ابي باصحابه وخذل النبي (ص) وكان هو وجماعة من المنافقين يبغون للاسلام الغوائل قبل هذا ، فسلم الله المؤمنين من فتنتهم وصرفها عنهم .

وقوله : « وقلبوا لك الامور » فالتقليب هو تصريف الشيء بجعل اسفله اعلاه مرة بعد اخرى ، فهؤلاء صرفوا القول في المعنى للحيلة والمكيدة .

وقوله : « حتى جاء الحق » اي حتى اتى الحق « وظهر امر الله وهم كارهون » اي في حال كراهتهم لذلك ، فهي جملة في موضع الحال . والظهور خروج الشيء الى حيث يقع عليه الادراك وقد يظهر المعنى للنفس اذا حصل العلم به .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (٤٩) آية .

النزول :

قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد : نزلت هذه الآية في الجد بن قيس وذلك

ان النبي (ص) لما دعا الناس الى الخروج الى غزوة تبوك لقتال الروم جاءه الجد ابن قيس ، فقال : يا رسول الله اني رجل مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ، قال الفراء : سمي الروم اصفر ، لأن حبشياً غلب على ناحية الروم ، وكان له بنات قد اخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكن صفراً لعساً ، فنزلت هذه الآية فيه .

المعنى :

وقال الحسن وقتادة وأبو عبيدة وأبو علي والزجاج : معني ولا تفتني ولا تؤثمني بالعصيان في المخالفة التي توجب الفرقة فتضمنت الآية ان من جملة المنافقين من استأذن النبي (ص) في التأخر عن الخروج والاذن رفع التبعة في الفعل ، وهو والاباحة بمعنى . وقال له : « لا تفتني » اي لا تؤثمني بأن تكلفني المشقة في ذلك فأهم بالعصيان او لا تفتني ببنات اصفر على ما حكيناه ، فقال الله تعالى : « الا في الفتنة سقطوا » اي وقعوا في الكفر والمعصية ، وبهذا القول وبهذا الفعل .

اللغة :

والسقوط الوقوع الى جهة السفل ووقوع الفعل حدوثه وسقوطه ايضاً .

وقوله : « وإن جهنم لمحيطة بالكافرين » اخبار منه تعالى ان جهنم مطيفة بما فيها من جميع جهاتها بالكافرين . والاحاطة والاطافة والاحداق نظائر في اللغة ولا يدل ذلك على انها لا تحيط بغير الكفار من الفساق الا ترى انها تحيط بالزبانية والمتولين للعقاب ، فلا تعلق للخوارج بذلك .

قوله تعالى :

﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا

قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾ (٥٠) آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه (ص) بأن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم متى نال النبي (ص) والمؤمنين « حسنة » اي نعمة من الله تعالى وظفر باعدائهم وغنيمة ينالونها ساءهم ذلك واحزنهم وإن تصبهم « مصيبة » اي آفة في النفس او الأهل او المال . واصلها الصوب ، وهو الجري الى الشيء يقال : صاب يصوب صوباً ، ومنه صوب الاناء إذا ميله للجري ، والصواب اصابة الحق « يقولوا » يعني هؤلاء المنافقين « قد اخذنا امرنا من قبل » ومعناه قد حذرنا واحترزنا في قول مجاهد وغيره ، ومعناه اخذنا امرنا من مواضع الهلكة فسلمنا مما وقعوا فيه « ويتولوا » اي يعرضوا « وهم فرحون » اي فرحين بتأخرهم وسلامتهم مما نال المؤمنين من المصيبة . والاصابة وقوع الشيء بما قصد به .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٥١) آية بلا خلاف .

امر الله تعالى نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء المنافقين الذين يفرحون بمصيبات المؤمنين وسلامتهم منها « لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » وقيل في معناه قولان :

احدهما — ان كل ما يصيبنا من خير او شر فهو مما كتبه الله في اللوح المحفوظ من امرنا ، وليس على ما تظنون وتتوهمون من اهمالنا من غير ان نرجع في امرنا الى تدبير ربنا هذا قول الحسن .

الثاني — قال الجبائي والزجاج : يحتمل ان يكون معناه لن يصيبنا في عاقبة

امرنا إلا ما كتب الله لنا في القرآن من النصر الذي وعدنا .

وقال البلخي : يجوز ان يكون (كتب) بمعنى علم ويجوز ان يكون بمعنى حكم ، والأولان اقوى .

فان قيل : ما الفائدة في كتب ما يكون من افعال العباد قبل كونها ؟ قلنا في ذلك مصلحة للملائكة ما يقابلون به فيجدونه متفقاً في الصحة مع ان تصور كثرته اهول في النفس وأملأ للصدر .

وقوله : « هو مولانا » يحتمل معنيين :

احدهما - انه مالكنا ونحن عبيده .

والثاني فان الله يتولى حياطتنا ودفع الضرر عنا .

وقوله : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » امر منه تعالى للمؤمنين ان يتوكلوا عليه تعالى دون غيره : والتوكل تفويض الامر الى الله ، والرضا بتدبيره والثقة بحسن اختياره ، كما قال : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (١) وحرف الجر الذي في معنى الظرف متعلق بالامر في قوله : « فليتوكل » وتقديره فليتوكل على الله المؤمنون . وانما جاز تقديمه لانه لا يلبس ، ولا يجوز تقديمه على حرف الجزاء لأنه يلبس بالجزاء في الجواب .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾ (٥٢) آية بلا خلاف .

(١) سورة الطلاق آية ٣ .

روى ابن فليح والبزي إلا النقاش « هل تربصون » بتشديد الباء ، وجهه انه اراد تتربصون فادغم احدى التائين في الاخرى .

امر الله تعالى نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء المنافقين «هل تربصون بنا» والتربص التمسك بما ينتظر به مجيء حينه ولذلك قيل تربص بالطعام إذا تمسك به الى حين زيادة سعره ، وقوله : « إلا احدى الحسنيين » واحدى الشيئين واحدة منهما ، واحد العشر واحد منها ، واحدى النساء معناه واحدة منهن . والحسنيان عظيمان في الحسن من النعم ومعانيهما ها هنا إما الغلبة بنصر الله عز وجل والشهادة المؤدية الى الجنة في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم .

وهل حرف من حروف الاستفهام والمراد هاهنا التقريع بالتربص المؤدي صاحبه الى كل ما يكرهه من خيبة وفوز خصمه .

وقوله : « ونحن نتربص بكم » اي قل لهؤلاء ، ونحن ايضاً نتوقع بكم ان يوقع بكم عذاباً « من عنده » يهلككم به « او بأيدينا » بأن ينصرنا عليكم فيقتلكم بأيدينا .

وقوله : « فتربصوا » صورته صورة الأمر والمراد به التهديد ، كما قال : « اعملوا ما شئتم » (١) واستقر زمن استطعت » (٢) وانما قلنا ذلك لأن تربص المنافقين بالمؤمنين تمسك بما يؤدي الى الهلاك وذلك قبيح لا يريده الله ولا يأمر به .

وقال الفراء : العرب تدغم لام هل وبل في التاء خاصة وهو كثير في كلامهم .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ

(١) سورة حم السجدة آية ٤٠ . (٢) سورة الاسرى آية ٦٤ .

كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ ﴾ (٥٣) آية .

أمر الله تعالى نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء المنافقين « انفقوا » وصورته صورة الامر وفيه ضرب من التهديد وهو مثل قوله : «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر»(١) وانما هو بيان عن توسعة التمكين من الطاعة والمعصية ، وقال قوم : معناه الخبر الذي يدخل ان فيه للجزاء كما قال كثير :

اسيئي بنا أواحسنى لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تفلت (٢)

كانه قال : ان احسنت أو اسأت لم تلامي ، وإنما حسن ان يأتي بصيغة الأمر على معنى الخبر بتوسعة التمكين لأنه بمنزلة الأمر في طلب فعل ما يتمكن الذي قد عرفه المخاطب ، كأنه قيل اعمل بحسب ما يوجبه الحق فيما مكنت من الامرين . ووجه آخر أن كل واحد من الضربين كالمأمور به في انه لا يعود وبال العائد الاعلى المأمور .

وقوله : « طوعا » فالطوع الانقياد بارادة لمن عمل عليها . والكره فعل الشيء بكراهة حمل عليها .

وقوله : « لن يتقبل منكم » معناه لا يجب لكم به الثواب على ذلك مثل تقبل الهدية ووجوب المكافاة وتقبل التوبة وايجاب الثواب عليها ، ومثله في كل طاعة .

وقوله : « إنكم كنتم قوماً فاسقين » اخبار منه تعالى وخطاب لهؤلاء المنافقين بأنهم كانوا فاسقين متمردين عن طاعة الله فلذلك لم يقبل نفقاتهم وإنما كانوا ينفقون أموالهم في سبيل الله للرياء ودفعاً عن انفسهم .

---

(١) سورة الكهف آية ٢٩ .

(٢) مر هذا البيت فى ١ : ٣٢٧ وهو فى تفسير الطبرى ٢ : ٢٩٤ ، ١٤ : ٢٩٣ . ومعانى القرآن ١ : ٤٤١ .

قوله تعالى :

﴿ وَما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسالى وَلا يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كارِهُونَ ﴾ (٥٤) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ اهل الكوفة الا عاصما « ان يقبل » بالياء . الباقون بالتاء .

وجه قراءة من قرأ بالياء ان التأنيث ليس بحقيقي فجاز أن يذكر كقوله : «فمن جاءه موعظة » ومن قرأ بالتاء فعلى ظاهر التأنيث .

المعنى والاعراب :

المنع امر يضاد الفعـــل وينافيه . والمعنى هاهنا أن هؤلاء المنافقين منعوا انفسهم ان يفعل بهم قبول نفقاتهم ، كما يقول القائل : منعته بري وعطائي .

وقوله : « ان تقبل » في موضع نصب ، وتقديره وما منعهم من ان تقبل وحذف (من) .

وقوله : « إلا انهم كفروا بالله ورسوله » انهم في موضع رفع والعامـــل في اعراب انهم يحتمل احد امرين : احدهما - ما منعهم من ذلك إلا كفرهم . والثاني - ان يكون تقديره ما منعهم الله منه إلا لأنهم كفروا بالله . وعندنا ان الكافر لا يقع منه الانفاق على وجه يكون طاعة ، لأنه لو أوقعها على ذلك الوجه لاستحق الثواب . والاحباط باطل ، فكان يؤدي الى ان يكون مستحقاً للثواب . وذلك خلاف الاجماع

(١) سورة البقرة آية ٢٧٥ .

وعند من خالفنا من المعتزلة وغيرهم يصح ذلك غير انه ينحبط بكفره . فأما الصلاة فلا يصح أن تقع منهم على وجه تكون طاعة بلا خلاف ، لأن الصلاة طريقها الشرع فمن لا يعترف بالشرع لا يصح ان يوقعها طاعة ، وليس كذلك الانفاق ، لأن العقل دال على حسنه غير انهم وإن علموا ذلك لا يقع منهم كذلك على ما بيناه .

وقوله : « ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى » اي يقومون اليها على وجه الكسل وذلك ذم لهم بأنهم يصلون الصلاة على غير الوجه الذي امروا به ، من النفاق الذي يبعث على الكسل عنها دون الايمان الذي يبعث على النشاط لها .

وقوله : « ولا ينفقون إلا وهم كارهون » اخبار منه تعالى بأنهم لا ينفقون ما ينفقونه لكونه طاعة بل ينفقونه كارهين لذلك وذلك يقوي ما قلناه .

قوله تعالى :

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٥٥) آية بلا خلاف .

المعنى :

هذا نهي للنبي (ص) والمراد به المؤمنون والمعنى : لا يروق ناظركم ايها المؤمنون ظاهر حسنها يعني اموال المنافقين والكفار واولادهم تستحسنونه بالطبع البشري . وانما قلنا ذلك ، لأن النبي (ص) مع زهده لا يجوز ان يعجب بها اعجاب مشتهلها.

وقوله : « انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا » وقيل في معنى ذلك وجوه :

احدها — قال ابن عباس وقتادة والفراء : ان فيه التقديم والتأخير والتقدير

فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة فيكون الظرف على هذا متعلقاً بأموالهم وأولادهم ، ومثله قوله تعالى : « فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ما ذا يرجعون » (١) وتقديره فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم .

الثاني — قال ابن زيد : معناه انما يريد الله ليعذبهم بحفظها والمصائب فيها مع حرمان النفقة بها .

والثالث — قال الجبائي : تقديره انما يريد الله ليعذبهم في الحياة الدنيا عند تمكن المؤمنين من اخذها وغنمها فيتحسرون عليها ويكون ذلك جزاء على كفرهم نعم الله تعالى بها .

والرابع قال البلخي والزجاج : ان معناه فلا تعجبك اموالهم ، فانها وبال عليهم ، لأن الله يعذبهم بها اي بما يكلفهم من انفاقها في الوجوه التي امرهم بها فتزهق انفسهم لشدة ذلك عليهم لانفاقهم ، وهم مع هذا كله كافرون وعاقبتهم النار فيكون قوله : « وهم كافرون » اخباراً عن سوء احوالهم وقلة نفع المال والولد لهم ولا يكون عطفاً على ما مضى .

والخامس — أن يكون المعنى ان مفارقتها وتركها والخروج عنها بالموت صعب عليهم شديد ، لأنهم يفارقون النعم ولا يدرون الى ماذا يصيرون بعد الموت فيكون حينئذ عذاباً عليهم بمعنى أن مفارقتها غم وعذاب . ومعنى « وتزهق انفسهم » اي تهلك وتذهب بالموت يقال : زهق بضاعة فلان اي ذهبت اجمع .

السادس — قال الحسن : اخبر الله تعالى عن عاقبتهم انهم يموتون على النفاق . وقال : ليعذبهم بزكاتها وانفاقها في سبيل الله ، وهو قول البلخي ايضاً والزجاج مع اعتقادهم ان ذلك ليس بقربة ، فيكون ذلك عذاباً أليما .

(١) سورة النمل آية ٢٨ .

اللغة :

واللام في قوله : « ليعذبهم » يحتمل ان يكون بمعنى ان والتقدير إنما يريد الله ان يعذبهم .

والزهق الخروج بصعوبة . وأصله الهلاك ، ومنه قوله : « قل جاء الحق وزهق الباطل » (١) وكل هالك زاهق ، زهق يزهق زهوقاً . والزاهق من الدواب السمين الشديد السمن ، لأنه هالك يثقل بدنه في السير ، والكر والفر . وزهق فلان بين ايدي القوم إذا زهق سابقاً لهم حتى يهلك منهم .

والاعجاب السرور بما يعجب منه تقول : اعجبني حديثه اي سرني بظرف حديثه.

وليس في الآية ما يدل على ان الله تعالى اراد الكفر على ما يقوله المجبرة ، لأن قوله : « وهم كافرون » في موضع الحال كيفولك اريد ان تذمه فهو كافر واريد ان تضربه وهو عاص وأنت لا تريد كفره ولا عصيانه بل تريد ذمه في حال كفره وعصيانه ، وتقدير الآية إنما يريد الله عذابهم وازهاق انفسهم اي اهلاكها في حال كونهم كافرين ، كما يقول القائل للطبيب : اختلف الي كل يوم وأنا مريض ، وهو لا يريد المرض ويقول لغلامه : اختلف الي وأنا محبوس ، ولا يريد حبس نفسه .

قوله تعالى :

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ أَنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ (٥٦) آية .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين انهم يقسمون بالله انهم لمنكم يعني من المؤمنين وعلى دينهم الذي يدينون به ثم قال الله تعالى مكذباً لهم : « وما هم منكم » اي ليسوا

(١) سورة الاسرى آية ٨١ .

مؤمنين متلكم ولا مطيعين لله في اتباع دينه كما انتم كذلك ولكنهم قوم يفرقون اخبار منه تعالى ان هؤلاء المنافقين يفرقون من اظهار الكفر لئلا يقتلوا .

والفرق انزعاج النفس بتوقع الضرر . وأصله من مفارقة الامن الى حال الانزعاج .

قوله تعالى :

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئاً أَوْ مَغَاراتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ (٥٩) آية بلا خلاف .

قرأ يعقوب « أو مدخلا » بفتح الميم وتخفيف الدال وسكونها . وقرأ ، شاذ مدخلا بضم الميم وسكون الدال .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين انهم لو وجدوا ملجأ . ومعناه لو ادركوا مطلوبهم ، يقال: وجدت الضالة وجداناً ووجدت على الرجل وجداً وموجدة . والملجأ الموضع الذي يتحصن فيه ومثله المعقل والموئل ، والمعتصم والمنتصر .

وقال ابن عباس : معناه ها هنا حرزا . وقال مجاهد : أي حصناً ، ومثله يستعمل في الناصر والمساعد .

وقوله : « أو مغارات » اي لو وجدوا مغارات ، وهي جمع مغارة وهي المدخل الصاتر من دخل فيه .

وقال ابن عباس : معناه المغارات والغيران . والغار الثقب الواسع في الجبل ، ومنه غارت العين من الماء إذا غابت في الأرض وغارت عينه إذا دخلت في رأسه والمدخل المسلك الذي يتدسس بالدخول فيه وهو مفتعـــل من الدخول كالمتلج من الولوج . وأصله متدخل .

وقال ابن عباس وأبو جعفر (ع) والفراء : المدخل الاسراب في الارض .

وقوله : « لولوا اليه وهم يجمحون » فالجماح مضي الماء مسرعاً على وجهه لا يرده

شيء عنه . وقال الزجاج : فرس جموح ، وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام . وقيل هو المشي بين المشيين قال مهلهل :

لقد جمحت جماحاً في دمائهم حتى رأيت ذوي اجسامهم جمدوا (١)

وقال الزجاج : معنى (مدخلا) اي لو وجدوا قوماً يدخلون في جملتهم أو قوماً يدخلونهم في جملتهم يعتصمون بهم لفعلوا .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ (٥٨) آية .

قرأ يعقوب « يلمزك » بضم الميم . الباقون بكسرها ، وهما لغتان ، وهذه الآية فيها اخبار أن من جملة المنافقين الذين ذكرهم من يلمزك يا محمد (ص) في الصدقات اي يعيبك في قول الحسن . واللمز العيب على وجه المساترة ، والهمز العيب - بكسر العين وهمزها - في قول الزجاج - تقول : لمزه يلمزه ويلمزه - بالكسر والضم - وهي صفتهم قال الشاعر :

إذا لقيتك تبدي لي مكاشرة وان تغيبت كنت الهامز الهمزة (٢)

وقال رؤبه :

قاربت بين عنقي وجمزي في ظل عصري باطلي ولمزي (٣)

وقال ابو عبيدة : يلمزك معناه يعيبك . وقال قتادة : معنـــاه يطعن عليك .

(١) مجمع البيان ٥ : ٤٠ طبع ايران سنة ١٣٧٣ .

(٢) قائله زياد الاعجم مجاز القرآن ١ : ٢٦٣ واللسان «همز» ومقاييس اللغة ٦ : ٦٦ والطبرى ١٤ : ٣٠١ وفيه اختلاف كثير فى الرواية .

(٣) ديوانه : ٦٤ وتفسير الطبرى ١٤ : ٣٠٠ .

والهمز الغيبة . ومنه قوله : «هماز مشاء بنميم» . وقيل لاعرابي : اتهمز الفأرة ؟ قال : الهر يهمزها ، فأوقع الهمز على الاكل ، والهمز كاللمز ، ومنه قوله : « ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا » . والصدقات جمع صدقة وهي العطية للفقير على وجه البر والصلة . والصدقة الواجبة في الأموال حرام على رسول الله [وأهل بيته] صلى الله عليه وآله كأنهم جعلوا في تقدير الأغنياء ، فأما البر على وجه التطوع فهو مباح لهم .

وقوله : « فان اعطوا منها رضوا » يعني من الصدقات رضوا بذلك وحمدوك عليه « وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون » يعني إذا لم يعطوا ما طلبوه من الصدقات سخطوا وغضبوا . والصدقة محرمة على من كان غنياً .

واختلفوا في حد الغني ، فقال قوم : هو من ملك نصاباً من المال . وقال آخرون : هو من كانت له مادة تكفيه ، ملك النصاب أو لم يملك ، والذي كان يلمز النبي (ص) في الصدقات بلتعة بن حاطب ، وكان يقول : إنما يعطي محمد الصدقات من يشاء فربما اعطاه النبي (ص) فيرضى وربما منعه فسخط فتكلم فيه فنزلت الآية فيه .

قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ (٥٩)

آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان هؤلاء المنافقين الذين طلبوا منك الصدقات وعابوك بها لو رضوا بما اعطاهم الله ورسوله « وقالوا » مع ذلك « حسبنا الله » اي كفانا الله وانه سيعطينا الله من فضله وانعامه ويعطينا رسوله مثل ذلك وقالو : « انا الى الله راغبون » والجواب محذوف والتقدير لكان خيراً لهم واعود عليهم وحذف

الجواب في مثل هذا ابلغ لأنه لتأكيد الخبر به استغنى عن ذكره .

قوله تعالى :

﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ (٦٠) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه ليست الصدقات التي هي زكاة الاموال إلا للفقراء والمساكين ومن ذكرهم في الآية .

واختلفوا في الفرق بين الفقير والمسكين ، فقال ابن عباس والحسن وجابر وبن زيد والزهري ومجاهد : الفقير المتعفف الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل ، ذهبوا الى انه مشتق من المسكنة بالمسألة . وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : (ليس المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى فيغنيه ولا يسأل الناس الحافاً) . وقال قتادة : الفقير ذو الزمانة من اهل الحاجة . والمسكين من كان صحيحاً محتاجاً . وقال قوم : هما بمعنى واحد إلا انه ذكر بالصفتين لتأكيد امره قال الشاعر :

انا الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد (١)

ويسمى المحتاج فقيراً تشبيهاً بأن الحاجة كأنها قد كسرت فقار ظهره يقال : فقر الرجل فقراً وأفقره الله افقاراً وافتقر افتقارا ، وتفاقر تفاقراً . وسمي المسكين بذلك تشبيهاً بأن الحاجة كأنها سكنة عن حال اهل السعة والثروة . وقال الله تعالى :

---

(١) اللسان (وفق) . الحلوبة : الناقة التى تحلب . (وفق العيال) على قدر حاجتهم و (السبد) كناية عن القليل . وأصله الوبر ، وهو الشعر الضعيف .

« اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر » (١) ثم قال : المسكين احسن حالا احتج بهذه الآية. ومن قال هما سواء قال : السفينة كانت مشتركة بين جماعة لكل واحد منهم الشيء اليسير .

وقوله : « والعاملين عليها » يعني سعاة الزكاة وجباتها ، وهو قول الزهري وابن زيد وغيرهم .

وقوله : « والمؤلفة قلوبهم » معناه اقوام اشراف كانوا في زمن النبي (ص) فكان يتألفهم على الاسلام ويستعين بهم على قتال غيرهم ويعطيهم سهما من الزكاة. وهل هو ثابت في جميع الاحوال ام في وقت دون وقت ؟ فقال الحسن والشعبي : ان هذا كان خاصاً على عهد رسول الله (ص) . وروى جابر عن ابي جعفر محمد بن علي (ع) ذلك . واختار الجبائي انه ثابت في كل عصر الا ان من شرطه ان يكون هناك امام عدل يتألفهم على ذلك .

وقوله : « وفي الرقاب » يعني المكاتبين واجاز اصحابنا ان يشترى به عبد مؤمن إذا كان في شدة ويعتق من مال الزكاة ، ويكون ولاؤه لارباب الزكاة ، وهو قول ابن عباس وجعفر بن مبشر .

وقوله : « والغارمين » قال مجاهد وقتادة والزهري وجميع المفسرين ، وهو قول ابي جعفر (ع) انهم الذين ركبتهم الديون في غير معصية ولا إسراف فتقضى عنهم ديونهم ، و« في سبيل الله » يعني الجهاد بلا خلاف ، ويدخل فيه عند اصحابنا جميع مصالح المسلمين ، وهو قول ابن عمر وعطاء . وبه قال البلخي ، فانه قال : تبنى به المساجد والقناطر وغير ذلك ، وهو قول جعفر بن مبشر . و« ابن السبيل » وهو المسافر المنقطع به فانه يعطى من الزكاة وان كان غنياً في بلده من غير ان يكون ديناً عليه ،

(١) سورة الكهف آية ٨٠ .

وهو قول مجاهد وقتادة قال الشاعر :

انا ابن الحرب ربتني وليداً الى ان شبت واكتهلت لداتي (١)

وقال بعضهم : جعل الله الزكاة لامرين : احدهما - سد خلة . والآخر - تقوية ومعونة لعز الاسلام. واستدل بذلك على ان المؤلفة قلوبهم في كل زمان .

واختلفوا في مقدار ما يعطى الجابي للصدقة ، فقال مجاهد والضحاك : يعطى الثمن بلا زيادة . وقال عبد الله بن عمرو بن العاص والحسن وابن زيد : هو على قدر عمالته ، وهو المروي في اخبارنا .

وقال ابن عباس وحذيفة وعمر بن الخطاب وعطاء وابراهيم وسعيد بن جبير ، وهو قول ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام : ان لقاسم الزكاة ان يضعها في اي الاصناف شاء .

وكان بعض المتاخرين لا يضعها الا في سبعة أصناف لأن المؤلفة قد انقرضوا. وان قسمها الانسان عن نفسه ، ففي ستة لأنه بطل سهم العامل ، وزعم انه لا يجزى في كل صنف اقل من ثلاثة . وعندنا ان سهم المؤلفة والسعاه وسهم الجهاد قد سقط اليوم ، ويقسم في الخمسة الباقية كما يشاء رب المال وان وضعها في فرقة منهم جاز .

وقوله : « فريضة من الله » نصب على المصدر اي فرض ذلك فريضة وكان يجوز الرفع على الابتداء ولم يقرأ به ، ومعناه ان ما فرضه الله وقدره واجب عليكم .

وقوله : « والله عليم حكيم » معناه عالم بمصالحكم حكيم فيما يوجبه عليكم من اخراج الصدقات وغير ذلك .

---

(١) لم اعرف قائله . تفسير الطبرى ١٤ : ٣٢٠ ، ومجمع البيان ٥ : ٤٢ طبعة ايران سنة ١٣٧٣ .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦١)

آية بلا خلاف .

قرأ نافع « اذن خير » بالتخفيف الباقون بالتثقيل وكلهم اضاف ، ورفع ورحمة الا ابا عمرو ، فانه جر (ورحمة) ، وكان يجوز النصب على (ورحمة) يفعل ذلك . ولم يقرأ به احد .

اللغة والاعراب :

قال ابو علي : تخفيف اذن من اذن قياس مطرد نحو طنب وطنب ، وعنق وعنق وظفر وظفر لأن ذلك تخفيف وتثقيل لاتفاقهما في الوزن وفي جمع التكسير تقول اذان وأطناب وأعناق وأظفار ، فأما الاذن في الآية فانه يجوز ان يطلق على الجملة وان كان عبارة عن جارحة فيها ، كما قال الخليل في الناب من الأبل سميت به لمكان الناب الباذل فسميت الجملة كلها به . ويجوز ان يكون (فعلا) من اذن يأذن اذا استمع . ومعناه انه كثير الاستماع مثل شلل وأنف وشحح ، قال ابو زيد : رجل اذن ويقن اذا كان يصدق بكل ما يسمع فكما ان يقن صفة كبطل كذلك اذن كشلل ويقولون اذن يأذن اذا استمع . ومنه قوله : « واذنت لربها » (١) اي استمعت . وقوله : « ائذن لي » اي استمع . وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغني بالقرآن

(١) سورة الانشقاق آية ٣ .

قال الشاعر :

في سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل مأذى مشار (١)

والمعنى - في الاضافة - مستمع خير لكم وصلاح ، ومصغ اليه لا مستمع شر وفساد ومن رفع (رحمة) فالمعنى فيه اذن خير ورحمة اي مستمع خير ورحمة ، فجعله للرحمة لكثرة هذا المعنى فيه ، كما قال : « وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين » (٢) ويجوز ان يقدر حذف المضاف من المصدر . وأما من جر فعطفه على (خير) كأنه قال اذن خير ورحمة ، وتقديره مستمع خير ورحمة . وجاز هذا كما جاز مستمع خير ، لأن الرحمة من الخير وإنما خص تشريفاً ، كما قال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » ثم قال : « خلق الانسان من علق » (٣) وان كان قوله تعالى : «خلق» عم الانسان وغيره . والبعد بين الجار وما عطف عليه لا يمنع من العطف ألا ترى ان من قرأ « وقيله يا رب » انما جعله عطفاً على « وعنده علم الساعة » وعلم قيله .

وروي ان الاعمش قرأ قل « اذن خير ورحمة » وهي قراءة ابن مسعود .

المعنى :

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان من جملة هؤلاء - المنافقين الذين وصفهم وذكرهم - من يؤذي النبي (ص) والأذى هو ضرر ربما تنفر منه النفس في عاجل الامر وانهم يقولون هو اذن يعنون النبي (ص) . ومعنى (اذن) انه يصغي الى كل احد فيقبل ما يقوله - في قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك - وقيل اصله من اذن اذا استمع على ما بيناه قال عدي بن زيد :

ايها القلب تعلل بددن ان همي في سماع واذن (٤)

(١) اللسان (اذن) نسبه الى (عدى) .

(٢) سورة الانبياء آية ١٠٧ . (٣) سورة العلق آية ٢ .

(٤) اللسان (اذن) وامالى المرتضى ١ : ٣٣ وتفسير الطبرى ١٤ : ٣٢٥ .

وقيل السبب في ذلك : ان قوماً من المنافقين تكلموا بما ارادوه ، وقالوا ان بلغه اعتذرنا اليه ، فانه اذن يسمع ما يقال له ، فقال الله تعالى : « قل » يا محمد « اذن خير لكم » لا اذن شر ، وليس بمعنى افعل . وانما معناه اذن صلاح ولو رفع خيراً لكان معناه اصلح ، وهي قراءة الحسن والاعشى والبرجمي . وانما قال بعد ذلك : « يؤمن بالله » لأن معناه انه لأيمانه بالله يعمل بالحق فيما يسمع من غيره . وقيل يصغى الى انوحي من قبل الله .

وقوله : « ويؤمن للمؤمنين » قال ابن عباس : معناه ويصدق المؤمنين . وقيل دخلت اللام كما دخلت في قوله : « ردف لكم » (١) وتقديره ردفكم ، واللام مقحمة ومثله « لربهم يرهبون » (٢) ومعناه يرهبون ربهم . واللام مقحمة .

وقال قوم : دخلت اللام للفرق بين ايمان التصديق وايمان الامان .

وقوله : « ورحمة للذين آمنوا منكم » يعني ان النبي (ص) رحمة للمؤمنين منكم وانما خص المؤمنين بالذكر وان كان رحمة للكفار ايضاً من حيث انتفع المؤمنون به دون غيرهم من الكفار . ثم قال : « والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم » اي مؤلم موجع جزاء لهم على اذاهم للنبي (ص) .

النزول :

وقال ابن اسحاق : نزلت هذه الآية في نبتل بن الحارث كان يقول : إني لأنال من محمـــد ما شئت . ثم آتيه اعتذر اليه وأحلف له فيقبل فجاء جبرائيل الى رسول الله (ص) فقال : انه يجلس اليك رجل ادلم ثائر شعر الرأس اسفع الخدين احمر العينين كأنها قدران من صفر كبده اغلظ من كبد الجمل ينقل حديثك الى المنافقين فاحذره ، وكان ذلك صفة نبتل بن الحارث من منافقي الانصار ، فقال

(١) سورة النحل آية ٧٢ . (٢) سورة الاعراف آية ١٥٣ .

رسول الله (ص) من اختار أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث ، ذكره ابن اسحاق .

قوله تعالى :

﴿ يَحلِفونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٦٢) آية .

اخبر الله تعالى ان هؤلاء المنافقين يقسمون بالله انهم على دينكم وأنّ الذي بلغكم عنهم باطل « ليرضوكم » ومعناه يريدون بذلك رضاكم لتحمدوهم عليه . ثم قال تعالى : «والله ورسوله احق ان يرضوه» اى الله ورسوله اولى بأن يطلبوا مرضاتهما « ان كانوا مؤمنين » مصدقين بالله مقرين بنبوة نبيه .

والفرق بين الاحق والاصلح ان الاحق قد يكون موضعه غير الفعل ، كقولك: زيد احق بالمال . والاصلح لا يقع هذا الموقع ، لأنه من صفات الفعل . وتقول: الله احق ان يطاع ولا تقول اصلح .

وقيل في رد ضمير الواحد في قوله : « والله ورسوله احق ان يرضوه » قولان :

احدهما - انه لما كان رضا رسول الله رضا الله ترك ذكره ، لأنه دال عليه والتقدير والله احق ان يرضوه ورسوله احق ان يرضوه ، كما قال الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف (١)

والثاني - انه لا يذكر على طريق المجمل مع غيره تعظيما له بافراد الذكر المعظم بما لا يجوز إلا له ، ولذلك قال النبي (ص) لمن سمعه يقول : (من اطاع الله ورسوله هدى ومن يعصهما فقد غوى) وانما اراد ما قلناه .

---

(١) انظر ١ : ١٧٢ .

قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ (٦٣) آية بلاخلاف .

يقول الله تعالى على وجه التهديد والتقريع والتوبيخ لهؤلاء المنافقين « ألم يعلموا » اي أو ماعلموا « انه من يحادد الله » اي يجاوز حدود الله التي أمر المكلفين ان لايتجاوزها، فالمحادة مجاوزة الحد بالمشاقة ومثله المباعدة . والمعنى مصيرهم في حدغير حد أولياء الله . فالمخالفة والمحادة والمجانبة والمعاداة نظائر في اللغة .

وانما قال : لمن لا يعلم « الم يعلموا » لاحد امرين :

احدهما — على وجه الاستبطاء لهم والتخلف عن علمه .

والآخر — انه يجب ان تعلموا الآن هذه الاخبار .

وقال الجبائي : معناه ألم يخبرهم النبي (ص) بذلك .

وقوله : « فان له نار جهنم » يحتمل ان يكون على التكرير ، لأن الأولى للتأكيد مع طول الكلام ، وتقديره فله نار جهنم او فان له نار جهنم . قال الزجاج : ولو قرىء فان بكسر الهمزة على وجه الاستئناف ، كان جائزاً غير انه لم يقرأ به احد .

وقوله : « ذلك الخزي العظيم » معناه ذلك الذي ذكرناه من ان له نار جهنم هو الخزي يعني الهوان بما يستحى من مثله . تقول : خزى خزيا اذا انقمع للهوان فأخزاه اخزاه وخزيا .

قوله تعالى :

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا

في قُلوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ آية بلا خلاف .

قيل في معنى يحذر المنافقون قولان :

احدهما - قال الحسن ومجاهد واختاره الجبائي : ان معناه الخبر عنهم بأنهم كانوا يحذرون ان تنزل فيهم آية يفتضحون بها لأنهم كانوا شاكين ، حتى قال بعضهم : لوددت ان اضرب كل واحد منكم مئة ولا ينزل فيكم قرآن ذكره ابو جعفر وقال : نزلت في رجل يقال له مخشى بن الحمير الاشجعي .

الثاني - قال الزجاج : انه تهديد ومعناه ليحذروا ، وحسن ذلك لأن موضوع الكلام على التهديد .

والحذر اعداد ما يتقي الضرر ، ومثله الخوف والفزع تقول : حذرت حذرا وتحذر تحذرا وحاذره محاذرة وحذاراً وحذره تحذيراً . والمنافق الذي يظهر من الايمان خلاف ما يبطنه من الكفر واشتق ذلك من نافقاء اليربوع لأنه يخفي باباً ويظهر باباً ليكون إذا اتى من احدهما خرج من الآخر .

وقوله : « تنبئهم بما في قلوبهم » اي تخبرهم ، غير ان تنبئهم يتعدى الى ثلاثة مفاعيل بمنزلة اعلمت .

وقوله : « قل استهزؤا » أمر للنبي (ص) ان يقول لهؤلاء المنافقين (استهزؤا) اي اطلبوا الهزء والهزء اظهار شيء وابطان خلافه للتهزىء به وهو بصورة الأمر والمراد به التهديد .

وقوله : « ان الله مخرج ما تحذرون » اخبار من الله تعالى ان الذي تخافون من ظهوره فان الله يظهره بأن يبين لنبيه (ص) باطن حالهم ونفاقهم .

قوله تعالى :

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ ﴾ (٦٥) آية .

خاطب الله تعالى نبيه (ص) فأقسم ، لأن اللام لام القسم بأنك يا محمد (ص) ان سألت هؤلاء المنافقين عما تكلموا به « ليقولن انما كنا نخوض ونلعب » قال الحسن وقتادة: هؤلاء قالوا في غزاة تبوك : أيرجوا هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات ، فاطلع الله نبيه (ص) على ما قالوه ، فلما سألهم النبي عن ذلك على وجه التأنيب لهم والتقبيح لفعلهم لم طعنتم في الدين بالباطل والزور فأجابوا بما لا عذر فيه بل هو وبال عليهم بأنا كنا نخوض ونلعب .

والخوض دخول القدم فيما كان مائعاً من الماء او الطين هذا في الأصل ثم كثر حتى صار في كل دخول منه اذى وتلويث . واللعب فعل ما فيه سقوط المنزلة لتحصيل اللذة من غير مراعاة الحكمة كفعل الصبي ، وقالوا ملاعب الأسنة اي انه لشجاعته يقدم على الاسنة كفعل الصبي الذي لا يفكر في عاقبة امره .

فقال الله تعالى لنبيه (ص) : «قل» لهم «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن» قال ابو علي: ذكر الاستهزاء هاهنا مجاز ، لانه جعل الهزء بالمؤمنين وبآيات الله هزءاً بالله . والهزء ايهام امر على خلاف ما هو به استصغاراً لصاحبه .

قوله تعالى :

﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

قرأ عاصم « ان نعف » بنون مفتوحة وضم الفاء « نعذب » بالنون وكسر الذال « طائفة » بالنصب . الباقون بضم الياء في يعف . « تعذب طائفة » بضم التاء ورفع طائفة .

من قرأ بالنون فلقوله تعالى : « ثم عفونا عنكم » (١) . ومن قرأ بالتاء ، فالمعنى ذاك بعينه . وأما « تعذب » فمن قرأ بالتاء ، فلان الفعل في اللفظ مسند الى مؤنث .

المعنى :

قوله تعالى : « لا تعتذروا » صورته صورة النهي والمراد به التهديد . والمراد ان الله تعالى امر نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء المنافقين اللذين يحلفون بأنهم ما قالوا ما قالوه إلا لعباً وخوضاً على وجه التهزىء بآيات الله « لا تعتذروا » بالمعاذير الكاذبة فانكم بما فعلتموه قد كفرتم بعد ان كنتم مظهرين الايمان الذي يحكم لمن اظهره بأنه مؤمن ، ولا يجوز ان يكونوا مؤمنين على الحقيقة مستحقين للثواب ، ثم يرتدون لما قلناه في غير موضع : ان المؤمن لا يجوز عندنا ان يكفر لأنه كان يؤدي الى اجتماع استحقاق الثواب الدائم والعقاب الدائم ، لبطلان التحابط . والاجماع يمنع من ذلك .

والاعتذار اظهار ما يقتضي العذر . والعذر ما يسقط الذم عن الجناية ، وقوله : « ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة » اخبار منه تعالى انه ان عفا عن قوم منهم إذا تابوا يعذب طائفة اخرى لم يتوبوا . والعفو رفع التبعة عما وقع من المعصية وترك العقوبة عليها . ومثله الصفح والغفران .

وقوله : « بأنهم كانوا مجرمين » معناه انه انما يعذب الطائفة التي يعذبها لكونها مجرمة مذنبة مرتكبة لما يستحق به العقاب . والاجرام الانقطاع عن الحق

(١) سورة البقرة آية ٥٢ .

الى الباطل ، وأصله الصرم تقول : جرم الثمر يجرمه جرماً وجراماً إذا صرمه . والجرم مصرم الحق بالباطل وتجرمت السنّة اذا تصرّمت قال البيد :

دمن تجرم بعـــد عهد انيسها حجج خلون حلالها وحرامها (١)

قال الزجاج والفراء : نزلت الآية في ثلاثة نفر فهزىء اثنان وضحك واحد قال ابن اسحاق : كان الذي عفا عنه مخشى بن حصين الاشجعي حليف بني سلمة ، لأنه انكر منهم بعض ما سمع فجعلت طائفة للواحد ويراد بها نفس طائفة . وأما في اللغة فيقال للجماعة طائفة ، لأنهم يطيفون بالشيء .

وقوله تعالى : « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (٢) يجوز ان يراد به واحد على ما فسرناه .

قوله تعالى :

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٦٧) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى بأن المنافقين الذين يظهرون الايمان ويسرون الكفر بعضهم من بعض . والمعنى ان بعضهم يضاف الى بعض بالاجتماع على النفاق ، كما يقول القائل لغيره انت مني وأنا منك . والمعنى ان امرنا واحد لا ينفصل . وقيل بعضهم من بعض فيما يلحقهم من مقت الله وعذابه اي منازلهم متساوية في ذلك ثم اخبر ان هؤلاء المنافقين يأمرون غيرهم بالمنكر الذي نهى الله عنه وتوعد عليه من الكفر بالله ونبيه وجحد آياته

(١) اللسان « جرم » .

(٢) سورة النور آية ٢ .

« وينهون عن المعروف » يعني الأفعال الحسنة التي امر الله بها وحث عليها ، وانهم يقبضون ايديهم اي يمسكون أموالهم عن انفاقها في طاعة الله ومرضاته ، وهو قول قتادة .

وقال الحسن ومجاهد : اراد امساكها عن الانفاق في سبيل الله .

وقال الجبائي : اراد به امساك الايدي عن الجهاد في سبيل الله .

وقوله : « نسوا الله فنسيهم » معناه تركوا امر الله يعني صار بمنزلة المنسي بالسهو عنه فجازاهم الله بأن صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته وذكر ذلك لازدواج الكلام .

وقال قتادة : « نسوا » اي نسوا من الخير ولم ينسوا من الشر .

ثم اخبر تعالى فقال : « إن المنافقين » الذين يخادعون المؤمنين باظهار الايمان مع ابطانهم الكفر هم الخارجون عن الايمان بالله وبرسوله وعن طاعاته « هم الفاسقون » .

قوله تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ (٦٨) آية .

اخبر الله تعالى بأنه « وعد المنافقين والمنافقات » الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر « نار جهنم » يعاقبون فيها أبد الآبدين وكذلك الكفار الذين يتولونهم ، وهم على ظاهر الكفر فلذلك افردهم بالذكر ليعلم ان الفريقين معاً يتناولهم الوعيد .

وتقول : وعدته بالشر وعيداً ووعدته بالخير وعداً وأوعدته ايعاداً وتوعدته توعداً في الشر لا بالخير ، وواعدته مواعدة وتواعدوا تواعداً .

وقوله : « هي حسبهم » يعني نار جهنم والعقاب فيها كافيهم ، ولعنهم الله يعني

ابعدهم الله من جنته وخيره « ولهم » مع ذلك « عذاب مقيم » ومعناه دائم لا يزول وقيل معنى « هي حسبهم » اي هي كفاية ذنوبهم ، ووفاء لجزاء عملهم واللعن الابعاد من الرحمة عقاباً على المعصية ، ولذلك لا يقال لعن البهيمة كما لا يدعالها بالعفو .

قوله تعالى :

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٦٩) آية بلا خلاف .

الكاف في قوله : « كالذين » في موضع نصب ، والتقدير احذروا ان يحل بكم من العذاب والعقوبة كالذين .

ويحتمل ان يكون المراد وعدكم الله على الكفر كما وعد الذين من قبلكم ، فشبه المنافقين في عدولهم عن امر الله للاستمتاع بلذات الدنيا بمن قبلكم مع ان عاقبة امر الفريقين يؤل الى العقاب مع ان الأولين كانوا اشد من هؤلاء قوة في ابدانهم وأطول اعماراً واكثر اموالا وأشد تمكيناً فلم يقدروا ان يدفعوا عن نفوسهم ما حل بهم من عقاب الله .

وقوله : « فاستمتعوا بخلاقهم » فالاستمتاع هو طلب المتعة وهي فعل ما فيه اللذة من المآكل والمشارب والمناكح . ومعناه انهم تمتعوا بنصيبهم من الخير العاجل وباعوا بذلك الخير الآجل فهلكوا بشر استبدال ، كما تمتعتم ايها المنافقون بخلاقكم اي بنصيبكم والخلاق النصيب سواء كان عاجلا او آجلا .

وقوله : « وخضتم كالذي خاضوا » خطاب للمنافقين بأن قيل لهم خضتم في الباطل والكذب على الله كالذين بايعوهم على ذلك من المنافقين وغيرهم من الكفار « حبطت اعمالهم » لأنهم كانوا اوقعوها على خلاف ما امرهم الله به فلم يستحقوا عليها ثواباً بل استحقوا عليها العقاب ، فلذلك كانوا خاسرين انفسهم ومهلكين لها بفعل المعاصي المؤدي الى الهلاك .

وروي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : ما اشبه الليلة بالبارحة كذلك من قبلكم هؤلاء بنوا اسرائيل لشبهنا بهم لا اعلم إلا إنه قال :(والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم حجر ضب لدخلتموه) ومثله روي عن ابي هريرة عن النبي (ص) وعن ابي سعيد الخدري مثله .

قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ * وَقَوْمِ إبراهيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(٧٠) آية في الكوفي والبصري وآيتان في المدنيين . آخر الاولى «وثمود».

قوله : « الم » صورته صورة الاستفهام ، والمراد به التقرير والتحذير . وانما حسن في الاستفهام أن يخرج الى معنى التقرير لأن الاحتجاج بما يلزمهم الاقرار به فقال الله تعالى مخاطباً لنبيه : الم يأت هؤلاء المنافقين الذين وصفهم خبر من كان قبلهم من قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين ، على وجه الاحتجاج عليهم فيتعظوا، لأن الامم الماضية والقرون السالفة إذا كان الله تعالى إنما اهلكها ودمرها لتكذيبها رسلها كان ذلك واجباً في كل امة ساووهم في هذه العلة ، فأقل احوالهم

ألا يأمنون ان ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك .

قال الرماني : والحكمة تقتضي إذا تساوى جماعة في استحقاق العقاب ان لا يجوز العفو عن بعضهم دون بعض مع تساويهم في الاحوال . وانما يجوز العدول من قوم الى قوم في الواحد منا للحاجة ، وهذا يتم على قول من يقول بالأصلح ومن لا يقول بذلك يقول : هو متفضل بذلك ، وله ان يتفضل على من يشاء ولا يلزم ان يفعل ذلك بكل مكلف .

وقوله : « والمؤتفكات » قال الحسن وقتادة : هي ثلاث قريات لقوم لوط ولذلك جمعها بالالف والتاء . وقال في موضع آخر : « والمؤتفكة اهوى » (١) فجاء به على طريق الجنس . قال الزجاج : معناه ائتفكت بأهلها انقلبت . ومدين ابن ابراهيم اسم له . وقوله : « اتتهم رسلهم بالبينات » معناه جاءت هؤلاء المذكورين الرسل من عند الله معها حجج ودلالات على صدقها فكذبوا بها فأهلكهم الله ، وحذف لدلالة الكلام عليه . ثم قال : «فما كان الله ليظلمهم» اي لم يكن الله ظالماً لهم بهذا الاهلاك «ولكن كانوا انفسهم يظلمون » بأن فعلوا من الكفر والمعاصي ما استحقوا به الهلاك .

وقيل : أن الله تعالى اهلك قوم نوح بالغرق . وأهلك عاداً بالريح الصرصر العاتية وأهلك ثمود بالرجفة والصاعقة . وأهلك قوم ابراهيم بالتشتيت وسلب الملك والنعمة وأهلك اصحاب مدين بعذاب يوم الظلة . وأهلك قوم لوط بانقلاب المرض كل ذلك عدلا منه على من ظلم نفسه ، وعصى الله واستحق عقابه .

قوله تعالى :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

(١) سورة النجم آية ٥٣ .

وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(٧١) آية بلا خلاف .

لما ذكر الله تعالى المنافقين ووصفهم بأن بعضهم من بعض بالاتفاق والتعاضد اقتضى ان يذكر المؤمنين ، ويصفهم بضد اوصافهم ، فقال تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض » اي يلزم كل واحد منهم نصرة صاحبه وان يواليه وقال الرماني : العقل يدل على وجوب موالاة المؤمنين بعضهم بعضاً ، لأنها تجري مجرى استحقاق الحمد على طاعة الله والذم على معصيته . ولا يجوز ان يرد الشرع بخلاف ذلك . وإذا قلنا : المؤمن ولي الله معناه انه ينصر اولياء الله وينصر دينه والله وليه بمعنى اولى بتدبيره وتصريفه وفرض طاعته عليه . ثم قال : «يأمرون بالمعروف» يعني المؤمنين يأمرون بما اوجب الله فعله او رغب فيه عقلا او شرعاً وهو المعروف « وينهون عن المنكر » وهو ما نهى الله تعالى عنه وزهد فيه إما عقلا او شرعاً . ويضيفون الى ذلك اقامة الصلاة اي اتيانها بكمالها والمداومة عليها ويخرجون زكاة اموالهم حسب ما أوجبها الله عليهم ، ويضعونها حيث امر الله بوضعها فيه ويطيعون الله ورسوله اي يمتثلون امرهما ويتبعون ارادتهما ورضاهما .

ثم قال : « اولئك سيرحمهم الله » يعني المؤمنين الذين وصفهم ان ستنالهم في القيامة رحمته .

ثم اخبر عن نفسه فقال : « ان الله عزيز حكيم » فالعزيز معناه قادر لا يغلبه احد من الكفار والمنافقين حكيم في عقاب المنافقين واثابة المؤمنين ، وغير ذلك من الافعال . وانكار المنكر يجب بلا خلاف سمعاً وعليه الاجماع وكذلك الأمر بالمعروف واجب ، فأما العقل فلا يدل على وجوبهما اصلا ، لأنه لو وجب ذلك لوجب ان يمنع الله من المنكر لكن يجب على المكلف اظهار كراهة المنكر الذي يقوم مقام النهي

عنه . وفي الآية دلالة على ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الاعيان لأن الله تعالى جعل ذلك من صفات المؤمنين ، ولم يخص قوماً دون قوم .

قوله تعالى :

﴿ وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٧٢) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى بأنه كما وعد المنافقين بنار جهنم والخلود فيها ، كذلك وعد المؤمنين المعترفين بوحدانيته وصدق رسله وكذلك المؤمنات جنات يعني بساتين يجنها الشجر تجري من تحتها الأنهار ، وتقديره تجري من تحت اشجارها الأنهار . وقيل انهار الجنة اخاديد في الأرض ، فلذلك قال : « من تحتها » وانهم فيها خالدون اي دائمون « ومساكن طيبة » معناه وعدهم مساكن طيبة . والمسكن الموضع الذي يسكن .

وروي الحسن انها قصور من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر مبنية بهذه الجواهر .

وقوله : « في جنات عدن » فالعدن الاقامة والخلود ، ومنه المعدن قال الاعشى :

وان يستضافوا الى حلمه يضافوا الى راجح قد عدن (١)

وروي انها جنة لا يسكنها إلا النبيون والشهداء والصالحون .

وقوله : « ورضوان من الله اكبر » قال الرماني : الرضوان معنى يدعو الى

(١) ديوانه : ١٦ ، القصيدة ٢ وروايته (هادن قد رزن) بدل « راجح قد عدن » ، وتفسير الطبري ١٤ : ٣٥٠ ، واللسان « وزن » ومجاز القرآن ١ : ٢٦٤ .

الحمد بالاجابة يستحق مثله بالطاعة فيما تقتضيه الحكمة . وانما رفع رضوان لأنه استأنفه للتعظيم كما يقول القائل : اعطيتك ووصلتك ثم يقول : وحسن رأي فيك ورضاي عنك خير من جميع ذلك .

وقوله : « ذلك هو الفوز العظيم » معناه هذا النعيم الذي وصفه هو النجاح العظيم الذي لا شيء فوقه ولا اعظم منه .

قوله تعالى :

﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير (٧٣) آية بلا خلاف .

امر الله تعالى في هذه الآية نبيه (ص) ان يجاهد الكفار والمنافقين . والجهاد هو ممارسة الأمر الشاق والجهاد يجب باليد واللسان والقلب فمن امكنه الجميع وجب عليه جميعه . ومن لم يقدر باليد فباللسان فان لم يقدر فبالقلب .

واختلفوا في كيفية جهاد الكفار والمنافقين .

فقال ابن عباس : جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان والوعظ والتخويف ، وهو قول الجبائي .

وقال الحسن وقتادة : جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باقامة الحدود عليهم ، وكانوا اكثر من يصيب الحدود .

وقال ابن مسعود : هو بالانواع الثلاثة حسب الامكان فان لم يقدر فليكفهر في وجوههم وهو الاعم .

روي في قراءة اهل البيت (ع) « جاهد الكفار بالمنافقين » .

وقوله : « واغلظ عليهم » امر منه تعالى لنبيه ان يقوي قلبه على احلال الالم بهم واسماعهم الكلام الغليظ الشديد ولا يرق عليهم . ثم قال : « ومأواهم جهنم » اي

منزلهم جهنم ومقامهم والمأوى منزل مقام ، لا منزل ارتحال . ومثله المثوى والمسكن .

وقوله : « وبئس المصير » اخبار منه تعالى ان مرجع هؤلاء ومآلهم بئس المرجع والمآل .

قوله تعالى :

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ ما قالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا وما نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْناهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَما لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ (٧٤) آية بلا خلاف .

النزول :

اختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآية ، فقال عروة وابن اسحاق ومجاهد : إنها نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت بأنه قال : فان كان ما جاء به محمد حقاً لنحن شرّ من الحمير ، ثم حلف بالله انه ما قال .

وقال قتادة : نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول حين قال : لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل .

وقال الحسن : كان ذلك في جماعة من المنافقين .

وقال الواقدي والزجاج : نزلت في اهل العقبة فانهم ائتمروا أن يغتالوا رسول الله في عقبة في الطريق مرجعهم من تبوك . وأرادوا ان يقطعوا اتساع راحلته ، واطلعه الله على ذلك ، وكان ذلك من معجزاته (ص) لأنه لا يمكن معرفة مثل ذلك إلا بوحي

من الله تعالى ، فسار رسول الله في العقبة وحده وأمر الناس كلهم بسلوك بطن الوادي وكانوا اثني عشر رجلا أو خمسة عشر رجلا على الخلاف فيه . وعرفهم واحداً واحداً وعمار بن ياسر، وحذيفة ، كان احدهما يقود ناقة رسول الله والآخر يسوقها، والحديث مشروح في كتاب الواقدي .

وقال ابو جعفر (ع) كانوا ثمانية من قريش وأربعة من العرب .

المعنى :

وقوله : « وهموا بما لم ينالوا قيل فيه ثلاثة اقوال :

احدها قال مجاهد : همّ المنافقون بما لم يبلغوه من التنفير برسول الله .

الثاني قال قتادة : هموا بما ذكر في قوله : « ليخرجن الأعز منها الأذل » فلم يبلغوا ذلك .

والثالث عن مجاهد انهم هموا بقتل من انكر عليهم ذلك .

وقال بعضهم : كان المنافقون قالوا : لو رجعنا وضعنا التاج على رأس عبد الله ابن ابي فلما اوقفوا على ذلك حلفوا بأنهم ما قالوا ذلك ولا هموا به ، فاخبر الله تعالى عن حالهم انهم يحلفون بالله ما قالوا ، ثم اقسم تعالى بأنهم قالوا ذلك ، لأن لام لقد لام القسم ، وأنهم قالوا كلمة الكفر ، وهي كل كلمة فيهـــا جحد لنعم الله او بلغت منزلتها في العظم ، وكانوا يطعنون في الاسلام والنبوة وأخبر انهم هموا بمـــا لم يبلغوه .

والهم مقاربة الفعل بتغليبه في النفس تقول : هم بالشيء يهم هماً ، ومنه قوله : « ولقد همت به وهم بها » (١) وليس الهم من العزم في شيء إلا ان يبلغ نهاية العزم في النفس . والنيل لحوق الأمر . ومنه قوله : « نال السيف ونال ما اشتهى او قدر او

(١) سورة يوسف آية ٢٤ .

تمنى ، فهؤلاء قدّروا في انفسهم من كيد الاسلام لم يبلغوه .

وقوله : « وما نقموا إلا ان اغناهم الله ورسوله من فضله » يعني ما فتح الله عليهم من الفتوح وأخذ الغنائم واستغنوا بعد ان كانوا محتاجين . وقيل في معناه قولان :

احدهما - انهم عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر الغنى ان نقموه قال الشاعر :

ما نقموا من بني امية إلا　　انهم يحلمون ان غضبوا (١)

والآخر - انهم بطروا النعمة بالغنى فنقموا بطراً واشراً فهم لا يفلحون بهذه الحال ، ولا بعدها . والفضل الزيادة في الخير على مقدار ما ، والتفضل هو الزيادة من الخير الذي كان للقادر عليه ان يفعله وأن لا يفعله .

ثم قال تعالى : « فان يتوبوا » هؤلاء المنافقين ويرجعوا الى الحق « يك خيراً لهم » في دينهم ودنياهم ، فانهم ينالون بذلك رضا الله ورسوله والجنة « وأن يتولوا » اي يعرضوا عن الرجوع الى الحق وسلوك الطريق الصحيح « يعذبهم الله عذاباً أليما » اي مؤلما « في الدنيا » بما ينالهم من الحسرة والغم وسوء الذكر وأنواع المصائب « وفي الآخرة » بعذاب النار « وما لهم في الارض » اي ليس لهم في الارض « ولي » اي محب « ولا نصير » يعني من ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله .

وقيل : ان خلاساً تاب بعد ذلك ، وقال : استثنى الله تعالى لي التوبة فقبل الله توبته .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ

(١) مر تخريجه في ٣ : ٥٥٩ .

وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٧٥) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى ان من جملة المنافقين الذين تقدم ذكرهم « من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن » اي منه، «ولنكونن من الصالحين» بانفاقه في طاعة الله وصلة الرحم والمواساة وان نعمل الاعمال الصالحة التي يكون بها صالحاً .

النزول :

وقيل : نزلت الآية في بلتعة بن حاطب كان محتاجاً فنذر لئن استغنى ليصدقن فأصاب اثني عشر الف درهم ، فلم يتصدق ، ولم يكن من الصالحين . هكذا قال الواقدي وقال ابن اسحاق : هما بلتعة ومقنب بن قشير . وقيل سبب ذلك انه قتل مولى له فاخذ ديته اثني عشر الف درهم اعطاه النبي (ص) .

المعنى :

فان قيل : كيف يصح ان يعاهد الله من لا يعرفه ؟

قلنا : إذا وصفه بأخص صفاته جاز منه ان يصرف عهده اليه وان جاز ان يكون غير عارف .

وقال الجبائي : كانوا عارفين وانما كفروا بالنبي (ص) والمعاهدة هي ان يقول عليّ عهد الله لأفعلنّ كذا فانه يكون قد عقد على نفسه وجوب ما ذكره ، لأن الله تعالى حكم بذلك وقدّر وجوبه عليه في الشرع .

والآية دالة على وجوب الوفاء بالعهد. واللام الاولى من قوله : « لئن آتانا من فضله » والثانية من قوله : « لنصدقنّ » جميعها لام القسم غير ان الأولى وقعت موقع الجواب والتقدير علينا عهد الله لنصدقنّ إن آتانا من فضله. ولا يجوز ان تكون اللام الأولى لام الابتداء لأن لام الابتداء لا تدخل إلا على الاسم المبتدأ ، لأنها تقطع ما قبلها ان يعمل فيما بعدها إلا في باب (انّ) فانها زحلفت الى الخبر لئلا يجتمع

تأكيدان ، ويجوز ان يقول : ان رزقني الله مالا صلحت بفعل الصلاة والصوم لأن ذلك واجب عليه أتاه مالا او لم يؤته .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾

(٧٦) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين الذين عاهدوا الله وقالوا متى آتانا الله من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين انه آتاهم ما اقترحوه ورزقهم ما تمنوه من الأموال وانهم لما آتاهم ذلك شحت نفوسهم عن الوفاء بالعهد ، ومعنى (لما) معنى (اذا) الا أن (لما) الغالب عليها الجزاء ، وهي اسم ، لأنها تقع في جواب (متى) على تقدير الوقت كقولك : متى كان هذا فيقول السامع : لما كان ذلك . و (لما) و (لو) لا يكونان إلا لما مضى بخلاف (ان) و (إذا) فانهما لما يستقبل الا ان (لو) على تقدير نفي وجوب الثاني لانتفاء الأول ، و(لما) يدل على وقوع الثاني لوقوع الاول.

والبخل منع النائل لشدة الاعطاء ثم صار في اسماء الذي منع الواجب ، لأن من منع الزكاة فهو بخيل . قال الرماني : ولا يجوز ان يكون البخل منع الواجب بمشقة الاعطاء قال زهير :

ان البخيل ملوم حيث كان ولـ كن الجواد على علاته هرم (١)

قال : لأنه يلزم على ذلك ان يكون الجود هو بذل الواجب من غير مشقة . وإنما قال زهير ما قاله لأن البخل صفة نقص . قال الرماني : ومن منع ما لا يضره بذله ولا ينفعه منعه مما تدعو اليه الحكمة فهو بخيل ، لأنه لا يقع المنع على هذه الصفة إلا لشدة في النفس وإن لم يرجع الى ضرر إذ الشدة من غير ضرر معقولة كما يصفون

(١) اللسان (هرم) .

الجوزة بأنها لئيمة لأجل الشدة .

وقال عبد الله بن عمر والحسن ومحمد بن كعب القرظي : يعرف المنافق بثلاث خصال إذا حدث كذب وإذا وعد خلف وإذا ائتمن خان . وخالفهم عطاء ابن ابي رباح في ذلك ، وقال : ان النبي (ص) إنما قال ذلك في قوم من المنافقين . وروي ان الحسن رجع الى قول عطاء .

وقوله : « وتولوا » اي اعرضوا عما عاهدوا الله عليه .

وقوله : « وهم معرضون » اخبار منه بأنهم معرضون عن الحق بالكلية .

قوله تعالى :

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (٧٧) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى انه اعقب هؤلاء المنافقين . ومعناه أورثهم وادامهم الى نفاق في قلوبهم بخلهم بما آتاهم الله من فضله مع الاعراض عن امر الله ، وهو قول الحسن . وقال مجاهد : معناه اعقبهم ذلك بحرمان التوبة كما حرم ابليس وجعل ذلك امارة ودلالة على انهم لا يتوبون ابدا لأحد شيئين :

احدهما - من قال : اعقبهم بخلهم رد الضمير اليه . والمعنى يلقون جزاء بخلهم.

ومن ذهب الى ان الله اعقبهم رد الضمير الى اسم الله .

وقوله : « بما اخلفوا الله ما وعدوه » فالاخلاف نقض ما تقدم به العقد من وعد او عزم وأصله الخلاف ، لأنه فعل خلاف ما تقدم به العقد . والوعد متى كان بأمر واجب او ندب او امر حسن قبح الاخلاف ، وان كان الوعد وعداً بقبيح كان اخلافه حسناً .

وقوله : « وبما كانوا يكذبون » يقوي قول من قال : ان الضمير عائد الى الله

لأنه بين انه انما فعل ذلك جزاء على اخلافهم وعده وجزاء على ما كانوا يكذبون في اخبارهم عليه .

قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (٧٨) آية بلا خلاف .

الالف في قوله : « ألم يعلموا » الف استفهام والمراد به الانكار . يقول الله تعالى لنبيه (ص) : « الم يعلموا » هؤلاء المنافقون « ان الله يعلم سرهم » يعني ما يخفون في انفسهم وما يتناجون بينهم . والمعنى انه يجب عليهم ان يعلموا ذلك .

تقول : اسره اسراراً واستسرّا استسراراً وساره مسارة وسراراً وتسارّا سراراً والاسرار اخفاء المعنى في النفس والنجوى وقع الحديث باظهار المعنى لمن يسلم عنده من اخراجه الى عدّو فيه لأنه من النجاة تقول : ناجاه مناجاة ، وتناجوا تناجياً فكأن هؤلاء المنافقون يسرّون في انفسهم الكفر ويتناجون به بينهم .

وقيل : السرّ والنجوى واحد مكرر باختلاف اللفظين كما يقول القائل : آمرك بالوفاء وأنهاك عن الغدر ، والمعنى واحد مكرر باختلاف اللفظين .

وقوله : « ان الله علام الغيوب » معناه يعلم كل ما غاب عن العباد مما غاب عن احساسهم أو ادراكهم من موجود أو معدوم من كل وجه يصح ان يعلم منه ، لأنها صفة مبالغة واقتضى ذكر العلم هاهنا حال المنافقين في كفرهم سرّاً وإظهارهم الايمان جهراً ، فقيل لهم ان المجازي لكم يعلم سركم ونجواكم ، كما قال : ذو الرمة في معنى واحد بلفظين مختلفين :

لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي انيابها شنب

فاللعس حوة وكرر لاختلاف اللفظين ، ويمكن ان يكون لما ذكر الحوة خشي

أن يتوهم السامع قبيحاً فبين انه لعس لأنه يستحسن ذلك .

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٩) آية بلا خلاف.

قيل نزلت هذه الآية في علبة بن زيد الحارثي وزيد بن أسلم العجلاني فجاء علبة بصاع من تمر فنثره في الصدقة ، وقال : يا رسول الله عملت في النخل بصاعين فصاعاً تركته لأهلي وصاعاً اقرضته ربي ، وجاء زيد بن أسلم بصدقة فقال معتب بن قشير وعبد الله بن نهيك إنما اراد الرياء .

وقال قتادة وغيره من المفسرين : إن هذه الآية نزلت في حجاب بن عثمان ، لأنه أتى النبي (ص) بصاع من تمر وقال : يا رسول الله اني عملت في النخل بصاعين من تمر فتركت للعيال صاعاً وأهديت لله صاعاً وجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف دينار وهي شطر ماله للصدقة ، فقال المنافقون : إن عبد الرحمن لعظيم الرياء وقالوا في الآخر ان الله لغني عما اتى به فأنزل الله تعالى الآية فقال : « الذين يلمزون المطوعين » أي ينسبونهم الى النقص في النفس يقولون : لمزه يلمزه لمزاً إذا انتقصه وعابه والمطوعين على وزن المتفعلين وتقديره المتطوعين فأدغمت التاء في الطاء ، ومعناه المتنفلين من طاعة الله بما ليس بواجب عليهم ، لأن الخير قد يكون واجباً وقد يكون ندباً وقد يكون مباحاً ولا يستحق المدح الا على الواجب والندب دون المباح .

وقوله : « والذين لا يجدون الا جهدهم » والجهد هو الحمل على النفس بما يشق تقول : جهده يجهده جهدا وجهداً بالضم والفتح - كالوجد والوجد والضعف

والضعف . وقال الشعبي : الجهد في العمل والجهد في القوت .

وقوله : «فيسخرون منهم» يعني المنافقين يهزؤون بالمطوعين «سخر الله منهم» اي يجازيهم على سخريتهم بأنواع العذاب « ولهم عذاب اليم » اي مؤلم موجع ، ولما كان ضرر سخريتهم عائداً عليهم جاز ان يقال : « سخر الله منهم » انه يفعل السخرية .

قوله تعالى :

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْلَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠) آية بلا خلاف .

المعنى واللغة :

قوله : « استغفر لهم » صيغته صيغة الأمر والمراد به المبالغة في الأياس من المغفرة انه لو طلبها طلبة المأمور بها أو تركها ترك المنهي عنها لكان ذلك سواء في ان الله لا يفعلها ، كما قال في موضع آخر : « سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم » (١) .

والاستغفار طلب المغفرة من الله تعالى بالدعاء بها والمغفرة ستر المعصية برفع العقوبة عليها . وتعليق الاستغفار بالسبعين مرة والمراد به المبالغة لا العدد المخصوص ويجري ذلك مجرى قول القائل لو قلت لي الف مرة ما قبلت . والمراد بذلك اني لا اقبل منك ، وكذلك الآية المراد بها نفي الغفران جملة . وما روي عن النبي (ص) انه قال : والله لأزيدن على السبعين خبر واحد لا يلتفت اليه ولأن في ذلك ان

(١) سورة المنافقون آية ٦ .

النبي (ص) استغفر للكفار وذلك لا يجوز بالاجماع . وقد روي انه قال : لو علمت اني لو زدت على السبعين مرة لغفر له فعلت .

سبب النزول والمعنى :

وكان سبب نزول هذه الآية ان النبي (ص) كان اذا مات ميت صلى عليه واستغفر له ، ولم يكن بمنزلة المنافقين بعد فاعلمه الله تعالى ان في جملة من تصلي عليه من هو منافق وان استغفاره له لا ينفع قبل ذلك ام كثر ثم نهى الله نبيه ان يصلي على احد منهم وأن يستغفر له حين عرفه اياهم بقوله : « ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره » (١) الآية .

وقوله : « ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله » اشارة منه تعالى « الى ان ارتفاع الغفران انما كان لأنهم كفروا بالله وجحدوا نعمه وكفروا برسوله فجحدوا نبوته « والله لا يهدي القوم الفاسقين » فمعناه انه لا يهديهم الى طريق الجنة والثواب . فاما الهداية الى الايمان بالاقرار بالتوحيد لله والاعتراف بنبوة النبي (ص) فقد هدى الله اليه كل مكلف متمكن من النظر والاستدلال بأن نصب له على ذلك الدلالة وأوضحها له .

قوله تعالى :

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨١) آية بلا خلاف .

(١) سورة التوبة آية ٨٤ .

اخبر الله تعالى بأن جماعة من المنافقين الذين خلفهم النبي (ص) ولم يخرجهم معه الى تبوك لما استأذنوه في التأخر فأذن لهم فرحوا بقعودهم خلاف رسول الله . والمخلف المتروك خلف من مضى . ومثله المؤخر عمن مضى تقول : خلف تخليفاً وتخلف تخلفاً . والفرح ضد الغم والغم ضيق الصدر بفوت المشتهى ، وعند البصريين من المعتزلة هو اعتقاد وصول الضرر اليه في المستقبل او دفع الضرر المظنون والمعلوم عنه . ومعنى خلاف رسول الله قال ابو عبيدة بعد رسول الله وأنشد :

عقب الربيع خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيراً (١)

وقال غيره : معناه المصدر من قولك خالف خلافاً وهو نصب على المصدر .

وقوله : « وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله » اخبار منه تعالى ان هؤلاء المخلفين فرحوا بالتأخر وكرهوا انفاق اموالهم والجهاد بنفوسهم في سبيل الله ، فالجهاد بالمال هو تحمل لمشقة الانفاق في وجوه البر والجهاد بالنفس هو تعريضها لما يشق عليها اتباعاً لأمر الله وقوله : «لا تنفروا في الحر» معناه انهم قالوا لنظرائهم ومن يقبل منهم : لا تخرجوا في الوقت الحار فقال الله تعالى لنبيه (ص) قل لهم: «نار جهنم اشد حراً لو كانوا يفقهون» لأنهم توقوا بالقعود عن الخروج حر الشمس فخالفوا بذلك امر الله وأمر رسوله واستحقوا حر نار جهنم وكفى بهذا الاختيار جهلا ممن اختاره . وقوله : « لو كانوا يفقهون » معناه لو كانوا يفقهون وعظ الله وتحذيره وتزهيده في معاصيه .

قوله تعالى:

﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٨٢) آية بلا خلاف .

---

(١) قائله الحارث بن خالد المخزومي . الاغاني ٣ : ٣٣٣ وروايته (الرذاذ) بدل (الربيع) واللسان (عقب) ، (خلف) .

قوله : « فليضحكوا » صيغته صيغة الأمر والمراد به التهديد ، وإنما قلنا انه بصورة الأمر ، لأن اللام ساكنة ولو كانت لام الاضافة لكانت مكسورة لأنها تؤذن بعملها للجزاء المناسب لها فلذلك الزمت الحركة .

والمراد بالآية الاخبار عن حال هؤلاء المنافقين وانها في وجه الضحك كحال المامور منه فيما يؤل اليه من خير او شر على صاحبه ، فلذلك دخله معنى التهدد والضحك حال تفتح وانبساط يظهر في وجه الانسان عن تعجب مع فرح والضحاك هو الانسان خاصة والبكاء حال يظهر عن غم في الوجه مع جري الدموع على الخد ، وهو ضد الضحك تقول : بكاء بكاءاً وأبكاء الله ابكاءاً وبكاه تبكية وتباكى تباكياً واستبكى استبكاءاً .

ومعنى الآية ان يقال لهؤلاء المنافقين : فاضحكوا بقليل تمتعكم في الدنيا فانكم ستبكون كثيراً يوم القيامة إذا حصلتم في العقاب الدائم «جزاء بما كانوا يكسبون» نصب (جزاء) على المصـــدر اي تجزون على معاصيكم ذلك جزاء على افعالكم التي اكتسبتموها .

قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ (٨٣) آية بلا خلاف .

قال الله تعالى لنبيه (ص) : إن رجعك الله يعني ان ردّك الله الى طائفة منهم يعني جماعة. فالرجوع هو تصيير الشيء الى المكان الذي كان فيه تقول : رجعته رجعا كقولك رددته ردّاً وقد يكون التصيير الى الحال التي كان عليها كرجوع الماء الى

حال البرودة . والطائفة الجماعة التي من شأنها بأن تطوف ولهذا لا يقال في جماعة الحجارة طائفة وقد يسمى الواحد بأنه طائفة بمعنى نفس طائفة والأول اظهر .

وقوله : « فاستأذنوك للخروج » اي طلبوا منك الاذن في الخروج في غزاة اخرى والاذن رفع التبعة في الفعل وأصله ان يكون بقول يسمع بالاذن . والخروج الانتقال عن محيط ، فقال الله لنبيه (ص) : قل لهم : حينئذ «لن تخرجوا معي أبداً» اي لا يقع منكم الخروج ابداً فالابد الزمان المستقبل من غير انتهاء . الى حد ونظيره للماضي (قط) إلا انه مبني كما بني امس لتضمنه حروف التعريف واعرب (الابد) كما اعرب غد، لأن المستقبل احق بالتنكير .

وقوله : « ولن تقاتلوا معي عدواً » اخبار بانهم لا يفعلون ذلك ابداً ولا يختارونه .

وقوله : « انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين » معناه اخبار منه تعالى انهم رضوا بالقعود أول مرة فينبغي ان يقعدوا مع الخالفين .

وقيل في معناه ثلاثة اقوال : احدها قال الحسن وقتادة : هم النساء والصبيان

وقال ابن عباس : هم من تأخر من المنافقين .

وقال الجبائي : هم كل من تأخر لمرض او نقص .

وقيل : معناه مع اهل الفساد مشتقاً من قولهم : خلف خلوفاً اي تغير الى الفساد . وقيل : الخالف كل من تأخر عن الشاخص .

قوله تعالى :

﴿ وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ مات أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَماتُوا وَهُمْ فاسِقُونَ ﴾ (٨٤) آية بلا خلاف .

هذا نهي من الله تعالى لنبيه (ص) أن يصلي على أحد من المنافقين أو يقوم على قبره ومعناه ان يتولى دفنه او ينزل في قبره كما يقال : قام فلان بأمر فلان .

وقال ابن عباس وابن عمر وقتادة وجابر : صلى رسول الله (ص) على عبد الله ابن ابي بن ابي سلول والبسه قميصه قبل ان ينهى عن الصلاة على المنافقين .

وقال انس : أراد ان يصلي عليه فأخذ جبرائيل بثوبه . وقال له : لا تصل على احد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره . والصلاة على الأموات فرض على الكفايات إذا قام به قوم سقط عن الباقين . وأقل من يسقط به الفرض واحد وهي دعاء ليس فيها قراءة ولا تسبيح وفيه خلاف . وفيها خمس تكبيرات عندنا وعند الفقهاء اربع تكبيرات فالتكبيرة الاولى يشهد بعدها الشهادتين ، ويكبر بالثانية ، ويصلي بعدها على النبي (ص) ويكبر الثالثة ويدعوا للمؤمنين والمؤمنات . ويكبر الرابعة ويدعو للميت إن كان مؤمناً وعليه إن كان منافقاً . ويكبر الخامسة ويقف يومي الى يمينه حتى ترفع الجنازة وليس فيها تسليم . وسمعت ابا الطيب الطبري وكان امام اصحاب الشافعي يقول : الخلاف بيننا وبينكم في عبارة ، لأن عندكم ينصرف بالخامسة . وعندنا بالتسليم ، فجعلتم مكان التسليم التكبير . وذلك خلاف من عبارة .

وقوله : « مات » موضع (مات) جر لأنه صفة لأحد ، لأن تقديره على احد ميت منهم و « ابدا » منصوب متصل و (احد) هذه هي التي تكون في النفي دون الايجاب لأنه يصح النهي عن الصلاة عليهم مجتمعين ومتفرقين ، كما يصح في النفي ولا يمكن في الايجاب لأنه كنفي الضدين في حال واحدة ، فانه لا يصح اثباتها في حال اصلا . والقبر حفرة يدفن فيها الميت تقول : قبرته اقبره قبراً فأنا قابرٌ وهو مقبور وأقبرت فلاناً اقباراً اذا جعلته بقبره .

وقوله : « انهم كفروا بالله ورسوله » المعنى انما نهيتك عن الصلاة عليهم ، لأنهم كفروا بالله ورسوله ، فهي للتعليل . وانما كسرت لتحقيق الاخبار بأنهم على

الصفة التي ذكرهـــا . وأنهم ماتوا ، وهم فاسقون . أي خارجون عن طاعة الله الى معصيته .

قوله تعالى :

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٨٥) آية بلا خلاف.

قـــد مضى تفسير مثل هذه الآية فلا وجه لاعادته (١) . وبينا انه خطاب للنبي (ص) والمراد به الامة ينهاهم الله ان يعجبوا بما اعطى الله الكفار من الأموال والأولاد في الدنيا حتى يدعوهم ذلك الى الصلاة عليهم ، ولا ينبغي ان يغتروا بذلك فانما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا ، لأنهم لا ينفقونها في طاعة الله ولا يخرجون حق الله منها . ويجوز ان يعذبهم بها في الدنيا بما يلحقهم فيها من المصائب والغموم وبما يأخذها المسلمون على وجه الغنيمة وبما يشق عليهم من اخراجها في الزكاة والانفاق في سبيل الله مع اعتقادهم بطلان الاسلام وتشدد ذلك عليهم ويكون عذابا لهم وان نفوسهم تزهق اي تهلك بالموت «وهم كافرون» اي في حال كفرهم ، فلذلك عذبهم الله في الآخرة .

والاعجاب هو ايجاد السرور بما يتعجب منه من عظيم الاحسان تقول : اعجبني امره اعجابا اذا سر بموضع التعجب منه . والزهق خروج النفس بمشقة شديدة ومنه قوله : «فاذا هو زاهق» (٢) اي هالك .

وقيل : في وجه حسن تكرر هذه الآية دفعتين قولان :

احدهما — قال ابو علي : يجوز أن تكون الآيتان في فريقين من المنافقين

(١) قوله : قد مضى : في تفسير آية ٥٦ من هذه السورة .

(٢) سورة الاسرى آية ٨١ .

كما يقول القائل : لا يعجبك حال زيد ولا يعجبك حال عمر .

الثاني - ان يكون الغرض البيان عن قوة هذا المعنى فيما ينبغي ان يحذر منه مع انه للتذكير في موطنين بعد احدهما عن الآخر ، فيجب العناية به وليس ذلك بقبيح ، لأن الواحد منا يحسن به ان يقوم في مقام بعد مقام ويكرر الوعظ والزجر والتخويف ولا يكون ذلك قبيحاً .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (٨٦) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى في هذه الآية انه إذا انزل سورة من القرآن على النبي (ص) أن «آمنوا» ومعناه بأن آمنوا فحذفت الباء وجعل ان آمنوا في موضع نصب . والتقدير بالايمان على وجه الأمر ولا يجوز الحذف مع صريح المصدر . وإنما جاز مع (أن) للزوم الصلة والحمل على التأويل في اللفظ كما حمل على المعنى .

وهذا خطاب للمؤمنين وأمر لهم بأن يدوموا على الايمان ويتمسكوا به في مستقبل الأوقات ويدخل فيه المنافق ويتناوله الأمر بأن يستأنف الايمان ويترك النفاق ثم يجاهدوا بعد ذلك بنفوسهم وأموالهم لأنه لا ينفعهم الجهاد مع النفاق .

وقوله : « استأذنك اولوا الطول » ومعناه أن ذوي الغنى من المنافقين إذا انزلت السورة يأمرهم فيها بالايمان والجهاد يستأذنون النبي (ص) في القعود والتأخر عنه مع اعتقادهم بطلان الاسلام فيشد ذلك عليهم ويكون عذاباً لهم - وهو قول الحسن وابن عباس - فانهما قالا : انما لحق هؤلاء الذم لأنهم أقوى على الجهاد .

وقوله : «وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين» اخبار منه تعالى أن هؤلاء المنافقين

من ذوي الغنى يقولون للنبي (ص) : اتركنا نكن مع القاعدين من الصبيان والزمنى والمرضى الذين لا يقدرون على الخروج .

قال الرماني : والسورة جملة من القرآن تشتمل على آيات قد احاطت بها كما يحيط صور القصر بما فيه وسور الهر بقيته من الماء .

والجهاد بالقتال دفعاً عن النفس معلوم حسنه عقلا لأنه مركوز في العقل وجوب التحرز من المضار ، وليس في العقل ما يدل على انه يجب على الانسان ان يمنع غيره من الظلم وإنما يعلم ذلك سمعاً .

قوله تعالى :

﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨٧) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى بأن هؤلاء الذين قالوا : « ذرنا نكن مع القاعدين » من المنافقين رضوا لنفوسهم ان يكونوا مع الخوالف وهم النساء والصبيان والمرضى والمقعدون .

قال الزجاج : الخوالف النساء لتخلفهن عن الجهاد ويجوز أن يكون جمع خالفة في الرجال والخالف والخالفة الذي هو غير نجيب ولم يأت في فاعل فواعل صفة إلا حرفين قولهم : فارس وفوارس . وهالك وهوالك .

وقوله : « وطبع على قلوبهم » قيل في معناه قولان :

احدهما - انه تعالى يجعل نكتة سوداء في قلب المنافق والكافر لتكون علامة للملائكة يعرفون بها أنه ممن لا يفلح ابداً .

الثاني - ان يكون المراد بذلك الذم لها بأنها كالمطبوع عليها فلا يدخلها صبر ولا ينتفي عنها شر ، لأن حال الذم لها يقتضي صفات الذم ، كما ان حال المدح يقتضي صفات المدح ، كما قال جرير في قصيدة أولها :

أتصحوا أم فؤادك غير صاح عشية همّ صحبك بالرّواح
ألستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح(١)

ولا تحمل إلا على المدح دون الاستفهام . والطبع في اللغة هو الختم تقول : طبعه وختمه بمعنى واحد .

قوله تعالى :

﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨٨) آية بلا خلاف .

لما اخبر الله تعالى عن حال المتأخرين عن النبي (ص) والقاعدين عن الجهاد معه وأنهم منافقون قد طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون . أخبر عن الرسول (ص) ومن معه من المؤمنين المطيعين لله ورسوله بأنهم يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم بالاموال التي ينفقونها في مرضاة الله وعدة الجهاد ويقاتلون الكفار بنفوسهم . ثم اخبر عما أعد لهم من الجزاء على افعالهم تلك وانقيادهم لله ورسوله ، فقال : « اولئك » يعني النبي والذين معه « لهم الخيرات » في الجنة ونعيمها وخيراتها وأنهم المفلحون ايضاً الفائزون بكرامة الله .

والخيرات هي المنافع التي تسكن النفس اليها وترتاح بها من النساء الحسان وغيره من نعيم الجنان واحده خيرة - هذا قول ابي عبيدة . وقال رجل من بني عدي :

ولقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيرة الملكات (٢)

---

(١) مر تخريجه في ١ : ١٣٢ ، ٤٠٠ وقد مر في ٢ : ٣٢٧ ،

(٢) مجاز القرآن ١ : ٢٦٧ واللسان (خير) . الربلات جمع ربلة : وهي لحمة الفخذ .

والفلاح النجاح بالوصول الى البغية من نجح الحاجة وهو قضاؤها .

قوله تعالى :

﴿ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ (٨٩) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى انه « أعد » لهؤلاء المؤمنين والرسول « جنات » يعني بساتين « تجري من تحتها » ومعناه من تحت اشجارها « الأنهار » .

والاعداد جعل الشيء مهيئاً لغيره تقول : اعدّ إعداداً واستعدّ له استعداداً وهو من العـــدد ، لأنه قد عدّ الله جميع ما يحتاج الى تقديمه له من الامور ومثله الاتخاذ . والوجه في اعداد ذلك قبل مجيء وقت الجزاء أن تصوره لذلك ادعى الى الطاعة واكد في الحرص عليها .

ويحتمل أن يكون المراد أنه سيجعل لهم جنات تجري من تحتها الأنهار غير أنه ترك للظاهر .

وقوله : « ذلك الفوز العظيم » اشارة الى ما أعده لهم واخبار منه بأنه الفوز العظيم . والفوز النجاة من الهلكة الى حال النعمة وسميت المهلكة مفازة تفاؤلا بالنجاة وإنما وصفه بالعظيم لأنه حاصل على جهة الدوام .

قوله تعالى :

﴿ وَجاءَ المُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٩٠) آية بلا خلاف .

قرأ يعقوب وقتيبة (المعذرون) بسكون العين وتخفيف الذال. الباقون بفتح العين وتشديد الذال وجه قراءة من قرأ بالتخفيف انه اراد جاءوا بعذر .

ومن قرأ بالتشديد احتمل امرين :

احدهما انه اراد المعتذرون كان لهم عذر أو لم يكن وإنما ادغم التاء في الذال لقرب مخرجها مثل قوله : يذكرون . ويدكروا ، وغير ذلك واصله يتذكرون .

الثاني — انه اراد المقصرون والمعذر المقصر . والمعذر المبالغ الذي له عذر . وأما المعتذر فانه يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له قال لبيد :

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر (١)

معناه جاء بعذر . وقال الزجاج : يجوز ان يكون المعذرون الذين يعتذرون فيوهمون ان لهم عذراً ولا عذر لهم .

وروي عن ابن عباس انه قرأ بالتخفيف ، وقال : لعن الله المعذرين اراد من يعتذر بغير عذر ، وبالتخفيف من بلغ اقصى العذر .

وأصل التعذير التقصير مع طلب اقامة العذر. عذر في الأمر تعذيراً إذا لم يبالغ فيه . والفرق بين الاعتذار والتعذير ، ان الاعتذار قد يكون بعذر من غير تصحيح الأمر ، والتعذير تقصير يطلب معه اقامة العذر فيه .

واختلفوا في معنى « وجاء المعذّرون » على قولين :

احدهما — قال قتادة واختاره الجبائي : انه من عذر في الأمر تعذيراً إذا قصر .

والثاني — قال مجاهد : جاء اهل العذر جملة على معنى المعتذرين .

وقال الحسن : اعتذروا بالكذب .

---

(١) ديوانه القصيدة : ٢١ ، وخزانة الأدب ٢ : ٢١٧ وتفسير الطبري ١ : ١١٩ ١٤ : ١١٧ واللسان (عذر) .

وقال قوم : انما جاءوا بنو غفار خفاف بن ايماء بن رخصه وقومه .

ومعنى الآية ان قوماً من الأعراب جاءوا الى النبي (ص) يظهرون انهم مؤمنون ولم يكن لهم في الايمان والجهاد نية فيعرضون نفوسهم عليه وغرضهم ان يأذن النبي (ص) لهم في التخلف، فجعلوا عرضهم انفسهم عليه عذراً في التخلف عن الجهاد.

وقوله : « وقعد الذين كذبوا الله ورسوله » يعني المنافقين ، لأنهم الذين كذبوا الله ورسوله فيما كانوا يظهرون من الايمان ، فقال الله : « سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم » اي ينالهم عذاب مؤلم موجع في الآخرة .

قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى المَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى المُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(٩١).

عذر الله تعالى في هذه الآية من ذكره ووصفه ، فقال : « ليس على الضعفاء » وهو جمع ضعيف وهو الذي قوته ناقصه بالزمانة وغيرها « ولا على المرضى » وهو جمع مريض وهم الاعلاء « ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون » يعني من ليست معه نفقة الخروج وآلة السفر « حرج » يعني ضيق وجناح . وأصل الضيق الذي يتعذر معه الأمر .

وقوله : « اذا نصحوا لله ورسوله » شرط تعالى في رفع الجناح والاسم عن المذكورين ان ينصحوا الله ورسوله بأن يخلصوا العمل من الغش يقال : نصح في عمله نصحاً وناصح نفسه مناصحة ومنه التوبة النصوح . ثم قال : « ما على المحسنين من سبيل » اي ليس على من فعل الحسن الجميل طريق . والاحسان هو ايصال النفع الى

الغير لينتفع به مع تعريه من وجوه القبح . ويصح أن يحسن الانسان الى نفسه ويحمل على ذلك وهو إذا فعل الأفعال الجميلة التي يستحق بها المدح والثواب .

وقوله : « والله غفور رحيم » معناه ساتر على ذوي الاعذار بقبول العذر منهم « رحيم » بهم لا يلزمهم فوق طاقتهم .

وقال قتادة : نزلت هذه الآية في عابد بن عمرو المزني وغيره . وقال ابن عباس: نزلت في عبد الله بن معقل المزني ، فانه وجماعة معه جاءوا الى رسول الله (ص) فقالوا له : احملنا فقال رسول الله (ص) لا أجد ما احملكم عليه .

قوله تعالى :

﴿ وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ (٩٢) آية بلا خلاف .

هذه الآية عطف على الاولى والتقدير ليس على الذين جاءوك - وسألوك حملهم حيث لم يكن لهم حملان ، فقلت لهم يا محمد (ص) « لا أجد ما احملكم عليه » أي ليس لي حملان فحينئذ « تولوا وأعينهم تفيض من الدمع » يبكون « حزناً ان لا يجدوا ما ينفقون » في هذا الطريق ويتابعونك - حرج وأثم ولا ضيق وإنما حذف لدلالة الكلام عليه .

والحمل عطاء المركوب من فرس أو بعير أو غير ذلك تقول حمله يحمله حملا إذا اعطاه ما يحمل عليه . وحمل على ظهره حملا وحمله الأمر تحميلا وتحمل تحملا واحتمله احتمالا ، وتحامل تحاملا . واللام في قوله : « لتحملهم » لام الغرض ، والمعنى جاؤك وأرادوا منك حملهم وتقول : وجدت في المال وجداً وجدة ووجدت الضالة وجداناً

ووجدت عليه – من المواجدة – وجداً . والفيض الجري عن امتلاء من حزن قلوبهم والحزن ألم في القلب لفوت أمر مأخوذ من حزن الأرض وهي الغليظة المسلك .

وقال مجاهد : نزلت هذه الآية في نفر من مزينة ، وقال محمد بن كعب القرظي وابن اسحاق : نزلت في سبعة نفر من قبائل شتى . وقال الحسن نزلت في أبي موسى وأصحابه . وقال الواقدي : البكاؤن سبعة من فقراء الأنصار ، فلما بكوا حمل عثمان منهم رجلين والعباس بن عبد المطلب رجلين ويامين بن كعب بن نسيل النضري من بني المنضير ثلاثة ، ومن جملة البكائين عبد الله بن معقل . وقال الواقدى : كان الناس بتبوك ثلاثين الفاً ، وعشرة آلاف فارس .

قوله تعالى :

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٩٣) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى في هذه الآية أن السبيل والطريق بالعقاب والحرج انما هو للذين يطلبون الاذن من رسول الله في المقام ، وهم مع ذلك اغنياء يتمكنون من الجهاد في سبيل الله الراضين بكونهم مع الخوالف من النساء والصبيان ومن لا حراك به . ثم قال : وطبع الله على قلوبهم بمعنى وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيميزون بينهم وبين غيرهم من المؤمنين .

ويحتمل ان يكون المراد انه بمنزلة المطبوع في أن لا يدخلها الايمان كما لو طبعوا على الكفر . ومثله قوله : « صم بكم عمي » ومعناه لترك تلفظهم بالحق وعدولهم عن سماع الحق وانصرافهم عن النظر الى الصحيح كأنهم صم بكم عمي وهم لا يعلمون ذلك

ولا يدرون الى ما يصير امرهم من عقاب الابد ولا يعرفون ما يلزمهم من احكام الشرع ما يعرفه المؤمنون .

وقال البلخي : معناه لا افهم للخلاف والمعصية كأنهم لا يعلمون ، والتقدير ان حكم هؤلاء المذكورين بهذه الاوصاف بخلاف من قد تحصن من العقاب بالايمان ، لأنهم قد فتحوا على انفسهم ابواب العذاب .

قوله تعالى :

﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٤) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى ان هؤلاء القوم الذين تأخروا عن الخروج مع النبي (ص) من غير عذر كان يبيحهم ذلك اذا عاد النبي (ص) والمؤمنون انهم كانوا يجيؤن اليهم ويعتذرون اليهم من تأخرهم بالأباطيل والكذب ، فقال الله تعالى لنبيه : قل يا محمد لهم : « لا تعتذروا » فلسنا نصدقكم على ما تقولون فان الله تعالى قد اخبرنا من اخباركم وأعلمنا من امركم ما قد علمنا به كذبكم « وسيرى الله عملكم ورسوله » أي سيعلم الله فيما بعد عملكم هل تتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه ؟

ويحتمل ان يكون المراد انه يحل في الظهور محل ما يرى « ثم تردون » اي ترجعون الى من يعلم الغيب والشهادة يعني السر والعلانية الذي لا يخفى عليه بواطن اموركم « فينبئكم بما كنتم تعملون » اي فيخبركم باعمالكم كلها حسنها وقبيحها فيجازيكم عليها اجمع .

والاعتذار اظهار ما يقتضى العذر ويمكن ان يكون صحيحاً ويمكن ان يكون فاسداً كاعتذار هؤلاء المنافقين والفرق بين الاعتذار والتوبة ان التوبة اقلاع عن سيئة قد وقعت ، والاعتذار اظهار ما يقتضي انها لم تقع ولذلك يجوز ان يتوب الى الله ولا يجوز ان يتعذر اليه . والاعتذار الذي له قبول هو ما كان صاحبه محقاً فأما الاعتذار بالباطل فهو اسوء لحال صاحبه قال الشاعر :

إذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه وكل امرىء لا يقبل العذر مذنب (١)

قوله تعالى :

﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٩٥) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى عن هؤلاء الذين يعتذرون بالباطل الى النبي والمؤمنين في تأخرهم عن الخروج معهم انهم سيقسمون ايضاً على ذلك للمؤمنين « اذا انقلبتم اليهم » يعني اذا رجعتم اليهم « لتعرضوا عنهم » اي لتصفحوا عنهم ولا توبخوهم ولا تعنفوهم . ثم امر الله تعالى المؤمنين والنبي (ص) ان يعرضوا عنهم اعراض المقت وبين « انهم رجس » اي هم كالنتن في قبحه وهم انجاس ويقال : رجس نجس على الاتباع وان « مأواهم » يعني مصيرهم ومآلهم ومستقرهم « جهنم جزاء » اي مكافاة على ما كانوا يكسبونه من المعاصي .

والجزاء مقابلة العمل بما يقتضيه من خير او شر قال احمد بن يحيى ثعلب : اللام في قوله : « لتعرضوا عنهم » ليست لام غرض وانما معناه لاعراضكم انما علق

(١) العقد الفريد ٢ : ١٥ .

هاهنا بذلك لئلا يتوهم انه اذا رضى المؤمنون فقد رضى الله عنهم ايضاً فذكر ذلك ليزول هذا الالباس لأن المنافقين لم يحلفوا لهم لكي تعرضوا ، ولكنهم حلفوا تبرئاً من النفاق ولاعراض المسلمين عنهم وانشد :

سموت ولم تكن اهلا لتسموا ولكن المضيع قد يصاب (١)

اراد ما كنت اهلا للسموا .

قوله تعالى :

﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٩٦) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى أن هؤلاء المنافقين يقسمون بالله طلباً لمرضاتكم عنهم «فان ترضوا» ايها المؤمنون « فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » الخارجين من طاعته الى معصيته والمعنى انه لا ينفعهم رضاكم مع سخط الله عليهم وارتفاع رضـــاه عنهم . رضي المؤمنين عنهم او لم يرضوا وانما علق هاهنا بذلك لئلا يتوهم انه اذا رضى المؤمنون فقد رضى الله عنهم ايضاً فذكر ذلك ليزول هذا الالباس ولأن المراد بذلك انه اذا كان الله لا يرضى عنهم فينبغي لكم ايضاً ان لا ترضوا عنهم .

قوله تعالى :

﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٩٧) آية بلا خلاف .

---

(١) لم اجده فى مضانه .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان الاعراب الجفاة الذين لا يعرفون الله ورسوله حق معرفتها أشد كفراً ونفاقاً وجحوداً لنعم الله وأعظم نفاقاً من غيرهم .

وقيل : انها نزلت في اعراب كانوا حول المدينة من اسد وغطفان فكفرهم اشد ، لأنهم اقسى وأجفى من اهل المدن ، ولأنهم ابعد من سماع التنزيل ومخالطة اهل العلم والفضل ويقال : رجل عربي اذا كان من العرب وان سكن البلاد ، واعرابي اذا كان ساكناً في البادية . وروي ان زيد بن صوحان كانت يده اليسرى قطعت يوم اليمامة وكان قاعداً يوماً يروي الحديث والى جانبه اعرابي ، فقال له : ان حديثك يعجبني وان يدك تريبني فقال زيد : إنها الشمال ، فقال : والله ما ادري اليمين يقطعون أو الشمال فقال زيد : صدق الله ، وقرأ « الأعراب أشد كفراً » الآية .

وقوله : « واجدر » معناه اخلق وأولى وأقرب الى ان لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله من الشرائع والأحكام . وموضع أن نصب لأن تقديره اجدر بأن فحذف الباء فانتصب وتقديره اجدر بترك العلم غير أن الباء لا تحذف مع المصدر الصريح ، وإنما تحذف مع (ان) للزوم العلم بها وحملها على التأويل . وأجدر مأخوذ من جدر الحائط .

وقوله : « والله عليم حكيم » معناه عالم بأحوالهم وبواطنهم حكيم فيما يحكم به عليهم من الكفر وغير ذلك من أفعالهم .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ الأَعْرابِ مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٩٨) آية بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو « دائرة السوء » بضم السين . الباقون بفتح السين . من نصب اراد المصدر وإنما اضاف الدائرة الى السوء تأكيداً كما يقال : عيني رأسه وشمس النهار ، تقول : سؤته اسوءه سوءاً ومساءة ومسائية . وقوله : « ماكان ابوك امرأ سوء » (١) لا يجوز فيه غير فتح السين وكذلك في قوله : « وظننتم ظن السوء » (٢) لأن الضم بمعنى الاسم وتقديره عليهم دائرة العذاب والبلاء .

اخبر الله تعالى أن من جملة هؤلاء المنافقين من الأعراب من يتخذ ما ينفقه في الجهاد وغيره من طرق الخير « مغرماً » أي غرماً من قولهم : غرمته غرماً وغرامة . والغرم لزوم نائبة في المال من غير جناية ومنه قوله : « من مغرم مثقلون » (٣) وأصل المغرم لزوم الأمر ، ومنه قوله : « إن عذابها كان غراما » (٤) اي لازما ، وحبّ غرام أي لازم والغريم كل واحد من المتداينين وغرمته كذا الزمته إياه في ماله .

وقوله : « ويتربص بكم الدوائر » فالتربص التمسك بالشيء لعاقبة ومنه التربص بالطعام لزيادة السعر ، فهؤلاء يتربصون بالمؤمنين لعاقبة من الدوائر . والدائرة جمعها دوائر وهي العواقب المذمومة .

وقال الفراء والزجاج : كانوا يتربصون بهم الموت والقتل وإنما خص رفع النعمة بالدوائر دون رفع النقمة ، لأن النعمة اغلب وأعم لأن كل واحد لا يخلوا من نعم الله وليس كذلك النقمة ، لأنها خاصة . والنعمة عامة . وقد قيل : دارت لهم الدنيا بخلاف دارت عليهم . ثم قال تعالى : « عليهم دائرة السوء » يعني على هؤلاء المنافقين دائرة العذاب والبلاء - في قراءة من قرأ بالضم - وقوله : « والله سميع عليم » معناه

(١) سورة مريم آية ٢٨ . (٢) سورة الفتح آية ١٢ .
(٣) سورة الطور آية ٤٠ وسورة القلم آية ٤٦ .
(٤) سورة الفرقان آية ٦٥ .

هاهنا ان يسمع ما يقوله هؤلاء المنافقون ويعلم بواطن امورهم . ولا يخفى عليه شيء من حالهم وحال غيرهم .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٩٩) آية بلاخلاف.

قرأ ورش واسماعيل « قربة » بضم الراء ، اتبع الضمة التي قبلها . وقال ابو علي: لا يجوز أن يكون اتباعاً لما قبله لأن ذلك إنما يجوز في الوقف آخر الكلام ، وإنما الضمة فيها الأصل ، وانما خففت في قولهم : رسل وطنب ، فقالوا : رسل وطنب . فاذا جمع فلا يجوز فيه غير ضم الراء ، لأن الحركة الأصلية لابد من ردها في الجمع .

لما ذكر الله تعالى ان من جملة الأعراب من يتخذ انفاقه في سبيل الله مغرماً ذكر ان من جملتهم ايضاً « من يؤمن بالله » اي يصدق به وباليوم الآخر يعني يوم القيامة ، وأنه يتخذ ما ينفقه في سبيل الله قربات عند الله . قال الزجاج : يجوز في قربات ثلاثة اوجه - ضم الراء واسكانها وفتحها - وما قرئ الا بالضم ، والقربة هي طلب الثواب والكرامة من الله تعالى بحسن الطاعة وهي تدني من رحمة الله ، والتقدير انه يتخذ نفقته وصلوات الرسول أي دعاءه له قربة الى الله .

وقال ابن عباس والحسن : معنى وصلوات الرسول استغفاره لهم ، وقال قتادة: معناه دعاؤه بالخير والبركة قال الأعشى :

تقول بنتي وقد قرّبت مرتحلا يارب جنّب ابي الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي نوما فان لجنب المرء مضطجعا (١)

ثم قال : « الا انها قربة » يعني صلوات الرسول « قربة لهم » اي تقربهم الى ثواب الله . ويحتمل ان يكون المراد ان نفقتهم قربة الى الله .

وقوله : « سيدخلهم الله في رحمته » وعد منه لهم بأن يرحمهم ويدخلهم فيها وفيه مبالغة فان الرحمة وسعتهم وغمرتهم ولو قال فيهم رحمة الله لأفاد انهم اتسعوا الرحمة من الله تعالى .

وقوله : « ان الله غفور رحيم » معناه انه يستر كثيراً على العصاة ذنوبهم ولا يفضحهم بها لرحمته بخلقه « وغفور رحيم » جميعاً من الفاظ المبالغة فيما وصف به نفسه من المغفرة والرحمة .

قوله تعالى :

﴿ وَالسابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ وَالأَنْصارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾

(١٠٠) آية بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وحده « جنات تجري من تحتها » باثبات (من) وكذلك هو في مصاحف اهل مكة . الباقون بحذف (من) ونصبوا تحتها على الظرف .

وقرأ يعقوب « والأنصار والذين » بضم الراء . الباقون بجرها .

من رفع عطف على قوله : « والسابقون الأولون » رفع على الابتداء والخبر قوله : « رضي الله عنهم » .

(١) ديوانه ٧٢ القصيدة ١٣ وقد مر البيت الثاني في ١ : ١٩٣ .

ومن جر عطفه على المهاجرين كأنه قال: من المهاجرين ومن الأنصار .

ومن اثبت (من) فلأن في القرآن مواضع لا تحصى « جنات تجري من تحتها » ومن اسقطها تبع مصحف غير اهل مكة . والمعنى واحد .

اخبر الله تعالى ان الذين سبقوا اولا الى الايمان بالله ورسوله والاقرار بهما من الذين هاجروا من مكة الى المدينة والى الحبشة ومن الانصار الذين سبقوا اولا غيرهم الى الاسلام من نظرائهم من اهل المدينة والذين تبعوا هؤلاء بأفعال الخير والدخول في الاسلام بعدهم وسلوكهم مناهجهم .

وقال الفراء : يدخل في ذلك من يجيء بعدهم الى يوم القيامة وقال الزجاج : مثله .

ثم اخبر ان الله رضي عنهم ورضي افعالهم ورضوا هم ايضاً عن الله لما اجزل لهم من الثواب على طاعاتهم وايمانهم به وبنبيه .

والسبق كون الشيء قبل غيره . ومنه قيل في الخيل السابق ، والمصلي هو الذي يجيء في اثر السابق يتبع صلاه وانما كان السابق الى الخير افضل لانه داع اليه بسبقه والثاني تابع فهو امام فيه ، وكذلك من سبق الى الشر كان اسوء حالا لهذه العلة . والاتباع طلب الثاني لحال الاول ان يكون على مثلها على ما يصح ويجوز ، ومثله الاقتداء .

والاحسان هو النفع الواصل الى الغير مع تعريه من وجوه القبح . فأما قولهم احسن فمن فعله فقد يكون بفعل النفع وبفعل الضرر ، لأنه تعالى اذا فعل في الآخرة العقاب يقال انه احسن لكن لا يقال : أحسن اليه .

وقوله : « واعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار » اخبار منه تعالى انه مع رضاه عنهم ورضاهم عنه أعد لهم الجنات يعني البساتين التي تجري تحت اشجارها الأنهار ، وقيل : ان انهارها اخاديد في الأرض فلذلك قال : تحتها « خالدين فيها ابداً » اي يبقون فيها ببقاء الله لا يفنون ، منعمين .

وقوله : « ذلك الفوز العظيم » معناه ان ذلك النعيم الذي ذكره هو الفلاح العظيم الذي تصغر في جنبه كل نعمة .

واختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآية ، فقال ابو موسى وسعيد بن المسيب وابن سيرين وقتادة : نزلت فيمن صلى القبلتين ، وقال الشعبي : نزلت فيمن بايع بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية ، وقال : من اسلم بعد ذلك وهاجر فليس من المهاجرين الأولين .

وقال ابو علي الجبائي : نزلت في الذين اسلموا قبل الهجرة .

وروي أن عمر قرأ والأنصار بالرفع الذين اتبعوهم باسقاط الواو ، فقال ابي : والذين اتبعوهم بأمير المؤمنين فرجعوا الى قوله .

قوله تعالى :

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٠١) آية بلا خلاف .

معنى قوله : « وممن حولكم » من جملة من حولكم يعني حول مدينتكم . وحول الشيء المحيط به ، وهو مأخوذ من حال يحول إذا دار بالانقلاب . ومنه المحالة لأنها تدور في المحول . وقوله : « من الأعراب » والأعراب هم الذين يسكنون البادية إذا كانوا مطبوعين على العربية وليس واحدهم عربياً ، لأن العرب قد يكونوا حاضرة والاعراب بادية .

وقوله : « منافقون » معناه من يظهر الايمان ويبطن الكفر « ومن أهل المدينة » ايضاً منافقون وانما حذف لدلالة الأول عليه « مردوا على النفاق » يقال :

مرد على الشيء يمرد مروداً فهو مارد ومريد إذا عتا وطغى وأعيا خبثاً ومنه (شيطان مارد، ومريد).

وقال ابن زيد: معناه أقاموا عليه لم يتوبوا كما تاب غيرهم.

وقال ابن إسحاق: معناه لجوا فيه وابوا غيره. وقال الفراء: معناه مرنوا عليه وتجرءوا عليه. وقال الزجاج: فيه تقديم وتأخير والتقدير وممن حولكم من الاعراب منافقون مردوا على النفاق ومن أهل المدينة ايضاً مثل ذلك.

وأصل المرود الملاسة. ومنه قوله: «صرح ممرد من قوارير» (١) اي مملس ومنه الأمرد الذي لا شعر على وجهه، والمرودة والمرداء الرملة التي لا تنبت شيئاً والمرداد بيت صغير يتخذ للحمام مملس بالطين، والمرداء الصخرة الملساء.

«لا تعلمهم» معناه لا تعرفهم يا محمد «نحن نعلمهم» اي نعرفهم.

وقوله: «سنعذبهم مرتين» قيل في معناه اقوال:

احدها - قال الحسن وقتادة والجبائي: يعني في الدنيا وفي القبر. وقال ابن عباس: نعذبهم في الدنيا بالفضيحة لأن النبي (ص) ذكر رجالا منهم وأخرجهم من المسجد يوم الجمعة في خطبته قال: اخرجوا فانكم منافقون، والاخرى في القبر.

وقال مجاهد: يعني في الدنيا بالقتل والسبي والجوع. وفي رواية اخرى عن ابن عباس ان احديها اقامة الحدود عليهم والاخرى عذاب القبر. وقال الحسن: احداهما - اخذ الزكاة منهم والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحاق: احدهما - غيظهم من اهل الاسلام والاخرى عذاب القبر. كل ذلك محتمل غير أنا نعلم ان المرتين معاً قبل ان يردوا الى عذاب النار يوم القيامة.

وقوله: «ثم يردون الى عذاب عظيم» معناه ثم يرجعون يوم القيامة الى عذاب عظيم مؤبد في النار. وروي ان الآية نزلت في عيينة بن حصين وأصحابه.

(١) سورة النمل آية ٤٣.

قوله تعالى :

﴿ وآخرونَ إعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخرَ سيئاً عسى اللهُ أن يتوبَ عليهم إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ ﴾ (١٠٢) آيه بلا خلاف .

روي عن ابن عباس انه قال : نزلت هذه الآية في عشرة انفس تخلفوا عن غزوة تبوك فيهم ابو لبابة فربط سبعة منهم انفسهم الى سوارى المسجد الى ان قبلت توبتهم . وقيل كانوا سبعة منهم ابو لبابة .

وقال ابو جعفر «ع» : نزلت في ابي لبابة ولم يذكر غيره ، وكان سبب نزولها فيه ما جرى منه في غزاة بني قريظة ، وبه قال مجاهد . وقال الزهري : نزلت في ابي لبابة خاصة حين تأخر عن تبوك . واكثر المفسرين ذكروا ان ابا لبابة كان من جملة المتأخرين عن تبوك .

وروي عن ابن عباس انها نزلت في قوم من الأعراب . وقيل نزلت في خمسة عشر نفساً ممن تأخر عن تبوك .

هذه الآية عطف على قوله : « ومن اهل المدينة » اي ومنهم « آخرون اعترفوا بذنوبهم » اي اقروا بها مع معرفتهم بها فان الاعتراف هو الاقرار بالشيء عن معرفة والاقرار مشتق من قر الشيء إذا ثبت . والاعتراف من المعرفة .

وقوله : « خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً » معناه انهم يفعلون افعالا جميلة ويفعلون افعالا سيئة قبيحة ، فيجتمعان وذلك يدل على بطلان القول بالاحباط ، لأنه لو كان صحيحاً لكان احدهما إذا طرىء على الآخر ابطأه فلا يجتمعان فكيف يكون خلطاً .

وقوله : « عسى الله ان يتوب عليهم » قال الحسن وكثير من المفسرين : إن (عسى) من الله واجبة . وقال قوم : انما قال : (عسى) حتى يكونوا على طمع واشفاق فيكون ذلك ابعد من الاتكال على العفو واهمال التوبة ، والتقدير في قوله : « خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً » اي بآخر سيء ومثله قولك : خلطت الماء واللبن اي باللبن . وقد يستعمل ذلك في الجمع من غير امتزاج كقولهم : خلطت الدراهم والدنانير . وقال قوم : هو يجري مجرى قولهم : استوى الماء والخشبة اي مع الخشبة . وقال اهل اللغة : خلط في الخير مخففاً وخلط في الشر مشدداً .

وقوله : « ان الله غفور رحيم » تعليل لقبول التوبة من العصاة لأنه غفور رحيم .

قوله تعالى :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٠٣) آية بلا خلاف .

قرأ اهل الكوفة الا ابا بكر « ان صلاتك » على التوحيد ونصب التاء . الباقون على الجمع وكسر التاء ، لأنه جمع السلامة .

فمن قرأ على التوحيد فلأنه مصدر يقع على القليل والكثير ، فلا يحتاج الى جمعه . ومثله « لصوت الحمير » (١) ومما ورد في القرآن بلفظ التوحيد والمراد به الجمع قوله : « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء » (٢) وقوله : « اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » (٣) ومن جمع فلاختلاف الصلاة ، كما ان قوله : « ان انكر

(١) سورة لقمان آية ١٩ .　(٢) سورة الأنفال آية ٣٥ .
(٣) سورة النساء آية ٧٦ وسورة الحج آية ٧٨ وسورة النور آية ٥٦ والمجادلة آية ١٣ والمزمل آية ٢٠ .

الأصوات » (١) جمع في اختلاف ضروبه ،

والصلاة في اللغة الدعاء قال الأعشى في الخمر :

وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم (٢)

ومعنى « صلّ عليهم » ادع لهم «فان دعاءك سكن لهم» بمعنى تسكن اليه نفوسهم وتطيب به ، ولفظ التوحيد هاهنا احسن لأن المراد دعاء النبي (ص) لهم لا اداء الصلوات ، والجمع على ضروب دعائه . وقولهم : صلى الله على رسول الله وعلى ملائكته ولا يقال انه دعاء لهم من الله كما لا يقال في نحو (ويل للمكذبين) أنه دعاء عليهم لكن المعنى أن هؤلاء ممن يستحق عندكم أن يقال فيهم هذا اللغو من الكلام . ومثله قوله : « بل عجبت ويسخرون » (٣) فيمن ضم التاء هذا مذهب سيبويه ، وذكر الفراء وغيره أن هؤلاء الذين تابوا وأقلعوا قالوا للرسول : خذ من اموالنا ما تريد فقال رسول الله : لا افعل حتى يؤذن لي فيه ، فأنزل الله « خذ من اموالهم صدقة » فأخذ منهم بعضاً وترك الباقي . وروي ذلك عن ابن عباس وزيد بن اسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك . وهي في ابي لبابة وجد بن قيس وأوس وحذام .

وقوله : « خذ من اموالهم صدقة » امر من الله تعالى أن يأخذ من المالكين النصاب الزكاة، الورق إذا بلغ مئتين والذهب إذا بلغ عشرين مثقالاً ، والابل إذا بلغت خمساً . والبقر إذا بلغت ثلاثين والغنم إذا بلغت اربعين . والغلات اذا بلغت خمسة أوسق .

وقوله : « خذ من اموالهم » يدل على ان الأخذ من اختلاف الأموال ، لأنه جمعه . ولو قال : خذ من مالهم أفاد وجوب الاخذ من جنس واحد متفق . و (من)

(١) سورة لقمان آية ١٩ .

(٢) ديوانه : ٢٩ القصيدة ٤ وقد سلف فى ١ : ٥٦ ، ١٩٣ .

(٣) سورة ص آية ١٢ .

دخلت للتبعيض ، فكأنه قال : خذ بعض مختلف الأموال .

وظاهر الآية لا يدل على انه يجب أن يأخذ من كل صنف لأنه لو اخذ من صنف واحد لكان قد اخذ بعض الأموال وإنما يعلم ذلك بدليل آخر . والصدقة عطية ماله قيمة للفقر والحاجة . والبر عطية لاجتلاب المودة . ومثله الصلة .

وقوله : « تطهرهم وتزكيهم بها » انما ارتفع تطهرهم لأحد امرين :

احدهما - ان تكون صفة للصدقة وتكون التاء للتأنيث . وقوله : « بها » تبيين له والتقدير صدقة مطهرة .

والثاني - ان تكون التاء خطاباً للنبي (ص) والتقدير فانك تطهرهم بها وهو صفة للصدقة ايضاً الا انه اجتزأ بذكر (بها) في الثاني عن الأول .

وقيل : انه يجوز ان يكون على الاستئناف وحمله على الاتصال أولى ، ولا يجوز ان يكون جواباً للأمر لأنه لو كان كذلك لكان مجزوماً .

وقوله : « وتزكيهم » تقديره وأنت تزكيهم على الاستئناف .

وقيل في هذه الصدقة قولان :

احدهما - قال الحسن : انها هي كفارة الذنوب التي اصابوها ، وقال ابو علي : هي الزكاة الواجبة .

وأصل التطهير ازالة النجس ، والمراد هاهنا ازالة النجس الذنوب بما يكفرها من الطاعة .

وقوله : « وصل عليهم » امر من الله تعالى للنبي ان يدعو لمن يأخذ منه الصدقة . وقال الجبائي : يجب ذلك على كل ساع يجمع الزكوات ان يدعو لصاحبها بالخير والبركة ، كما فعل رسول الله (ص) .

وقوله : « والله سميع عليم » معناه انه تعالى يسمع دعاءك لهم بنياتهم في الصدقة التي يخرجونها .

قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٠٤) آية بلا خلاف .

الألف في قوله : « ألم يعلموا » الف استفهام والمراد بها التنبيه على ما يجب ان يعلم المخاطب اذا رجع الى نفسه وفكر فيما نبه عليه علم وجوباً . وإنما وجب أن يعلم ان الله يقبل التوبة ، لأنه اذا علم ذلك كان ذلك داعياً له الى فعل التوبة والتمسك بها والمسارعة اليها ، وما هذه صورته وجب عليه ان يعلمه ليتخلص به من العقاب ويحصل له الثواب . وسبب ذلك انهم لما سألوا النبي (ص) ان يأخذ من مالهم ما يكون كفارة لذنوبهم فامتنع النبي من ذلك وقال : حتى يؤذن لي فيه فبين الله تعالى انه ليس الى النبي قبول توبتكم وان ذلك الى الله تعالى دونه . فانه الذي يقبل التوبة ويقبل الصدقات . وفعل التوبه يستحق به الثواب لأنها طاعة فأما اسقاط عقاب المعاصي المتقدمة عندها فالعقل لا يوجب ذلك . وانما علم ذلك سمعاً لأن السمع قطع العذر بأن الله يسقط العقاب عند التوبة الصحيحة . وقد بينا في غير موضع فيما تقدم ان التوبة التي يسقط العقاب عندها قطعاً هي الندم على القبيح والعزم على ان لا يعود الى مثله في القبح ، لأن الامة مجمعة على سقوط العقاب عند هذه التوبة وفيما خالف هذه التوبة خلاف .

وقوله : « ويأخذ الصدقات » معناه انه يأخذها بتضمن الجزاء عليها كما تؤخذ الهدية كذلك . وقال ابو علي الجبائي : جعل الله اخذ النبي (ص) والمؤمنين للصدقة أخذاً من الله على وجه التشبيه والمجاز من حيث كان بأمره . وقد روي عن النبي (ص) ان الصدقة قد تقع في يد الله قبل ان تصل الى يد السائل والمراد بذلك انها تنزل هذا التنزيل ترغيباً للعباد في فعلها وذلك يرجع الى تضمن الجزاء عليها .

وقوله : « وان الله هو التواب الرحيم » عطف على قوله : « الم يعلموا » ولذلك فتح (أن) لأنها مفعول بها . والتوّاب في صفة الله معناه انه يقبل التوبة كثيراً وفي صفة العبد يفيد انه يفعل التوبة كثيراً . وقيل في معنى « تاب الله عليكم » (١) صفح عنكم ولم يكونوا اذنبوا فيتوبوا ليتوب الله عليهم وكذلك قوله : « علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم » (٢) بمعنى صفح لأنهم لم يتوبوا .

قوله تعالى :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٥) آية بلا خلاف .

هذا امر من الله تعالى لنبيه (ص) ان يقول للمكلفين : « اعملوا » ما امركم الله به من الطاعة واجتنبوا معاصيه فان الله « سيرى عملكم ورسوله والمؤمنون » وفي ذلك ضرب من التهديد ، كما قال مجاهد ، والمراد بالرؤية هاهنا العلم الذي هو المعرفة ولذلك عداه الى مفعول واحد ، ولو كان بمعنى العلم الذي ليس بمعرفة لتعدّى الى مفعولين ، وليس لأحد ان يقول : ان اعمال العباد من الحركات يصح رؤيتها لمكان هذه الآية ، لأنه لو كان المراد بها العلم لعداه الى الجملة وذلك أن العلم الذي يتعدى الى مفعولين ما كان بمعنى الظن ، وذلك لا يجوز على الله ، وانما يجوز عليه ما كان بمعنى المعرفة . وروي في الخبر أن أعمال العباد تعرض على النبي (ص) في كل اثنين وخميس فيعلمها ، وكذلك تعرض على الأئمة (ع) فيعرفونها ، وهم المعنيون

(١) سورة المجادلة آية ١٣ . (٢) سورة البقرة آية ١٨٧ .

بقوله : « والمؤمنون » ، وإنما قال : « فسيرى الله » على وجه الاستقبال ، وهو عالم بالأشياء قبل وجودها . لأن المراد بذلك انه سيعلمها موجودة بعد أن علمها معدومة وكونه عالماً بأنها ستوجد من كونه عالماً بوجودها إذا وجدت لا يجدد حال له بذلك .

وقوله : « وستردون الى عالم الغيب والشهادة » معناه سترجعون الى الله الذي يعلم السر والعلانية « فينبئكم » بما كنتم تعملون ، ويجازيكم عليه .

قوله تعالى :

﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠٦) آية بلا خلاف .

قرأ اهل المدينة عن ابي بكر « مرجون » بغير همزة . الباقون بالهمزة . والوجه فيها انهما لغتان ... ويقال : ارجأت وأرجيت بمعنى واحد .

وهذه الآية عطف على قوله : « ومن اهل المدينة مردوا على النفاق ... وآخرون اعترفوا بذنوبهم .. وآخرون مرجون لأمر الله » والارجاء تأخير الأمر الى وقت يقال : ارجأت الأمر ارجاء وأرجيته بالهمزة وترك الهمزة لغتان .

وقوله : « اما يعذبهم وإما يتوب عليهم » فلفظة (اما) لوقوع احد الشيئين والله اعلم بما يصير اليه امرهم إلا ان هذا للعباد ، خوطبوا بما يعلمون . والمعنى وليكن امرهم عندكم على هذا اي على الخوف والرجاء . والآية تدل على صحة قولنا في جواز العفو عن العصاة ، لأنه تعالى بين ان قوماً من هؤلاء العصاة امرهم مرجأ الى الله ان شاء عذبهم وان شاء قبل توبتهم فعفا عنهم ، فلو كان سقوط العقاب عند التوبة واجباً لما جاز تعليق ذلك بالمشيئة على وجه التخيير لأنهم ان تابوا وجب قبول توبتهم عند الخصم واسقاط العقاب عنهم ، وان اصروا ولم يتوبوا فلا يعفى عنهم ، فلا معنى للتخيير على قولهم ، وانما يصح ذلك على ما نقوله : من أن مع حصول التوبة تحسن

المؤاخذة فان عفا فبفضله وان عاقب فبعدله .

وقوله : «وإما يتوب عليهم» معناه واما يقبل توبتهم . وقوله : « والله عليم حكيم » معناه عالم بما يؤل اليه حالهم « حكيم » فيما يفعله بهم .

والفرق بين الآخر والآخر ان الآخر يفيد انه بعد الأول والآخر مقابل لاحد في تفصيل ذكر اثنين احدهما كذا والآخر كذا .

وقال مجاهد وقتادة : الآية نزلت في هلال بن امية الواقفي وفزارة بن ربعي وكعب بن مالك من الأوس والخزرج ، وكان كعب بن مالك رجل صدق غير مطعون عليه ، وانما تخلف توانياً عن الاستعداد حتى فاته المسير وانصرف رسول الله ولم يتعذر اليه بالكذب . وقال : والله مالي من عذر ، فقال (ص) : صدقت فقم حتى يقضي الله فيك وجاء الرجلان الآخران فقالا مثل ذلك وصدقا ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن كلامهم بعد ما عذر المنافقين وجميع المتخلفين ، وكانوا نيفاً وثمانين رجلا فأقام هؤلاء الثلاثة على ذلك خمسين ليلة حتى هجرهم ولدانهم ونساؤهم طاعة لرسول الله (ص) بأمره. وبنى كعب خيمة على سلع يكون فيها وحده . وقال في ذلك :

أبعد دور بني القين الكرام وما شادوا علي بنيت البيت من سعف (١)

ثم نزلت التوبة عليهم في الليل فأصبح المسلمون يبتدرونهم يبشرونهم ، قال كعب : فجئت الى رسول الله في المسجد وكان اذا سر يستبشر كأن وجهه فلقة قمر فقال لي ووجهه يبرق من السرور : ابشر بخير يوم طلع عليك شرفه منذ ولدتك امك قال كعب ، فقلت له : أمن عند الله او من عندك يا رسول الله ؟ قال فقال : من عند الله . وتصدق كعب بثلث ماله شكراً لله على توبته .

(١) مجمع البيان (صيدا) ٣ : ٦٩ .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١٠٧) آية بلا خلاف .

قرأ ابن عامر وأهل المدينة « الذين اتخذوا » باسقاط الواو . الباقون باثبات الواو .

فمن اثبت الواو ، عطفه على ما تقـــدم من الآيات وتقديره : ومنهم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً ومن حذفها ابتدأ الكلام وحذف الخبر لطول الكلام ، قال الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن ابي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة .

نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين قال الفراء : كانوا من بني عمرو ابن عوف من الأنصار . وقال غيره : كانوا من بني غنم ابن عوف من الأنصار الذين بنوا مسجد الضرار وقيل انهم كانوا خمسة عشر رجلا منهم عبد الله بن نفيل في قول الواقدي — وقال ابن اسحاق : هو نفيل بن الحارث ولم يذكر عبد الله ، وهـذا المختلف في اسمه هو الذي كان ينقل حديث النبي الى المنافقين فأعلم الله نبيه ذلك . وأخبر الله عنهم انهم بنوا المسجد الذي بنوه ضراراً اي مضارة . ونصب على انه مفعول له اي بنوه للمضارة .

والضرار هو طلب الضرّ ومحاولته كما ان الشقاق محاولة ما يشق تقول : ضاره مضارة وضراراً .

والآية تدل على ان الفعل يقع بالارادة على وجه القبيح دون الحسن او الحسن

دون القبيح ، لأنهم لو بنوا المسجد للصلاة فيه لكان حسناً لكن لما قصدوا المضارة كان ذلك قبيحاً ومعصية .

وقوله : « وتفريقاً بين المؤمنين » اي بنوه للمضارة والكفر والتفريق بين المؤمنين . وانما يكون تفريقاً بين المؤمنين بأن يتحزبوا فحزب يصلي فيه وحزب يصلي في غيره لتختلف الكلمة وتبطل الالفة . واتخـــذوه ايضاً ليكفروا فيه بالطعن على النبي (ص) والاسلام والمسلمين .

وقوله : « وارصادا لمن حارب الله ورسوله » معناه اتخذوه له ليكون متى اراد الاجتماع معهم حضره وأنس به ، وهو رجل يقال له ابو عامر الراهب لحق بقيصر فتنصر وبعث اليهم سآتيكم بجنـد فأخرج به محمداً وأصحابه فبنوه يترقبونه ، وهو الذي حزب الأحزاب وحارب مع المشركين ، فلما فتحت مكة هرب الى الطائف ، فلما اسلم اهل الطائف لحق بالشام وخرج الى الروم وتنصر ، وابنه عبد الله قتل يوم احد وهو قتيل الملائكة ذهب اليه اكثر المفسرين كابن عباس ومجاهد وقتادة .

وأصل الارصاد الارتقاب تقول : رصده يرصده رصداً وأرصد له وراصده مراصدة وتراصد تراصداً وارتصده إرتصاداً .

وقوله : « وليحلفن ان اردنا إلا الحسنى » معناه ان هؤلاء يحلفون على انهم ما أرادوا ببناء هـــذا المسجد إلا الحسنى يعني إلا الفعلة الحسنى ، فقال الله تعالى تكذيباً لهم : « والله يشهد انهم لكاذبون » وكفى بمن يشهد الله بكذبه خزياً . ووجّه رسول الله (ص) قبل قدومه من تبوك عاصم بن عون العجلاني ومالك بن الدخشم وكان مالك من بني عوف ، وقال لهما : (انطلقا الى هـذا المسجد الظالم اهله فاهـدماه ثم حرّقاه) فخرجا يشتدّان سريعين على اقدامهما ففعلا ما امرهما به فثبت قوم من جملتهم زيد بن حارثة بن عامر حتى احترقت البتة .

قوله تعالى :

﴿ لا تَقُمْ فيهِ أَبداً لمسْجِدٌ أُسِّسَ على التقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقومَ فيهِ فيـــهِ رجالٌ يُحبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّروا وَاللهُ يُحِبُّ المطَّهِّرينَ ﴾(١٠٨) آية بلا خلاف .

نهى الله نبيه - وعنى معه جميع المؤمنين - أن يقوموا في المسجد الذي بني ضراراً « ابدا » او يصلوا فيه . وأقسم ان المسجد الذي « اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه » وقيل في المسجد الذي اسس على التقوى قولان :

احدهما - قال ابن عباس والحسن وعطية انه مسجد قباء .

وقال ابن عمرو وابن المسيب : هو مسجد المدينة .

وقال عمر بن شبه : المسجد الذي اسس على التقوى مسجد رسول الله (ص) والذي اسس على تقوى ورضوان مسجد قباء كذلك فصل بينهما . ورواه عن اشياخه .

والتقوى خصلة من الطاعة يحترز بها من العقوبة ، والمتقي صفة مدح لا تطلق إلا على مستحق الثواب . وواو (تقوى) ابدلت من الياء ، لأنه من تقيت وإنما ابدلت للفرق بين الاسم والصفة في الابنية . ومثله شروى من شريت ، فأما الصفة فنحو خزيا . ولو قيل كيف يبنى فعلى من قصيت ؟ قلت : قصوى في الاسم وقصي في الصفة .

وقوله : « من اول يوم » معناه اول الأيام اذا ميزت يوماً يوماً ، لأن افعل بعض ما اضيف اليه . ومثله اعطيت كل رجل في الدار اي كل الرجال إذا ميزوا رجلا رجلا . والفرق بين من اول يوم ومنذ اول يوم ان منذ اذا كانت حرفاً فهي الوقت

الخاص كقولك منذ اليوم ومنذ الشهر ، ومنذ السنة وليس كذلك (من) واذا كانت اسما وقع على ما بعدها على تقدير كلامين و (من) على النهاية لأنها نقيض (الى) قال زهير :

لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن شهر (١)

وقوله : « احق ان تقوم فيه » مع ان القيام في الآخر قبيح منهي عنه ، وانما قال ذلك على وجه المظاهرة بالحجة بأنه لو كان من الحق الذي يجوز لكان هذا احق. ويجوز على هذا ان تقول : عمل الواجب اصلح من تركه . وقيل : المراد به القيام فيه حق ظاهراً وباطناً اذا كانت الصلاة في المساجد على ظاهرها حق .

وقوله : « فيه رجال » والأول ظرف للقيام . والثاني ظرف لكون الرجال .

وقوله : « يحبون ان يتطهروا » قال الحسن : معناه يريدون ان يتطهروا من الذنوب . وقيل : يتطهرون بالماء عن الغائط والبول ، وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) ثم قال : « والله يحب المطهرين » اي يريد منافع المتطهرين من الذنوب وكذلك المتطهرين من النجاسة بالماء . وروي عن النبي (ص) انه قال لأهل قباء : (ماذا تفعلون في طهركم فان الله احسن عليكم الثناء) قالوا : نغسل اثر الغائط ، فقال : (انزل الله فيكم والله يحب المطهرين) .

وقيل : ان سبب نزول هذه الآية أن اهل مسجد ضرار جاءوا اليه ، فقالوا يا رسول الله بنينا مسجداً للضعيف في وقت المطر نسألك ان تصلي فيه وكان متوجهاً الى تبوك فوعدهم ان يفعل اذا عاد فنهاه الله عن ذلك .

وقوله : « والذين اتخذوا مسجداً » مبتدأ وخبره في قوله : « لا تقم فيه ابداً » كما تقول : والذي يدعوك الى الغي فلا تسمع دعاءه . والتقدير في الآية لا تقم في مسجدهم ابداً واسقط ذلك اختصاراً .

(١) اللسان (حجر) وتفسير القرطبي ٨ : ٢٦٠.

قوله تعالى :

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٠٩) آية بلا خلاف .

قرأ نافع وابن عباس «اسس بنيانه» بضم الهمزة وكسر السين ورفع النون من بنيانه في الموضعين جميعاً . الباقون بفتح الهمزة ونصب النون من بنيانه .

وقرأ ابن عامر إلا الداحوني عن هشام وحمزة وخلف وأبو بكر إلا الأعشى والبرجمي « جرف » بسكون الراء . الباقون بضمها .

وقرأ ابو عمرو والكسائي والداحوني عن ابي ذكوان وهبة الله عن حفص من طريق النهرواني والدوري عن سليم من طريق ابن فرج وابو بكر إلا الأعشى والبرجمي « هار » بالامالة . وافقهم على الوقف علي بن مسلم وابن غالب ومحمد في الوقف من طريق السوسي من طريق ابن جيش .

قال ابو علي الفارسي : البنيان مصدر وهو جمع كشعير وشعيرة لأنهم قالوا في انواحد بنيان قال أوس

كبنيانه القري موضع رحلها وأثار نسعتها من الدف ابلق (١)

وجاء بناء المصادر على هذا المثال في غير هذا الحرف نحو : الغفران . وليس بنيان جمع بناء ، لأن فعلاناً إذا كان جمعاً نحو كثبان وقضبان لم تلحقه تاء التأنيث ، وقد يكون ذلك في المصادر ، نحو : اكل وأكلة وضرب وضربة من ذلك . وقال ابو زيد يقال : بنيت ابني بنياً وبناء وبنية وجمعها البنى وأنشد :

(١) مجمع البيان ٣ : ٧١ (صيدا) .

بنى السماء فسواها ببنيتها ولم تمد باطناب ولا عمد (١)

فالبناء والبنية مصدران ومن ثم قوبل به الفراش في قوله : « الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءاً » (٢) فالبناء لما كان رفعاً للمبني قوبل به الفراش الذي هو خلاف البناء . ومن ثم وقع على ما كان فيه ارتفاع في نصبته وان لم يكن مبنياً فأما من فتح الهمزة وبنى الفعل للفاعل، فلأنه الباني والمؤسس فأسند الفعل اليه وبناه له كما اضاف البنيان اليه في قوله : « بنيانه » فكما ان المصدر مضاف الى الفاعل كذلك يكون الفعل مبنياً له . ومن بنى الفعل للمفعول لم يبعد ان يكون في المعنى كالأول ، لأنه إذا أسس بنيانه فتولى ذلك غيره بأمره كان كبنائه هو له . والأول اقوى لما قلناه .

وقال ابو علي : و (الجرف) - بضم العين - هو الأصل ، والاسكان تخفيف ومثله الشغل والشغل . ومثله الطنب والطنب . والعنق والعنق ، يجوز في جميعه التثقيل والتخفيف . وكلاهما حسن .

وقال ابو عبيدة : « على شفا جرف هار » مثل ، قال : لأن ما يبنى على التقوى فهو اثبت اساساً من بناء يبنى على شفا جرف . ويجوز ان تكون المعادلة وقعت بين البنائين ، ويجوز ان تكون بين البناءين ، فاذا عادلت بين البنائين كان المعنى المؤسس بنيانه متقناً خير ام المؤسس بنيانه غير متقن ، لأن قوله : « على شفا جرف » يدل على ان بانيه غير متق لله . ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف كأنه قال : ابناء من اسس بنيانه على تقوى خير ام بناء من اسس على شفا جرف . والبنيان مصدر يراد به المبني ، كما ان الخلق يراد به المخلوق إذا اردت ذلك ، وضرب الامير اذا اردت به المضروب . وكذلك نسج اليمن يراد به المنسوج ، فانما قلنا ذلك لأنه لا يجوز ان

(١) مجمع البيان ٣ : ٧١ وقد مر في ١ : ١٠٠ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٢ .

يراد به الحدث ، لأنه انما يؤسس المبني الذي هو عين ، يبين ذلك قوله : « على شفا جرف » والحدث لا يكون على شفا جرف . والجار في قوله : على « تقوى » وفي قوله : « على شفا جرف » في موضع نصب ، والتقدير افمن اسس بنيانه متقياً خير ام من اسس بنيانه معاقباً على بنيانه ، وفاعل (انهار) البنيان، وتقديره انهار البنيان بالباني في نار جهنم ، لأنه معصية وفعل لما كرهه الله من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين .

ومن امال « هار » فقد احسن لما في الراء من التكرير فكأنك لفظت براءين مكسورتين وبحسب كثرة الكسرات تحسن الامالة .

ومن لم يمل فلأن كثيراً من العرب لا يميلون هذه الالفات . وترك الامالة هو الأصل . وأما الف «هار» فمنقلبة عن الواو ، لأنهم قالوا : تهوّر البناء إذا تساقط وتداعى . والانهيار والانهيال متقاربان في المعنى . والالف في قوله : « افمن » الف استفهام يراد بها هاهنا الانكار ومعنى « خير » في الآية افضل . وليس فيه اشتراك يقولون : هذا خير وهذا شر ولا يراد به افعل قال الشاعر :

والخير والشر مقرونان في قرن فالخير متبع والشر محذور (١)

وأما قوله لهم : وافعل الخير معناه افعلوا الأفضل . و (الشفا جرف) الشيء وشفيره وجرفه نهايته في المساحة ويثنى شفوان . والجرف جرف الوادي وهو جانبه الذي ينحفر بالماء اصله فيبقى واهياً وهو من الجرف والاجتراف وهو اقتلاع الشيء من اصله .

ومعنى (انهار) انصدع بالتهدم هار الجرف يهور هوراً فهو هائر وتهور تهوراً وانهار انهياراً . ويقال ايضاً : هار يهار . وأصلها هار هائر إلا انه قلب كما قال الشاعر :

(١) مجمع البيان ٣ ٧٣ .

لاث به الاشاء والعبري (١)

اي لايث بمعنى دائر ومثله شاك في السلاح وشائك . والاشاء النخل والعبري السدر الذي على ساقي الأنهار ، ومعنى لاث اي مطيف به .

شبه الله تعالى بنيان هؤلاء المنافقين مسجد الضرار ببناء يبنى على شفير جهنم ، فانهار ذلك البناء بأهله في نار جهنم ، ووقع فيه . وروي عن جابر بن عبد الله انه قال : رأيت المسجد الذي بني ضراراً يخرج منه الدخان وهو قول ابن جريج .

قوله تعالى:

﴿ لا يَزالُ بُنيانُهمُ الَّذي بَنَوْا ريبَةً في قُلوبِهِمْ إلاَّ أنْ تَقطَّعَ قُلوبُهُمْ وَاللهُ عَليمٌ حَكيمٌ ﴾ (١١٠) آية بلا خلاف .

قرأ ابن عامر وحمزة وحفص وأبو جعفر ويعقوب « تقطع » بفتح التاء . الباقون بضمها . وقرأ يعقوب وحده « الى ان » على انه حرف جر .

وقوله : « لا يزال » من اخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر . وإنما عمل في الاسم والخبر لأنه إنما يتعلق في معنى الجملة فيدل على انه يدوم إذ المعنى فيه أن يكون الشيء على الصفة ابداً . قال ابو علي : البنيان مصدر واقع على المبنى وتقديره لا يزال بناء المبنى الذي بنوه ريبة اي شكاً في قلوبهم فيما كان من اظهار اسلامهم وثباتاً على النفاق الى ان تقطع قلوبهم بالموت والبلى لا يخلص لهم ايمان ولا ينزعون عن النفاق الى ان تقطع قلوبهم بالموت والبلى .

ومن قرأ « الى ان تقطع » فانه يريد حتى تبلى وتقطع بالبلى اي لا تثلج قلوبهم بالايمان ابداً ولا ينزعون عن الخطيئة في بناء المسجد ولا يتوبون .

ومن ضم الياء اضاف الفعل الى المقطع المبلى للقلوب بالموت .

---

(١) اللسان (عبر) (لثى) والتاج (عبر) ومجاز القرآن ١ : ٢٦٩ .

ومن فتحها اسند الفعل الى القلوب لما كانت هي البالية ، كما قالوا : مات زيد ومرض عمرو ، ووقع الحائط .

وفي قراءة ابي (حتى الممات) .

ومعنى قوله : « الذي بنوا » مع قوله : « بنيانهم » إنما هو ليعلم ان البناء ماض دون المستقبل اذ قد تجوز الاضافة على جهة الاستقبال كقولك للغير : أقبل على عملك .

وقيل في معنى الريبة في الآية ثلاثة اقوال :

احدها - ان هذا البنيان الذي بنوه لا يزال شكاً في قلوبهم . وقيل معناه حزازة في قلوبهم ، وقيل حسرة في قلوبهم يتردّدون فيها .

وقوله : « إلا ان تقطع قلوبهم » موضع « ان تقطع » نصب والتقدير الا على تقطع قلوبهم غير ان حرف الاضافة يحذف مع (أن) ولا يحذف مع المصدر . ومعنى (الا) هاهنا (حتى) لأنه استثناء من الزمان المستقبل ، والاستثناء منه منتهه اليه فاجتمعت مع (حتى) في هذا الموضع على هذا المعنى . قال الزجاج : يحتمل ان يكون المراد الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفريطهم .

وقوله : « والله عليم حكيم » اي عالم بنيتهم في بناء مسجد الضرار « حكيم » في امره بنقضه والمنع من الصلاة فيه .

قوله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا

بِبَيْعِكُمُ الذي بايَعْتُمْ بِهِ وذلكَ هُوَ الفوزُ العظيمُ ﴾ (١١١) آية بلا خلاف .

قرأ حمزة والكسائي « فيقتّلون ويقتلون » على مفعول وفاعل . الباقون على فاعل ومفعول . من قدم الفعل المسند الى الفاعل ، فلأنهم يقتلون اولا في سبيل الله ويقتلون ، ولا يقتلون اذا قتلوا ومن قدّم الفعل المسند الى المفعول جاز ان يكون اراد ذلك المعنى ايضاً لأن المعطوف بالواو يجوز ان يراد به التقديم . وان لم يقدّر ذلك كان المعنى يقتل بعضهم ويقتل من بقي منهم بعد قتل من قتل منهم ، كما أن قوله : « فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله » (١) ومعناه ما وهن من بقي منهم لقتل من قتل من المؤمنين .

وحقيقة الاشتراء لا تجوز على الله تعالى ، لأن المشتري انما يشتري ما لا يملك والله تعالى مالك الأشياء كلها . وانما هو كقوله : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً » (٢) في انه اجرى بحسن المعاملة والتلفظ في الدعاء الى الطاعة مجرى ما لا يملكه المعامل فيه ولما كان الله تعالى رغب في الجهاد وقتال الأعداء وضمن على ذلك الثواب عبر عن ذلك بالاشتراء فجعل الثواب ثمناً والطاعات مثمناً على ضرب من المجاز وكما ان في مقابلة الطاعة الثواب فكذلك في مقابلة الألم العوض غير أن الثواب مقترن بالاجلال والاكرام والعوض خال منهما . والمثاب محسن مستحق على احسانه المدح وليس كذلك المعوض .

اخبر الله تعالى انه اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بما ضمن لهم على بذلها من الثواب في قوله : « بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله » اعداء الله واعداء نبيه فيقتلون اعداء الله ويقتلهم اعداء الله فيصبرون على ذلك .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤٦ . (٢) سورة البقرة آية ٢٤٥ .

ومن قدم المفعول اراد يقتل بعضهم فيقتل الباقون اعداء الله .

وقوله : « وعدا عليه حقاً » نصب وعدا على المصدر بما دل عليه اشترى اذ يدل على انه وعد. ومثله « صنع الله الذي اتقن كل شيء » (١) و« فطرة الله التي فطر الناس عليها » (٢) والوعد خبر بما يفعله المخبر من الخير بغيره والوعيد خبر بما يفعله المخبر من الشر بغيره .

وقوله : « حقاً » معناه يتبين الوعد بالحق الواجب من الوعد بما لم يكن واجباً. فالوعد بالثواب دل على وجوبه من وجهين :

احدهما - من حيث انه جزاء على الطاعة .

والثاني - انه ايجاز الوعد .

وقوله : « في التوراة والانجيل والقرآن » معناه ان هذا الوعد للمجاهدين مذكور في هذه الكتب . قال الزجاج : وذلك يدل على ان الجهاد كان واجباً على اهل كل ملة .

وقوله : « ومن اوفى بعهده من الله » معناه لا احد احق بالوفاء بالعهد من الله « فاستبشروا » ايها المؤمنون « ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » يعني ذلك الشراء والبيع هو الفلاح العظيم الذي لا يقارنه شيء .

قوله تعالى :

﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين (١١٢) آية بلا خلاف .

---

(١) سورة النمل آية ٨٨ . (٢) سورة الروم آية ٣٠ .

قيل في ارتفاع قوله : « التائبون » ثلاثة اقوال :

احدها - انه ارتفع بالمدح والتقدير هم التائبون .

الثاني - بالابتداء وخبره محذوف بعد قوله : «والحافظون لحدود الله» لهم الجنة .

الثالث - على ان يكون بدلا من الضمير في « يقاتلون » اي إنما يقاتل في سبيل الله من هذه صفته . وقيل هو كقوله : « لكن الرسول والذين آمنوا معه » (١) التائبون . وقرأ ابي كل ذلك بالنصب على انه صفة للمؤمنين .

وصف الله تعالى المؤمنين الذين اشتروا منه انفسهم وأموالهم بأنهم التائبون . ومعناه الراجعون الى طاعة الله المنقطعون اليه والنادمون على ما فعلوه من قبيح « العابدون » اي يعبدون الله وحده لا شريك له . « الحامدون » يعني الشاكرون لنعم الله عليهم على وجه الاخلاص له . وقال الحسن : هم الذين يحمدون الله على كل حال في سرّاء كانو او ضرّاء ، وبه قال قتادة . «السائحون» قيل معناه الصائمون وقال المؤرج : السائحون الصائمون بلغة هذيل . وروي عن النبي (ص) انه قال : (سياحة امتي الصوم) وهو قول ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد . وقال الحسن : هم الذين يصومون ما افترض الله عليهم . وقال غيره : هم الذين يصومون دائماً وكذلك قال في قوله : « الراكعون الساجدون » انهم الذين يؤدون ما افترض الله عليهم من الصلاة والركوع والسجود .

وأصل السيح الاستمرار بالذهاب في الأرض كما يسيح الماء فالصائم مستمر على الطاعة في ترك المشتهى من المآكل والمشارب والمنكح .

وقوله : « الراكعون الساجدون » معناه الذين يقيمون الصلاة التي فيها الركوع والسجود « والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » معناه الذين يأمرون بما امر

(١) سورة التوبة آية ٨٩ .

الله به من الواجبات والمندوبات وينهون عمّا نهى الله عنه وزهد فيه من القبائح .

وإنمـــا عطف الناهون بالواو دون غيره من الصفات لأنه لا يكاد يذكر على الافراد بل يقال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فجاءت الصفة مصاحبة للاولى .

وأما قوله : « والحافظون » فلأنه جاء وهو اقرب الى المعطوف . ومعنى « الحافظون لحـدود الله » انهم يحفظون ما أمر الله به ونهى عنه فلا يتجاوزونه الى غيره .

وقوله : « وبشر المؤمنين » امر للنبي (ص) أن يبشر المؤمنين المصدقين بالله المعترفين بنبوته بالثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة وخاصة إذا جمعوا هـذه الأوصاف على كمالها وتمامها دون غيرهم .

قوله تعالى :

﴿ ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذينَ آمَنوا أنْ يَستَغفِروا لِلمُشرِكينَ وَلَو كانُوا أولي قُربى مِن بَعدِ ما تَبَيَّنَ لَهُم أنَّهُم أصحابُ الجَحيمِ ﴾ (١١٣) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه لم يكن « للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا » ومعناه ان يطلبوا المغفرة « للمشركين » الذين يعبدون مع الله إلهاً آخر والذين لا يوحدونه ولا يقرّون بالالهية « وان كان » الذي يطلب لهم المغفرة اقرب الناس اليهم بعـد أن يعلموا انهم كفار مستحقون للخلود في النار . والقربى معناه القرب في النسب بالرجوع الى اب او ام باضافة قريبة .

ومعنى قوله : « ولو كانوا اولى قربى » اي القرابة وان دعت الى الحنو والرقة فانه لا يلتفت الى دعائها في الخصلة التي نهى الله عنها .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١١٤) آية بلا خلاف .

لما ذكر الله تعالى انه ليس للنبي والذين آمنوا أن يطلبوا المغفرة للمشركين ، بين الوجه في استغفار ابراهيم لابيه مع انه كان كافراً سواء كان أباه الذي ولده او جده لأمه او عمه على ما يقوله اصحابنا . وهو ان قال : وجه حسن ذلك انه كان تقدم ذلك موعدة فلأجلها وجب عليه الوفاء به .

وقيل في معنى الموعدة التي كانت عليه في حسن الاستغفار قولان :

احدهما — ان الموعدة كانت من ابي ابراهيم لابراهيم انه يؤمن ان استغفر له فاستغفر له لذلك وطلب له الغفران بشرط ان يؤمن « فلما تبين » بعد ذلك: « انه عدو لله تبرء منه » .

والثاني — ان الوعد كان من ابراهيم بالاستغفار ما دام يطمع في الايمان ، كما قال : « إلا قول ابراهيم لأبيه لا تستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء » فاستغفر له على ما يصح ويجوز من شرائط الحكمة « فلما تبين انه عدو لله » وآيس من ايمانه « تبرأ منه » . والذي عندي وهو الأقوى ان اباه اظهر له الايمان وصار اليه وكان وعـــده ان يستغفر له ان آمن فلما اظهر الايمان استغفر له ، فأعلم الله ان ما ظهر منه بخلاف ما يبطنه « فتبرا منه » ويقوي ذلك قوله : « واغفر لأبي انه كان من الضالين » (١) اي فيما مضى ، ويجوز ان يكون اظهر الكفر بعد ذلك فلما تبين

(١) سورة الشعراء آية ٨٦ .

ذلك تبرأ منه .

فأما من قال ان الوعد كان من ابراهيم فالسؤال باق ، لأن لقائل ان يقول ولم وعد كافراً ان يستغفر له ؟

فان قلنا : وعده بأن يستغفر له ان آمن كان الرجوع الى الجواب الآخر .

والعداوة هي الابعاد من النصرة الى اعداد العقوبة . والولاية التقريب من النصرة من غير فاصلة بالحياة والكرامة .

وقوله : « ان ابراهيم لأواه حليم » قيل في معنى « أواه » ثمانية اقوال : فقال ابن عباس في معنى (أواه) تواب . وقال ابن مسعود : معناه دعاء . وقال الحسن وقتادة : معناه رحيم . وقال مجاهد : معناه موقن . وقال كعب : معناه إذا ذكر النار قال اوه . وقال الضحاك : معناه المؤمن الموقن بالخشية الرحيم . وقال آخرون : معناه فقيه . وقال ابو عبيدة : معناه المتوجع المتضرع الى الله خوفاً وإشفاقاً .

وأصل الأواه من التأوه وهو التوجع والتحزن تقول : تأوه تأوهاً وأوه تأويهاً ، قال المثقب العبدي :

إذا ما قمت ارحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين (١)

والعرب تقول : أوه من كذا بكسر الواو وتسكين الهاء قال الشاعر :

فأوه بذكراها إذا ما ذكرتها ومن بعد ارض دونها وسماء (٢)

والعامة تقول اوه يقال ايضاً اوه بسكون الواو وكسر الهاء وينشد البيت المتقدم ذكره كذلك وقال الجعدي :

---

(١) ديوانه : ٢٩ ومجاز القرآن ١ : ٢٧٠ واللسان (أوه) وطبقات فحول الشعراء ٣٣١ والمفضليات ٥٨٦ . وتفسير الطبري ١٤ : ٥٣٥ يصف ناقته بأنها تحن الى الديار .

(٢) اللسان (أوه) والطبري ١٤ : ٥٣٥ .

صروح مروح يتبع الورق بعدما يعرس شكوى اهة وتنمرا (١)

وقال الزاجر :

فأوه الداعي وضوضاء كلبه (٢)

ولو جاء منه فعل يفعل لكان آه يؤوه اوهاً على وزن قال يقول قولا . والحليم هو الممهل على وجه حسن . والحلم الامهال على ما تقتضيه الحكمة . وهي صفة مدح والله حليم عن العصاة بأمهاله لهم مع قدرته على تعجيل عقوبتهم . وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة انما تبين عداوته لما مات على كفره . وقال ابو علي الجبائي لما آيس من فلاحه عند تصميمه على بعد الوعد في الايمان بالله الذي كان وعد باظهاره في وقت بعينه .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١١٥) آية بلا خلاف .

قال مجاهد : وجه اتصال هذه الآية بما قبلها هو انه لما حرم الله تعالى على المؤمنين استغفار المشركين بين انه لم يكن الله ليآخذكم به الا بعد ان يدلكم على تحريمه وانه يجب عليكم ان تتقوه .

وقوله : « ليضل قوماً » معناه هاهنا لم يكن الله ليحكم بضلال من عدل عن طريق الحق على وجه الذم له الا بعد ان ينصب له على ذلك الدليل، والهدى هو الحكم بالاهتداء الى الحق على وجه الحمد له . والبيان والبرهان والحجة والدلالة بمعنى

---

(١) ديوانه : ٣٣ ، ٥٢ وجمهرة اشعار العرب : ١٤٦ والطبرى ١٤ : ٥٣٤ ويروى (خنوف) و (ظروح) و (طروح) بدل (صروح).

(٢) تفسير الطبرى ١٤ : ٥٣٥ .

واحد ، وفرق الرّماني بين البيان والبرهان ، فقال : البيان اظهار المعنى في نفسه بمثل اظهار نقيضه . والبرهان اظهار صحته بما يستحيل في نقيضه كالبيان عن معنى قدم الاجسام ، ومعنى حدوثها ، فالبرهان يشهد بصحة حدوثها وفساد قدمها .

وقال مجاهد : معناه حتى يبين لهم ما يتقون من ترك الاستغفار للمشركين لأنهم كانوا يستغفرون لهم ، فلما نهوا عنه انتهوا .

وقوله : « ان الله بكل شيء عليم » معناه انه يعلم جميع المعلومات حتى لا يشذ شيء منها عنه لكونه عالماً لنفسه . وقال الحسن : مات قوم من المسلمين على الاسلام قبل فرض الصلاة والزكاة وغيرها وفرائض الدين ، فقال المسلمون : يا رسول الله اخواننا الذين ماتوا قبل الفرائض ما منزلتهم ؟ فقال الله تعالى : « وما كان الله ليضلّ قوماً » وهم مؤمنون ولم يبين لهم الفرائض .

قوله تعالى:

﴿ إنّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السماواتِ وَالأرضِ يُحْيي وَيُميتُ وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَليٍّ وَلا نَصيرٍ ﴾ (١١٦) آية بلا خلاف .

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها الحض على ما تقدم ذكره من جهاد المشركين ملوكهم وغير ملوكهم ، لأنهم عبيد من له ملك السماوات والأرض يأمر فيهم ما يشاء ويدبرهم على ما يشاء فأخبر الله ان « له ملك السماوات والأرض » ومعناه انه قادر على التصرف فيها وليس لأحد منعه منها . والملك اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير . وخزائن الله لا تفنى وملكه لا يبيد ولا يبلى ، وكل ذلك يرجع الى مقدوراته في جميع اجناس المعاني .

وقوله : « يحيي ويميت » معناه انه يحيي الجماد ويميت الحيوان . والحياة معنى يوجب كون الحيوان حياً والحي المختص بصفة لا يستحيل معها كونه عالماً قادراً

والموت عند من اثبته معنى هو ما يضاد الحياة. ومن لا يثبته معنى يقول : هو عبارة عن فساد بنية الحياة .

وقوله : « وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير » فالولي هو المقرب بالنصرة من غير فاصلة . والانسان ولي الله ، لأنه يقربه بالنصرة من غير فاصلة . والله وليه بهذا المعنى ، والنصير ، والاستنصار طلب النصرة والانتصار والانتصاف بالنصرة .

قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١١٧) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة والاعراب :

قرأ حمزة وحفص « يزيغ » بالياء . الباقون بالتاء . قال ابو علي النحوي : يجوز ان يكون فاعل كاد احد ثلاثة اشياء :

احدها - ان يضمر فيه القصة أو الحديث ويكون (تزيغ) الخبر وجاز ذلك للزوم الخبر لها فأشبه العوامل الداخلة على الابتداء للزوم الخبر لها ، ولا يجوز ذلك في عسى ، لأن عسى يكون فاعله المفرد في الاكثر ولا يلزمه الخبر . نحو قوله : « وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم » (١) فاذا كان فاعله المفرد في كثير من الأمر لم يحتمل الضمير الذي احتمله كاد كما لم تحتمله سائر الأفعال التي تسند الى فاعلها مما لا يدخل على المبتدأ . وما يجيء في الشعر من كاد ان يفعل . وعسى يفعل فلا يعتد به ، لأنه من ضرورة الشعر .

(١) سورة البقرة آية ٢١٦ .

الثاني - من فاعل كاد ان يضمنه ذكراً مما تقدم ، لما كان النبي (ص) والمهاجرون والأنصار قبيلا واحداً وفريقاً جاز ان يضمر في (كاد) ما يدل عليه ما تقدم ذكره من القبيل والحزب والفريق . وقال : منهم من حمله على المعنى كما قال : « من آمن بالله واليوم الآخر » ثم قال : « فلا خوف عليهم » (١) فكذلك فاعل كاد .

والثالث - من فاعل كاد ان يكون فاعلها القلوب كأنه من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ وإنما قدم (تزيغ) كما قدم خبر كان في قوله : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » (٢) وجاز تقديمه وإن كان فيه ضمير من القلوب ولم يكن ذلك من الاضمار قبل الذكر ، لأن النية به التأخير .

ومن قرأ بالياء يجوز أن يكون جعل في (كاد) ضمير الحديث فاذا اشتغل كاد بهذا الضمير ارتفع القلوب بـ(تزيغ) فذكر وان كان (كاد) فاعله مؤنثاً لتقدم الفعل.

ومن قرأ بالتاء جاز ان يكون ذهب الى ان القلوب مرتفعة بـ (كاد) فلا يكون يرفع فعلا مقدماً فاذا لم يكن مقدماً قبح التذكير لتقدم ذكر الفاعل كما قبح في قول الشاعر :

ولا ارض ابقل ابقالها (٣)

ولم يصح ابقل ارض ويجوز ان يكون الفعل المسند على القصة والحديث يؤنث اذا كان في الجملة التي تفسيرها مؤنث كقوله : « فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا » (٤) ويجوز الحاق التاء في كاد من وجه آخر وهو ان يرفع تزيغ قلوب بكاد فتلحقه علامة التأنيث من حيث كان مسنداً الى مؤنث كقوله : « قالت

---

(١) سورة البقرة آية ٦٢ ، وسورة المائدة آية ٧٢ .

(٢) سورة الروم آية ٤٧ .

(٣) مر تخريجه في ١ : ١٢٦ . (٤) سورة الانبياء آية ٩٧ .

الأعراب » (١) فعلى هذا يكون في (تزيغ) ضمير القلوب ، لأن النية في (تزيغ) التأخير .

المعنى والقصة :

اقسم الله تعالى في هذه الآية - لأن لام (لقد) لام القسم - بأنه تاب على النبي والمهاجرين والأنصار بمعنى انه رجع اليهم ، وقبل توبتهم « الذين اتبعوه في ساعة العسرة » يعني في الخروج معه الى تبوك . و (العسرة) صعوبة الأمر وكان ذلك في غزاة تبوك لأنه لحقهم فيها مشقة شديدة من قلة الماء حتى نحروا الابل وعصروا كروشها ومصوا النوا ، وقل زادهم وظهرهم، في قول : مجاهد وجابر وقتادة.

وروي عن عمر انه قال : اصابنا عطش شديد فأمطر الله السماء بدعاء النبي (ص) فعشنا بذلك « من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم » والزيغ ميل القلب عن الحق ومنه قوله : « فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم » (٢) . ومنه قوله : « لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا » (٣) . وكان ابو خيثمة عبد الله بن خيثمة تخلف الى ان مضى من مسير رسول الله عشرة ايام ثم دخل يوماً على امرأتين له - في يوم حار - عريشين لهما قد رشتاهما وبردتا الماء وهيأتا له الطعام فقام على العريشين ، فقال : سبحان الله رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في الضح والريح والحر والقر يحمل سلاحه على عاتقه وأبو خيثمة في ظلال باردة وطعام مهيأ وامرأتين حسناوين ما هذا بالنصف ، ثم قال : والله لا اكلم واحدة منكما كلمة ولا ادخل عريشاً حتى الحق بالنبي (ص) فأناخ ناضحه واشتد عليه وتزود وارتحل وامرأتاه تكلمانه ولا يكلمهما ثم سار حتى اذا دنا من تبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق فقال النبي (ص):

---

(١) سورة الحجرات آية ١٤ . (٢) سورة الصف آية ٥ .
(٣) سورة آل عمران آية ٨ .

كن ابا خيثمة ، فلما دنا قال الناس : هذا أبو خيثمة يا رسول الله فأناخ راحلته وسلم على رسول الله (ص) فقال له النبي (ص) أولى لك ، فحدثه الحديث ، فقال له خيراً ، ودعا له ، فهو الذي زاغ قلبه للمقام . ثم ثبته الله وقيل ان من شدة ما لحقهم همّ كثير منهم بالرجوع فتاب الله عليهم ، وقيل من بعد ما كان شك جماعة منهم في دينه ثم تابوا فتاب الله عليهم . وقوله : « ثم تاب عليهم » اي رجع عليهم بقبول توبتهم « انه بهم رؤف رحيم » اخبار منه تعالى انه بهم رؤف فالرأفة أعظم من الرحمة ، قال كعب بن مالك الانصاري :

نطيع نبينا ونطيع ربا هو الرحمن كان بنا رؤفا (١)

وقال آخر :

ترى للمسلمين عليك حقاً كمثل الوالد الرؤف الرحيم (٢)

قوله تعالى :

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١١٨) آية بلا خلاف .

النزول والقصة :

تقدير الكلام وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا . وقيل نزلت هذه الآية بسبب

(١) مر تخريجه في ٢ : ١٢ وهو في مجاز القرآن ١ : ٢٧٠ .

(٢) اللسان (رأف) نسبه الى جرير وروايته (يرى للمسلمين عليه) . و(كفعل) بدل (كمثل) ومجاز القرآن ١ : ٢٧١ .

الثلاثة الذين تخلفوا عن غزاة تبوك ولم يخرجوا مع النبي (ص) لا عن نفاق لكن عن توان ، ثم ندموا. فلما ورد النبي (ص) جاءوا اعتذروا ، فلم يكلمهم النبي (ص) وتقدم الى المسلمين بأن لا يكلمهم احد منهم فهجرهم الناس حتى الصبيان وأهاليهم وجاءت نساؤهم الى رسول الله (ص) تعتذر لهم ، فقال : لا ولكن لا يقربونكن فضاقت عليهم المدينة ، فخرجوا الى رؤس الجبال ، فكان اهاليهم يجيؤن لهم بالطعام ويتركونه لهم ولا يكلمونهم فقال بعضهم لبعض : قد هجرنا الناس ولا يكلمنا احد ، فهلا نتهاجر نحن ايضاً فتفرقوا ولم يجتمع منهم اثنان ، وثبتوا على ذلك نيفاً وأربعين يوماً . وقيل سنة يضرعون الى الله تعالى ويتوبون اليه ، فقبل الله تعالى حينئذ توبتهم ، وأنزل فيهم هذه الآية . والثلاثة هم : كعب بن مالك وهلال بن امية ، وفزارة بن ربيعة ، وكلهم من الأنصار - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجابر - .

اللغة والمعنى :

والتخليف تأخير الشيء عمن مضى ، فأما تأخير الشيء عنك في المكان ، فليس بتخليف . وهو من الخلف الذي هو مقابل لجهة الوجه . وقال مجاهد : خلفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبته من المنافقين ، كما قال تعالى فيما مضى : « وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم » (١) .

وقال قتادة : « خلفوا » عن غزوة تبوك كما تخلفوا هم . وبه قال الحسن .

وفي قراءة اهل البيت (ع) « خالفوا » قالوا لأنهم لو خلفوا لما توجه عليهم العتب .

وقوله : « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » فالضيق ضد السعة ومنه ضيق الصدر ، خلاف اتساعه ، بالهم الذي يحدث فيه فيشغله عن غيره . وليس كذلك

(١) سورة التوبة آية ١٠٧ .

السرور لأنه لا يشغل عن ادراك الامور .

ومعنى « بما رحبت » اي بما اتسعت تقول : رحبت رحباً ، ومنه مرحباً وأهلا اي رحبت بلادك وأهلت . وضيق انفسهم هاهنا بمعنى ضيق صدورهم ، بالهم الذي حصل فيها .

وقوله : « وظنوا ان لا مجأ من الله إلا اليه » معناه وعلموا انه لا يعصمهم منه موضع إذا اعتصموا به والتجؤا اليه كأنه قال : لا معتصم من الله إلا به : لجأ يلجأ لجاءاً وألجأه الى كذا إلجاء إذا صيره اليه بالمنع من خلافه . والتجأ اليه التجاء وتلاجؤا تلاجؤاً .

وقوله : « ثم تاب عليهم ليتوبوا » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها — لطف لهم في التوبة ، كما يقال في الدعاء : تاب الله عليه .

الثاني - قبل توبتهم ليتمسكوا بها في المستقبل .

الثالث - قبل توبتهم ليرجعوا الى حال الرضا عنهم .

وقال الحسن : جعل لهم التوبة ليتوبوا بها ، والمخرج ليخرجوا به .

وقوله : « ان الله هو التواب الرحيم » اخبار منه تعالى بأنه (جلّ وعز) يقبل توبة عباده كثيراً ويغفر ذنوبهم إذا رجعوا اليه لرحمته عليهم ورأفته بهم . وكان ابو عمرو يحكي عن عكرمة بن خالد (وعلى الذين خلفوا) بفتح الخاء والتخفيف وكان لا يأخذ بها .

فان قيل : ما معنى التوبة عليهم واللأعة لهم وهم قد خلفوا فهلا عذروا ؟

قيل ليس المعنى انهم امروا بالتخلف ورضي منهم به بل كقولك لصاحبك : اين خلفت فلاناً ؟ فيقول : بموضع كذا ليس يريد انه امره بالتخلف هناك بل لعله ان يكون نهاه وانما يريد انه تخلف هناك .

قوله تعالى:

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللهَ وَكونوا مَعَ الصَّادِقينَ ﴾ (١١٩) آية بلا خلاف .

هذا امر من الله تعالى للمؤمنين المصدقين بالله والمقرين بنبوة نبيه بأن يتقوا معاصي الله ويجتنبوها وان يكونوا مع الصادقين الذين يصدقون في اخبارهم ولا يكذبون ، قال ابن مسعود : لا يصلح من الكذاب جد ولا هزل ، ولا ان يعد احدكم ولده شيئاً ثم لا ينجزه . ثم قرأ « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله » الآية . وقال : هل ترون في هذه رخصة ؟

وقال نافع والضحاك : امروا بأن يكونوا مع النبيين والصديقين في الجنة بالعمل الصالح .

وقيل : ان المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم الله في قوله : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه » (١) وهم حمزة وجعفر « ومنهم من ينتظر » يعني علياً (ع) فأمر الله تعالى بالاقتداء بهم والاهتداء بهديهم ، وهم الذين وصفوا في قوله : « ليس البر ان تولوا وجوهكم ... » الآية الى قوله : « اولئك الذين صدقوا » (٢) فأمر بالاقتداء بهؤلاء .

وقال بعضهم : ان (مع) بمعنى (من) وكأنه امر بأن يكونوا في جملة الصادقين وفي قراءة ابن مسعود « وكونوا من الصادقين » .

وقيل : اراد كونوا مع كعب بن مالك واصحابه الذين صدقوا في اقوالهم ولم يكذبوا في الاعتذار .

والصادق هو القائل بالحق العامل به ، لأنها صفة مدح لا تطلق الا على من

(١) سورة الاحزاب آية ٢٣ . (٢) سورة البقرة آية ١٧٧ .

يستحق المدح على صدقه . فأما من فسق بارتكاب الكبائر فلا يطلق عليه اسم صادق ولذلك مدح الله الصديقين وجعلهم تالين للنبيين في قوله : « فاولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » (١) .

قوله تعالى :

﴿ ما كانَ لأهلِ المَدينةِ وَمَنْ حولَهُمْ مِنَ الأعرابِ أنْ يتخلّفوا عَنْ رَسولِ اللهِ وَلا يَرْغبوا بأنفسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذلكَ بأنَّهُمْ لا يُصيبُهُمْ ظَمأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمصَةٌ في سبيلِ اللهِ وَلا يطَؤنَ موطئاً يَغيظُ الكُفارَ وَلا ينالونَ مِنْ عدوٍّ نيلاً إلاّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَملٌ صالحٌ إنَّ اللهَ لا يُضيعُ أجرَ المُحْسنينَ ﴾ (١٢٠) آية .

لما قص الله تعالى قصة الذين تأخروا عن النبي(ص) والخروج معه الى تبوك . ثم اعتذارهم عن ذلك وتوبتهم منه وأنه قبل توبة من ندم على ما كان منه لرأفته بهم ورحمته عليهم ، ذكر عقيب ذلك على وجه التوبيخ لهم والازراء على ما كانوا فعلوه فقال : لم يكن لأهل المدينة ولا من يسكن حول المدينة من الاعراب والبوادي « ان يتخلفوا » بمعنى ان يتأخروا عن رسول الله «ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه» ومعناه ولا ان يطلبوا نفع نفوسهم، لأن الرغبة طلب المنفعة ونقيضها الرهبة . ويقال رغب فيه اذا طلب المنفعة به ورغب عنه طلب المنفعة بتركه ، والترغيب ضد الترهيب .

ومعنى « يرغبوا بانفسهم عن نفسه » اي يطلبون المنفعة بترفيه انفسهم دون نفسه وهذه فريضة الزمهم الله اياها، لحقه فيما دعاهم من الهدى الذي اهتدوا به وخرجوا من ظلمة الكفر الى نور الايمان .

(١) سورة النساء آية ٦٨ .

وقوله : « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب » اشارة الى ما الزمهم الله اياهم من تحمل هذه المشقة لأنهم لا يصيبهم ظمأ وهو شدة العطش تقول : ظمئ يظمأ ظمأ وهو ظمئ وظمآن وأظماه الله اظماه . ومنه قيل : انا ظمآن الى رؤية فلان . ومعنى « ولا نصب » اي تعب تقول : نصب ينصب نصباً فهو نصب . ومثله الوصب قال النابغة :

كليني لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه بطيء الكواكب (١)

وقوله : « ولا مخمصة » يعني مجاعة وأصله ضمور البطن للمجاعة ومنه رجل خميص البطن وامرأة خمصانة

وقوله : « في سبيل الله » يعني من قتال اعدائه المشركين .

وقوله : «ولا يطؤن موطئاً يغيظ الكفار» اي لا يخطون خطوة « إلا كتب لهم اجرها » والموطيء الأرض ، والغيظ انتقاض الطبع بما يرى مما يشق . والغضب هو ما يدعوا الى الانتقام على ما سلف من المعصية مما هي متعلقة به ، وهو مستحق بها ولذلك جاز ان يطلق الغضب على الله ولم يجز اطلاق الغيظ عليه .

وقوله : « ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح » والنيل لحوق الشيء تقول : نلته انا له نيلا اذا نلته بيدك وهو منيل ، وليس من التناول لأن هذا من الواو تقول : نلته بخير انوله نولا ونوالا وانالني خيراً انالة .

والمعنى ان هؤلاء المؤمنين لا يصيبون من المشركين امراً ، من قتل او جراح او مال ، او امر يغمهم ويغيظهم الا ويكتب الله للمؤمنين « به عملا صالحاً ان الله لا يضيع اجر المحسنين » اخبار منه تعالى انه لا يضيع اجر من فعل الأفعال الحسنة التي يستحق بها المدح وقد يكون فاعل الحسن لا يستحق المدح مثل فاعل المباح .

وقال قتادة : حكم هذه الآية مختص بالنبي فانه اذا غزا النبي (ص) لم يكن

(١) اللسان (نصب) والأغاني ١١ : ١٥ .

لأحد أن يتخلف عنه ، فأما من بعده من الخلفاء فان ذلك جائز ، وقال الاوزاعي وعبد الله بن المبارك والفرازي والسبيعي وأبو جابر ، وسعيد بن عبد العزيز : ان هذه الآية لأول الامة وآخرها من المجاهدين في سبيل الله . وقال ابن زيد : هذا حين كان المسلمون قليلين ، فلما كثروا نسخ بقوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » وهذا هو الأقوى لأنه لا خلاف ان الجهاد من فروض الكفايات فلو لزم كل احد النفر لصار من فروض الأعيان .

قوله تعالى :

﴿ ولا يُنفِقونَ نَفقةً صَغيرةً وَلا كَبيرةً ولا يَقطعونَ وادِياً الاَّ كُتِبَ لَهُمْ ليَجْزيَهُمُ اللهُ أحْسنَ ما كانُوا يَعْملونَ ﴾ (١٢١) آية بلا خلاف .

هذه الآية عطف على ما تقدم ذكره في الآية الاولى من قوله : « ولا يطؤن موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا...ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة » اي لا ينفق هؤلاء المؤمنون في سبيل الله وجهاد اعدائه نفقة صغيرة ولا كبيرة يريدون بها اعزاز دين الله ونفع المسلمين والتقرب الى الله بها ، لأن الانفاق متى كان للشهوة او ليذكر بالجود كان ذلك مباحاً.وان كان للرياء والسمعة وللمعاونة على فساد كانت معصية.والصغير ما نقص ثوابه عن ثواب ما هو اكبر منه،والكبير ما زاد ثوابه على ثواب ما هو دونه ، وقوله : « ولا يقطعون واديا » معناه ولا يتجاوزون واديا .

وقوله : « إلا كتب لهم» ثواب ذلك لهم « ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون » معناه إنه يكتب طاعاتهم ليجزيهم عليها احسن مما فعلوه.وقال الرماني : ذلك يدل على

انه يكون حسن احسن من حسن قال : لا ن لفظة افعل تقتضي التفاضل فيما شاركه في الحسن. وهذا ليس بشيء لأن المعنى ان الله تعالى يجزيهم احسن ما كانوا يعملون يعني ماله مدخل في استحقاق المدح والثواب من الواجبات والمندوبات دون المباحات التي لا مدخل لها في ذلك وان كانت حسنة .

قوله تعالى :

﴿ وما كانَ المؤْمنونَ لِينْفِروا كافَّةً فَلولا نَفرَ مِنْ كُلِّ فِرْقةٍ مِنْهُمْ طائفةٌ لِيتفَقَّهوا في الدِّينِ ولِينْذِروا قَوْمَهُمْ إذا رَجعوا إلَيْهِمْ لَعلَّهُمْ يَحْذَرونَ ﴾ (١٢٢) آية بلا خلاف .

قوله : « فلولا نفر » معناه هلا نفر ، وهي للتحضيض إذا دخلت على الفعل، فاذا دخلت على الاسم فهي بمعنى امتناع الشيء لأجل وجود غيره .

وقيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - قال الحسن : حث الله تعالى الطائفة النافرة على التفقه لترجع الى المتخلفة فتحذرها . وقال قتادة : إن المعنى انه لم يكن لهم ان ينفروا باجمعهم في السرايا ويتركوا النبي (ص) بالمدينة وحده ، ولكن تبقى بقية لتتفقه البقية ثم تنذر النافرة وبه قال الضحاك وابن عباس ، وقال ابو علي الجبائي : تنفر الطائفة من كل ناحية الى النبي (ص) لتسمع كلامه وتتفقه عنه ، ثم يبينوا ذلك لقومهم إذا رجعوا اليهم. وقال مجاهد : نزلت الآية في قوم خرجوا الى البادية، ليفقهوهم ولينالوا منهم خيراً، فلما عاتب الله من تأخر عن النبي عند خروجه الى تبوك وذم آخرين خافوا ان يكونوا منهم فنفروا بأجمعهم ، فقال الله : هلا نفر بعضهم ليفقه عن النبي (ص) ما يجب عليهم وما لا يجب ويرجعون فيخبرون اصحابهم بذلك ليحذروا .

والنفور عن الشيء هو الذهاب عنه لتكره النفس له والنفور اليه الذهاب اليه لتكره النفس لغيره . والتفقه تعلم الفقه . والفقه فهم موجبات المعنى المضمنة بها من غير تصريح بالدلالة عليها وصار بالعرف مختصاً بمعرفة الحلال والحرام ، وما طريقه الشرع . قوله : « لعلهم يحذرون » معناه لكي يحذروا ، لأن الشك لا يجوز على الله . والحذر تجنب الشيء لما فيه من المضرة يقال : حذر حذراً وحذّرته تحذيراً وحاذره محاذرة وتحذر تحذراً .

واستدل جماعة بهذه الآية على وجوب العمل بخبر الواحد بأن قالوا : حث الله تعالى الطائفة على النفور والتفقه حتى إذا رجعوا الى غيرهم لينذروهم ليحذروا ، فلولا انه يجب عليهم القبول منهم ، لما وجب عليهم الانذار ، والتخويف . والطائفة تقع على جماعة لا يقع بخبرهم العلم بل تقع على واحد ، لأن المفسرين قالوا في قوله : « وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين » انه يكفي ان يحضر واحد .

وهذا الذي ذكروه ليس بصحيح ، لأن الذي يقتضيه ظاهر الآية وجوب النفور على الطائفة من كل فرقة ووجوب التفقه والانذار إذا رجعوا، ويحتمل ان يكون المراد بالطائفة الجماعة التي يوجب خبرهم العلم ، ولو سلمنا انه يتناول الواحد أو جماعة قليلة فلم اذا وجب عليهم الانذار وجب على من يسمع القبول ؟ والله تعالى إنما اوجب على المنذرين الحذر والحذر ليس من القبول في شيء بل الحذر يقتضي وجوب البحث عن ذلك حتى يعرف صحته من فساده بالرجوع الى الأدلة، ألا ترى ان الحاضر إذا ورد على المكلف وخوفه من ترك النظر فانه يجب عليه النظر ولا يجب عليه القبول منه قبل ان يعلم صحته من فساده ، وكذلك إذا ادعى مدع النبوة وان معه شرعا وجب عليه ان ينظر في معجزه ولا يجب عليه القبول منه وتصديقه قبل ان يعلم صحة نبوته ، فكذلك لا يمتنع ان يجب على الطائفة الانذار ويجب على المنذرين البحث والتفتيش حتى يعلموا صحة ما قالوه فيعملوا به ، وقد استوفينا الكلام في ذلك في كتاب

اصول الفقه لا نطول بذكره هاهنا .

وقيل : ان اعراب أسد قدموا على النبي (ص) في المدينة فغلت الأسعار وملؤوا الطرق بالعذرة فأنزل الله تعالى الآية يقول : فهلا جاء منهم طوائف ثم رجعوا الى قومهم فأخبروهم بما تعلموا وروى الواقدي ان قوماً من خيار المسلمين خرجوا الى البدو يفقهون قومهم فاحتج المنافقون في تأخرهم عن تبوك بأولئك فنزلت « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » قال : وفيهم نزلت « والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة » (١) يعني ان احتجوا بتأخر هؤلاء في البادية فانهم مستجيبون مؤمنون ، فكيف يكون لهم بهم اسوة او حجة في تأخرهم وهم منافقون مدهنون .

وقال ابو جعفر (ع) كان هذا حين كثر الناس فأمرهم الله ان ينفر منهم طائفة ويقيم طائفة للتفقه وان يكون الغزو نوباً .

قوله تعالى :

﴿ يا أيُّها الَّذين آمَنوا قاتِلوا الَّذين يَلونَكمْ مِنَ الكُفارِ وَلْيَجِدوا فيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلموا أنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقينَ ﴾ (١٢٣) آية بلا خلاف .

روى المفضل عن عاصم (غلظة) بفتح الغين . الباقون بكسرها ، قال ابو الحسن : قراءة الناس بالكسر وهي العربية ، قال وبه اقرأ ولا أعلم الفتح لغة . وقال غيره : هي لغة . وذكر الزجاج أن فيه ثلاث لغات الفتح والضم والكسر ، والكسر أفصحها والكسر لغة أهل الحجاز والضم لغة تميم .

(١) سورة الشورى آية ١٦ .

امر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار الذين يلونهم يعني الأقرب فالأقرب وذلك يدل على انه يجب على اهل كل ثغر أن يقاتلوا عن انفسهم إذا خافوا على بيضة الاسلام إذا لم يكن هناك امام عادل وانما جاز من الله تعالى ان يأمر بالقتال ليدعوهم الى الحق ولم يجز ان يمنعهم من الكفر ، لأن المنع ينافي التكليف . ومن قاتل الأبعد من الكفار وترك الأقرب فالأقرب فان كان باذن الامام كان مصيباً وان كان بغير أمره كان مخطئاً ، ولو قال : قاتلوا الأقرب فالأقرب لصح لأنه يمكن ذلك . ولو قال : قاتلوا الأبعد فالأبعد لم يصح لأنه لا حدّ للأبعد يبتدأ منه كما للأقرب .

وقوله : « وليجدوا فيكم غلظة » معناه وليخشوا منكم بالغلظة، والغلظة ضد اللين وخلاف الرقة ، وهي الشدة في احلال النقمة ومخرج الكلام على الأمر بالوجود ، وإنما معناه يجدون ذلك ويجوز ان يكون المراد وليعلموا منكم الغلظة .

وقوله : « واعلموا ان الله مع المتقين » امر من الله للمؤمنين ان يتيقنوا أن الله مع الذين يتقون معصيته ، بالنصرة لهم ومن كان الله ناصره في الحرب لم يغلبه احد فأما إذا نصره بالحجة في غير الحرب فانه يجوز أن يغلب بالحرب لضرب من المحنة وشدة التكليف .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذا ما أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَنْ يَقولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً فَأَمَّا الَّذينَ آمَنوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرونَ ﴾ (١٢٤) آية بلا خلاف .

(ما) في قوله : « وإذا ما » يحتمل امرين :

احدهما - ان تكون دخلت لتسلط إذا على الجزاء .

والثاني - ان تكون صلة مؤكدة ، وقوله : « فمنهم من يقول » الضمير عائد على المنافقين في قول الحسن والزجاج ، والتقدير فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض على وجه الانكار : « أيكم زادته هذه ايماناً » وقال الجبائي : يقول المنافقون لضعفة المؤمنين على وجه الاستهزاء . فأخبر الله تعالى انه متى نزلت سورة من القرآن قال المنافقون على وجه الاستهزاء والانكار : « ايكم زادته هـذه ايماناً » ثم قال تعالى : «وأما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً» المعنى ازدادوا عندها ايماناً وانما أضافه الى السورة لأن عندها ازدادوا ، فوجه زيادة الايمان انهم يصدقون بأنها من عند الله ويعترفون بذلك ويعتقدونه وذلك زيادة اعتقاد على ما كانوا معتقدين له .

وقوله : « وهم يستبشرون » جملة في موضع الحال ، وتقديره انهم يزدادون الايمان عندها مستبشرين بذلك فرحين بما لهم في ذلك من السرور والثواب . والزيادة ضم الشيء الى جنسه لأنك لو ضممت حجراً الى ذهب لم تكن زدت ولو ضممت ذهباً الى ذهب أو حجراً الى حجر لكنت زدته .

قوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (١٢٥) آية .

لما بين الله تعالى ان المؤمنين يزدادون الايمان عند نزول السورة بين ان الذين في قلوبهم مرض يعني شك ونفاق من الاسلام يزدادون عند ذلك رجساً الى رجسهم اي نفاقاً وكفراً الى كفرهم ، لأنهم يشكون في هذه السورة كما يشكون في الذي تقدم فكان ذلك هو الزيادة . وسمي الشك في الدين مرضاً ، لأنه فساد يحتاج الى علاج كالفساد في البدن الذي يحتاج الى مداواة . ومرض القلب اعضل وعلاجه اعسر

ودواؤه اعز وأطباؤه اقل . والرجس والنجس واحد وسمي الكفر رجساً على وجه الذم ، وانه يجب تجنبه كما يجب تجنب الانجاس . وانما اضاف الزيادة الى السورة لأنهم يزدادون عندها ، ومثله كفى بالسلامة داء ، كما قال الشاعر :

ارى بصرى قد رابني بعد صحة وحسبك داء ان تصح وتسلما (١)

وقوله : « وماتوا وهم كافرون » فيه بيان أن المرض في القلب ادامهم الى ان ماتوا على شر حال لأنها تسوق الى النار نعوذ بالله منها . وانما قال : « وماتوا » على لفظ الماضي لأنه عطف على قوله : « زادهم رجساً الى رجسهم » والمعنى انهم يموتون وهم كافرون .

قوله تعالى:

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (١٢٦) آية بلا خلاف .

قرأ حمزة ويعقوب « أولا ترون » بالتاء . الباقون بالياء .

قوله : « او لا يرون » تنبيه وتقريع لمن عني بالخطاب . فمن قرأ بالتاء فوجهه ان المؤمنين نبهوا على اعراض المنافقين عن النظر والتدبر لما ينبغي ان ينظروا فيه ويتدبروا ، لأنهم يمتحنون بالأمراض والأسباب التي لا يؤمن معها الموت ، فلا يرتدعون عن كفرهم ولا ينزجرون عما هم عليه من النفاق ، فلا يقدمون عليه اذا ماتوا. فنبه المسلمين على قلة اعتبارهم واتعاظهم .

ومن قرأ بالياء وجّه التقريع - بالأعراض عما يجب ان لا يعرضوا عنه من التوبة والاقلاع عما هم عليه من النفاق - الى المنافقين دون المسلمين، لأن المسلمين قد عرفوا ذلك من امرهم وكان الأولى ان يلحق التنبيه من يراد تنبيهه وتقريعه بترك ماينبغي

(١) قائله حميد بن ثور الهلالي العقد الفريد ٢ : ٣٣١ .

ان يأخذ به .

وتحتمل الرؤية في الآية على القراءتين ان تكون متعدية الى مفعولين . وان تكون من رؤية العين ، فاذا جعلت متعدية الى مفعولين سدّ (ان) مسدّهما . وان جعلت من رؤية العين كان اولى، لأنهم مبتلون في الاعراض عنه على ترك الاعتبار به ، وهذا ابلغ من المتعدية الى مفعولين ألا ترى ان تارك الاستدلال اعذر ممن يكابر المشاهدات .

ولو قرىء بضم الياء وبني الفعل للمفعول به كان (ان) في موضع نصب بأنه مفعول الفعل الذي يتعدى الى مفعول ، وفتحت الواو في قوله : « او لا » لأنها واو العطف دخلت عليها الف الاستفهام ، فهو متصل بذكر المنافقين ومتصل بذكر آخرين ذكرهم بدليل العلامتين الواو والألف .

والفتنة المحنة بالقتل والسبي ونصر الله لنبيه حتى يستعلي على كل من ناواه - في قول الحسن وقتادة - وقال مجاهد : هي بالقحط والجوع . وقال الجبائي : هي بالمرض الذي ينزل بهم . وقيل تهتك استارهم بما يظهره الله من سوء نياتهم وخبث سرائرهم وقال الزجاج : معناه انهم يختبرون بالدعاء الى الجهاد ، وهو قول الحسن وقتادة . واجاز الرماني ان تفعل التوبة خوفاً من العقاب ، كما يجوز ان تفعل لقبح المعصية . قال : لأن كل واحد من الأمرين يدعو اليه الفعل ، ومن جحد احد الأمرين كمن جحد الآخر . والذي عليه اكثر اهل العدل انه لا يجوز ان تفعل التوبة الا لوجه قبح المعصية . ومتى فعلت لخوف العقاب لم تكن مقبولة .

وقوله : « ثم لا يتوبون ولا هم يذّكرون » اخبار منه تعالى انه مع ما يمتحنهم في كل سنة دفعة او دفعتين فانهم لا يقلعون عن المعاصي ولا يتوبون منها ولا يتفكرون فيها والتذكر طلب الذكر بالفكر فيه .

قوله تعالى :

﴿ وإذا ما أُنزلَتْ سُورَةٌ نظَرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾ (١٢٧) آية بلا خلاف

أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه متى أنزل سورة من القرآن « نظر بعضهم إلى بعض » نظراً يومؤن به « هل يراكم من احد » وانما يفعلون ذلك لأنهم منافقون يتحذرون أن يعلم بهم ، فكأنهم يقول بعضهم لبعض هل يراكم من أحد ثم يقومون فينصرفون .

ويحتمل أن يكون انصرافهم عن العمل بشيء مما يستمعون ، فقال الله تعالى « صرف الله قلوبهم » يعني من رحمته عقوبة لهم بأنهم قوم لا يفقهون مواعظ الله ولا أمره ونهيه وإنما صرف قلوبهم عن السرور بالفائدة التي تحصل للمؤمنين بسماع الوحي فيحرمون ما للمؤمنين من الاستبشار بتلك الحال . والفقه فهم موجب المعنى المضمن به ، وقد صار علماً على علم الفتيا في الشريعة لأن المعتمد على المعنى ، وكان القوم عقلاء يفقهون الأشياء ، وإنما نفى الله عنهم ذلك ، لأنهم لم ينظروا فيه ولم يعملوا بموجبه فكأنهم لم يفقهوه ، كما قال « صم بكم عمي » لما لم ينتفعوا بما سمعوه ورأوه .

قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٢٨) آية بلا خلاف

اقسم الله تعالى في هذه الآية بأنه قد « جاءكم رسول من انفسكم » لأن لام

(لقد) هي اللام التي يتلقى بها القسم . والخطاب متوجه الى جميع الخلق ومعنى « من أنفسكم » اي انكم ترجعون الى نفس واحدة ، كما قال «قل انما أنا بشر مثلكم»(١) ويحتمل أن يكون المراد به من العرب كما أنكم كذلك. ويكون على هذا الخطاب متوجهاً الى العرب خاصة فأنتم تخبرونه ويقيم على مذهبه .

وقيل انه لم يبق بطن من العرب إلا وولد النبي عليه السلام وانما ذكر ذلك لأنه أقرب الى الألف وأبعد من المحك واللجاج وأسرع الى فهم الحجة ، فهو من أنفسكم في أشرف نسبه منكم ، ومن أنفسكم في القرب منكم ، ومن أنفسكم بالاختصاص بكم .

وقوله « عزيز عليه » أي شديد عليه لأنه لا يقدر على ازالته ، والعزيز في صفات الله معناه المنيع القادر الذي لا يتعذر عليه فعل ما يريده ، والعزة امتناع الشيء بما يتعذر معه ما يحاول منه ، وهو على ثلاثة أوجه امتناع الشيء بالقدرة أو بالقلة أو بالصعوبة .

وقوله « ما عنتم » يعني ما يلحقكم من الأذى الذي يضيق الصدر به ، ولا يهتدي للخروج منه ، ومنه قيل فلان يعنت في السؤال ، ومنه قوله تعالى « ولو شاء الله لا عنتكم» اي ضيق عليكم حتى لا تهتدوا للخروج منه ، والعنت إلقاء الشدة .

وقوله « حريص عليكم » فالحرص شدة الطلب للشيء على الاجتهاد فيه ، والمعنى حريص عليكم ان تؤمنوا - في قول الحسن - ثم استأنف فقال « بالمؤمنين رؤف رحيم » اي رفيق بهم رحيم عليهم .

قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

(١) سورة الكهف آية ١١١

وهو رب العرش العظيم ﴾ (١٢٩) آية بلا خلاف .

معنى «فان تولوا» ان ذهبوا عن الحق واتباع الرسول وما يأمرهم به واعرضوا عن قوله. ونقيض التولي عنه التوجه اليه ومثل التولي الاعراض ، وقال الحسن: المعنى فان تولوا عن طاعة الله ، وقيل فان تولوا عنك .

وقوله تعالى « حسبي الله » معناه ان ذهبوا هؤلاء الكفار عنك ولم يقروا بنبوتك « فقل » يا محمد « حسبي الله » ومعناه كافي الله وهو من الحساب ، لأنه تعالى يعطي بحسب الكفاية التي تغني عن غيره ويزيد من نعمه ما لا يبلغ الى حدّ ونهاية اذ نعمه دائمة ومننه متظاهرة .

وقوله « لا إله الا هو » جملة في موضع الحال وتقديره حسبي الله : مستحقاً لاخلاص العبادة والاقرار بأن لا إله الا هو .

وقوله « عليه توكلت » فالتوكل تفويض الأمر الى الله على الثقة بحسن تدبيره وكفايته ، باخلاص النية في كل شيء يحذر منه ، ومنه قوله « حسبنا الله ونعم الوكيل » (١) اي المتولي للقيام بمصالح عباده ، وفي هذه الصفة بلطف .

وقوله « وهو رب العرش العظيم » قيل في تخصيصه الذكر بأنه رب العرش العظيم ثلاثة اقوال :

احدها - انه لما ذكر الأعظم دخل فيه الأصغر .

الثاني - انه خص بالذكر تشريفاً له وتفخيما لشأنه .

الثالث - ليدل به على أنه ملك الملوك ، لأنه رب السرير الأعظم .

وجر القراء كلهم (العظيم) على أنه صفة للعرش . وقال الزجاج : يجوز رفعه

(١) سورة آل عمران آية ١٧٣

يجعله صفة لرب العرش و « ما » في قوله « ما عنتم » بمعنى الذي وهو في موضع رفع بالابتداء وخبره « عزيز » قدم عليه. وقال الفرّاء هو رفع بعزيز.

وقال ابي بن كعب وسعيد بن جبير والحسن وقتادة هذه آخر آية نزلت من القرآن ولم ينزل بعدها شيء.

(١٠) سورة يونس

[مكية وهي مئة وتسع آيات]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الر تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ (١) آية بلا خلاف

القراءة والحجة :

إنما لم تعد « الر » آية كما عد (الم) آية في عدد الكوفيين لأن آخره لا يشاكل رؤس الآي التي بعده إذ هي بمنزلة المردف بالياء « وطه » عد ، لأنه يشاكل رؤس الآي التي بعده وقرأ « الر » بالتفخيم ابن كثير ونافع وأبو جعفر . وقرأ بالأمالة أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي. واختلف عن عاصم قرأ هبيرة عن حفص بكسر الراء الباقون عنه بالتفخيم .

قال أبو علي الفارسي : من ترك الامالة فلأن كثيراً من العرب لا يميل ما يجوز فيه الامالة ، كما يمنعها المستعلي . ومن أمال ، فلأنها اسم لما يلفظ به من الأصوات

فجازت الامالة من حيث كانت اسماً ، ولم تكن كالحروف التي تمنع فيها الامالة . وقال الرماني : انما جاز امالة حروف الهجاء لأن الفه في تقدير الانقلاب من ياء .

المعنى واللغة :

وقد بينا في اول سورة البقرة معنى هذه الحروف التي في اول السور واختلاف المفسرين وقلنا : ان اقوى الوجوه أنها أسماء السور ، فلا وجه لاعادته .

وقوله « تلك » قال ابو عبيدة معناه هذه . وقال الزجاج المعني الآيات التي تقدم ذكرها ، وهو قول الجبائي . وقال قوم : إنما قال « تلك » لتقدم الذكر في « آلر » كقولك هند هي كريمة وإنما اضيفت الآيات الى الكتاب ، لأنها ابعاض الكتاب ، كما ان السورة ابعاضه . وكذلك محكمه ومتشابهه وأسماؤه وصفاته ووعده ووعيده وأمره ونهيه وحلاله وحرامه .

والآية العلامة التي تنبيء عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة والقرآن مفصل بالآيات مضمن بالحكم النافية للشبهات وإنما وصف الكتاب بأنه حكيم لأنه دليل على الحق كالناطق بالحكمة ، ولأنه يؤدي الى المعرفة التي يميز بها طريق الهلاك من طريق النجاة . وقال أبو عبيدة « حكيم » ههنا بمعنى محكم وأنشد لأبي ذويب :

يواعدني عكاظ لننزلنه ولم أشعر اذن اني خليف (١)

أي مخلف من أخلفته الوعد ويؤكد ذلك قوله « آلر كتاب احكمت آياته » والآيات العلامات ، والكتاب اسم من اسماء القرآن وقد بيناه فيما مضى . وحكى عن مجاهد أنه قال « تلك » إشارة الى التوراة والانجيل وهذا بعيد لأنه لم يجر لهما ذكر .

---

(١) ديوان الهذليين ١ : ٩٩ واللسان (خلف) ومجاز القرآن ١ : ٢٧٣ . ورواية اللسان : تواعدني الربيق لننزلنه ولم تشعر إذن اني خليف

قوله تعالى :

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ (٢) آية بلا خلاف

قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي « لساحر مبين » بألف . الباقون بغير ألف . قال ابو علي الفارسي يدل على ساحر قوله « وقال الكافرون ان هذا ساحر كذاب » ويدل على « سحر » قوله « فلما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون » (١) والقول في الوجهين انه قد تقدم قوله « أن أوحينا الى رجل منهم » فمن قال « ساحر » أراد به الرجل ومن قال « سحر » أراد الذي أوحي « سحر » أي الذي يقول انه وحي « سحر » وليس بوحي .

ومعنى قوله « أكان للناس عجباً » أكان ايحاؤنا القرآن الى رجل منهم عجباً وانذارهم عقاب الله على معاصيه كأنهم لم يعلموا أن الله قد أوحى من قبله الى مثله من البشر فعجبوا من وحينا اليه الآن . فالألف ألف استفهام والمراد به الانكار وقال ابن عباس ومجاهد وابن جريج عجبت العرب وقريش أن يبعث الله منهم نبياً ، فأنزل الله الآية . وقال الحسن معناه ليس بعجب ما فعلنا في ذلك . والمعنى ألم يبعث الله رسولا من أهل البادية ولا من الجن ولا من الانس .

والعجب تغير النفس بما لا يعرف سببه مما خرج عن العادة الى ما يجوز كونه . والانذار هو الاخبار على وجه التخويف فمن حذر من معاصي الله فهو منذر . وهذه صفة النبي (ص) .

---

(١) سورة الزخرف آية : ٣٠

وقوله « ان اوحينا » في موضع رفع وتقديره أكان للناس عجباً وحينا و « أن انذر » في موضع نصب وتقديره وحينا بأن انذر ، فحذف الجار فصار موضعه نصباً و « ان لهم » نصب بقوله « وبشر الذين آمنوا » ولو قرىء بالكسر كان جايزاً لأن البشارة هي القول إلا أنه لم يقرأ به . وقوله « وبشر الذين آمنوا » أمر للنبي (ص) أن يبشر المؤمنين ، وهو ان يعرفهم ما فيه السرور بالخلود في نعيم الجنة على وجه الاكرام والاجلال بالأعمال الصالحة .

وقوله « أن لهم قدم صدق عند ربهم » معناه ان لهم سابقة اخلاص الطاعة كاخلاص الصدق من شائب الكذب . وقالوا : له قدم في الاسلام والجاهلية . وهو كالقدم في سبيل الله ، قال حسان :

لنا القدم العليا اليك وخلفنا ... لأولنا في طاعة الله تابع (١)

وقال ذو الرمة :

لكم قدم لا ينكر الناس أنها ... مع الحسب العادي طمّت على البحر (٢)

وقال ابو سعيد الخدري وابو عبد الله (ع) : معناه ان محمداً (ص) لهم شفيع يوم القيامة ، وهو المروي عن أبي جعفر (ع) . وقال مجاهد : معناه لهم قدم خير باعمالهم الصالحة . وقال قتادة : لهم سلف صدق . وقال الضحاك : لهم ثواب صدق . وقال ابن عباس : لهم ما قدموه من الطاعات .

وقوله « قال الكافرون ان هذا لساحر مبين » حكاية عن الكفار أنهم يقولون إن النبي ساحر مظهر أو ما أتى به سحر مبين على اختلاف القراءات .

والسحر فعل يخفى وجه الحيلة فيه حتى يتوهم أنه معجز . والعمل بالسحر كفر

---

(١) ديوانه (شرح البرقوقي) : ٢٥٤ وتفسير الطبري « الطبعة الأولى » ١١ : ٥٣ وسيأتي في ٥ : ٢٤ من هذا الكتاب .

(٢) ديوانه : ١٩ وتفسير القرطبي ٨ : ٣٠٦ والطبري ١١ : ٥٣ .

لادعاء المعجزة به ، ولا يمكن مع ذلك معرفة النبوة . وقال الزجاج : المراد بـ (الناس) في الآية أهل مكة . وقيل إنهم قالوا : لم يجد الله من يبعثه رسولا إلا يتيم ابي طالب ؟ !

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(٣)

آية بلا خلاف

خاطب الله تعالى بهذه الآية جميع الخلق وأخبرهم بأن الله الذي يملك تدبيركم وتصريفكم بين أمره ونهيه ويجب عليكم عبادته « الله الذي خلق السموات والأرض » فاخترعها وانشأها على ما فيها من عجائب الصنعة ومتقن الفعل . واطلاق الرب لا يقال إلا فيه تعالى ، فأما غيره فانه يقيد له ، فيقال رب الدار ، ورب الضيعة بمعنى أنه مالكها . وكذلك معنى قوله « رب العرش » والربوبية ملك التدبير الذي يستحق به العبادة . وقيل في الوجه « الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام » بلا زيادة ولا نقصان مع قدرته على إنشائها دفعة واحدة قولان :

أحدهما - ان في اظهارها كذلك مصلحة للملائكة وعبرة لهم .

والثاني - لما فيه من الاعتبار اذا اخبر عنه بتصرف الحال كما صرف الله الانسان من حال الى حال ، لأن ذلك أبعد من توهم الاتفاق فيه .

وقوله « ثم استوى على العرش » معناه استولى عليه بانشاء التدبير من جهته ، كما يستوي الملك على سرير ملكه بالاستيلاء على تدبيره . قال الشاعر :

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق (١)

يعني بشر بن مروان . ودخلت ثم ، لأن التدبير من جهة العرش بعد استوائه .

وقوله « يدبر الأمر » فالتدبير تنزيل الأمور في مراتبها على أحكام عواقبها ، وهو مأخوذ من الدبور ، فتجري على أحكام الدابر في الباري .

وقوله « ما من شفيع إلا من بعد إذنه » فالشفيع هو السائل في غيره لاسقاط الضرر عنه . وعند قوم أنه متى سأله في زيادة منفعة توصل اليه كان شفيعاً . والذي اقتضى ذكره ههنا صفات التعظيم مع اليأس من الاتكال في دفع الحق على الشفيع .

والمعنى ههنا أن تدبيره للأشياء وصنعته لها ليس يكون منه بشفاعة شفيع ولا بتدبير مدبر لها سواه ، وأنه لا يجسر أحد أن يشفع اليه إلا بعد أن يأذن له فيه من حيث كان تعالى أعلم بموضع الحكمة والصواب من خلقه بمصالحهم .

وقوله « ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون » معناه انّ الموصوف بهذه الصفات هو ربكم وإلهكم فاعبدوه وحده ، لأنه لا إله لكم سواه ، ولا يستحق هذه الصفات غيره . وحثهم على التذكر والتفكر في ذلك وعلى تعرف صحة ما أخبرهم به .

وقيل ان العرش المذكور ههنا هو السموات والارض ، لأنهن من بنائه . والعرش البناء . ومنه قوله « يعرشون » (٢) اي يبنون . واما العرش المعظم الذي تعبد الله الملائكة بالخضوع به والاعظام له وعناه بقوله « الذين يحملون العرش ومن حوله (٣) فهو غير هذا .

وانما ذكر الشفيع في الآية ولم يجر له ذكر ، لأن المخاطبين بذلك كانوا يقولون

(١) مر هذا البيت فى ١ : ١٢٥ ، ٢ : ٣٩٦ .

(٢) سورة النحل آية ٦٨ وسورة الأعراف آية ١٣٦

(٣) سورة المؤمن آية ٧ .

الاصنام شفعاؤهم عند الله . وذكر بعدها « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » واذا كانت الأصنام لا تعقل فكيف تكون شافعة ؟ ! مع انه لا يشفع عنده الا من ارتضاه الله . واختار البلخي ان يكون خلق السموات والأرض في ستة ايام إنما كان لان خلقه لها دفعة واحدة لم يكن ممكناً كما لا يمكن الجمع بين الضدين ، ولا يمكن الحركة إلا في المتحرك ، وهذا الذي ذكره غير صحيح ، لأن خلق السموات والارض خلق الجواهر واختراعها ، والجواهر لا تختص بوقت دون وقت ، فلا حال إلا ويصح اختراعها فيه ما لم يكن فيما لم يزل . وانما يصح ما ذكره في الاعراض التي لا يصح عليها البقاء او ما يستحيل جمعه للتضاد فأما غيره فلا يصح ذلك فيه .

قوله تعالى

﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (٤) آية بلا خلاف

قرأ ابو جعفر « حقاً أنه » بفتح الهمزة . الباقون بكسرها من فتح فمعناه اليه مرجعكم ، لانه يبدأ . ومن كسر استأنف . قال الفراء من فتح جعله مفعول حقاً كأنه قال حقاً انه . قال الشاعر :

أحقاً عباد الله أن لست زائراً بثينة او يلقى الثريا رقيبها (١)

(١) تفسير الطبري (الطبعة الاولى) ١١ : ٥٤ وروايته « إلا على رقيب » بدل « او يلقى الثريا رقيبها » .

اخبر الله تعالى ان الذي خلق السموات والأرض هو الله تعالى ، وهو الذي يستحق العبادة لا غيره وان اليه مرجع الخلق كلهم . والمرجع يحتمل معنيين :

احدهما - ان يكون في معنى الرجوع فيكون مصدراً .

والآخر - موضع الرجوع فيكون ظرفاً كأنه قال اليه موضع رجوعكم يكونه إذا شاء . ومعنى الرجوع اليه يحتمل امرين :

احدهما - ان يعود الأمر الى ان لا يملك احد التصرف في ذلك الوقت غيره تعالى بخلاف الدنيا ، لأنه تعالى قد ملك كثيراً من خلقه التصرف في دار الدنيا ومكنهم من ذلك .

والثاني - ان يكون معناه انكم ترجعون اليه احياء بعد الموت أي الى موضع جزائه.

وقوله « وعد الله حقاً » نصب على المصدر وتقديره احقه حقاً او وعد الله وعداً حقاً ، لان في قوله « مرجعكم » انه وعد بذلك إلا انه لما لم يذكر الفعل اضيف المصدر الى الفاعل ، كما قال كعب بن زهير :

يسعى الوشاة جنابيها وقيلهم انك يا ابن ابى سلمى لمقتول(١)

اي ويقولون قيلهم . وقوله « انه يبدؤ الخلق ثم يعيده » اخبار منه تعالى انه الذي انشأ الخلق ابتداء ، وهو الذي يعيدهم بعد موتهم النشأة الاخرى ليدل بذلك خلقه على انه اذا كان قادراً على الابتداء فهو قادر على الاعادة

وقوله « ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات » فيه بيان انه إنما يعيد الخلق ليعطيهم جزاء اعمالهم من طاعة ومعصية ،والعطاء اذا كان ابتداء لا يسمى جزاء .

وقوله « بالقسط » معناه بالعدل ، لأنه لو زاد الجزاء او نقص لخرج عن العدل ولكن يجزيهم وفق اعمالهم حتى لا يكون الجزاء على النبوة كالجزاء على الايمان بل كل

(١) ديوانه ١٩ ومجاز القرآن ١ : ١١٢ ، ٢٧٣ وقد مر البيت في ١ : ٣٠٠ من هذا الكتاب

طاعة يستحق الجزاء على قدرها .

وقوله « والذين كفروا لهم شراب من حميم » معناه أن الذين يجحدون نعم الله ويكفرون بوحدانيته ويجحدون رسله « لهم شراب من حميم » وهو الذي اسخن بالنار اشد اسخان . قال المرقش الاصغر (١)

وكل يوم لها مقطرة فيها كباء معدة وحميم (٢)

الكباء العود الذي يتبخر به . وقوله « عذاب أليم » معناه مؤلم « بما كانوا يكفرون » اي جزاء على كفرهم .

قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة :

روى ابن مجاهد عن قنبل والمولى عن الربيعي (ضئاء) بهمزة بعد الضاد مكان الياء حيث وقع . الباقون بياء بعد الضاد ومدة بعدها .

قال أبو علي الفارسي لا يخلو « ضياء » من أن يكون جمع ضوء كسوط وسياط

(١) واسمه عمرو بن حرملة بن سعد بن مالك . وقيل اسمه حرملة بن سعد . وقيل غير ذلك

(٢) لسان العرب : « قطر » ، « حمم » ومجاز القرآن ١ : ٢٧٤ وتفسير الطبري « الطبعة الاولى » ١١ : ٥٥ ورواية اللسان :

كل عشاء لها مقطرة ذات معد وحميم

وحوض وحياض ، او مصدر (ضاء) يضوء ضياء مثل عاذ يعوذ عياذاً او قام يقوم قياماً ، وعلى اي الوجهين حملته فالمضاف محذوف ، والمعنى جعل الشمس ذات ضياء ، والقمر ذا نور او يكون جعل النور والضياء لكثرة ذلك فيها . فأما الهمزة في موضع العين من « ضياء » فيكون على القلب كأنه قدم اللام التي هي همزة الى موضع العين واخّر العين التي هي واو الى موضع اللام ، فلما وقعت طرفاً بعد الف زائدة قلبت همزة ، كما فعلوا ذلك في (سقاء وعلاء) وهذا اذا قدّر جمعاً كان أسوغ ، كما قالوا قوس وقسي ، فصححوا الواحد وقلبوا في الجمع واذا قدّرته مصدراً كان ابعد ، لأن المصدر يجري على فعله في الصحة والاعتلال ، والقلب ضرب من الاعتلال فاذا لم يكن في الفعل لم يمتنع أن يكون ايضاً في المصدر ألا ترى انهم قالوا : لاذ لواذاً وباع بياعاً ، فصححوها في المصدر كصحتها في الفعل ، وقالوا : قام قياماً فأعلّوه ونحوه ، لاعتلاله في الفعل .

وقرأ ابن كثير واهل البصرة وحفص (يفصل) بالياء . الباقون بالنون .

من قرأ بالياء فلأنه قد تقدم ذكر الله تعالى فأضمر الاسم في الفعل . ومن قرأ بالنون فهذا المعنى يريد ، ويقويه بقوله « تلك آيات الله نتلوها » وقد تقدم « اوحينا » (١) فيكون نفصل محمولا على « أوحينا » والياء اقوى ، لأن الاسم الذي يعود اليه اقرب اليه من (اوحينا)

المعنى واللغة :

اخبر الله تعالى ان الذي يرجع اليه الخلق هو الله « الذي جعل الشمس ضياء » والجعل وجود ما به يكون الشيء على صفة لم يكن عليها ، فتارة يكون باحداثه واخرى باحداث غيره . والشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لما فيهما من

(١) سورة يونس آية ٣ .

عظم النور ، ومسيرهما بغير علاقة ولا دعامة ، وفيهما أعظم الدلالة على وحدانية الله تعالى . والنور شعاع فيه ما ينافي الظلام . ونور الشمس لما كان اعظم الأنوار سماه الله ضياء ، كما قيل للنار نار لما فيها من الضياء ولما كان نور القمر دون ذلك سماه نوراً ، لأن نور الشمس وضياءها يغلب عليه ، ولذلك يقال أضاء النهار ، ولا يقال اضاء الليل بل يقال انار الليل ، وليلة منيرة . ويقولون في قلبه نور ، ولا يقال فيه ضياء ، لأن الضوء يقال لما يحس بكثرته .

وقوله « وقدره منازل » انما وحد في قوله « وقدره » ولم يقل وقدرهما ، لأحد أمرين :

احدهما ـ انه اراد به القمر ، لأن القمر يحصي شهور الأهلة التي يعمل الناس عليها في معاملتهم .

والآخر ـ ان معناه التثنية غير انه وحده للايجاز اكتفاء بالمعلوم ، كقوله « والله ورسوله احق ان يرضوه » (١) وقال الشاعر :

رماني بامر كنت منه ووالدي بريئاً ومن جول الطوى رماني (٢)

وقوله « ما خلق الله ذلك إلا بالحق » معناه لم يخلق ما ذكره في السموات والارض والشمس والقمر وقدرها منازل إلا حقاً .

وقوله « يفصل الآيات » اي يميز بعضها من بعض « لقوم يعلمون » ذلك ويتبينونه . وقال قوم : معناه لقوم لهم عقول يتناولهم التكليف ويصح منهم الاستدلال دون البهائم ومن لا عقل له .

---

(١) سورة التوبة آية ٦٣

(٢) مر تخريجه في ١ : ١٧٢ ، ٢٠٣ .

قوله تعالى :

﴿ إنَّ في اختلافِ اللَّيلِ والنهارِ وما خَلقَ اللهُ في السمواتِ والأرضِ لَآياتٍ لقومٍ يَتَّقونَ ﴾ (٦) آية بلا خلاف .

الاختلاف ذهاب كل واحد من الشيئين في غير جهة الآخر ، فاختلاف الليل والنهار ذهاب أحدهما في جهة الضياء والآخر في جهة الظلام . والليل عبارة عن وقت غروب الشمس الى طلوع الفجر الثانى وهو جمع ليلة كتمرة وتمر . والنهار عبارة عن اتساع الضياء من طلوع الفجر الثانى الى غروب الشمس . والنهار واليوم معناهما واحد إلا أن في النهار فائدة اتساع الضياء

وقوله «وما خلق الله في السموات والارض » معناه ما قدر فيها وفعله على مقدار تقتضيه الحكمة : من الحيوان والنبات وغيرهما من غير نقصان ولا زيادة . ورفعه السماء بلا عمد ، وتسكينه الارض بلا سند ، مع عظمها الأعظم آيات لمن تفكر في ذلك وتعقله ، ويتقي مخالفته . والخلق مأخوذ من خلقت الأديم اذا قدرته . وإنما خص ما خلق في السموات والأرض بالذكر للأشعار بوجوه الدلالات إذ قد تكون الدلالة في الشيء من جهة الخلق ، وقد تكون من جهة اختلاف الصورة ومن جهة حسن المنظر ، ومن جهة كثرة النفع ومن جهة عظم الأمر ، كالجبل والبحر .

وقوله « لآيات لقوم يتقون » معناه ان في هذه الاشياء التي ذكرها دلالات على وحدانية الله لقوم يتقون معاصيه ويخافون عقابه ، وخص المتقين بالذكر لما كانوا هم المنتفعين بها دون غيرهم .

قوله تعالى

﴿ إنَّ الَّذينَ لا يَرجونَ لِقاءَنا ورَضُوا بالحيوةِ الدُّنيا واطْمأنُّوا

بِها وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا غافلونَ ﴾ (٧) آية بلا خلاف .

معنى « ان الذين لا يرجون لقاءنا » يحتمل امرين :

احدهما - لا يخافون عقابنا ، كما قال الهذلي :

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عواسل (١)

والثاني - ان يكون معناه لا يطمعون في ثوابنا ، كما يقال تاب رجاء لثواب الله وخوفاً من عقابه . والملاقاة وان كانت لا تجوز الا على الاجسام ، فانما اضافها الى نفسه ، لان ملاقاة ما لا يقدر عليه إلا الله يحسن ان يجعل لقاء الله تفخيما لشأنه كما جعل إتيان ملائكته اتياناً لله في قوله « هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام » (٢) وكما قال « وجاء ربك » (٣) وانما يريد وجاء امر ربك .

ومعنى قوله « ورضوا بالحياة الدنيا » قنعوا بها دون غيرها من خير الآخرة . ومن كان على هذه الصفة . فهو مذموم لانقطاعه بها عن الواجب من امر الله .

وقوله « واطمأنوا بها » معناه ركنوا اليها على وجه التمكين فيه ، فهؤلاء مكنوا الاحوال الدنيا ، فصاحبها يفرح لها ويغتم لها ويرضى لها ويسخط لها .

وقوله « والذين هم عن آياتنا غافلون » معناه الذين يذهبون عن تأمل هذه الآيات ولا يعتبرون بها . والغفلة والسهو نظائر ، وهو ذهاب المعنى عن القلب بما يضاده وقد تستعمل الغفلة في التعرض لها ، ولذلك يقولون : تغافل ولا يقولون مثله في السهو .

قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ مَأْواهُمُ النارُ بِما كانُوا يَكْسِبونَ ﴾ (٨) آية بلا خلاف .

---

(١) مر تخريجه في ٢ : ٢١٠ ، ٣ : ٣١٥ وهو في مجاز القرآن ١ : ٢٧٥ واللسان « خلف »

(٢) سورة البقرة آية ٢١٠ (٣) سورة الفجر آية ٢٢

«أولئك» اشارة الى الذين تقدم ذكرهم في الآية الاولى ، والكاف في «اولئك» حرف الخطاب ، مثل الكاف في قولهم أنا ذاك، ولهذا لم يجز تأكيده ولا البدل منه، ولو كان اسماً لجاز (اولئك نفسك) وأولاء مبني على الكسر وإنما بني لتضمنه معنى الاشارة الى المعرفة لأن اصله أن يتعرف بعلامة اذ لم يوضع للشيء بعينه ، كما وضع زيد وعمرو ، وبني على الحركة لالتقاء الساكنين وبني على الكسر لأنها في الاصل في حركة التقاء الساكنين إذا كثر ذلك في الفعل ، لما يدركه من الجزم فاستحق الكسر لأنه لما يدخله في حال الاعراب و (هؤلاء) لما قرب و (اولئك) لما بعد ، كما تقول في (هذا) و (ذاك) لأن ما بعد يقتضي التعريف بالخطاب وما قرب يكفي فيه التنبيه .

اخبر الله تعالى أن الذين تقدم وصفهم في الآية الاولى مستقرهم النار جزاء بما يكسبون من المعاصي .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (٩) آية بلا خلاف .

لما ذكر الله تعالى الكفار وما يستحقونه من المصير الى النار في الآيات الاول ذكر في هذه « ان الذين آمنوا » يعني صدقوا بالله ورسوله ، واعترفوا بها وأضافوا الى ذلك الاعمال الصالحات « يهديهم » الله تعالى جزاء بايمانهم الى الجنة « تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم » يعني البساتين التي تجري تحت اشجارها الانهار التي فيها النعيم يعني انواع اللذات والمنافع يتنعمون فيها. ومعنى «تجري من تحتهم الانهار» تجري بين ايديهم وهم يرونها من عل ، كما قال تعالى « وقد جعل ربك تحتك

سريا » (١) ومعلوم انه لم يجعل السري تحتها، وهي قاعدة عليه لان السري هو الجدول، وانما اراد انه جعل بين يديها . وقال حاكيا عن فرعون « أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي » (٢) وقيل من تحت بساتينهم وأسرتهم وقصورهم - في قول أبي علي .

ومعنى الهدى هنا الارشاد الى طريق الجنة ثوابا على أعمالهم الصالحة ، ألا ترى انه قال « يهديهم ربهم بايمانهم » يعني جزاء على ايمانهم وذلك لا يليق إلا بما قلناه . ويحتمل ان يكون وصفهم بالهداية على وجه المدح جزاء على إيمانهم بالله تعالى .

قوله تعالى :

﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٠) آية بلا خلاف

معنى « دعواهم فيها » أن دعاء المؤمنين لله في الجنة ، وذكرهم له فيها هو أن يقولوا « سبحانك اللهم » ويقولون ذلك ولهم فيها لذة لا على وجه العبادة ، لانه ليس هناك تكليف . وقيل أنه اذا مر بهم الطير يشتهونه قالوا « سبحانك اللهم » فيؤتون به ، فاذا نالوا منه شهوتهم قالوا « الحمد لله رب العالمين » هذا قول ابن جريج . وقال الحسن آخر كلام يجري لهم في كل وقت « الحمد لله رب العالمين » لانه ينقطع .

والدعوى قول يدعى به الى أمر ، ومعنى « سبحانك اللهم » ننزهك يا الله من كل ما لا يليق بك ولا يجوز من صفاتك من تشبيه او فعل قبيح . وقيل معناه براءة الله من السوء فيما يروى عن النبي (ص)، قال الشاعر :

اقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر (٣)

(١) سورة مريم آية ٢٣ (٢) سورة الزخرف آية ٥١

(٣) مر هذا البيت في ١ : ١٣٤ ، ٣ : ٨١ ؛ ٥ : ٢٤١

أي براءة منه . والتحية التكرمة بالحال الجليلة ولذلك يسمون الملك التحية ، قال عمرو بن معديكرب :

ازور بها ابو قابوس حتى انيخ على تحيته بجند (١)

وقال زهير بن حباب الكلبي :

من كل ما نال الفتى قد نلته الا التحية (٢)

وهو مأخوذ من قولهم أحياك الله حياة طيبة . والمعنى تحية بعضهم لبعض سلام اي سلمت وامنت مما ابتلى به اهل النار .

و (ان) في الآية هي المخففة من الثقيلة وجاز أن لا تعمل لخروجها بالتخفيف عن شبه الفعل ، كما قال الشاعر :

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى وينتعل (٣)

والميم في اللهم بمعنى (يا) كأنه قال يا الله ، ولم يجعل في موضع (يا) لئلا يكون كحروف النداء التي تجرى في كل اسم .

قوله تعالى :

وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ آية بلا خلاف .

---

(١) تفسير الطبرى ١١ : ٥٨ (٢) تفسير الطبرى ١١ : ٥٨

(٣) حاشية الصبان ١ : ٢٩٠ ، وفى القرطين ، لابن قتيبة بيت يشبهه نسبه الى الاعشى وهو موجود فى ديوانه : ٤٥ القصيدة ٦ وهو :

في فتية كسيوف الهند قد علموا ان لا يدفع عن ذى الحيلة الحيل

قرأ ابن عامر ويعقوب « لقضى اليهم أجلهم » بفتح القاف . الباقون بضمها على ما لم يسم فاعله .

قال ابو علي الفارسي اللام في قوله « لقضي اليهم اجلهم » جواب (لو) في قوله « ولو يعجل الله للناس » والمعنى « ولو يعجل الله للناس » دعاء «الشر» أي ما يدعون به من الشر على انفسهم في حال ضجر وبطر « استعجالهم » اياه بدعاء « الخير » فأضاف المصدر الى المفعول به وحذف الفاعل كقوله دعاء الخير ، وحذف ضمير الفاعل والتقدير « ولو يعجل الله للناس الشر» استعجالا مثل «استعجالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم » قال ابو عبيدة معناه الفراغ من اجلهم ومدتهم المضروبة للحياة ، فهلكوا ، وهو قريب من قوله « ويدعو الانسان بالشر دعاؤه بالخير وكان الانسان عجولا (١)

وقيل للميت مقضي كأنه قضى اذا مات وقضى فعل ، التقدير استوفى أجله ، قال ذو الرمة :

اذا الشخص فيها هزه الآل اغمضت عليه كاغماض المقضّى هجولها (٢)

والمعنى اغمضت هجول هذه البلاد على الشخص الذي فيها ، فلم يرلقربه كاغماض المقضي ، وهو الميت . فاما قوله « لقضي اليهم » وما يتعلق هذا الجار ، فانه لما كان معنى (قضى) معنى (فرغ) وكان قولك (فرغ) قد يتعدى بهذا الحرف وفي التنزيل « سنفرغ لكم » (٣) فانه يمكن ان يكون الفعل يتعدى باللام كما يتعدى بـ (الى) كما ان اوحي في قوله «واوحينا اليه» قد تعدى بـ (الى) وفي قوله «بأن ربك اوحى لها»

(١) سورة الاسرى آية ١١

(٢) اللسان « غمض » . الآل ما اشرف من البعير ، والاغماض : الاختفاء والهجول ـ من الارض . ومعنى البيت ان الابل تمر براكبها بسرعة هائلة .

(٣) سورة الرحمان آية ٣١

تعدى باللام، فلما كان معنى قضى فرغ، وفرغ تعلق بها الى كذلك تعلق بقضى.

ووجه قراءة ابن عامر واسناده الفعل الى الفاعل، لان الذكر قد تقدم في قوله « ولو يعجل الله للناس » فقال (لقضى) الله — على هذا — وقوى ذلك بقوله « ثم قضى اجلا وأجل مسمى عنده » (١) فقوله «قضى اجلا» اضافه الى الفاعل فكذلك في هذه الآية. وقوله « واجل مسمى عنده » يعني اجل البعث بدلالة قوله « ثم انتم تمترون »(٢) اي تشكون في البعث ومن ضم القاف وبنى الفعل للمفعول، فلانه في المعنى مثل قول من بنى الفعل للفاعل.

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه لو عجل للخلق الشر، والتعجيل تقديم الشيء قبل حينه وقد يكون تقديم الشيء في المكان، فلا يكون تعجيلا.

والفرق بين التعجيل والاسراع ان التعجيل بالشيء عمله قبل وقته الذي هو اولى به. والاسراع عمله في وقته الذي هو احق به، وضده الابطاء. والشر ظهور ما فيه الضرر. واصله الاظهار من قولهم: شررت الثوب اذا اظهرته للشمس، ومنه شرر النار لظهوره وانتشاره.

وقوله « لقضي اليهم اجلهم » قيل ان معناه لاميتوا، كأنه قيل لقطع أجلهم وفرغ منه قال ابو ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع (٣)

وقال الحسين بن علي المغربي معناه رد قطع أجلهم اليهم لكون السبب فيه دعاؤهم.

وقوله « استعجالهم بالخير » نصب استعجالهم على المصدر وتقديره ولو يعجل الله للناس تعجيله استعجالهم بالخير اذا دعوا. وقيل في معناه قولان:

(١، ٢) سورة الانعام آية ٢

(٣) مر هذا البيت في ١: ٤٢٩، ٤: ٨٨، ١٦٥. وهو في مجاز القرآن ١: ٢٧٥ وغيره.

احدهما ـ قال مجاهد وقتادة : وهو كقول الرجل لولده وماله في حال غضبه : اللهم لا تبارك فيه والعنه . وقال الحسن هو كقوله « ويدعو الانسان بالشر دعاؤه بالخير » (١)

وقال الجبائي معناه : يطلبون الخير قبل حينه وسبيله في انه لا ينبغي أن يكون كسبيل الشر من الاهلاك بالعقاب قبل حينه لما فيه من الاقتطاع عن التوبة واللطف .

وقوله «فنذر الذين لا يرجون لقاءنا» معناه نترك الذين لا يخافون لقاءنا اولا يطمعون فيه بمعنى انهم لا يخافون عقاب معاصينا ، ولا يطمعون في ثواب طاعتنا « في طغيانهم يعمهون » فالطغيان الغلو في ظلم العباد والطاغي والباغي نظائر . و(العمه) شدة الحيرة ، وتقديره نتركهم وهم يترددون في ضلالتهم ، لا انه يريد منهم العمه في الطغيان ، لانه انما يتركهم ليتوبوا من ذلك ويؤمنوا لكنه بين أنه لا يعاجلهم بالعقاب في الدنيا وهم مع ذلك لا يرعوون بل يترددون في الطغيان . وقيل المعنى نتركهم في الآخرة يتحيرون في جزاء طغيانهم .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢) آية بلا خلاف

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن قلة صبر الانسان اذا ناله الضر دعا ربه على سائر حالاته التي يصيبه ذلك عليها سواء كان قائما او قاعداً إذا اطاقه ، أو على جنبه من شدة المرض فيجتهد في الدعاء ، لأن يهب الله له العافية . وليس غرضه بذلك نيل

(١) سورة الاسراء آية ١١ .

الثواب للآخرة . وانما غرضه زوال ما هو فيه من الآلام فاذا كشف الله عنه ذلك الضرر ، ووهب له العافية مر معرضاً عن شكر ما وهبه له من نعمة وعافية، فلا يتذكر ما كان فيه من الآلام وصار في الاعراض عن ذلك بمنزلة من لم يدع الله كشف ألمه ولا سأله ازالة الضرر عنه الذي كان به .

وقوله « كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون » قال ابو علي الجبائي: الشياطين الذين دعوا المسرفين الى المعاصي واغووهم بها وبترك شكر نعم الله زينوا لهؤلاء المسرفين ما كانوا يعملونه من المعاصي والاعراض عن ذكر نعمه واداء شكره. والغرض بذلك انه ينبغي لمن وهب الله له العافية بعد المرض ان يتذكر حسن صنع الله اليه وجزيل نعمه عليه ، فيشكره على ذلك ويسأله ادامة ذلك عليه . ونبه بذلك على انه يجب عليه الصبر عند المرض وترك الجزع عند احتساب الاجر وطلب الثواب في الصبر على ذلك وان يعلم ان الله محسن اليه بذلك ، وليس بظالم له .

وقال الحسن التزين هو التحسين من الشيطان والغواة .

وقال غيره هو التحبيب بالشهوة لتحبيب المشتهى .

وقوله « او قاعداً او قائماً » نصب على الحال . وقوله « كأن » هي المخففة عن الثقيلة وتقديره كأنه لم يدعنا ومثله قول الخنساء :

كان لم يكونوا حمى متقى اذا الناس اذ ذاك من عزبزا (١)

اي كأنهم . وقوله « مر كان لم » أي استمر على طريقته الأولى كأنه لم يدعنا ، ولم يسألنا ذلك . وموضع الكاف نصب على أنه مفعول ما لم يسم فاعله . والمعنى زين للمسرفين عملهم « كذلك » اي مثل ذلك .

(١) ديوانها « انيس الجلساء » : ١٤٤

قوله تعالى :

﴿ ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾ (١٣) آية بلا خلاف

اقسم الله تعالى في هذه الآية أنه اهلك من كان قبل هذه الامة من القرون وهو جمع قرن . وسمي اهل كل عصر قرناً لمقارنة بعضهم لبعض . والقرن هو المقاوم لقرينه في الشدة ، ويعني بذلك الذين كذبوا رسل الله الذين بعثهم الله اليهم ، فكفروا بذلك بربهم ، وظلموا انفسهم فأهلكهم الله بأنواع العذاب وفنون الاستئصال ، كما اهلك قوم لوط وقوم موسى ، وغيرهم ، وبين بقوله « وما كانوا ليؤمنوا » ان هذه الأمم التي أهلكنا لم يكونوا مؤمنين لو أبقاهم الله لم يؤمنوا بالرسل الذين أتوهم والكتب التي جاؤهم بها ، ولما كان ذلك المعلوم من حالهم استحقوا من الله تعالى العذاب فاهلكهم .

وقوله « كذلك نجزي القوم المجرمين » أي نعاقب مثل عقوبة هؤلاء المجرمين إذا استحقوا او كانوا ممن لا يؤمن ، ولا يصلح . وجعل ابو علي الجبائي ذلك دليلا على ان تبقية الكافر اذا علم من حاله انه يؤمن فيما بعد واجبة .

قوله تعالى :

﴿ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ﴾ (١٤) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى بهذه الآية انه انما جعل المخاطبين بهذا الخطاب بعد اهلاك من أهلك وتكليفه اياهم من طاعته وتصديق رسله مثل ما كان كلفهم لينظر كيف تعملون معناه انكم ان عملتم بالمعاصي مثل ما عمل بها اولئك وكذبتم الرسل ولم ترجعوا عن

الكفر أهلكم ببعض العقاب كما اهلك من تقدم . وان آمنتم أثابكم الله في الدنيا والآخرة ورضي عنكم ، فجعل قوله « لننظر كيف تعملون » دلالة لهم على اني أفعل بكم احد هذين: الثواب ان آمنتم واطعتم ، والعذاب ان كفرتم وعصيتم . واستعمل ذلك على هذا المعنى مجازاً كما يستعمله اهل اللغة على هذا المعنى ، لأنهم لا يعلمون ما يكون من المكلفين وما يفعل بهم من الثواب والعقاب وهو عالم بذلك . ومثل ذلك يستعمله العرب فيما يعلمه الانسان يقول القائل لغلامه الذي يأمره اني سأعاقبك واضربك لأنظر كيف صبرك ، واعطيك مالا لأنظر كيف تعمل وان كان عالماً بما يؤل اليه الأمر في ذلك

وموضع (كيف) نصب بقوله « تعملون » وانما قدم لأنه للاستفهام ولا يجوز ان يكون معمولا « لننظر » لان ما قبل الاستفهام لا يعمل في الاستفهام ولو قلت لننظر أخيراً يعملون او شراً كان العامل في خير وشر يعملون .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذا تُتلى عَليهِمْ آياتُنا بيِّناتٍ قالَ الَّذينَ لا يَرجونَ لِقاءَنا ائتِ بِقُرْآنٍ غَيرِ هٰذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ ما يَكونُ لي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفسي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّ ما يُوحى إِليَّ إِنّي أَخافُ إِنْ عَصَيتُ رَبّي عَذابَ يَومٍ عَظيمٍ ﴾ (١٥) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه اذا قرأ النبي (ص) على الكفار آيات الله وكلامه. و« بينات » نصب على الحال وهي الآيات التي امر فيها عباده بأشياء ونهاهم عن اشياء « قال الذين لا يرجون لقاءنا » اي عذاب الله وما وعدهم به من ثوابه ان اطاعوه « ائت بقرآن غير هذا » الذي تتلوه علينا « او بدله » فاجعله على خلاف ما تقرأه علينا وانما فرق بين قوله « ائت بقرآن غير هذا او بدله » لأن الاتيان بغيره

قد يكون معه ، وتبديله لا يكون الا برفعه والاتيان بغيره. وانما لم يرجوا ثواب الله وعذابه لأنهم كانوا غير مقربين بالله ولا معترفين بنبوة نبيه (ص) ولا يصدقونه فيما يخبرهم به عن الله ويذكرهم به من البعث والنشور والحساب والجزاء . وكان قولهم هذا له على وجه التعنت والتسبب الى الكفر به وتكذيبه ، واحتجاجاً عليه بما ليس بحجة لأنه (ص) كان قد بين لهم ان هذا القرآن ليس من كلامه وانه ليس له تغييره وتبديله فارادوا ان يوهموا ان الامر موقوف على رضاهم به وليس يرضون بهذا فيريدون غيره

وقال الزجاج: انه كان غرضهم اسقاط ما فيه من عيب آلهتهم وتسفيه احلامهم ومن ذكر البعث والنشور ، فأمر الله تعالى نبيه ان يقول لهم في جواب ذلك ليس لي « ان ابدله من تلقاء نفسي » اي من جهة نفسي ومن ناحية نفسي كأنه قيل له قل ليس لي ان اتلقاه بالتبديل كما ليس لي ان اتلقاه بالرد . والتلقاء جهة مقابلة الشيء الا انه قد يستعمل ظرفاً فيقال : هو تلقاءه كما يقال هو حذاه وقبالته وتجاهه .

قوله « ان اتبع الا ما يوحي الي » ، اي ليس لي ان اتبع الا الذي يوحي إلي « اني اخاف ان عصيت ربي » في اتباع غيره « عذاب يوم عظيم » يعني يوم القيامة.

ومن استدل بهذه الآية على ان نسخ القرآن بالسنة لا يجوز فقد ابعد لأنه اذا نسخ ما يتضمنه القرآن بالسنة، فالسنة لا يقولها النبي (ص) الا بوحي من الله . وليس بنسخه من قبل نفسه . بل يكون ذلك النسخ مضافاً الى الله . وانما لا يكون قرآناً لأنه تعالى قد يوحي الى نبيه ما هو قرآن وما ليس بقرآن ، لأن جميع ما بينه النبي (ص) من الشريعة لم يبينها إلا بوحي من الله لقوله «وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى» (١) وان كان تفصيل ذلك ليس موجود في القرآن ، فالاستدلال

(١) سورة النجم آية ٣

بذلك على ما قالوه بعيد .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ لَوْ شاءَ اللهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيكُمْ وَلا أَدْراكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفلا تَعقِلونَ ﴾ (١٦) آية بلا خلاف

حكي عن الحسن انه قرأ « ولا أدراكم به » . وقرأ ابو ربيعة وقنبل الا المالكي والعطار « ولا دراكم به » بجعلانها (لاماً) ادخلت على (ادراكم) وأمال (أدراكم) و (ادراك) في جميع القرآن ابو عمرو وحمزة والكسائي وخلف والداحوني عن ابن ذكوان ، والكسائي عن أبي بكر ، وافقهم يحيى والعليمي في هذه السورة . حكى سيبويه : دريته ودريت به ، قال واكثر الاستعمال بالباء ، يبين ذلك قوله « ولا ادراكم به » ولو كان على اللغة الأخرى لقال ولا ادراكموه ، وقالوا : الدرية على وزن (فعلة) كما قالوا الشعرة والفطنة ، وهي مصادر يراد بها ضروب من العلم . فأما الدراية فكالهداية والدلالة وكأن الدراية التأني والتعمل لعلم الشيء وعلى هذا المعنى ما تصرف في هذه الكلمة ، وقالوا : داريت الرجل اذا لاينته وختلته فعلى هذا لا يوصف الله تعالى بالداري ، واما قول الراجز .

اللهم لا أدري وانت الداري (١)

فلا يكون حجة في جواز ذلك لأمرين :

احدهما - انه لما تقدم قوله : لا أدري استجاز أن يذكر الداري بعده ، ليزدوج الكلام ، كما قال تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » (٢) ونظائره كثيرة .

الثاني - ان الاعراب ربما ذكروا أشياء امتنع جوازها كما قال :

(١) مجمع البيان ٣ : ٩٦ (٢) سورة البقرة آية ١٩٤

لو خافك الله عليه حرمه (١)

وقال آخر :

للهم إن كنت الذي بعهدي ولم تغيرك الأمور بعدي (٢)

فأما الهمزة على ما حكى عن الحسن ، فلا وجه له لأن الدره الدفع ، كما قال «فأدرأوا عن أنفسكم الموت » (٣) وقال « فادارأتم فيها » (٤) وقوله (ع) (ادرأوا الحدود بالشبهات) قال الفراء ان كان ما حكي عن الحسن لغة، والا يجوز ان يكون الحسن ذهب الى طبعه وفصاحته فذهب الى درأت الحد ، وقد يغلط بعض العرب في الحرف اذا ضارعه آخر في الهمزة فيهمز ما ليس مهموزاً سمعت امرأة من غنى تقول : رثأت زوجي يأبيات ، ويقولون : لبأت بالحج وحلأت السويق . وكل ذلك غلط ، لأن (حلات) انما هو من دفع الابل العطاش عن الماء ، و (لبأت) من اللبـــاء الذي يوكل ، و (رثأت) من الرثية اذا حلبت الحليب على الرايب ، ومن أمال فتحة الراء واما الألف بعدها ، فلأن هذه الألف تنقلب ياء في أدريته ، وهما مدريان . ومن لم يمل فلأن الأصل عدم الامالة ، ولأن كثيراً من الفصحاء لا يميل ذلك .

ومعنى قوله « ولا ادراكم به » قال ابن عباس ولا أعلمكم به من دريت به وادرانى الله به . ومعنى الآية الأمر للنبي (ص) بأن يقول لهؤلاء الكفار ولو أراد الله ان يمنعهم فائدته ما أعلمهم به ، ولا أمر النبي (ص) بتلاوته عليهم .

وقوله « فقد لبثت فيكم عمراً من قبله » ومعناه لبثت على هذه الصفة لا أتلوه عليكم ولا يعلمكم الله به حتى أمرنى به وشاء إعلامكم . وقال قتادة لبث في قومه أربعين سنة قبل ان يوحى اليه .

---

(١) مجمع البيان ٣ : ٩٧ وقد مر فى ٢ : ١٨٥ (٢) مجمع البيان ٣ : ٩٧

(٣) سورة آل عمران آية ١٦٨ (٤) سورة البقرة آية ٧٢

وقوله أفلا « تعقلون » معناه هلا تتفكرون فيه بعقولكم فتتبينوا بذلك ان هذا القرآن من عند الله انزله تصديقاً لنبيه (ص) قال الرماني والعقل هو العلم الذي يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغائب . والناس يتفاضلون فيه بالأمر المتفاوت فبعضهم أعقل من بعض اذ كان أقدر على الاستدلال من بعض .

ومعنى ذلك ان يقول لهم قد لبثت فيكم حيناً طويلا ونشأت بين أظهركم وعرفتم منصرفي ومنقلبي فلو كان ما أتيت به مخترعا او كان ما فيه من الأخبار من عند غير الله لكنتم عرفتم ذلك اذ فيكم ولدت ونشأت ومعكم تصرفت « أفلا تعقلون » في التدبير والنظر والانصاف فتفعلون فعل من يعقل . على انه (ص) لو كان اخذ ذلك من غيره وخالط اهلها او لو كان شاعراً او لو كان يعلم السحر - كما ادعوا - ثم خفي ذلك اجمع عليهم حتى لم يعرفوا الوجه الذي منه اخذ لكان في ذلك أعظم الحجة . وعلى ما روي عن قنبل يكون المعنى « لو شاء الله ما تلوته » يكون نفياً للتلاوة « ولأدراكم » ولأعلمكم ثبوته ويكون اثباتاً للعلم ، وعلى قراءة الباقين يكون نفياً للأمرين معاً .

قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (١٧) آية بلا خلاف .

قوله « فمن اظلم ممن » ظاهره الاستفهام والمراد به الاستعظام والاخبار به أنه لا احد اظلم ممن اخترع كلاماً او خبراً ثم اضافه الى الله ويريد به النبي نفسه لو كان فعل « او كذب بآياته» يعنيهم « انه لا يفلح » اي لا يفوز المجرمون . وانما قال: لا احد اظلم ممن هذه صفته ، لأنه ظلم كفر ، وهو اعظم من ظلم ليس بكفر . والتقدير لا أحد أظلم ممن يظلم ظلم كفر ، فعلى هذا من يدعي الربوبية داخل في هذه الجملة ،

لأن ظلمه ظلم كفر ، كأنه قيل لا أحد أظلم من الكافر وليس لأحد ان يقول المدعي للربوبية أظلم من المدعي للنبوة وهو كاذب . والكذاب بآيات الله ظالم لنفسه بما يدخل عليها من استحقاق العقاب وظالم لغيره ممن يجوز ان تلحقه المنافع والمضار بتكذيبه اياه ورده عليه، لأن من شأنه ان يعمه مثل هذا التكذيب، و(من) في الآية للاستفهام وهي لا توصل لأنها تضمنت حرف الاستفهام فعوملت معاملته ، كما انها اذا كانت بمعنى الجزاء لم توصل لتضمنها معنى (ان) التي هي ام الباب في الجزاء .

قوله تعالى

﴿ ويَعبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَضُرُّهُمْ ولا يَنفَعُهُمْ ويَقولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِندَ اللهِ قُلْ أتُنبِّئُونَ اللهَ بِما لا يَعْلَمُ في السَّمواتِ ولا في الأرضِ سُبحانَهُ وتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٨) آية بلا خلاف

قرأ اهل الكوفة الا عاصماً « عما تشركون » بالتاء ههنا وفي النحل في موضعين وفي الروم . الباقون بالياء .

من قرأ بالتاء بناه على ما تقدم من قوله « اتنبئون الله بما لا يعلم » فلما خاطبهم بذلك وجه اليهم الخطاب بتنزيهه عما يشركون .

ومن قرأ بالياء بناه على الخبر عن الغائب لأن أول الآية مبني على ذلك ، وهو قوله « ويعبدون من دون الله » وكلاهما حسن .

اخبر الله تعالى على وجه الذم للكفار بأنهم يوجهون عبادتهم الى من هو دون الله من الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع .

فان قيل كيف ذمهم على عبادة الوثن الذي لا ينفع ولا يضر مع انه لو نفع وضر لم تجز عبادته ؟! قلنا لأنه اذا كان من يضر وينفع قد لا يستحق العبادة اذا لم يقدر

على اصول النعم ، فمن لا يقدر على النفع والضر اصلا ابعد من ان يستحق العبادة .

وقوله « ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » اخبار منه تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم يقولون انا نعبد هذه الأصنام لتشفع لنا عند الله ، فتوهموا أن عبادتها أشد في تعظيم الله من قصده تعالى بالعبادة ، فخلت من هذه الجهة محل الشافع عند الله . وقال الحسن شفعاء في صلاح معاشهم فى الدنيا ، لأنهم لا يقرون بالبعث بدلالة قوله « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت » والعبادة خضوع بالقلب في اعلى مراتب الخضوع ، فكل طاعة فعلت على هذا الوجه فهي عبادة . وانما قال « ويعبدون من دون الله » مع أنهم كانوا يشركون في عبادة الله لأمرين :

احدهما ـ ان عابد الوثن خاصة قد أشرك في استحقاق العبادة .

الثانى ـ ان من عبد الله وعبد الوثن فقد عبده من دون اخلاص العبادة لله .

وقوله « أتنبئون الله بما لا يعلم » أمر منه تعالى لنبيه أن يقول لهم على وجه الالزام أتخبرون الله بما لا يعلم من حسن عبادة الأوثان وكونها شافعة لأن ذلك لو كان صحيحاً لكان الله به عالماً ولما نفى العلم بذلك نفي المعلوم .

وقوله « سبحانه وتعالى عما يشركون » تنزيه منه تعالى لنفسه ، وتنزيه من أن يعبد معه إله او يتخذ من دونه معبود .

قوله تعالى :

﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ﴾ (١٩) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لم يكن الناس فيما مضى الا امة واحدة . والامة

الجماعة التي على معنى واحد في خلق او ما يستمر على عبادته بالظاهر ، فعلى هذا الناس امة والطير امة . والمراد ههنا انها كانت على دين واحد .

واختلفوا في الدين الذي كانوا مجتمعين عليه قبل حدوث الاختلاف بينهم على قولين :

فقال الحسن كانوا على الشرك كما قال تعالى « كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » (١)

قال الزجاج أراد بذلك العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي (ص) فانهم كانوا مشركين ، فلما بعث النبي آمن به قوم وكفر به آخرون .

وقال الجبائي : انهم كانوا على الاسلام ، في عهد آدم وولده وانكر الأول ، قال لأن الله تعالى قال « فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » (٢) فلو كانوا كلهم على الكفر لما كان فيهم شهيداً اصلا .

قال الرماني : لا يمتنع أن يكون الأمر على ما قال الحسن ويكون المراد التغليب كأن المسلمين كانوا قليلين ، فلا يعتد بهم فيجوز أن يقال فيهم أنهم امة مشركة ، كما روي عن النبي (ص) انه (قال ان الله نظر الى اهل الأرض فمقتهم الا بقايا من أهل الكتاب .)

وقال مجاهد : كاختلفوا حين قتل ابن آدم أخاه .

والاختلاف هو الذهاب في الجهتين فصاعداً من الجهات ، وحد المختلفين ان لا يسد احدهما مسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته كما لم يسد السواد مسد البياض .

وقوله « ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم » معناه لو لا كلمة سبقت من ربك من انه لا يعاجل العصاة بالعقوبة انعاماً عليهم في التأني بهم « لقضى بينهم » في

(١) سورة البقرة آية ٢١٣ .

(٢) سورة النساء آية ٤٠ .

اختلافهم بما يضطرهم الى علم المحق من المبطل وقيل معنى ذلك « لقضى بينهم » اي فصل بينهم بأن اهلك العصاة وانجا المؤمنين ، لكنه أخرهم الى يوم القيامة تفضلا منه وزيادة في الانعام عليهم .

قوله تعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ (٢٠) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفار انهم قالوا : هلا انزل على محمد آية وأرادوا بذلك انه يضطرهم الى المعرفة ولا يحتاجون معها الى النظر والاستدلال ، ولم يطلبوا معجزة يستدل بها على صدقه لأنه قد كان اتاهم بالمعجزات التي تدل على صدقه - فلم يجبهم الله الى ما التمسوه ، لأن التكليف يمنع من الاضطرار الى المعرفة ، لأن الغرض بالتكليف التعريض للثواب . ولو عرفوا الله تعالى ضرورة لما استحقوا ثواباً فكان ذلك ينقض غرضهم .

وقال ابو علي طلبوا آية سوى القرآن .

والاصل في (لولا) امتناع الثاني لكون الأول كقولك : لولا زيد لجئتك فخرجت الى معنى التحضيض بأنه ليس ينبغي أن يمتنع ذا لكون غيره .

قوله « فقل انما الغيب لله » معناه ان ما لا تعرفونه ولا نصب لكم عليه دليل يجب أن تسلموا علمه لله لأنه العالم بالخفيات وما يكون في المستقبل ، فلأجل ذلك لا يفعل الآية التي اقترحتموها في هذا الوقت لما في ذلك من حسن التدبير ووجه المصلحة .

والغيب خفاء الشيء عن علم العباد ، والله تعالى عالم الغيب والشهادة لأنه عالم لنفسه يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها لا يخفى عليه خافية .

وقوله « فانتظروا » معناه انتظروا ما وعدكم من نصر المؤمنين وقهر الكافرين وانزال الذل والعقاب بهم ان أقاموا على كفرهم فـ « اني معكم من المنتظرين » لذلك.

قوله تعالى

﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكراً إن رسلنا يكتبون ما تمكرون ﴾ (٢١) آية بلا خلاف

روى روح « يمكرون » بالياء والباقون بالتاء .

اخبر الله تعالى بأنه إذا اذاق الناس يعني الكافرين « رحمة » بأن انعم عليهم وأوسع أرزاقهم وأخصب اسعارهم « من بعد ضراء » يعني بعد شدة كانوا فيها من جدب وضيق نالتهم « مكروا في آياتنا » فجواب (اذا) الأولى في (اذا) الثانية وانما جعلوا (اذا) جواباً اذا كانت بمعنى الجملة على ما فيها من المفاجأة ، كما قال تعالى « وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقطنون » (١)

حقيقة الذوق تناول ماله طعم بالفم ليوجد طعمه . وانما قال «اذقناهم» على طريق البلاغة لشدة ادراك الحاسة . والمكر فعل الشيء الى غير وجهه على طريق الحيلة فيه، فهؤلاء محتالون لدفع آيات الله بكل ما يجدون السبيل اليه من شبهة اوتخليط في مناظرة او غير ذلك من الأمور الفاسدة .

وقال مجاهد مكرهم استهزاؤهم وتكذيبهم ، فقال الله لنبيه (ص) « قل » لهم « الله اسرع مكراً » يعني اقدر جزاء على المكر ، وذلك انهم جعلوا جزاء النعمة المكر مكان الشكر ، فقوبلوا بما هو أشد .

---

(١) سورة الروم آية ٣٦

والسرعة عمل الشيء في وقته الذي هو احق به ، والمعنى ان ما يأتيهم من العقاب اسرع مما اتوه من المكر اي وقع في حقه .

وقوله « ان رسلنا يكتبون ما تمكرون » اخبار منه تعالى أن ملائكة الله الموكلين بهم يكتبون ما يمكرون من كفرهم وتكذيبهم ، ففي ذلك غاية الزجر والتهديد على ما يفعلونه من المكر والحيل في امر النبي (ص) . وقيل انما سمي جزاء المكر مكراً ، لأنهم اذا نالهم العذاب على مكرهم بحيث لا يحتسبونه ولا يتوقعونه فكأنه مكرهم.

قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

(٢٢) آية بلا خلاف .

قرأ ابن عامر وابو جعفر « ينشركم » بالنون والشين من النشر الباقون بالياء والسين وتشديد الياء من التسيير .

قال ابو علي حجة ابن عامر أن (ينشركم) مثل قوله « وبث منهما رجالا كثيراً ونساء » (١) فالبث تفريق ونشر . وحجة الباقين قوله «قل سيروا في الأرض» (٢) « فامشوا في مناكبها » (٣) فالمعنيان متقاربان .

---

(١) سورة النساء آية ١ (٢) سورة الانعام آية ١١ وسورة النمل آية ٦٩ وسورة العنكبوت آية ٢٠ والروم آية ٤١ .

(٣) سورة الملك آية ١٥ .

امتن الله على خلقه في هذه الآية وعدد نعمه التي يفعلها بهم في كل حال ، فقال «هو الذي يسيركم في البر والبحر» وتسييره إياه اما في البحر، فلأنه بالريح، والله المحرك لها دون غيره ، فلذلك نسبه الى نفسه ، واما في البر فلأنه كائن باقداره وتمكينه وتسبيبه ، فلذلك نسبه الى نفسه .

والتسيير التحريك في جهة تمتد كالسير الممدود ، والبر الأرض الواسعة التي تقطع من بلد الى بلد ، ومنه البر لاتساع الخير به . والبحر مستقر الماء الواسع حتى لا يرى من وسطه حافتاه وجمعه أبحر وبحور ، ويشبه به الجواد ، فيقال انما هو بحر لاتساع عطائه . وقوله « حتى إذا كنتم في الفلك » خص الخطاب براكب البحر . والفلك السفن ، وسميت فلكا لدورانها في الماء ، وأصله الدور ، ومنه فلكة المغزل ، والفلك الذي تدور فيه النجوم. وتفلّك ثدي الجارية اذا استدار . والفلك ـ ههنا ـ جمع ، وقد يكون واحداً . كقوله « في الفلك المشحون » (١)

وقوله « وجرين بهم بريح طيبة » عدل عن الخطاب الى الأخبار عن الغائب تصرفاً في الكلام مع انه خطاب لمن كان في تلك الحال واخبار لغيره من الناس ، قال لبيد :

باتت تشتكي إلي النفس مجهشة وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا (٢)

وقوله « وفرحوا بها » يعني بالريح الطيبة « جاءتها ريح عاصف» يعني ريحاً شديدة يقولون : عصفت الريح فهي عاصف وعاصفة ، ومنهم من يقول : اعصفت فهي معصف ومعصفة . والريح مؤنثة وانما قال عاصف ، لأنه لا يوصف بذلك غير الريح فجرى مجرى قولهم امرأة حائض قال الشاعر :

---

(١) سورة يس آية ٤١ والشعراء : ١١٩

(٢) مر تخريجه فى ١ : ٣٥ ، ٤٧٢ .

حتى اذا عصفت ريح مزعزعة فيها قطار ورعد صوته زجل (١)

وقوله « وجاءهم الموج من كل مكان » معناه جاء راكبي الفلك الأمواج العظيمة الهائلة من جميع الوجوه . « وظنوا أنهم احيط بهم » أي ظنوا انهم هالكون لما احاط بهم من الأمواج « دعوا الله مخلصين له » اي عند هذه الشدائد والأهوال والتجؤا الى الله ودعوه على وجه الاخلاص ، ولم يذكروا الأوثان والاصنام لعلمهم بأنها لا تنفع ههنا شيئاً وقالوا « لئن انجيتنا » يا رب من هذه الشدة « لنكونن » من جملة من يشكرك لنعمك ، ويقوم بآدابها . ويقال لمن اشرف على الهلاك أحيط به ، ومنه قوله « واحيط بثمره » (٢) اي اهلكت .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٣) آية بلا خلاف .

قرأ حفص « متاع الحياة » بنصب العين . الباقون بالرفع من رفع يحتمل أمرين :

احدهما - ان يكون رفعاً بأنه خبر المبتدأ والمبتدأ قوله « بغيكم »

الثاني - ان يكون بغيكم مبتدأ ، وقوله « على انفسكم » خبره . ورفع متاع على تقدير ذلك متاع الحياة الدنيا .

ومن نصب فعلى المصدر . قال ابو علي الفارسي «على انفسكم» يحتمل أمرين :

احدهما - أن يكون متعلقاً بالمصدر ، لأن فعله متعد بهذا الحرف ، كما قال « بغى

(١) تفسير الطبري « الطبعة الاولى » ١١ : ٦٣ ومجمع البيان ٣ : ١٠٠

(٢) سورة الكهف آية ٤٣ .

بعضنا على بعض» (١) وقال «ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله» (٢) فاذا جعلت الجار من جملة المصدر كان الخبر متاع الحياة الدنيا والمعنى بغى بعضكم على بعض متاعاً في الحياة الدنيا .

ويجوز ان تجعله متعلقاً بمحذوف ، ولا تجعله من صلة المصدر ، وفيه ذكر يعود الى المصدر . والتقدير انما بغي بعضكم على بعض عائد على انفسكم ، فعلى هذا يتعلق بالمحذوف دون المصدر المبتدأ وهو في المعنى كقوله « ولا يحيق المكر السيء الا بأهله » (٣) وقوله « فمن نكث فانما ينكث على نفسه » (٤) فاذا رفعت متاع الحياة على هذا كان خبر مبتدأ محذوف كأنك قلت ذاك متاع الحياة الدنيا او هو متاع .

ومن نصب احتمل وجهين :

احدهما - ان يجعل من صلة المصدر ، فيكون الناصب للمتاع هو المصدر الذي هو البغي ، ويكون خبر المبتدا محذوفاً وحسن ذلك لطول الكلام ، لأن بغيكم يدل على تبغون .

والآخر - ان يجعل على أنفسكم خبر المبتدأ ويكون نصب متاع على أحد وجهين:

احدهما - يمتعون متاع الحياة فيدل انتصاب المصدر عليه .

والآخر - ان يضمر تبغون كأنه قال تبغون متاعاً ، فيكون مفعولا له ، ولا يجوز أن يتعلق بالمصدر اذا جعلت (على) خبراً ، لقوله انما بغيكم على انفسكم ، لفصلك بين الصلة والموصول .

المعنى :

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن هؤلاء الكفار الذين اذا رأوا الأهوال والشدائد

---

(١) سورة ص آية ٢٢ (٢) سورة الحج آية ٦٠

(٣) سورة فاطر آية ٤٣ (٤) سورة الفتح آية ١٠

في الفلك في البحر فزعوا الى الله ودعوه مخلصين له الدين، وقالوا متى انجيتنا من هذه « لنكونن من الشاكرين » انه اذا انجاهم وخلصهم من تلك الشدائد عادوا الى البغي وهو الاستعلاء بالظلم . واصل البغي الطلب . تقول بغاه يبغيه اذا طلبه والبغية الطلبة ، والنجاة التخلص من الهلاك . والتخليص من الاختلاط لا يسمى نجاة .

ومعنى «لما» ايجاب وقوع الثاني بالاول كقولك: لما قام قمت، ولما جاء زيد قام عمرو ، والحق وضع الشيء في موضعه على ما يدعوا العقل اليه ، والحق والحسن معناهما واحد . وقوله « يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم » خطاب من الله تعالى للخلق بأن بغيكم على انفسكم من حيث ان عقابه يلحقكم دون غيركم « متاع الحياة الدنيا » معناه انكم تطلبون بالبغي بغير الحق من التمتع في الحياة الدنيا . ثم بعد ذلك ترجعون الى الله بعد موتكم فيجازيكم بأعمالكم بعد ان يعلمكم ما عملتموه وما استحققتم به من انواع العقاب .

وقال مقاتل : معنى « يبغون في الأرض بغير الحق » يعبدون غير الله . وقال غيره معناه كلما انعمنا عليهم بغوا للدين واهله الغوائل .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢٤) آية بلا خلاف

المثل قول سائر يشبه به حال الثانى بالأول . وقيل مثل الحياة الدنيا صفة الحياة الدنيا . وقيل فى المشبه والمشبه به في الآية ثلاثة اقوال :

احدها - قال الجبائى انه تعالى شبه الحياة الدنيا بالنبات على ما وصفه الله تعالى في الاغترار به والمصير الى الزوال كالنبات الذي يصير الى مثل ذلك .

الثاني ـ انه شبه الحياة الدنيا بالماء فيما يكون به من المتاع ثم الانقطاع

الثالث ـ انه شبه الحياة الدنيا بحياة مقدرة على هذه الأوصاف ، لما يقتضيه « وظن اهلها انهم قادرون عليها » اى علموا الانتفاع بها ، وقوله « فاختلط به نبات الأرض » فالاختلاط تداخل الأشياء بعضها في بعض فربما كان على صفة مدح ، وربما كان على صفة ذم .

وقوله « حتى اذا اخذت الأرض زخرفها » فالزخرف حسن الألوان كالزهر الذي يروق البصر ، ومنه قيل زخرفت الجنة لأهلها . وقوله « وظن أهلها انهم قادرون عليها » معناه ظنوا أنهم قادرون على استصحاب تلك الحال منها ـ جعلها على غير شيء منها ، لأن القادر عليهم وعليها اهلكها .

وقوله « وازينت » أصله تزينت فادغمت التاء في الزاي واجلبت الهمزة لامكان النطق بها . وقرأ الأعرج وغيره « وازينت » على وزن أفعلت ، والأول اجود لأن عليه القراء .

وقوله « كأن لم تغن بالامس » معناه كان لم تقم على تلك الصفة فيما قبل ، يقال : غنى بالمكان اذا اقام به والمغانى المنازل قال النابغة :

غنيت بذلك اذ هم لك حيرة منها بعطف رسالة وتودد (١)

وقوله « كذلك نفصل الأيات لقوم يتفكرون » معناه مثل ذلك نميز الآيات ونبينها

(١) مجمع البيان ٣ : ١٠٢

لقوم يفكرون ويعتبرون بها ، لان من لا يفكر فيها ولا يعتبر بها كانها لم تفصل له ، فلذلك خصصهم بالذكر .

قوله تعالى :

﴿ واللهُ يَدْعُوا إلى دارِ السَّلامِ وَ يَهْدي مَنْ يَشاءُ إلى صِراطٍ مستَقِيمٍ ﴾ (٢٥) آية بلا خلاف

اخبر الله تعالى بأنه الذي يدعوا عباده الى دار السلام . والدعاء طلب الفعل بما يقع لأجله ، والداعي الى الفعل خلاف الصارف عنه . وقد يدعوا اليه باستحقاق المدح عليه .

والفرق بين الدعاء والامر ، ان في الامر ترغيباً في الفعل ، وزجراً عن تركه ، وله صيغة تنبيء عنه ، وليس كذلك الدعاء ، وكلاهما طلب . وأيضاً الامر يقتضي ان يكون المأمور دون الآمر في الرتبة . والدعاء يقتضي أن يكون فوقه . وفي معنى دار السلام : قولان :

احدهما - قال الحسن السلام هو الله وداره الجنة وبه قال قتادة .

الثاني قال الجبائي والزجاج : معناه دار السلامة .

وقوله « ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم » قيل في الهداية ههنا ثلاثة اقوال:

احدها - يفعل الألطاف التي تدعوهم الى طريق الحق لمن كان المعلوم أن له لطفاً .

الثاني - الاخذ في الآخرة الى طريق الجنة .

الثالث - قال ابو علي : يريد به نصب الادلة لجميع المكلفين دون الاطفال والمجانين. والاستقامة المرور في جهة تؤدي الى البغية ، فالادلة طرق الى العلم على الاستقامة لانها تؤدي اليه .

قوله تعالى :

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢٦) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى بان المذين يفعلون الحسن من الطاعات التي امرهم الله بها جزاء على ذلك « الحسنى » وهي الجنة ولذاتها .وقيل جامعة المحاسن من السرور واللذات على أفضل ما يكون وهي تأنيث الاحسن .

وقوله « وزيادة » معناه ان لهم زيادة التفضل على قدر المستحق على طاعاتهم من الثواب ، وهي المضاعفة المذكورة في قوله « فله عشر امثالها (١) ذهب اليه ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وعلقمة بن قيس .

وقال ابو جعفر (ع) « وزيادة » معناه ما أعطاهم الله في الدنيا لا يحاسبهم به في الآخرة .

وقوله « ولا يرهق وجوههم قترولا ذلة » فالرهق لحاق الامر ، ومنه راهق الغلام اذا لحق حال الرجال ، ورهقه في الحرب اذا ادركه . و(الرهاق) الاعجال . و(القتر) الغبار . والقترة الغبرة . ومنه الاقتار في النفقة لقلته ، قال الشاعر :

متوج برداء الملك يتبعه موج يرى فوقه الرايات والقترا (٢)

والذلة صغر النفس بالاهانه . والذلة نقيض العزة . وقد يكون صغر النفس

---

(١) سورة الانعام آية ١٦٠ .

(٢) قائلة الفرزدق ديوانه : ٢٩٠ وتفسير الطبرى ١١ : ٦٩ ومجاز القرآن ٢٧٧ ونفسير القرطبي ٨ : ٣١١ واللسان « قتر » . ورواية الديوان « معتصب » بدل «متوج»

بضيق المقـــدرة .

وقوله « اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون » اخبار منه تعالى بأن الذين وصفهم الملازمون للجنة على وجه الخلود والنعيم فيها ولا زوال لذلك عنهم .

قوله تعالى :

﴿ والَّذينَ كَسَبوا السَّيِّئاتِ جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ما لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيلِ مُظْلِماً أُولئكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فيها خالِدونَ ﴾ (٢٧) آية بلا خلاف .

لما وصف الله تعالى المطيعين ، وماهم من الثواب الجزيل في الجنة والخلود فيها ذكر حكم العصاة والذين يرتكبون السيئات ويكسبونها وان لهم جزاء كل سيئة مثلها يعني قدر ما يستحق عليها من غير زيادة ، لان الزيادة على قدر المستحق من العقاب ظلم ، وليس كذلك الزيادة على قدر المستحق من الثواب ، لان ذلك تفضل يحسن فعله ابتـــداء .

فالمثل - في الآية - المراد به مقدار المستحق من غير زيادة ولا نقصان . والكسب فعل يجتلب به نفع او يدفع به ضرر ، وقد يكتسب الانسان الحسنة والسيئة ، ولهذا لا يوصف الله تعالى بالكسب .

وقوله « وترهقهم ذلة » اي يلحقهم هوان في انفسهم . « وما لهم من الله من عاصم » اي ما لهم مانع من عقاب الله .

وفي رفع (جزاء) في الآية وجهان :

احدهما - ان تقديره فلهم جزاء سيئة بمثلها ليشاكل « للذين احسنوا » .

والآخر - ان يكون الخبر بمثلها والباء زيادة كزيادتها في قولك ليس زيد بقائم .

وقوله « كأنما اغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً » شبه سواد وجوههم بقطع من الليل المظلم وانما ذكّر ووحّد مظلم لاحد أمرين :

احدهما - ان يكون حالا من الليل .

والثانى - على قول الشاعر :

لو ان مدحة حيّ تنشرن احداً احيا اباكنّ يا ليلى الاماديح (١)

و (القطع) قرأه بتسكين الطاء ابن كثير والكسائى . الباقون بالتحريك ، وهما لغتان .

وقوله «اصحاب النار هم فيها خالدون» اخبار منه تعالى بأن من وصفهم ملازمون للنار خالدون فيها غير زائل عذابها .

قال ابو عبيدة « قطعاً من الليل » وهو بعض الليل تقول اتيته لقطع من الليل اي ساعة من الليل ، وقطع واقطاع . وقال ابو علي : القطع الجزء من الليل الذي فيه ظلمة فأما قوله « مظلماً » اذا اجريته على (قطع) فيحتمل نصبه وجهين :

احدهما - ان يكون صفة من القطع وهو احسن ، لانه على قياس قوله « وهذا كتاب أنزلناه مبارك » (٢) وصف الكتاب بالمفرد بعد ما وصفه بالجملة واجراه على النكرة .

والثانى - يجوز ان يكون حالا من الذكر الذي في الظرف .

ومن قرأ « قطعاً » لم يكن مظلماً صفة لـ (قطع) ولا حالا من الذكر الذي في قوله « من الليل » ولكن يكون حالا من الليل المظلم فلما حذف الالف واللام نصب على الحال .

---

(١) مجمع البيان ٣ : ١٠٤ (٢) سورة الانعام آية ٩٢ ، ١٥٥

قوله تعالى :

﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون ﴾ (٢٨) آية بلا خلاف .

اخبر تعالى في هذه الآية أنه يوم يحشر الخلائق أجمعين . والحشر هو الجمع من كل أوب الى الموقف ، وانما يقومون من قبورهم الى أرض الموقف « ثم نقول للذين أشركوا » يعني من أشرك مع الله في عبادته غيره ، والشرك بالاطلاق لا يقال إلا فيمن اشرك في العبادة ، لانها صفة ذم مثل كافر وظالم .

وقوله « مكانكم » معناه انتظروا مكانكم « جميعاً » نصب على الحال و (مكانكم) نصب على الامر ، كأنه قال انتظروا مكانكم حتى نفصل بينكم . ويقول المتوعد لغيره : مكانك فانتظر ، يستعمل ذلك في الوعيد .

وقوله « انتم وشراؤكم » يعني انتظروا انتم مع شركائكم الذين عبدتموهم من دون الله .

وقوله « فزيلنا بينهم » مأخوذ من قولهم زلت الشيء عن مكانه أزيله ، وزيلنا ـ للكثرة من هذا ـ اذا نحيته عن مكانه ، وزايلت فلاناً إذا فارقته . وقال القتيبي : وهو مأخوذ من زال يزول ، وهو غلط ، وخلاف لقول جميع المفسرين ، وأهل اللغة. والتزييل التفريق .

والمعنى فرقنا بين المشركين بالله وما اشركوا به .

وقوله « وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون » قيل في معناه قولان :

احدهما ـ قال مجاهد : انه ينطق الاوثان يوم القيامة فيقولوا ما كنا نشعر بأنكم

إيانا تعبدون .

والثاني ـ ان ذلك قول من كانوا يعبدونهم من الشياطين

وفي كيفية جحدهم لذلك قولان :

احدهما ـ أنهم يقولون ذلك على وجه الاهانة بالرد عليهم . والمعنى ما اعتذرنا بذلك لكم .

والآخر ـ انه في حال دهش ككذب الصبي . وقال الجبائي يريد انكم لم تعبدونا بأمرنا ودعائنا ولم يرد انهم لم يعبدوها أصلا لان ذلك كذب وهو لا يقع في الآخرة لكونهم ملجئين الى ترك القبيح . وهذه الآية نظيرة قوله « اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا » (١) وكان مجاهد يقول : الحشر ههنا هو الموت . والاول اولى .

قوله تعالى :

﴿ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ (٢٩) آية بلا خلاف .

هذا اخبار من الله تعالى عن شركاء المشركين من الآلهة والأوثان يوم القيامة حين قال المشركون انا انما اياكم كنا نعبد ، وانهم يجحدون ذلك يقولون : حسبنا الله شاهداً بيننا وبينكم ايها المشركون بأنه تعالى عالم إنا ما علمنا ما تقولون ، وانا كنا عن عبادتكم ايانا غافلين ، لا نشعر به ولا نعلمه . وانما قال « شهيداً بيننا » ولم يقل علينا ، لأنه إذا قال بيننا فمعناه لنا وعلينا ، فهو أعم واحسن .

ونصب (شهيدا) على التمييز ، وتقديره وكفى بالله من الشهداء . وقال الزجاج نصب على الحال ، وتقديره كفى بالله في حال الشهادة .

---

(١) سورة البقرة ١٦٦ .

وقوله « ان كنا » فهذه (ان) المخففة عن الثقيلة بدلالة دخول اللام في الخبر للفرق بين (ان) الجحد و (ان) المؤكدة. وقال الزجاج : هي بمعنى (ما) ومعناه ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين .

قوله تعالى :

﴿ هُنالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٣٠) آية بلا خلاف .

قرأ اهل الكوفة الاعاصما « تتلوا » بالتاء من التلاوة . والباقون بالباء ومعناه تخبر من قوله « وبلوناهم بالحسنات والسيئات » (١) اي اختبرناهم ، ومنه قولهم : البلاء ثم الثناء اي الاختبار للثناء عليه ينبغي ان يكون قبل الثناء ليكون عن علم بما يوجبه .

ومعنى اختبار النفس ما اسلفت ان قدم خيراً او شراً جزي عليه ، كما قال « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره (٢) وغير ذلك .

ومن قرأ بالتاء فمن التلاوة . ويقوي ذلك قوله « فاولئك يقرؤن كتابهم » (٣) وقوله « اقرأ كتابك » (٤) وقوله « ورسلنا لديهم يكتبون » (٥) ويكون (تتلو) بمعنى تتبع ويكون المعنى هنالك تتبع كل نفس ما اسلفت من حسنة وسيئة ، فمن أحسن جوزي بالحسنات ومن اساء جوزي به ، فعلى هذا يكون المعنى مثل قراءة من قرأ بالباء .

---

(١) سورة الاعراف آية ١٦٧
(٢) سورة الزلزال آية ٧ - ٨
(٣) سورة الاسرى آية ٧١
(٤) سورة الاسرى آية ١٤
(٥) سورة الزخرف آية ٨.

وقال ابن زيد معنى « تبلو » تعاين . وقال الفراء : معناه تقرأ ، وقال غيره تتبع وقال ابن عباس معنى (تتلو) تخبر قال الشاعر :

قد جعلت دلوي تستتليني ولا احب تبع القرين (١)

اي تتبعني من ثقلها ، ومعنى «هنالك » في ذلك المكان وهو ظرف ذ - (هنا) للقريب و (هنالك) للبعيد و (هناك) لما بينهما قال زهير :

هنالك ان يستخبلوا المال يخبلوا وان يسألوا يعطوا وان ييسروا يغلوا (٢)

والاسلاف تقديم أمر لما بعده ، فمن أسلف الطاعة لله جزي بالثواب . ومن اسلف المعصية جزي بالعقاب .

وقوله « وردوا الى الله » فالرد هو الذهاب الى الشيء بعد الذهاب عنه ، فهؤلاء ذهبوا عن امر الله فأعيدوا اليه . والرد والرجع نظائر ، ويجوز ان يكون الرد بمعنى النشأة الثانية ، وهو الأليق ههنا .

وقوله « مولاهم الحق » فالمولى المالك للعبيد ، ومعناه مالكهم لأنه يملك أمرهم ، وهو أملك بهم من أنفسهم .

وقوله « وضل عنهم ما كانوا يفترون » يعني ما كانوا يدعونهم - بافترائهم من الشركاء - مع الله يضلون عنهم يوم القيامة ويبطلون .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ

(١) مجمع البيان ٣ : ١٠٥

(٢) ديوانه ١١٢ واللسان « خبل » وقد اختلفت روايته فروى « ان يستخولوا المال يخولوا » و « ان يستبخلوا المال يبخلوا » وغير ذلك . والشاعر يمدح قوماً بأنهم كرماء . ومعنى « ييسروا » من اليسر وهو القمار . ومعنى (يغلوا) اى يأتون بجزور سمين او انهم يغالوا أى يكثروا

والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴿ ٣١ ﴾ آية بلا خلاف .

امر الله تعالى نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الكفار وغيرهم من خلقه «من يرزقكم من السماء» بانزال المطر والغيث ، ومن الارض باخراج النبات وانواع الثمار .

والرزق العطاء الجاري يقال : رزق السلطان الجند ، الا ان كل رزق ، فالله رازق به ، لانه لو لم يطلقه على يد الانسان لم يجيء منه شيء . والواحد منا يرزق غيره إلا انه لا يطلق اسم رازق إلا على الله ، كما لا يقال : رب بالاطلاق إلا في الله . وفي غيره يقيد ، فيقال رب الدار ورب الفرس . ويطلق فيه لأنه يملك الجميع غير مملك ، وكذلك هو تعالى رازق الجميع غير مرزوق ، ولا يجوز ان يخلق الله حيوانا يريد تبقيته إلا ويرزقه ، لأنه اذا اراد بقاءه فلابد له من الغذاء ، فان لم يرد تبقيته كالذي يولد ميتاً فانه لا رزق له في الدنيا .

وقوله « ام من يملك السمع والأبصار » يعني من الذي له التصرف فيها بلا مانع يمنعه منها وان شاء اصحها وان شاء امرضها . و « من يخرج الحي من الميت » معناه من الذي يخلق الحيوان ويخرجه من امه حياً سوياً اذا ماتت امه « ويخرج الميت من الحي » يعني من يخرجه غير تام ولا بالغ حد الكمال .

وقيل معناه انه يخرج الحي من النطفة ، وهي ميتة ويخرج النطفة من الحي .

وقيل يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن .

و « من يدبر الأمر » اي ومن الذي يدبر جميع الأمور في السماء والارض؟ وليس جواب ذلك لمن انصف ولم يكابر الا ان يقول : الله الفاعل لجميع ذلك . واذا قالوا

ذلك واعترفوا به قيل لهم « أفلا تتقون » ومعناه فهلا تتقون خلافه وتحذرون معاصيه ؟ .

وفي الآية دلالة على التوحيد لأن ما ذكره في الآية يوجب أن المدبر واحد ولا يجوز ان يقع ذلك اتفاقاً ، لاحالة العقل ذلك ، ولا يجوز ان يقع بالطبيعة ، لأنها في حكم الموات لو كانت معقولة ، فلم يبق بعد ذلك الا ان الفاعل لذلك قادر عالم يدبره على ما يشاء ، وهو الله تعالى ، مع أن الطبيعة مدبرة - مفعولة - فكيف تكون هي المدبرة .

وانما دخلت (أم) على (من) لان (من) ليست اصل الاستفهام بل أصله الالف فلذلك جاز الجمع بينهما .

قوله تعالى :

﴿ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ (٣٢) آية بلا خلاف .

«ذلك» اشارة الى اسم الله الذي ذكره في الآية الاولى، وصفه بأنه الذي يخرج الحي من الميت ، والميت من الحي ويرزق الخلق من السماء والارض و (الكاف والميم) للمخاطبين ، وإنما جمع لأنه أراد جميع الخلق ، فأخبر الله تعالى ان الذي وصفه في الآية الأولى هو « الله ربكم» الذي خلقكم ويملك تصرفكم. وإنما وصفه بأنه «الحق» لأن له معنى الالهية دون غيره من الأوثان والأصنام ، وهو الرب تعالى وحده .

وقوله « فماذا بعد الحق إلا الضلال» صورته صورة الاستفهام والمراد به التقرير على موضع الحجة ، لأنه لا يجد المجيب محيداً عن الاقرار به إلا بذكر مالا يلتفت اليه، وكلما تدعوا اليه الحكمة على اختلافه فهو حق ، والمراد انه ليس بعد الاقرار بالحق ، والانقياد له إلا الضلال والعدول عنه .

وقوله « فأنى تصرفون » أي كيف تصرفون وتعدلون عن عبادته مع وضوح

الدلالة على أنه لا معبود سواه ، والصرف هو الذهاب عن الشيء فالصرف عن الحق ذهاب الى الباطل ، وقد أنكر الله ذلك . وفيه دلالة على أنه من فعل غيره من الغواة لأنه لو كان من فعله لما انكره ، كما لم ينكر شيئاً من أفعال نفسه .

قوله تعالى :

﴿ كَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٣) آية بلا خلاف .

قرأ أهل المدينة وابن عامر (كلمات) ـ ههنا وفي آخرها . وفي المؤمن ـ على الجمع الباقون على التوحيد .

قال ابو علي : من قرأ على التوحيد احتمل في ذلك وجهين :

احدهما ـ ان يكون جعل ما اوعد به الفاسقين كلمة وإن كانت في الحقيقة كلمات، لانهم قد يسمون القصيدة والخطبة كلمة ، فكذلك ما ذكرناه .

والثاني ـ ان يريد بذلك الجنس وقد اوقع على بعض الجنس كما أوقع اسم الجنس على بعضه في قوله « وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل » (١) ومن جمع فانه جعل الكلمات التي يوعدون بها كل واحدة منها كلمة ثم جمع ، فقال: كلمات . وأما قوله « كلمة الله هي العليا » (٢) فيجوز ان يكون عنى بها قوله « كتب الله لأغلبن انا ورسلي » (٣) كما فسر قوله « وألزمهم كلمة التقوى » (٤) انه لا إله الا الله ، ذكره مجاهد .

والكاف في قوله كذلك في موضع نصب والتقدير مثل افعالهم جازاهم ربك . وقيل في المشبه به « كذلك حقت كلمة ربك » قولان :

---

(١) سورة الصافات آية ١٣٧
(٢) سورة التوبة آية ٤١
(٣) سورة المجادلة آية ٢١
(٤) سورة الفتح آية ٢٦

احدهما - المعنى في انه ليس بعد الحق الا الضلال فشبه به كلمة الحق بأنهم لا يؤمنون في الصحة .

الثاني - ما تقدم من العصيان شبه به الجزاء بكلمة العذاب في الوقوع على المقدار وانما اطلق في الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ، لانه اريد به الذين تمردوا في كفرهم .

و(انهم) في موضع نصب على قول الفراء والتقدير بأنهم أو لأنهم لا يؤمنون فقوله « انهم لا يؤمنون » بدل من كلمة ربك .

فأعلم الله أنهم باعمالهم قد منعوا من الايمان ، وجائزان تكون الكلمة ما وعدوا به من العقاب .

والفسق في الشرع هو الخروج في المعصية الى الكبيرة فان كانت كفراً فالخروج الى أكبره وكذلك ان كانت منع حق . وفائدة الآية الابانة عن الحال التي لا يفلح صاحبها ليحذر من مثلها ، لأنه قد يكون في المعلوم أنه من بلغ ذلك الحد لم يفلح ، قال وأصل المعنى حقت كلمة ربك ان الفساق والكفار ما داموا كفاراً فساقاً فلا يكونون مؤمنين . وقال الجبائي : معناه وجدانكم إياهم على الكفر والاصرار عليه دليل على أن ما أخبر الله تعالى عنهم بأنهم لا يؤمنون حق وصدق .

قوله تعالى

﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (٣٤) آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى نبيه (ص) أن يقول لهؤلاء الكفار الذين اتخذوا مع الله آلهة يعبدونها « هل من شركائكم من يبدؤ الخلق » بأن ينشئهم ويخترعهم . ثم اذا أماتهم

يعيدهم ويحييهم لينبئهم بذلك على انه لا يقدر على ذلك الا الله القادر لنفسه الذي لا يعجزه شيء .

وقيل في معنى شركائكم قولان :

احدهما - انهم الذين جعلوهم شركاء في العبادة .

الثاني - الذين جعلوهم شركاء في اموالهم من اوثانهم ، كما قالوا « هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا » (١) والاعادة ايجاد الشيء ثانياً ، وقال لنبيه قل لهم : الله تعالى القادر لنفسه هو الذي يبدؤ الخلق فينشئهم ، ثم يميتهم ثم يعيدهم لا يعجزه شي عن ذلك .

وقوله « فانى تؤفكون » معناه انى تصرفون عن الحق وتقلبون عنه ، ومنه الافك ، والكذب ، لانه قلب المعنى عن جهته .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٣٥) آية بلا خلاف .

قرا اهل الكوفة الا عاصما « يهدى » بفتح الياء وسكون الهاء وتخفيف الدال . وقراه اهل المدينة الا ورشا بفتح الياء ، وسكون الهاء ، وتشديد الدال .

وقراه ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وورش بفتح الياء والهاء وتشديد الدال ، الا ان السوسي من طريق ابن حبش لا يشبع فتحة الهاء ، وكذلك روى الحمانى عن

(١) سورة الانعام آية ١٣٦ .

شجاع .

وقرأه يعقوب وحفص والاعشى والبرجمى بفتح الياء وكسر الهـــا وتشديد الدال . ورواه ابو بكر الا الاعشى والبرجمى بكسر الياء والهاء وتشديد الدال .

قال ابو على من قرا « يهدى » بفتح الياء والهاء وتشديد الدال فقد نسبهم الى غاية الذهاب عن الحق في معادلتهم الآلهة بالله تعالى الا ترى ان المعنى افمن يهـدى غيره الى طريق التوحيد والحق احق ان يتبع ام من لا يهتدى هو الا ان يهـدى والتقدير افمن يهدى غيره فحذف المفعول الثانى .

فان قيل هذه التي اتخذوها آلهة لا تهتدي وان هديت لانها موات من حجارة واوثان ونحو ذلك .

قيل تقدير الكلام على انها ان هديت اهتدت وان لم تكن في الحقيقة كذلك لانهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عن الذي يجب له العبادة، كما قال « ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً من السماوات والارض شيأ ولا يستطيعون » (١) وقال « ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لـكم (٢) فاجرى عليه اللفظ كما يجرى على من يعلم كانه قال ام من لا يهدى الا ان يهدى اى ام من لا يعلم حتى يعلم ، ومن لا يستدل على شيء حتى يدل وان كان لو دل او اعلم لم يعلم ولم يستدل واراد الله بذلك تعجيبهم من انفسهم وتبيين جهلهم وقلة تمييزهم في تسويتهم من لا يعلم ولا يقدر بالله القادر العالم .

وقراحمزة والـكسائى « ام من لا يهدى » معناه ام من لا يهدي غيره ، ولكن يهدى اى لا يعلم شيئاً ولا يعرفه ولـكن لا يهدى اى لا هداية له ولو هدى ايضا لم

(١) سورة النحل آية ٧٣ .

(٢) سورة فاطر آية ١٤ .

يهد غير ان اللفظ جرى عليه كما قلناه فيما تقدم .

ومن شدد ، فلان اصله يهتدى فادغم التأ في الدال ومن حرك الهاء التى حركة الحرف المدغم على الهاء لانها من كلمة واحدة ومن كسر الهاء لم يلق الحركه تشبيها بالمنفصل وكسر الهاء لالتقاء الساكنين . ومن سكن الهاء جمع بين الساكنين . ومن اشم فلان الاشمام في حكم التحريك ومن كسر الياء اتبع الياء ما بعدها من الكسر لان اصله يفتعل .

وقال قوم : معنى « ام من لا يهدى الا ان يهدى » لايتحرك حتى يحرك .

امر الله تعالى نبيه ان يقول ايضاً لهؤلاء الكفار الذين اتخذوا مع الله شركاء في العبادة «هل من شركائكم» الذين تعبدونهم من دون الله او تشركون بينهم في العبادة من يهدى غيره الى الحق والى طريق الرشاد ، ثم قال قل يا محمد « الله يهدى للحق » وافعال الخير ثم قال «افمن يهدى غيره الى الحق » والى الصراط المستقيم اولى « ان يتبع » ويقبل قوله « ام من لا يهدى الا ان يهدى » اى الا بعد ان يهدى . وحكى البلخى انه قال هدى واهتدى بمعنى واحد .

وقوله « ما لكم كيف تحكمون » اى بما تدعونه من عبادة من دون الله ، فالهداية المعرفة بطريق الرشاد من الغي فكل هداية قائدة الى سلوك طريق النجاة بدلا من طريق الهلاك . وقال الزجاج « ما لكم » كلام تام ، كانه قال اى شي لكم في عبادة الاوثان ثم قال لهم « كيف تحكمون » على اى حال ، فوضع (كيف) نصب بـ (تحكمون) ويقال هديته للحق والى الحق بمعنى واحد .

قوله تعالى :

﴿ وما يَتَّبِعُ أكْثَرُهُمْ إلّا ظَنّاً إنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ ﴾ (٣٦) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى أنه ليس يتبع أكثر هؤلاء الكفار الا الظن الذي لا يجزي شيئاً من تقليد آبائهم ورؤسائهم . ثم قال تعالى : « ان الظن لا يغني من الحق شيئاً » لان الحق انما ينتفع به من عرفه وعلمه حقاً لان الظن حقيقة ما قوي كون المظنون عند الظان على ما ظنه مع تجويز أن يكون على غيره ، فاذا كان معه تجويز كون المظنون على خلاف ما ظنه ، فلا يكون مثل العلم . وقد يكون للظن حكم إذا قام على ذلك دليل اما عقلي او شرعي ويكون صادراً عن امارات معروفة بالعادة والخبر أو رده الى نظيره عند من قال بالقياس ، وكل ذلك اذا اقترن به دليل يوجب العمل به ، وكل موضع يمكن أن يقوم عليه دليل ويعلم صحته من فساده ، فلا يجوز أن يعمل فيه على الظن ، لأنه بمنزلة من ترك العلم وعمل على ظن غيره .

وقوله « ان الظن لا يغني من الحق شيئاً » معناه انه لا يقوم مقام العلم مع وجوده أو امكان وجوده وانما يعبد الله في الشرع في مواضع بالرجوع الى الظن مع أنه كان يمكنه ان ينصب عليه دليلا يوجب العلم لما في ذلك من المصلحة .

وقوله « ان الله عليم بما يفعلون » فيه ضرب من التهديد ، لأنه أخبر أنه تعالى يعلم ما يفعلونه ولا يخفى عليه منه شيء فيجازيهم على جميعه على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب .

قوله تعالى :

﴿ وما كان هٰذا القُرآنُ أنْ يُفترَى من دُونِ اللهِ ولٰكِنْ تصديقَ الَّذي بينَ يدَيْهِ وتفصيلَ الْكِتابِ لا رَيْبَ فيهِ مِنْ ربِّ الْعالَمِين ﴾ (٣٧) آية بلا خلاف

نفى الله تعالى في هذه الآية ان يكون هذا القرآن الذي أنزله على نبيه

محمد (ص) مفترى من دون الله . والافتراء الاخبار على القطع بالكذب ، وهو مأخوذ من فرى الاديم وهو قطعه بعد تقديره ، والقرآن عبارة عن هذا الكلام الذي هو في اعلى طبقات البلاغة مع حسن النظم والجزالة ، وكل شيء منه فيه فائدة وكل فصل منه فيه فائدة أخرى .

وقوله « ولكن تصديق الذي بين يديه » شهادة من الله له بأنه صدق و بأنه شاهد لما تقدم من التوراة والانجيل والزبور بأنها حق ، وشاهد ايضاً من حيث انه مصدق لها اذا جاء على ما تقدمت البشارة به فيها . وقيل مصدق لما بين يديه من البعث والنشور والجزاء والحساب .

وقوله « وتفصيل الكتاب » اى تبيين الفصل من المعاني الملتبسة حتى يظهر كل معنى على حقيقته . والتفصيل والتمييز والتقسيم نظائر وضده التلبيس والتخليط .

وقوله « لاريب فيه » اي لا شك فيه « من رب العالمين » اي نازل من عند مالك العالمين . وقيل : ان معنى « تفصيل الكتاب » اي تفصيل الفروض الشرعية . والكتاب ههنـــا المفروض .

وقال الفراء : معنى « وما كان هذا القرآن ان يفترى » اي لاينبغي ان يكون افتراء ، كما قال تعالى « وما كان لنبي ان يغلّ » (١) اى لا ينبغي له . و قال غيره تقديره وما كان هذا القرآن مفترى .

قوله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ اَفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣٨) آية بلاخلاف .

(١) سورة آل عمران : ١٦١ .

معنى « أم » ههنا تقرير على موضع الحجه بعد مضي حجة أخرى و تقديره بل أتقولون افتراه ، فالزموا على هذا الاصل الفاسد امكان أن يأتوا بمثله .

وقوله « فأتوا بسورة مثله » صورته صورة الامر والمراد به التحدي باتيان سورة وهو الزام لهم على اصلهم اذ اصلهم فاسد يوجب عليهم ان يأتوا بسورة مثله فالتحدي يطلب ما يوجبه اصلهم عليهم .

وقوله « فأتوا بسورة مثله » معناه سورة منه . وقيل في معناه قولان :

احدهما ـ ان فيه حذفاً و تقديره فأتوا بسورة مثل سورته ذكره بعض البصريين

والآخر ـ ائتوا بسورة مثله في البلاغة ، وهو احسن الوجهين .

والسورة منزلة محيطة بآيات الله كاحاطة سور البناء من أجل الفاتحة والخاتمة وكل منزلة من سورة البناء محيطة بما فيها .

و قوله « فادعوا من استطعتم من دون الله » معناه ادعوهم الى الموازنة على المعارضة بسورة مثله أي استعينوا بكل من قدرتم عليه . و الاستطاعة حالة للحي تنطاع بها الجوارح للفعل وهي مأخوذة من الطوع . والقدرة من القدر ، فهي معنى يمكن أن يوجد به الفعل وان لا يوجد لتقصير قدره عن ذلك المعنى .

وقوله « ان كنتم صادقين » معناه ان كنتم صادقين في أن هذا القرآن مفترى من دون الله فأنتم تقدرون على معارضته ، فحيث لا تقدرون على ذلك علم أن الامر بخلاف ما تذكرونه من انه من عند غير الله ، وصح أنه من عند الله ، لأنه لو قدر محمد (ص) على افترائه لقدرتم على معارضته لمشاركتكم اياه في النشوء والفصاحة .

قوله تعالى :

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ

كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم فَانظُر كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار الذين حكي عنهم أنهم قالوا ان محمداً (ص) افترى هذا القرآن ولم ينزله الله عليه بأنهم « كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه » ومعناه بما لم يعلموه من كل وجوهه لأن في القرآن ما يعلم المراد منه بدليل ، ويحتاج الى الفكر فيه والرجوع الى الرسول في معرفة مراده وذلك مثل المتشابه ، فالكفار لما لم يعرفوا المراد بظاهره كذبوا به ، وقالوا انه افترى على الله كذبا ، ومعنى كذبوا أنهم شهدوا بان الدعاة الى الله والدعاة الى الحق من المؤمنين كاذبون جهلا منهم وتوهما لا حقيقة لهم ولا حجة معهم به .

وقوله « ولما يأتهم تأويله » معناه ما يؤول أمره اليه وهو عاقبته . ومعناه متأوله من الثواب والعقاب . ثم حكى الله أنه مثل ذلك كذب الذين من قبلهم أنبياء الله ورسله فأهلكهم ودمرهم . ثم قال لنبيه « فانظر كيف كان عاقبة الظالمين » يعني ما أدى الى اهلاكهم بعذاب الاستئصال على ما تقدم من ظلمهم لانفسهم وغيرهم في كذبهم .

وقيل في موضع « كيف كان » نصب بأنه خبر كان ، ولا يكون معمول (انظر) لان ماقبل الاستفهام لا يعمل في الاستفهام .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنهُم مَن يُؤمِنُ بِهِ وَمِنهُم مَن لَا يُؤمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعلَمُ بِالمُفسِدِينَ ﴾ (٤٠) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى ان من جملة هؤلاء الكفار الذين كذبوا بالقرآن و نسبوه الى الافتراء من سيؤمن به اي بالقرآن في المستقبل ، و منهم من لا يؤمن بل يموت على كفره .

وقوله « وربك اعلم بالمفسدين » معناه من يدوم على الفساد ممن يتوب ، وإنما بقاهم الله لما في معلومه انه يتوب منهم . وإنما جاز ان يقول « اعلم » وان لم يكن هناك كثرة علوم لاحد امرين :

احدهما - ان الذات تغنى عن كل علم .

والثاني - انه يراد كثرة المعلوم .

قوله تعالى :

﴿ و إنْ كذّبوكَ فقُلْ لِي عَملِي ولكُم عملُكم أنتُمْ بَريئونَ مِمّا أعمَلُ و أنا بَريءٌ مِمّا تعملونَ ﴾ (٤١) آية بلا خلاف .

خاطب الله تعالى نبيه (ص) فقال « ان كذبوك هؤلاء الكفار ولم يصدقوك وردّوا عليك بذلك و نسبوك الى الكذب « فقل لى عملي » و إن كنت كاذباً فوباله علي « ولكم عملكم » اي ان كنتم غير محقين فيما تردونه علي و تكذبوني فلكم جزاء عملكم فانتم تبرؤن مما اعمل وانا ابرأ من اعمالكم . وفائدة ذلك الاخبار بأنه لا يجازى احد الا على عمله ، و لا يؤخذ احد بجرم غيره كما قال تعالى « ولا تزر وازرة وزر اخرى » (١) والبراءة قطع العلقة التي توجب رفع المطالبة وذلك كالبراءة من الدين ، والبراءة من العيب في البيع ، ولم يقل النبي (ص) هذا القول شكاً منه فيما يجازي الله الكفار والمؤمنين به من الثواب و العقاب . وانما قال على وجه التلطف لخصمه

(١) سورة الانعام آية ١٦٤ والاسرى : ١٥ وفاطر : ١٨ والزمر : ٧

وحسن العشرة ، وان لا يستقبلهم بما يكرهونه من الخطاب فربما كان داعياً لهم ذلك الى الانقياد والنظر في قوله .

وقال ابن زيد : هـذه الآية منسوخة بآية الجهاد ، وعلى ما قلناه لا يحتاج الى ذلك .

قوله تعالى :

﴿ ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ﴾ (٤٢) آية بلا خلاف .

أخبر الله ان من جملة هؤلاء الكفار « من يستمع اليك » يا محمد . والاستماع طلب السمع ، فهم كانوا يطلبون السمع للرد لا للفهم ، فلذلك لزمهم الذم ، فهم اذا سمعوه على هذا الوجه كأنهم صم لم يسمعوه حيث لم ينتفعوا به .

وقوله « افأنت تسمع الصم » خطاب للنبي (ص) بأنه لا يقدر على اسماع الصم الذين لا يسمعون ، وبهم صمم وهم الذين ولدوا صماً و الاصم المفسد السمع بما يمنع من ادراك الصوت ، وقد صم صمما . و السمع ادراك الشيء بما به يكون مسموعا وتسمى الاذن السليمة سمعاً ، لانه يسمع بها .

وقوله « ولو كانوا لا يعقلون » تشبيه من الله تعالى لهؤلاء الكفار في ترك إصغائهم الى النبي (ص) و استماع كلامه طلباً للفائدة بالذين لا يسمعون اصلا . وان النبي (ص) لا يقدر على اسماعهم على وجه ينتفعون به اذا لم يستمعوا بنفوسهم ، للفكر فيه ، كما لا يقدر على اسماع الصم .

وقوله « من » يقع على الجمع كما يقع على الواحد ، فلذلك أخبر عنه بلفظ الجمع بقوله « يستمعون اليك » و(لو) في اكثر الامر يكون ما بعدها اقل مما قبلها

تقول اعطني دابة ولو حماراً ، وقد يجيء ما بعدها اكثر مما قبلها ، كما يقول الرجل انا اقاتل الاسد فيستعظم ذلك منه ، فيقال انت تقاتل الاسد ولو كان ضارياً ، وعلى هذا مخرج الآية قال الزجاج : والمعنى ولو كانوا جهالا كما قال الشاعر :

اصم عما ساءه سميع (١)

قوله تعالى :

﴿ ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ﴾ (٤٣) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى بأن من جملة الكفار « من ينظر اليك » يا محمد (ص) فلم يخبر بلفظ الجمع لانه حمله على اللفظ ، واللفظ لفظ الواحد . والنظر المذكور في الآية معناه تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلباً لرؤيته و قيل معناه من ينظر الى أدلتك والنظر يكون بمعنى الاعتبار والفكر ، وهو الموازنة بين الامور حتى يظهر الرجحان او المساواة ، وذلك الجمع بين الشيئين في التقدير بما يظهر به شهادة احدهما بالآخر ثم قال « افأنت تهدى العمي ولو كانو لا يبصرون » اي نظرهم اليك لا على وجه الاستفادة بمنزلة نظر الاعمى الذي لا يبصر ، فكما لا يقدر ان يهدي الاعمى فكذلك هؤلاء لا ينتفعون بنظرهم اليك ، فكانهم لا يبصرون .

و العمى آفة تمنع من الرؤية ، و هو على وجهين : عمى العين ، و عمى القلب وكلاهما يصلح له هذا الحد . والابصار ادراك المبصر بما به يكون مبصراً كما ان السمع إدراك المسموع بما به يكون مسموعا .

---

(١) مر فيما سلف فى ٢ : ٨٠ ، ٤ : ١٣٤

قوله تعالى :

﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾ ﴿ ٤٤ ﴾ آيه بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الاية على وجه التمدح به بأنه لا يظلم احداً شيئاً وانما الناس هم الذين يظلمون انفسهم بارتكاب ما نهى الله عنه من القبائح فيستحقون بها عقاباً ، فكانهم الذين ادخلوا عليها ضرراً ، فلذلك كانوا ظالمين لنفوسهم . والمعنى ههنا ان الله لا يمنع احداً الانتفاع بما كلفهم الانتفاع به من القرآن و ادلته ، و لكنهم يظلمون انفسهم بترك النظر فيه والاستدلال به و تفويتهم انفسهم الثواب وإدخالهم عليها العقاب.

ففي الآية دلالة على انه لا يفعل الظلم ، لان فاعل الظلم ظالم ، كما ان فاعل الكسب كاسب ، وليس لهم ان يقولوا يفعل الظلم ، ولا يكون ظالماً به ، كما يفعل العلم ولا يكون به عالماً ، وذلك ان معني قولنا ظالم انه فعل الظلم ، كقولنا ضارب انه يفيد انه فعل الضرب . وكذلك يكون ظالماً بما يفعله من الظلم في غيره ، وليس كذلك العالم لانه يفيد انه على صفة مخصوصة ، ولذلك قد يكون عالماً بما يفعل فيه من العلم ، ولا يكون ظالماً بما يفعل فيه من الظلم . ويكون عالماً بما يفعل فيه من العلم وليس كذلك الظلم ، فبان الفرق بينهما .

وليس لاحد ان يقول : ان الانتفاء من الظلم كالانتفاء من السنة و النوم في انه ليس بنفي الفعل .

وذلك ان الظلم مقدور قبل العدل وليس كذلك النوم واليقظة لانهما يستحيلان عليه .

و « لكن » اذا كانت مشددة عملت عمل (أن) واذا خففت لم تعمل ، لأن المخففة تدخل على المفرد ، كما يدخل حرف العطف . والثقيلة تدخل على الجملة فتزيل الابتداء .

قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (٤٥) آية بلا خلاف .

قرأ حفص « يحشرهم » بالياء . الباقون بالنون . قال ابو علي الفارسي قوله « كأن لم يلبثوا » يحتمل ثلاثة أوجه :

احدها - ان يكون صفة اليوم .

والآخر - أن يكون صفة للمقدر المحذوف .

الثالث - ان يكون حالاً من الضمير في « يحشرهم » فاذا جعلته صفة لليوم احتمل امرين :

احدهما - أن يكون التقدير « كأن لم يلبثوا » قبله « الا ساعة » كما قال « فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف » (١) اي امسكوهن قبله ، وكذلك قوله « فان فاءوا فان الله » (٢) معناه فان فاؤا قبل انقضاء الاربعة أشهر .

ويحتمل ان يكون المعنى « كأن لم يلبثوا » قبله فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه . ثم حذفت الهاء من الصفة ، ومثله « وترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣١ وسورة الطلاق آية ٢

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٦

واقع بهم » (١) والتقدير وجزاؤه واقع بهم . وان جعلته صفة للمصدر ، كان على هذا التقدير الذي وصفناه ومثله « كان لم يلبثوا » قبله فحذف وأقام المضاف اليه مقام المضاف ثم حذف العائد من الصفة ، كما يحذف من الصلة في نحو قوله «أهذا الذي بعث الله رسولا » (٢) وان جعلته حالا من الضمير المنصوب لم يحتج الى حذف شيء في اللفظ ، لأن الذكر من الحال قد عاد الى ذي الحال .

والمعنى يحشرهم مشابهة احوالهم احوال من لم يلبث الا ساعة . ويحتمل ان يكون معمولا بما دل عليه قوله « كأن لم يلبثوا » فاذا جعلته معمولا لـ (يتعارفون) انتصب (يوم) على وجهين :

احدهما ـ ان يكون ظرفاً .

والآخر ـ ان يكون مفعولا على السعة ، على يا سارق الليلة أهل الدار .

ومعنى « يتعارفون » يحتمل أمرين :

احدهما ـ ان يكون المعنى يتعارفون مدة إماتتهم التي وقع حشرهم بعدها ، وحذف المفعول للدلالة عليه او يكون اعمل الفعل الذي دل عليه يتعارفون ألا ترى انه قد دل على سيعلمون اذ يتعارفون ، فعلى هذا يكون قوله « ويوم يحشرهم » معمول « يتعارفون » .

والآخر ـ ان يكون « يوم يحشرهم » معمول ما دل عليه قوله « كأن لم يلبثوا» لأن المعنى تشابه احوالهم احوال من لم يلبث ، فعمل في الظرف هذا المعنى ولا يمنع المعنى من أن يعمل في الظرف وان تقدم الظرف عليه كقولهم : أكل يوم لك ثوب ، واذا جعلت « يتعارفون » العامل في « يحشرهم » لم يجز ان يكون صفة اليوم ، على انك كأنك وصفت اليوم بقوله كأن لم يلبثوا ويتعارفون ، فوصفت يوم يحشرهم بجملتين ، لم يجز ان يكون معمولا لقوله « يتعارفون » لأن الصفة لا تعمل

(١) سورة الشورى آية ٢٢　　(٢) سورة الفرقان آية ٤١

في الموصوف ، وجاز وصف اليوم بالجمل وان اضيف ، لأن الاضافة ليست محضة ، فلم تعرفه .

ومن قرأ بالنون فلقوله « وحشـــرناهم فلم نغادر » (١) وقوله « فجمعناهم جمعاً » (٢) وقوله « ونحشره يوم القيامة أعمى » (٣)

ومن قرأ بالياء فلقوله « ليجمعنكم الى يوم القيامة » (٤) والنون والياء متعارفان في مثل هذا بدلالة قوله « وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه » (٥) فعلم من هذا ان كل واحد منهما يجري مجرى الآخر .

يقول الله تعالى في هذه الآية انه يوم يحشر الخلق الى الحشر والموقف « كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار » عند انفسهم لقلة بقائهم فيها وسرعة تصرمها عنهم مع طول وقوفهم يوم القيامة ومع علمهم بدوام بقائهم في الآخرة شبه قرب الوقت الى ذلك الحين بساعة من النهار لأن كل ما هو آت قريب، كما قال « اقتربت الساعة » (٦) ودل بذلك على انه لا ينبغي لاحد ان يغتر بطول ما يأمله من البقاء في الدنيا اذ كان عاقبة ذلك الى الزوال .

وقوله « يتعارفون بينهم » أخبار منه تعالى ان الخلق يعرف بعضهم بعضاً في ذلك الوقت خسرانهم ويتذاكرونه .

وقوله « قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله » اخبار منه تعالى بأن الذين كذبوا بالبعث والنشور ولقاء ثواب الله ولقاء عقابه يخسرون نفوسهم . والخسران ذهاب رأس المال فالنفس اكبر من رأس المال

---

(١) سورة الكهف آية ٤٨ (٢) سورة الكهف آية ١٠٠
(٣) سورة طه آية ١٢٤ (٤) سورة النساء آية ٨٦ وسورة الانعام آية ١٢
(٥) سورة طه آية ١٢٧ (٦) سورة القمر آية ١

وقوله « وما كانوا مهتدين » معناه لا يكونون مهتدين الى طريق الجنة لكونهم مستحقين للعقاب .

وقال الزجاج معنى الآية قرب ما بين موتهم وبعثهم كما قالوا « لبثنا يوماً او بعض يوم » (١) و « يتعارفون بينهم » اي يعرف بعضهم بعضاً وفي ذلك توبيخ لهم واثبات الحجة عليهم .

قوله تعالى :

﴿ وإمّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الّذي نَعِدُهُمْ أو نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإلَيْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللهُ شَهيدٌ عَلى ما يَفْعَلُونَ ﴾ (٤٦) آية بلا خلاف .

نون التأكيد في الجزاء لا تجوز الا مع (ما) كما لا يجوز الجزاء بـ (اذا، وحيث) الا مع (ما) يخرجونها عن اخواتها فدخلت (ما) لتقريبها منها ، فالنون تدخل فى الأمر والنهى والاستفهام والعرض وكله طلب ، وكله غير واجب . وليس في الجزاء طلب الا انه يشبه غير الواجب .

وقوله « نرينك » من رؤية العين لأنها لو كانت من رؤية الاعلام (٢) لتعدى الى مفعولين . والبعض شيء يفصل من الكل ، والبعض والقسم والجزء نظائر والتوفي القبض على الاستيفاء بالأمانة ، لأن الروح تخرج من البدن على تمام وكمال من غير نقصان .

ومعنى الآية ان ارينك يا محمد بعض ما نعد هؤلاء الكفار من العذاب عاجلا بأن

---

(١) سورة المؤمنون آية ١١٣ . وسورة الكهف آية ١٩

(٢) اى الرؤية القلبية ومعنى الاعلام الاخبار وسماها رؤية الاعلام لانها تدخل على الجملة الاخبارية .

ننزل عليهم ذلك في حياتك ، وان اخرنا ذلك عنهم الى بعد وفاتك ووفاتهم ، فان ذلك لا يفوتهم لأنه الينا مرجعهم والله شاهد بأعمالهم ، وعالم بها وحافظ لها فهو يوفيهم عقاب معاصيهم .

وقال مقاتل : معنى اما نريك بعض الذي نعد المؤمنين من النصر والاعلاء وهو يوم بدر .

وقوله « ثم الله » ثم عطف في قول الفراء ، وقال غيره : (ثم) بمعنى الواو .

قوله تعالى :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٤٧) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية ان لكل جماعة على دين واحد طريقة واحدة كأمة محمد وأمة موسى وعيسى (ع) رسولا بعثه الله اليهم وحمله الرسالة التي يؤديها اليهم ليقوم بأدائها .

وقوله « فاذا جاء رسولهم » يعني يوم القيامة ـ في قول مجاهد ـ وقال الحسن في الدنيا بما اذن الله تعالى من الدعاء عليهم .

وقوله « قضي بينهم » معناه فصل بينهم الأمر على الحتم . والله تعالى يقضي بين الخصوم اي يفصل بينهم فصلا لا يرد « بالقسط » يعني بالعدل . والمقسط العادل والقاسط الجائر ، ومنه قوله « واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » (١) والأصل واحد ، والمقسط العادل الى الحق والقاسط العادل عن الحق .

وقوله « وهم لا يظلمون » انما نفى عنهم الظلم بعد ان وصف انه يقضي بينهم بالعدل ليكون العدل في جميع الاحوال من الابتداء الى الانتهاء ، لأنه كان يمكن

(١) سورة الجن آية ١٥

ان يكون العدل في اوله والظلم في آخره ، فنفي بذلك نفياً عاماً ليخلص العدل في كل احوالهم .

قوله تعالى

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤٨) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن الكفار والذين تقدم وصفهم انهم « يقولون متى هذا الوعد » الذي تعدونا به من البعث والنشور والثواب والعقاب «ان كنتم صادقين » في كون ذلك . والقول كلام مضمن في ذكره بالحكاية وقد يكون كلام لا يعبر عنه ، فلا يكون له ذكر متضمن بالحكاية ، فلا يكون قولا ، لأنه انما يكون قولا من أجل تضمين ذكره بالحكاية .

و « متى » سؤال عن الزمان . و (اين) سؤال عن المكان ، وهما ظرفان يتصلان بالفعل من غير حرف اضافة تقول : متى يكون هذا ، ولا يجوز أن تقول ما يكون هذا على معنى الظرف ، ولكن فيم يكون هذا . والوعد خبر ما يعطي من الخير . والوعيد خبر ما يعطى من الشر هذا اذا فصل . فان اجمل وقع الوعد على الجميع . والصدق الاخبار عن الشيء على ما هو به .

قوله تعالى :

﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٤٩) آية بلا خلاف .

لما حكى الله تعالى عن الكفار استبطاءهم ما وعد الله ، وقولهم « متى هذا الوعد » امر الله نبيه (ص) ان يقول لهم على وجه الانكار عليهم اني « لا املك لنفسي ضراً ولا نفعاً » من الثواب والعقاب بل ذلك الى الله ، ولا املك الا ما ملكني الله فكيف املك لكم .

والملك هو القدرة على التصرف في الشيء على وجه ليس لأحد منعه منه فالانسان لا يملك الا ما ملكه الله ، لان له تعالى منعه منه . وقد يملك الطفل ومن لا عقل له من المجانين بالحكم .

والنفع هو اللذة او السرور او ما ادى اليها او الى واحد منها . والضرر الألم نفسه او الغم او ما ادى اليها او الى واحد منها .

وقوله « الا ما شاء الله » ان يملكني اياه من نفع او ضر فيمكنه مما جعل له اخذه او اوجب عليه تركه .

والاجل هو الوقت المضروب لوقوع امر ، كأجل الدين واجل البيع واجل الانسان واجل المسافر ، فأخبر تعالى انه اذا اتى اجل الموت الذي وقته الله لكل حي بحياة ، لا يتأخر ذلك ساعة ولا يتقدم على ما قدره الله تعالى .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٥٠) آية بلا خلاف

امر الله تعالى نبيه بهذه الآية ان يقول لهؤلاء الكفار الذين استبطأوا وعد الله « أرأيتم » اي اعلمتم ، لانها من رؤية القلب ، لانها دخلت على الجملة من الاستفهام « ان أتاكم عذابه » يعني عذاب الله . والعذاب الالم المستمر واصله الاستمرار ، ومنه

العذوبة لاستمرارها في الحلق « بياتاً» وهو اتيان الشيء ليلا يقال بيته تبييتاً وبياتاً وبات بيتوتة ، وفلان لا يستبيت اذا لم يكن له ما يبيت به . وجواب «ان» محذوف وتقدير الكلام أرايتم ماذا يستعجل المجرمون من العذاب ان اتاكم عذابه بياتاً او نهاراً ، ووقع « ان أتاكم » في وسط الكلام موقع الاعتراض .

ومعنى (ما) في قوله « ماذا » للانكار، لان يكون في العذاب شيء يستعجل به وجاء على صيغة الاستفهام ، لانه لا جواب لصاحبه يصح له .

وقال ابو جعفر (ع) هو عذاب ينزل في آخر الزمان على فسقة اهل القبلة. نعوذ بالله منه .

وقال الزجاج موضع (ماذا) رفع من وجهين: احدهما ـ ان يكون (ذا) بمعنى (الذي) والتقدير مالذي يستعجل منه المجرمون . ويجوز ان يكون (ماذا) اسما واحداً ، والمعنى اي شيء يستعجل منه . والهاء في قوله « منه » عائدة على العذاب ويجوز ان تكون عائدة على الاستعجال .

قوله تعالى :

﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (٥١) آية بلا خلاف

« أثم » دخلت الف الاستفهام على (ثم) ليدل على ان الجملة الثانية بعد الاولى مع ان للألف صدر الكلام . وقال الطبري معنى (ثم) - ههنا - هنالك ، وهذا غلط ، لان (ثم) بالفتح تكون بمعنى هنالك ، وهذه مضمومة فلا تكون الا للعطف.

والعامل في (اذا) يحتمل امرين :

احدهما - ان يكون « آمنتم به » على ان تكون (ما) صلة .

الثاني - ان يكون العامل (وقع) وتكون (ما) مسلطة على الجزاء . وانما جاز

ان يعمل الفعل الأول في الجزاء دون الثاني ولم يجز في (اذا) لئلا يختلط الشرط بجزائه وليس كذلك (اذا) لانها مضافة إلى الفعل الذي بعدها . والوقوع الحدوث . وقوله « الآن » مبني على الفتح ، لأن تعريفه كتعريف الحرف في الانتقال من معنى الى معنى . ومعناه عند سيبويه أنحن من هذا الوقت نفعل كذا ، وفتحت لالتقاء الساكنين وقال الفراء اصلها (آن) دخلت عليها الالف واللام وبنيت كالذين ، ودخول الالف واللام على الزوم لا يمكنه ، كما لا يمكن الذي .

ومعنى الآية أتأمنون حلول هذا العذاب بكم . ثم يقال لكم إذا وقع بكم العذاب وشاهدتموه الآن آمنتم به وكنتم به تستعجلون . وفائدتها الابانة عما يوجبه استعجال العذاب من التوبيخ عند وقوعه حين لا يمكن استدراك الامر فيه بعد أن كان ممكناً لصاحبه .

قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (٥٢) آية بلا خلاف .

قوله (ثم) عطف على الايمان الذي وقع في حال الالجاء اليه و «قيل » لهم بعد ذلك هذا القول على وجه التوبيخ والتقريع ، لانها ليست حال إستدراك لما فات . والمعنى انه يقال لهؤلاء الذين آمنوا حين نزل العذاب بهم . وقيل لهم الآن وقد استكبرتم « ذوقوا عذاب الخلد » يعني الدائم . ويقال لهم « هل تجزون » بهذا العقاب الا بما كنتم تكسبون من المعاصي .

والذوق طلب الطعم بالفم في الابتداء ، شبهوا بالذائق لانه أشد احساساً . وقيل لانهم يتجرعون العذاب بدخوله اجوافهم .

قوله تعالى:

﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (٥٣) آية بلا خلاف.

معنى « ويستنبؤنك » يستخبرونك أي يطلبون النبأ الذي هو الخبر « أحق هو » يعني هذا الوعيد الذي ذكره الله في هذه الآية الاولى، فقال الله لنبيه « قل اي وربي » اي نعم وحق الله انه لحق. والحق في الدين ما شهدت به الادلة الموجبة للعلم او اقتضاه غالب الظن فيما طريقه الظن.

وقوله « وما انتم بمعجزين » اي لستم تقدرون على اعجاز الله عما يريده من انزال العذاب بكم.

قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٥٤) آية بلا خلاف.

اخبر الله على وجه التعظيم لهذا العذاب وشدته بأنه لو كان لمن ظلم بارتكاب المعاصي « ما في الارض » من الاموال « لافتدت به » من هول ما يلحقه من العذاب وفتحت (ان) بعد (لو) لانها مبنية على ما هو بمنزلة العامل لاختصاصها بالفعل. والتقدير لو كان ان لكل نفس إلا انه لا يظهر المعنى عن اظهاره بطلب (ان) له. وجاز ان تقع (أن) بعد (لو) ولم يجز المصدر، لان فتحها يدل على اضمار العامل اللفظي وليس كذلك المصدر، لانه مما يعمل فيه الابتداء.

والافتداء ايقاع الشيء بدل غيره لدفع المكروه يقال: فداه يفديه فدية وفداء وافتداه افتداء ، وفاداه مفاداة وتفادى تفادياً، وفداه تفدّية .

وقوله « واسروا الندامة لما رأوا العذاب » اي اخفوا الندامة . وقيل «واسروا الندامة » رؤساء الضلالة من الاتباع والسفلة . وقيل « اسروا الندامة » اي اخلصوها.

والندامة الحسرة على ما كان يتمنى انه لم يكن وهي حالة معقولة يتأسف صاحبها على ما وقع منه ويود انه لم يكن اوقعه . وقال ابو عبيدة : « اسروا » معناه أظهروا قال الازهري هذا غلط إنما يكون بمعنى الاظهار ما كان بالشين المنقطة من فوق . وقوله « وقضي بينهم بالقسط » اي فصل بينهم بالعدل « وهم لا يظلمون » في القضاء والحكم بينهم وما يفعل بهم من العقاب ، لانهم جروه على انفسهم بارتكاب المعاصي .

وروي انه قيل لرسول الله(ص) ما يغنيهم اسرار الندامة وهم في النار ؟ . قال : (يكرهون شماتة الاعداء) . وروى مثله عن ابي عبد الله (ع) .

قوله تعالى :

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥٥) آيه بلا خلاف .

« ألا كلمة تستعمل في التنبيه وأصلها (لا) دخلت عليها حرف الاستفهام تقريراً وتأكيداً، فصارت تنبيهاً وكسرت (ان) بعد (الا) لان (ألا) تستأنف ما بعدها لينبه بها على معنى الابتداء . ولذلك وقع بعدها الامر والدعاء كقول امرىء القيس :

ألا انعم صباحاً ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي(١)

ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها أحد أمرين :

(١) ديوانه ١٥٨ وهو مطلع قصيدة له مشهورة .

أحدهما ـ للاثبات بعد النفي لان ما قبلها تقديره ليس للظالم ما يفتدي به بل جميع الملك لله تعالى .

الثاني ـ ان يكون معناه من يملك السموات والارض يقدر على ايقاع ما توعد به.

والسموات جمع سماء وهو مأخوذ من السمو الذى هو العلو ، وهي المزينة بالكواكب وهي سقف الأرض ، وهي طبقات كما قال سبع سموات طباقاً . وجمعت السموات ، ووحدت الأرض في جميع القرآن لان طبقاتها السبع خفية عن الحس وليس كذلك السموات .

وقوله « الا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون » صحة ذلك لجهلهم به تعالى وبما يجوز عليه وما لا يجوز وجهلهم بصحة ما أتى به النبي (ص)

قوله تعالى :

﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٥٦) آية بلا خلاف .

في هذه الآية اخبار منه تعالى ان الذي يملك التصرف في السموات والارض هو الذي يحيي الخلق بعد كونهم امواتاً وهو الذي يميتهم اذا كانوا احياء . ثم يرجعون اليه يوم القيامة فيجازيهم بمثل اعمالهم إن كانوا مطيعين بالثواب الدائم ، وان كانوا كفاراً بالعقاب الدائم . قال ابو علي : في هذه الآية دلالة على انه لا يقدر على الحياة الا الله لانه تعالى تمدح بكونه قادراً على الاحياء والاماتة ، فلو كان غيره قادراً على الحياة لما كان في ذلك مدح . وفيها دلالة على كونه قادراً على الاعادة لان من قدر على النشأة الاولى يقدر على النشأة الثانية .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي

الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥٧) آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى للمكلفين من الناس يخبرهم الله تعالى بأنه أتاهم موعظة من الله . والموعظة ما يدعو الى الصلاح ويزجر عن القبيح بما يتضمنه من الرغبة والرهبة ويدعو الى الخشوع والنسك ويصرف عن الفسوق والاثم ، ويريد بذلك القرآن وما أتى به النبي (ص) من الشريعة .

وقوله « وشفاء لما في الصدور » فالشفاء معنى كالدواء لازالة الداء فداء الجهل أضر من داء البدن وعلاجه أعسر وأطباؤه اقل والشفاء منه اجل . والصدور جمع صدر وهو موضع القلب ، وهو أجل موضع في الحي لشرف القلب .

وقوله « وهدى ورحمة للمؤمنين » وصف القرآن بأنه يقال عما يؤدي الى الحق ودلالة تؤدي الى المعرفة ونعمة على المحتاج ، لأنه لا يقال للملك اذا اهدى الى ملك آخر جوهرة انه قد رحمه بذلك وان كانت نعمة يجب بها شكره ومكافأته . وانما أضافه الى المؤمنين لانهم الذين انتفعوا به دون الكفار الذين لم ينتفعوا به ، كما قال « هدى للمتقين » وان كان هدى لغيرهم .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨) آية بلا خلاف .

قرا الحسن « فلتفرحوا » بالتاء . وبه قرأ ابو جعفر المدني ورويس . وروي ذلك عن ابي ابن كعب . الباقون بالياء . وكان الكسائي يعيب القراءة بالتاء وأجازها الفراء واحتج بقولهم : لتأخذوا مصافكم . واللام في قوله « فليفرحوا » لام الامر وانما احتيج اليها ليؤمر الغائب بها . وقد يجوز أن يقع في الخطاب للتصرف في الكلام .

وقرأ ابو جعفر وابن عامر ورويس «تجمعون» بالتاء. الباقون بالياء. قال ابو علي: الجار في قوله «فبذلك» يتعلق بقوله «فليفرحوا» لان هذا الفعل يصل به قال الشاعر:

فرحت بما قد كان من سيديكما (١)

والفاء في قوله «فبذلك فليفرحوا» زائدة لان المعنى فافرحوا بذلك ومثله قول الشاعر:

فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي (٢)

فالفاء في قوله فاجزعي زيادة مثل التي في «فليفرحوا» وقال الفراء: «فبذلك» بدل من قوله «بفضل الله وبرحمته»

ومن قرأ بالياء جعله أمراً للغائب، واللام انما تدخل على فعل الغائب لان المواجهة استغني فيها عن اللام بقولهم: (افعل) فصار مشبهاً للماضي في قوله (يدع) الذي استغني عنه بـ (ترك)، ولو قلت بالتاء لكنت مستعملا لما هو كالمرفوض، وان كان الاصل. ولا يرجح القراءة بالتاء، لكونها هي الاصل لانه اصل مرفوض.

ومن قرأ بالتاء اعتبر الخطاب الذي قبله من قوله «قد جاءتكم موعظة ... فلتفرحوا» وزعموا أنها في قراءة ابيّ فافرحوا، قال ابو الحسن: وزعموا انها لغة وهي قليلة بمعنى لتضرب، وانت تخاطب.

فان قيل كيف جاء الامر للمؤمنين بالفرح، وقد ذم الله ذلك في مواضع من

---

(١) قائلة زهير ابن ابي سلمى ديوانه: ١٠٩ وروايته

فرحت بما خبرت من سيديكما وكانا امرأين كل شأنهما يعلوا

(٢) قد مر في ٥: ٢٠٤

القرآن كقوله « ان الله لا يحب الفرحين » (١) وقال « انه لفرح فخور » (٢) وغير ذلك؟ .

قيل : اكثر ما جاء مقترناً بالذم من ذلك ما كان مطلقاً ، فاذا قيد لم يكن ذماً كقوله « يرزقون فرحين » وفي الآية مقيد بذلك فأما قوله « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله » (٣) فانه مقيد ومع ذلك ، فهو مذموم لكنه مقيد بما يقتضي الذم، كما جاء مقيداً بما لا يقتضي الذم ، فمطلقه يقتضي الذم ، ومقيده بحسب ما يقيد به ، فان قيد بما يقتضي الذم أفاد الذم وان قيد بما يقتضي المدح افاد المدح. فاما قوله « فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم » (٤) وقوله « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله» (٥) والفرح بنصر الله للمؤمنين محمود ، كما ان القعود عن رسول الله بالتقييد في الموضعين مذموم

امر الله تعالى نبيه (ص) ان يقول للمكلفين افرحوا بفضل الله ، وهو زيادة نعمه وانما جاز ان يقول : فضل الله، وانما هو من افضال الله، لانه في موضع افضال الله، كما ان النبات في موضع انبات في قوله « انبتكم من الارض نباتاً » (٦) وايضاً فان اضافة الفضل الى الله بمعنى الملك كما يضاف العبد اليه بمعنى انه مالك له .

والفرح لذة في القلب بادراك ما تحب وان شئت قلت هو لذة في القلب بنيل المشتهى، وقد حسنه الله في هذه الآية ، فدل على انه لا يحب الفرحين بمعنى البطرين.

وقوله « هو خير مما يجمعون » قيل فضل الله هو القرآن ، ورحمته هو الاسلام « خير مما يجمعون » من الذهب والفضة . ذكره ابن عباس وابو سعيد الخدري

---

(١) سورة القصص آية ٧٦ (٢) سورة هود آية ١٠
(٣) سورة التوبة آية ٨٢ (٤) سورة المؤمن آية ٨٣
(٥) الروم آية ٤ — ٥ (٦) سورة نوح آية ١٧

والحسن وقتادة ومجاهد .

ومن قرأ بالياء عنى به المخاطبين ، والغيب ، غير انه غلب الغيب على المخاطبين ، كما غلب التذكير على التأنيث ، فكأنه اراد المؤمنين وغيرهم .

ومن قرأ بالتاء كان المعنى فافرحوا بذلك ايها المؤمنون اي افرحوا بفضل الله ، فان ما آتاكموه من الموعظة شفاء ما في الصدور خير مما يجمع غيركم من اعراض الدنيا .

وقال ابو جعفر (ع) « بفضل الله » يعني الاقرار برسول الله و « برحمته » الايمان بعلي (ع) « خير مما » يجمع هؤلاء من الذهب والفضة .

واذا حملت الآية على عمومها كان هذا ايضاً داخلا فيها .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (٥٩) آية بلا خلاف .

قال الحسن : المعني بهذه الآية مشركوا العرب قال الله لهم « أرأيتم ما انزل الله لكم من رزق » ان ارزاق العباد من المطر الذي ينزله الله « فجعلتم منه حراماً وحلالا » يعني ما حرموا من السائبة والوصيلة والحام ، وما حرموا من زروعهم . قل يا محمد لهم « آلله اذن لكم أم على الله تفترون » معناه انه لم يأذن لكم في شيء من ذلك بل انتم تكذبون في ذلك على الله .

واستدل قوم بذلك على ان القياس في الاحكام لا يجوز .

قال الزجاج (ما) في قوله « ما انزل الله » في موضع نصب بـ (انزل) والمعنى انكم جعلتم البحائر والسوائب حراماً ، والله تعالى لم يحرم ذلك وتكون (ما) بمعنى

الاستفهام . ويحتمل ان تكون (ما) بمعنى الذي وتكون نصباً بـ (أرأيتم) . والرزق منسوب كله الى الله لأنه لا سبيل للعبد اليه الا باطلاقه بفعله له او إذنه فيه اما عقلا او سمعاً . ولا يكون الشيء رزقاً بمجرد التمكين لانه لو كان كذلك لكان الحرام رزقاً ، لان الله مكّن منه .

قال الرماني : التحريم عقد بمعنى النهي عن الفعل والتحليل حل معنى النهى بالاذن .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾(٦٠)

آية بلا خلاف .

المعنى اي شيء يظن الذين يكذبون على الله انه يصيبهم يوم القيامة على افترائهم على الله ،اى لا ينبغي ان يظنوا ان يصيبهم على ذلك الا العذاب والعقاب ، وجعل ذلك زجراً عن الكذب على الله . ثم اخبر تعالى « ان الله لذو فضل على الناس » بما فعل بهم من ضروب النعم « ولكن اكثرهم لا يشكرون » نعمه ولا يعترفون به ويجحدونه ، وهذا خرج مخرج التقريع على افتراء الكذب ، وان كان بصورة الاستفهام وتقديره أيؤديهم الى خيرام شر؟ . وافتراء الكذب الخش من فعل الكذب بتزويره وتمويهه فالزاجر عنه اشد .

وقيل معنى قوله « لذو فضل على الناس » اى لم يضيق عليهم بالتحريم لما لا مصلحة لهم في تحريمه كما ادعيتم عليه .

وقيل : معناه انه لذو فضل على خلقه بتركه معاجلة الكذاب بالعقوبة في الدنيا ،

وامهاله اياه الى يوم القيامة .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٦١) آية بلا خلاف .

القراءة والحجة والاعراب :

قرأ الكسائى « يعزب » بكسر الزاي هنا وفي سبأ . الباقون بضمها ، وهما لغتان . وان كان الضم أفصح واكثر . وقرأ حمزة وخلف ويعقوب « ولا اصغر .... ولا اكبر » بالرفع فيهما . الباقون بفتحهما .

فمن فتح الراء فلأن (افعل) في الموضعين في موضع جر ، لأنه صفة المجرور الذي هو قوله « مثقال ذرة » وانما فتح ، لأن (افعل) اذا اتصل به متنكر كان صفة لا تنصرف في النكرة . ومن رفعه حمله على موضع الموصوف ، لأن الموصوف الذي هو « من مثقال ذرة » الجار والمجرور فى موضع رفع ، كما كانا في موضعه في قوله « كفي بالله » (١) ومثل قوله « من آله غيره » (٢) فمن رفع يجوز ان يكون صفة بمنزلة (مثل) ويجوز ان يكون استثناء كما تقول : مالكم من إله الا الله .

(١) سورة النساء آية ٥ ، ٤٤ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٣١ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ويونس: ٢٩ ، والرعد : ٤٥ ، والاسرى: ٩٦ ، والعنكبوت : ٥٢ ، والاحزاب : ٣ ، ٤٨ ، والفتح: ٢٨

(٢) سورة هود آية ٥٠ ، ٦١ ، ٨٣ والمؤمنون : ٢٣ ، ٣٢

ومثله « فاصدّق واكن من » (١) وغير ذلك . ويجوز ان يعطف قوله « ولا اصغر » على « ذرة » فيكون التقدير وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا مثقال اصغر ، فعلى هذا لا يجوز الا الجر ، لانه لا موضع للذرة غير لفظها ، كما كان لقولك من مثقال ذرة موضع غير لفظه، ولا يجوز على قراءة حمزة ان يكون معطوفاً على (ذرة) كما جاز في قول الباقين ، لأنه اذا عطف على (ذرة) وجب ان يكون اصغر مجروراً ، وانما فتح ، لأنه لا ينصرف وكذلك يكون على قول من عطفه على الجار الذي هو (من)

اللغة والمعنى :

معنى قوله « وما تكون في شأن » ليس تكون في حال من الاحوال، لان الشأن والبال والحال نظائر وجمعه شؤن . والشأن معنى مفخم على طريق الجملة يقال : ما شأنك وما حالك وما بالك .

وقوله « وما تتلومنه من قرآن » اي ليس تتلو من القرآن فتكون الهاء كناية عن القرآن قبل الذكر لتفخيم ذكر القرآن، كما قال « انه انا الله العزيز الحكيم » (٢) ويحتمل ان تكون الهاء عائدة على الشأن وتقديره وما يكون من الشأن .

وقوله « وما تعملون من عمل الا كنا عليكم شهوداً » اي ليس يخفى على الله شيء من اعمالكم بل يعلمها كلها ويشهدها .

والمشاهدة الادراك بالحاسة . والمشاهد المدرك بحاسة اي ذات يعني عن حاسة يقال : شاهد ومشهود وشهداء .

وقوله « اذ تفيضون فيه » فالافاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه ، وهو الانبساط اليه في العمل مأخوذ من فيض الاناء اذا انصب من جوانبه .

---

(١) سورة المنافقين آية ١٠ (٢) سورة النمل آية ٩

ومنه قوله « افضتم في عرفات » (١) اي تفرقتم كتفرق الماء الذي ينصب من الاناء . ومثله أفاض الماء عليه وافاض في الحديث .

وقوله « وما يعزب عن ربك » فالعزوب الذهاب عن المعلوم وضده حضور المعنى للنفس . وتعزّب اذا انفرد عن اهله .

رقال ابن عباس معنى لا يعزب لا يغيب .

وقوله « من مثقال ذرة » فالذر صغار النمل واحده ذرّة ، وهو خفيف الوزن جدا . ومعنى مثقال ذرة وزن ذرة يقال : خذ هذا فانه أخف مثقالا اي اخف وزناً .

وقوله « ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين » معناه لا يخفى عليه ما وزنه مثقال ذرة ولا ما هو اصغر منها ولا ما هو اكبر الا وقد بينه في الكتاب المحفوظ وكتبته ملائكته وحفظوه .

قوله تعالى

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢)

آية بلا خلاف

بين الله تعالى في هذه الآية أن اولياءه لا خوف عليهم يوم القيامة من العقاب « ولاهم يحزنون » اي ولا يحانون . وقال ابن عباس وسعيد بن جبير : هم قوم ذكرهم الله بما هم عليه من سيماء الخير والاخبات . وقال ابن زيد : هم الذين آمنوا و كانوا يتقون . وقد بينهم في الآية بعدها . وقال قوم: هم المتحابون في الله ،ذكر ذلك في خبر مرفوع .

والاولياء جمع ولي وهو الذي يستحق من الله ان يوليه ثوابه وكرامته ، وهو

(١) سورة البقرة آية ١٩٨ .

المطيع لله الذي يتولى اجلاله واعظامه . وقيل الولي النصير ولا يسمى المتولي الانعام على غيره انه وليه ، لانه قد يتولى الانعام عليه للمظـــاهرة بالجميل في امره واستصلاحه الذي يصرف عن القبيح، وان كان عدوه . ولا يجتمع الولاية والعداوة .

والخوف انزعاج القلب لما يتوقع من المكروه . والخوف والفزع والجزع نظائر وضده الامن . والحزن غلظ الهم مأخوذ من الحزن ، وهي الارض الغليظة وضده السرور .

وقال الجبائي هذه الآية تدل على ان المؤمنين المستحقين للثواب لا يخافون يوم القيامه اصلا بخلاف ما يقول قوم انهم يخافون الى ان يجوزوا الصراط . وقال البلخي ليس يمتنع ان يخافوا من اهوال يوم القيامة وان علموا ان مصيرهم الى الجنة والثواب .

وعلى ما نذهب اليه من انه يجوز ان يعاقب الله بعض الفساق . ثم يردهم الى الثواب ينبغي ان تكون الآية مخصوصة بمن لا يستحق العقاب أصلا . او نقول المراد بذلك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لذلك . وروي عن الحسين (ع) انهم ادّوا فرائض الله واخذوا بسنن رسول الله وتورعوا عن محارم الله وزهدوا في عاجل زهرة الدنيا ، ورغبوا فيما عند الله واكتسبوا الطيب من الرزق لمعائشهم لا يريدون به التفاخر والتكاثر . ثم انفقوه فيما يلزمهم من حقوق واجبة فاولئك الذين يبارك الله لهم فيما اكتسبوا ويثابون على ما قدموا منه لآخرتهم .

قوله تعالى

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (٦٣) آية بلا خلاف .

يحتمل موضع الذين ثلاثة أوجه من الاعراب :

احدها ـ ان يكون نصباً بأن يكون صفة للأولياء .

الثاني ـ ان يكون رفعاً على المدح .

الثالث ـ ان يكون رفعاً بالابتداء وخبره « لهم البشرى »

اخبر الله تعالى ان الذين آمنوا هم الذين يصدقون بالله ويعترفون بوحدانيته وهم مع ذلك يتقون معاصيه .

والفرق بين الايمان والتقوى ان التقوى مضمن باتقاء المعاصي مع منازعة النفس اليها والايمان من الأمن بالعمل من عائد الضرر .

والفرق بين الايمان بالله والطاعة له ان الطاعة من الانطياع بجاذب الأمر والارادة المرغبة في الفعل . والايمان هو الامن المنافي لانزعاج القلب .

وقوله « يتقون » فالاتقاء اصله من (وقيت) فقلبت الواو ، وادغمت في ياء الافتعال كما قلبت في نجاة وتراث .

قوله تعالى :

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٦٤) آية بلا خلاف .

ذكر الله تعالى ان الذين وصفهم في الآية الاولى من انهم يؤمنون بالله ويتقون معاصيه « لهم البشرى » وهي الخبر بما يظهر سروره في بشرة الوجه . والبشرى والبشارة واحد .

وقوله في الحياة الدنيا قيل فيه ثلاثة اقوال :

احدها ـ قال قتادة والزهري والضحاك والجبائي هو بشارة الملائكة (ع) انها الرؤيا الصادقة الصالحة يراها الرجل او يرى له .

وقال ابو جعفر (ع) البشرى في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او يرى له في الآخرة الجنة .

الثالث بشرى القرآن بصفة الايمان ذكره الفراء والزجاج وغيرهما .

وقوله « لا تبديل لكلمات الله » معناه لا خلف لما وعد الله تعالى من الثواب بوضع كلمة اخرى مكانها بدلا منها ، لانها حق والحق لا خلف له بوجه .

وقوله « ذلك هو الفوز العظيم » اشارة الى هذه البشرى المتقدمة بأنه الفوز الذي يصغر كل شيء في جنبه .

قوله تعالى :

﴿ ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم ﴾ (٦٥) آية بلا خلاف .

ظاهر قوله « ولا يحزنك قولهم » ظاهره النهي والمراد به التسلية للنبي (ص) عن قولهم الذى يؤذونه به والنهي في اللفظ القول . وانما هو عن السبيل المؤدي الى التأذي بالقول . ومثله لا اراك ههنا والمعنى لا تكن ههنا فمن كان ههنا رأيته ، فكذلك المراد بالآية لا تعبأ بالأذى فيمن عني به اذاه .

وقوله « ان العزة لله جميعا » كسرت (ان) بالاستئناف بالتذكير لما ينفي الحزن لا انها مفعول القول ، لانها ليست حكاية عنهم ، لانهم لم يقولوا ان العزة لله . ولا يجوز نصبها على ان تكون معمول القول لانهم لو قالوه لما احزن ذلك النبي (ص) ولو فتحت (ان) على معنى (لان) جاز .

والعزة القدرة على كل جبار بالقهر بأن لا يرام ولا يضام : عز يعز عزا فهو عزيز . والمعنى انه الذي يعزك وينصرك حتى تصير اعز ممن ناواك .

وقوله « هو السميع العليم » معناه انه يسمع قولهم ويعلم ضميرهم فيجازيهم بما تقتضيه حالهم ويدفع عنك شرهم .

قوله تعالى :

﴿ ألا إنَّ لِلّهِ مَنْ فِي السَّمٰوٰاتِ وَمَنْ فِي الأرضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ إنْ يَتَّبِعُونَ إلّا الظَّنَّ وإنْ هُمْ إلّا يَخْرُصُونَ ﴾ (٦٦) آية بلا خلاف .

قد بينا فيما مضى ان اصل (ألا) (لا) وانما دخلت عليها حرف الاستفهام تنبيهاً . والفرق بين (ألا) و(اما) أن (ألا) للاستقبال ولا تقع بعدها (إن) الا مكسورة . و(اما) تكون بمعنى حقاً كقولهم اما انه منطلق ، لأنها للحال ويجوز بعد (اما) كسر (ان) وفتحها .

لما سلى الله النبي (ص) فقال « لا يحزنك » قول هؤلاء الكفار فـ « ان العزة لله » يعني القدرة والقهر فانهم لا يفوتونه ، بين بعد ذلك ما يدل عليه وينبه على صحته وهو أن له تعالى « من في السموات ومن في الأرض » يعني العقلاء . واذا كان له ملك العقلاء فما عداهم تابع لهم ، ووجب ان يكون ملكاً له . وانما خص العقلاء تعظيما للامر .

وقوله « وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء » تحتمل (ما) في قوله « وما يتبع » وجهين :

احدهما - ان تكون بمعنى (أي) كأنه قال واي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء، تقبيحاً لفعلهم .

الثاني - ان تكون نافية ، وتقديره وما يتبعون شركاء في الحقيقة والمعرفة .

وقوله « ان يتبعون الا الظن » معناه ليس يتبعون في اتخاذهم مع الله شركاء الا الظن لتقليدهم اسلافهم في ذلك او لشبهة دخلت عليهم بأنهم يتقربون بذلك الى الله

تعالى وبين بعد ذلك انهم ليسوا الا كاذبين بهذا القول والاعتقاد في قوله « ان هم الا يخرصون » .

وفائدة الآية الابانة عن انه يجب اخلاص العبادة لمن يملك السموات والارض وان لا يشرك معه في العبادة غيره .

قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (٦٧) آية بلا خلاف .

بين الله تعالى في هذه الآية ان الذي يملك من في السموات ومن في الارض « هو الذي جعل الليل » اي خلقه « لتسكنوا فيه » اي خلقه وعرضه لتسكنوا فيه ، وانه بالسكون فيه ولاجل ذلك خلقه لنزول التعب الكلال وجعل « النهار مبصراً » وانما يبصر فيه تشبيهاً ومجازاً واستعارة في صفة الشيء بسببه على وجه المبالغة ومثله قول جرير :

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم (١)

وقال روبة :

ونام ليلي وتجلى همي (٢)

والفرق بين الجعل والفعل ان جعل الشيء قد يكون باحداث غيره كجعل الطين خزفاً ولا يكون فعله إلا باحداثه . والفرق بين الجعل والتغيير أن تغيير الشيء لا يكون الا بتصييره على خلاف ما كان ، وجعله يكون بتصييره على مثل ما كان كجعل الانسان نفسه ساكتاً على استدامة الحال .

---

(١) ديوانه (نشر الصاوى) ٥٤٤ و (الطبعة الاولى) : ١٢٨ وتفسير الطبرى (الطبعة الاولى) ١١ : ٨٩ ومجاز القرآن ١ : ٢٧٩ ومجمع البيان م: ١٢١

(٢) ديوانه : ١٤٣ ومجاز القرآن ١ : ٢٧٩ ، ومجمع البيان ٣ : ١٢١

وقوله « ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون » اخبار منه تعالى وتنبيه على ان هذا الجعل لا يقدر عليه الا الله تعالى ، وانه لا يصح الا من عالم قاصد ، وانه نعمة على الخلق بما لهم في ذلك من النفع والصلاح ، وانه من الامور اللازمة الدائرة ، وانه منصوب للفكر لا يغيب عنه طرفة عين .

قوله تعالى :

﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (٦٨) آية بلا خلاف.

اضاف اتخاذ الولد اليه طائفتان :

احداهما - كفار قريش والعرب ، فانهم قالوا الملائكة بنات الله .

والاخرى - النصارى الذين قالوا : المسيح ابن الله ، فكذب الله الفريقين . ولا يجوز اتخاذ الولد على الله على وجه التبني ، كما لا يجوز عليه اتخاذ إله على التعظيم ، لانه لما استحال حقيقته عليه استحال مجازه المبني عليها .

وحقيقة الولد من ولد على فراشه او خلق من مائه ، ولذلك لا يقال : تبنى الشاب شيخاً ، ولا تبنى الانسان بهيمة لما كان ذلك مستحيلا ، وهذه الحقيقة مستحيلة فيه تعالى ، فاستحال مجازها أيضاً . واتخاذ الخليل جائز ، لان الخلة اصفاء المودة التي توجب الاطلاع على سره ثقة به . وان كان مشتقاً من الخلة - بفتح الخاء - فهو لافتقار اليه ، لان الخلة هي الحاجة . ويجوز ان يقال المسيح روح الله ، لان الارواح كلها ملك لله . وانما خص المسيح بالذكر تشريفاً له بهذا الذكر كما خص الكعبة بأنها بيت الله ، وان كانت الارض كلها لله تعالى .

وقوله « سبحانه هو الغني » تنزيه من الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد لكونه غير محتاج الى ذلك ، لأنه مالك ما في السماوات والارض .

وقوله « ان عندكم من سلطان بهذا » إخبار منه أنه ليس معهم هؤلاء الذين يتخذون مع الله ولداً برهان ولا حجة ، لأن السلطان هو البرهان الظاهر ، ووبخهم على قولهم ذلك فقال « اتقولون على الله ما لا تعلمون » لأن من أقدم على الاخبار عما لا يعلم صحته ولا يأمن كونه كذباً مقبح عند العقلاء .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (٧٠) آيتان عند الجميع .

قوله « لا يفلحون » وقف تام . أمر الله تعالى نبيه (ص) ان يقول للمكلفين « إن الذين » يكذبون على الله باتخاذ الولد وغير ذلك « لا يفلحون » اي لا يفوزون بشيء من الثواب .

وكسرت (إن) بعد القول ، لانها حكاية لما يستأنف الاخبار به ولذلك دخلت لام الابتداء في الخبر ، لانها تؤذن بأنه موضع ابتداء .

والكذب يتعاظم الاثم عليه بحسب تعاظم الضرر به وكثرة الزواجر عنه ، فالكذب على الله أعظم لكثرة الزواجر عنه لما فيه من تضييع حق المنعم بأجل النعم .

وقوله « متاع في الدنيا » رفع بأنه خبر الابتداء . وتقديره ذلك متاع أو هو متاع . ويجوز أن يكون على تقدير لهم متاع . وإنما خص بالدنيا لقلة ما يغتر به . والمتاع ما يقع به الانتفاع من أثاث أو غيره . والانتفاع حصول الالتذاذ . وانما جاز أن

يمتعوا في الدنيا دون الآخرة ، لان الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء ، ولذلك كان التكليف في الدنيا دون الآخرة .

وقوله « ثم الينا مرجعهم » فالمرجع المصير الى الشيء بعد الذهاب عنه ، فهؤلاء ابتدأهم الله ثم يصيرون الى الهلاك بالموت . ثم يرجعون بالانشاء ثانية .

وقوله «ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون» معناه انا لا نقتصر على بعثهم بعد موتهم بل نوصل اليهم العذاب الشديد وننزله بهم جزاء بما كانوا يكفرون في دار الدنيا .

قوله تعالى :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴾ (٧١) آيه بلا خلاف .

قرا نافع في رواية الأصمعي عنه « فاجمعوا » من جمع . الباقون بقطع الهمزة. وقرأ يعقوب « وشركاؤكم » بالرفع الباقون بالنصب . قال أبوعلي: ما رواه الأصمعي عن نافع من وصل الهمزة من جمعت،والاكثر في الامر يقال أجمعت ، كقوله « وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم »(١) وكما قال الشاعر :

* هل اغدون يوماً وأمري مجمع * (٢)

اي مغد ويمكن أن يكون المراد ، واجمعوا ذوي الأمر منكم أي رؤساءكم

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٢ (٢) تفسير الطبري ١١: ٩٠ والقرطبي ٨ : ٣٦٢ وصدره :

ياليت شعري والمنى لا تنفع

ووجوهكم ، كما قال « وأولى الأمر منهم » (١) فحذف المضاف وأجرى على المضاف اليه ما كان يجرى على المضاف لو ثبت . ويجوز أن يكون جعل الامر ما كانوا يجمعونه من كيدهم ثم الذين يكيدونه به . فيكون بمنزلة قوله « فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفاً . » على أن أبا الحسن يزعم أن وصل الألف في « وأجمعوا امركم وشركاءكم » اكثر في كلام العرب . قال وانما يقطعون الهمزة إذا قالوا أجمعوا على كذا وكذا ، قال والقراءة بالقطع غريبة . ومن وصل الهمزة حمل الشركاء على هذا الفعل الظاهر لانك جمعت الشركاء وجمعت القوم ، وعلى هذا قال « ذلك يوم مجموع له الناس » (٢) ومن قطع الهمزة أضمر للشركاء فعلا آخر كأنه قال فاجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم أو ادعوا شركاءكم قال الشاعر :

* علفتها تبناً وماء بارداً * (٣)

وقال آخر

* شراب البان وتمر واقط *

وفي قراءة أبي « وادعوا شركاءكم » ويجوز أن يكون انتصاب الشركاء على انه مفعول معه ، وهو قول الزجاج ، كما قالوا استوى الماء والخشبة . وجاء البرد والطيالسة . وقالوا لو ترك الفصيل وأمه لرضع من لبنها .

ومن رفع « وشركاءكم » كيعقوب والحسن حمله على الضمير ، وتقديره فاجمعوا أنتم وشركاؤكم . قال الزجاج وحسن ذلك لدخول المنصوب بينهما ولو لم يدخل لما حسن . ولا يجوز أن تقول اجمعوا وشركاؤكم . وانما يجوز العطف على الضمير اذا اكد .

---

(١) سورة النساء آية ٨٢ . (٢) سورة هود آية ١٠٤

(٣) تاويل مشكل القرآن ١٦٥ وامالى المرتضى ٢ : ١٧٠ واللسان (علف) وشواهد المغنى : ٣١٤ وألفية بن عقيل ٥٠٤ الشاهد ١٦٦

وزعم ابو الحسن أن قوماً يقيسون هذا الباب . وقوماً يقصرونه على ما سمع . قال ابو علي الفارسي والاول عندي أقيس .

امر الله تعالى نبيه (ص) أن يقرأ على هؤلاء الكفار أخبار نوح (ع) حين « قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي » بين أظهركم « وتذكري » اياكم « بايات الله » وحججه وهممتم بقتلي واذاي فافعلوا ما بدا لكم فاني على الله توكلت . وإنما جعل جواب الشرط « فعلى الله توكلت » مع انه متوكل عليه في جميع احواله ليبين لهم أنه متوكل في هذا على التفصيل لما في إعلامه ذلك من زجرهم عنه لان الله تعالى يكفيه امرهم .

والتوكل والتعمد جعل الامر الى من يدبره للثقة به في تدبيره فمن فوض أمره الى الله ، فقد توكل عليه .

وقوله « ثم لا يكن أمركم عليكم غمة » معناه ليكن امركم ظاهراً مكشوفاً ولا يكونن مغطى مستوراً من غممت الشيء اذا سترته ، فالغمة ضيق الامر الذي يوجب الحزن ، والغمة والضغطة والكربة والشدة نظائر ، ونقيضه الفرجة . وقيل (غمة) معناه مغطى تغطية حيرة مأخوذة من غم الهلال .

وقوله « فاجمعوا امركم وشركاءكم » فيه تهديد . وقوله « ثم اقضوا الي ولا تنظرون » معناه افعلوا ما تريدون على وجه التهديد لهم ، وانه اذا كان الله ناصره وعليه توكله فلا يبالي بمن عاداه واراد به السوء فان الله يكفيه امره . وقرئ بالفاء ومعناهما متقاربان ، ولان معنى اقضوا توجهوا الي . وقال ابن الانباري معنى « اقضو » امضوا يقال قضى فلان إذا مات ومضى . ومعنى « ولا تنظرون » ولا تؤخرون .

قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى

اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٧٢) آية بلا خلاف .

يقول الله تعالى لنبيه (ص) تمام ما حكاه عن نوح انه قال لقومه إن « توليتم » اي هربتم عن الحق واتباعه ولم تقبلوه ولم تنظروا فيه. والتولي والاعراض والانصراف نظائر .

وقوله « فما سألتكم من اجر » اي لا اطلب منكم اجراً على ما اؤديه اليكم من الله فيثقل ذلك عليكم . والاجر النفع المستحق بالعمل . والاجرة مظمنة بشريطة او بمجرى عادة .

وقوله « ان اجري الا على الله » اي ليس اجري في القيام باداء الرسالة الا على الله .

وقوله « وامرت ان اكون من المسلمين » معناه قل لهم امرني الله بأن اكون من المسلمين لأمر الله بطاعته ثقة بأنها خير ما يكسبه العباد .

قوله تعالى:

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ (٧٣) آية بلا خلاف .

لما حكى الله تعالى ما قال نوح لقومه في الآيتين الاوليتين ذكر ماكان من قومه في مقابلة ذلك وهو انهم كذبوه اي نسبوه الى الكذب فيما ذكره من انه نبي الله وان الله بعثه اليهم ليدعوهم الى طاعته ، وانه تعالى عند ذلك نجا نوحاً اي خلصه ، وخلص الذين معه في السفينة وجعلهم خلائف معه ، انه جعل الذين نجوا مع نوح لمن هلك بالغرق عبرة . وقيل انهم كانوا ثمانين نفساً .

وقال البلخي يجوز ان يكون اراد به جعل منهم رؤساء في الارض واهلك باقي اهل الارض اجمع لتكذيبهم لنوح .

والغرق الاهلاك بالماء الغامر، وقد يغرق الحصاة بالماء على هذا المعنى . واما التغريق في رحمة الله ، فانما هو تشبيه بما اكتنفه الماء الغامر . ثم قال لنبيه (ص) «انظر كيف كان عاقبة الذين» خوفوا بالله وعذابه فلم يخافوه كيف اهلكهم الله ليعلمهم بذلك ان حكم هؤلاء الذين كذبوه وجحدوا نبوته حكم اولئك في الله يهلكهم ويدمر عليهم، يسليه بذلك عن ترك انقيادهم له .

قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٧٤) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه بعث رسلا - بعد نوح وإهلاك قومه - إلى قومهم الذين كانوا فيهم بعد ان تناسلوا وكثروا فأتوهم بالحجج والمعجزات الدالة على صدقهم وانهم مع ذلك « ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل» ويحتمل ذلك امرين :

احدهما - انهم لم يكونوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل : من توحيد الله وتصديق انبيائه .

والثاني - قال البلخي ما كانوا ليؤمنوا بالحجج والبينات بعد اتيان الانبياء بها بما كذبوا به من قبل يخبر عن عنادهم وعتوهم .

وقال « كذلك نطبع على قلوب المعتدين » معناه إنا جعلنا على قلوب هؤلاء الكفار سمة وعلامة على كفرهم يلزمهم الذم بها ، وتعرفهم بها وإنا مثل ذلك نفعل بقلوب المعتدين . وليس المراد بالطبع في الآية المنع من الايمان ، لان مع المنع من الايمان لا يحسن تكليف الايمان .

والطبع جعل الشيء على صفة غيره بمعنى فيه . والمعتدون هم الظالمون لنفوسهم الذين تعدّوا حدود الله .

قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ (٧٥) آية بلا خلاف .

هذا اخبار من الله تعالى انه ـ بعد ارسال من أرسل من الانبياء بعد نوح واهلاك قومه وما ذكره من انهم لم يؤمنوا به وانه طبع على قلوبهم عقوبة لهم على ذلك ـ بعث ايضاً بعدهم موسى وهارون (ع) نبيين مرسلين « الى فرعون وملائه » يعني رؤساء قومه « بآياتنا » اي بادلتنا وحججنا وأنهم استكبروا عن الانقياد لها والايمان بها « وكانوا قوماً مجرمين » في ذلك مستحقين للعقاب الدائم .

والملأ الجماعة الذين هم وجوه القبيلة مأخوذ من انهم تملأ الصدور هيبتهم عند منظرهم . ومنه قوله (ص) في قتلى بدر (اولئك الملأ من قريش) .

والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق فاما المتكبر في اوصاف الله فهو الظاهر فان له اعلى مراتب الكبر ، وهو صفة ذم في العباد ومدح في صفة الله تعالى . والاجرام اكتساب السيئة وهي صفة ذم واصل الاجرام القطع يقال جرم الثمر يجرمه جرماً فهو جارم والجمع جرام إذا صرمه وزمن الجرام زمن الصرام وتجرمت السنة اذا انصرمت . وفلان جريمة اهله اي كاسبهم . وقوله « لا جرم ان لهم النار »(١) اي لا بد لهم النار قطعاً قال الشاعر :

ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا (٢)

اي حملتهم على الغضب بقطعها اياهم والجرم الجسيم ، والجرم الصوت ، والجرم

(١) سورة النحل آية ٦٢ (٢) مر تخريجه في ٣ : ٢٣ ٤ .

الذنب .

وزن (موسى) مفعل وهو محمول على قياس العربية فزيادة الميم اولا اكثر من زيادة الالف اخيراً وكذلك زيادة همزة الفعل في افعل لهذه العلة .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (٧٦) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن قوم فرعون الذين ذكرهم واخبر عنهم بالاستكبار انهم قالوا مع ذلك حين جاءهم الحق من عند الله ان هذا الذي اتي به موسى من المعجزات والبراهين سحر ظاهر .

(ولما) تدل على ماضى ولا بد لها من الجواب و(اذ) لما مضى وتستغني عن الجواب كقولك : مضى اليه اذ قدم اي يوم قدم . (واذا) تكون للمستقبل كحرف الجزاء .

والحق معنى معتقده على ما هو به ، وهو ما اتت به الرسل من البيان والبرهان عن الله تعالى .

والسحر ايهام المعجزة على طريق الحيلة ويشبه به البيان في خفاء السبب قال الشاعر :

وحديثها السحر الحلال لو انه لم يجن قتل المسلم المتحرز

والساحر الذي يعتقد صحة سحره كافر لأنه لا يمكنه مع ذلك معرفة النبوة فان كان يمخرق بالسحر ويعلم انه باطل لم يكفر ولم يطلق عليه صفة ساحر .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ (٧٧) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن موسى انه قال لقومه ألذين نسبوه الى السحر « اتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا » ويريد بذلك تبكيتهم وتهجينهم . ثم قال موسى « ولا يفلح الساحرون » اي لا يفوزون بشيء من الخير . ويجوز ان يكون ذلك اخباراً من الله تعالى لا حكاية عن موسى وذلك يدل على بطلان السحر أجمع .

وقيل في تكرير الف الاستفهام في قوله « اسحر هذا » بعد ان قال « اتقولون » ثلاثة اقوال :

احدها ـ انه يكون لتأكيد التقريع على الحذف كأنه قال اتقولون للحق لما جاءكم ان هذا لسحر مبين اسحر هذا .

الثاني على وجه التكرر كقولك اتقول اعندك مال .

الثالث ان يكون حكاية قولهم وان اعتقدوا انه السحر كما يقول الرجل للجارية اذا اتته أحق هذا ، فيقولونه على التعجب . ولو قالوا الحق لايكون سحراً . ولكن ليس بحق لقال لهم فلو كان حقاً كيف كان الا هكذا من قلب الجماد حيواناً يرونه عياناً وغير ذلك من الآيات .

قوله تعالى :

﴿ قالُوا أَجِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَمّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا وَتَكُونَ لَكُما الْكِبْرِياءُ فِي الْأَرْضِ وَما نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧٨)

آية بلا خلاف .

روى العليمى « ويكون » بالياء . الباقون بالتاء .

وجه الياء انه تأنيث غير حقيقي ، وقد فصل بينهما . ومن قرأ بالتاء فلان الكبرياء لفظها لفظ التأنيث .

اخبر الله تعالى عن قوم موسى انهم قالوا لما اظهر لهم المعجزات ودعاهم الى التصديق بنبوته « اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه ابائنا » اي لتصرفنا عن ذلك واللفت الصرف عن امر تقول : لفته يلفته لفتاً ولفت عنقه اذا لواها ، قال رؤبة :

* ولفت لفات لها حصاد *

وقال ايضاً

لفتاً وتهزيعاً سواء اللفت (١)

التهزيع الدق واللفت اللي .

وقوله « وتكون لكما الكبرياء في الارض » قال مجاهد الكبرياء الملك . وقال قوم هي العظمة . وقال آخرون هي السلطان . والكبرياء استحقاق صفة الكبر في اعلى المراتب .

والالف في قوله «اجئتنا» الف استفهام ، والمراد به الانكار على طريق اللجاج و الحجاج منهم فتعلقوا بالشبهة في انهم على رأي آبائهم وان من دعاهم الى خلافه فظاهر امره انه يريد التأمر عليهم .

وقوله « وما نحن بمؤمنين » حكاية انهم قالوا لموسى وهارون لسنا بمصدقين لكما فيما تدعيانه من النبوة .

قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ (٧٩) آية بلا خلاف .

---

(١) مجاز القرآن ١ : ٢٨٠ وروايته :

يدق صلبان العظام لفتي لفتا وتهزع سواء اللفت

قرا اهل الكوفة الا عاصماً « بكل سحار » بتشديد الحاء والف بعدها الباقون (ساحر)على وزن فاعل . وقد بينا الوجه في ذلك في الاعراف .

حكى الله تعالى عن فرعون انه حين اعجزه المعجزات التي ظهرت لموسى، ولم يكن له في دفعها حيلة قال لقومه ائتوني بكل ساحر عليم بالسحر بليغ في علمه .

(وفرعون) لا ينصرف لأنه أعجمي معرفة ، وهو منقول في حال تعريفه ولو نقل في حال تنكيره انصرف كياقوت . ووزن فرعون فعلول ، الواو زائدة ، لانها لحقت عند سلامة الثلاثة . ومثله فردوس .

وإنما طلب فرعون كل ساحر ليتعاونوا على دفع ما اتى به موسى وحتى لا يفوته شيء من السحر بتأخر بعضهم . وإنما توهم مقاومة السحرة لموسى مع قول موسى له قد علمت ما انزل هؤلاء إلا رب السماوات والارض ، لانه إنما عرف ذلك فيما بعد لما بهره الامر فكان قبل ذلك على الجهل لتوهمه ان السحر يقاوم الحق .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ (٨٠) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى ان السحرة الذين طلبهم فرعون وامر باحضارهم لما جاؤا فرعون وموسى حاضر « قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون » وهذا ظاهره الامر ويحتمل امرين :

احدهما - ان يكون قال ذلك على سبيل التحدي والالزام بمعنى : من كان عنده انه يقاوم المعجزات لزمه ان يأتي بها معه حتى تظهر منزلته ، وانما جاز إلزام الباطل على الخصم ليتبين ان اصله الفاسد يوجب عليه اعتقاد ذلك الباطل ، كما ان الشيطان يوجب الفساد ويدعه الى الضلال .

الثاني ان يكون ذلك امراً على الحقيقة بدليل ان كان معه قوله « القوا ما انتم ملقون » انما لم يقتصر على قوله « القوا » لان المراد به القوا جميع ما أنتم ملقون في المستأنف فلا يكفى منه القوا .

والالقاء اخراج الشيء عن اليد الى جهة الارض ويشبه بذلك قولهم والقى عليه مسألة والقى عليه كلمة ، والالقاء والطرح نظائر وفي الكلام حذف ، لان تقديره قال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فأتوه بهم فقال لهم موسى .

قوله تعالى

﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) آية بلا خلاف .

قرأ ابو عمر ووحده «السحر» على الاستفهام . الباقون على الخبر .

قال ابو علي الفارسي في قراءة ابي عمر وما يرفع بالابتداء ، وجئتم في موضع الخبر والكلام استفهام ، لان الكلام يستقبل بقوله جئتم به . ولو كانت موصولة احتاج الى خبر آخر .

وهذا الاستفهام المراد به التقرير كما ، قال « أأنت قلت للناس » (١) لان موسى كان عالماً بأن ذلك السحر . وانما الحق الف الاستفهام بقوله « السحر » لان السحر بدلا من « ما » المبتدأ ولزم ان يلحق السحر الاستفهام ليساوي المبدل منه في انه استفهام الا ترى انه - ليس في قولك السحر استفهام ، وعلى هذا قالوا كم مالك اعشرون ام ثلثون ، فجعلت العشرون بدلا من كم فالحقت ام لانك في قولك كم درهماً مالك مدع ان له مالا .

---

(١) سورة المائدة ١١٩ .

ومن قرأ على الخبر جعل (ما) موصولة (وجئتم به السحر) صلة والهاء مجرورة عائدة على الموصول والسحر خبر المبتدأ الذي هو الموصول .

وحكى الفرّاء، انه دخل الالف واللام في قوله « السحر » للعهد ، لانهم قالوا لما اتى به موسى إنه سحر ، قال موسى ما جئتم به فهو من السحر .

وفي قراءة ابي ما جئتم به سحر بلا الف ولام .

ومن قرأ بالاستفهام جعل (ما) في قوله « ما جئتم به » للاستفهام .

ومن قرأ على الخبر جعل (ما) بمعنى الذي وفسرت ما بالواحد في السحر ، لان المعنى عليه ، وانما ذكر للتوبيخ كقولك ما صنعت الفساد .

حكى الله تعالى انه لما القوا السحرة سحرهم قال لهم موسى الذي جئتم به السحر فمن قرأ على الخبر، واي شيء جئتم به السحر مقرراً لهم ثم اخبر ان الله سيبطل هذا السحر الذي فعلتموه « ان الله لا يصلح عمل المفسدين » فالاصلاح تقديم العمل على ما ينفع بدلا مما يضر . والصلاح استقامة العمل على هذا الوجه . والافساد تعويج العمل الى ما يضر بدلا مما ينفع . والفساد اضطراب العمل على هذا الوجه . والصلاح مضمن بالنفع لانه اذا اضيف ظهر معنى النفع فيه كقولك صلاح لزيد ، وهو اصلح له اي انفع له وان كان فيه فساد على غيره .

قوله تعالى :

﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٨٢)

آية بلا خلاف .

هذا عطف على قوله « قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين » ويحق الله الحقّ بكلماته » وقيل في معناه ثلثة اقوال

اولها قال الحسن بوعده لموسى .

الثاني — قال ابو علي بكلامه الذى يبين به معاني الآيات التي اتاها نبيه (ص)

الثالث — بما سبق من حكمه في اللوح المحفوظ بأن ذلك يكون .

واحقاق الحق معناه اظهاره وتمكينه بالدلائل الواضحة والآيات البينة حتى يرجع الطاعن عليه حسيراً والمناصب له مفلولا .

وقوله « ولو كره المجرمون » معناه انه يحق الحق وان كرهه من هو مجرم.

وفي الآية دلالة على انه تعالى ينصر المحقين كلهم لنصره اياهم بالحجة فاما بالغلبة في كل حال فموقوف ، لان المصلحة قد تكون بالتخلية تارة وبالحيلولة اخرى . والحق على ضربين :

احدهما ما كان يمكن ان يكون حقاً وغير حق ، فهذا لا يصير حقاً إلا بأن يقصد فاعله على ايقاعه حقاً ، فجاز ان يقال انه حق بالفاعل . والآخر لا يؤثر فيه قصد فاعله فلا يقال في ذلك انه حق بالفاعل .

قوله تعالى :

﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٨٣) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى انه لم يصدق لموسى بالنبوة الا ذرية من قومه مع خوفهم من فرعون ورؤساء قومه ان يفتنوهم . (والذرية) الجماعة من نسل القبيلة . وحكى ابن عباس انه اراد الا قليل من قومه . وقيل كان امهاتهم من بني اسرائيل وآباؤهم من القبط . وقيل سموا ذرية لانهم اولاد الذين ارسل عليهم موسى فلم يستجب الآباء وقيل

هم قوم من بني اسرائيل اخذهم فرعون بتعلم السحر وجعلهم من اصحابه. ويحتمل ان يكون ذرية على وزن فعلية ماخوذاً من الذر كقمرية والثاني - أن يكون على وزن فعلية من الذرو في تذروه الرياح كقولك مزقته ، ويجوز أن يكون من ذرأ الله الخلق فترك همزه . والفتنة في الدين الامتحان الذي يصرف عنه وقد يكون ذلك بالاكراه تارة وبالهدى اخرى ، وبالشبهة الى الضلال .

وقوله « ان فرعون لعال في الارض » فالعلو في الامر عظم الشأن فيه وكل معنى لا يخلوا من ان يكون في صفة عالية او دانية او فيما بينهما من الجلالة والضعة .

والضمير في قوله « وملائهم » قيل فيمن يعود اليه ثلاثة اقوال:

احدها - الى الذرية فقط .

الثاني - الى فرعون واتباعه . الثالث الى فوعون ، لانه معلوم .

وقوله « وانه لمن المسرفين » اخبار منه تعالى ان فرعون لمن جملة من أبعد في مجاوزة الحق. والاسراف قد يكون في القتل وفي الاكثار من المعاصي .

قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن موسى انه قال لقومه ان كنتم صدقتم بتوحيد الله فتوكلوا عليه . وقوله « ان كنتم مسلمين » بعد قوله « ان كنتم آمنتم بالله » ليتبين المعنى بالصفتين من الايمان والاسلام وبالتقييد والاطلاق على ان الثقة بالله توجب الاستسلام لامره . والتوكل التوثق باسناد الامر الى الله . والوكالة عقد الامر لمن يقوم به مقام مالكه . والله عزوجل املك بالعبد من نفسه فهو احق بهذه الصفة . ويوجب التوكل على الله النجاة من كل

محذور ، والفوز بكل سرور وحبور اذا اخلص فيه وسلمت النية فيه .

وحذفت ياء الاضافة من قوله « ياقوم » اجتزاء بالكسرة منها وهو في النداء احسن من اثباتها لقوة النداء على التغيير .

وفائدة الآية البيان عما يعمل عليه عند نزول الشدة من ان من كان يؤمن بالله فليتوكل على الله ويسلم امره اليه ثقة بحسن تدبيره له .

قوله تعالى :

﴿ فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ﴾ (٨٥) ﴿ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ (٨٦) آيتان بلا خلاف .

الفاء في قوله « فقالوا » فاء العطف وجواب الامر كما يقال قال السائل كذا فقال المجيب كذا . وانما جازت الفاء في الجواب ولم تجز الواو ، لان الفاء ترتيب من غير مهلة ، فهي موافقة لمعنى وجوب الثاني بالاول وليس كذلك الواو .

لما حكى الله تعالى قول موسى لقومه « ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا » حكى ما اجاب به قومه من قولهم : توكلنا على الله . وانهم سألوا الله وقالوا « ربنا لا تجعلنا فتنة » اي محنة واعتباراً « للقوم الظالمين » وخلصنا « برحمتك من القوم » الذين كفروا بآياتك ، وكل كافر ظالم لنفسه بتعرضه للعقاب وليس كل ظالم كافراً .

والفتنة اصلها البلية وهي معاملة تظهر الامور الباطنة يقال : فتنت الذهب اذا احرقته بالنار ليظهر الخلاص وقوله « يوم هم على النار يفتنون » (١) اي يحرقون بما فيه من اظهار حالهم في الظلال . وقوله « الفتنة اشد من القتل » (٢) معناه التعذيب للرد عن الدين ، لما فيه من اظهار النصرة أشد ، ومعنى « لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين » لا تمكنهم

(١) سورة الذاريات آية ١٣ (٢) سورة البقرة آية ١٩١

من ظلمنا بما يحملنا على اظهار الانصراف عن ديننا - في قول مجاهد وقال ابو الضحى والجبائي معناه : لا يظهروا علينا فيروا أنهم خير منا .

وقوله « ونجنا » معناه خلصنا مما فيه المخافة والشماتة . وانما جاز وصف الله تعالى بالرحمة مع كثرة استعمالها في الرقة لدلالة التعظيم على انتفاء معنى الرقة ان نعمه في الاسباغ والكثرة تقع موقع ما تبعث عليه الرقة . وانما سألوا النجاة من استعباد فرعون وملائه إياهم وأخذهم بالاعمال الشاقة والمهن الخسيسة .

قوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٧)

آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى أنه أوحى الى موسى وأخيه بمعنى ألقى اليهما في خفاء والايحاء والايماء والاشارة نظائر ، وكله بيان ودلالة .

وحكى الرماني أن قوماً أجازوا أن يوحي الله الى من ليس بنبي برؤيا أو إلهام ، قال : وليس يجوز عندنا على المعنى الذي يقع الوحي الى الانبياء ، لانه إنما يقع على خلاف مجرى العادة بمعجزة تشهد بأنه تعالى ألقى المعنى اليه . ولا يجوز أن يطلق الصفة بالوحي الا لنبي فان قيد ذلك على خلاف هذا المعنى كان جائزاً ، كقوله « وأوحى ربك الى النحل » (١) .

ومعنى قوله « تبوءا » اتخذا يقال : بوأته منزلا أي اتخذته له . وأصله

(١) سورة النحل آية ٦٨ .

الرجوع من « و باؤوا بغضب من الله » (١) أي رجعوا والمبوّء المنزل لانه يرجع اليه للمقام فيه ومنه قولهم (بوء بشسع كليب) أي ارجع به . وقوله « و اجعلوا بيوتكم قبلة » معناه مصلى . وقيل قبلة : مسجداً ، لانهم كانوا خائفين فأمروا بأن يصلوا في بيوتهم في قول ابن عباس ومجاهد وابراهيم والسدي والضحاك والربيع - و قال الحسن يعني قبلة نحو الكعبة .

ولم يصرف (مصر) لانه مؤنث معرفة كقولك هند ، و لو صرفته لخففته كما صرفت هند ، كان جائزاً وترك الصرف أقيس .

وقوله « وأقيموا الصلاة » أمر من الله اياهم باقامة الصلاة والدوام على فعلها « وبشر المؤمنين » أمر منه لموسى ان يبشر المؤمنين بالجنة وما وعد الله تعالى من الثواب وانواع النعيم .

قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٨٨) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى في هذه الاية عن موسى (ع) أنه قال يا « ربنا انك اعطيت فرعون وملائه » يعني قومه ورؤساءهم « زينة واموالا في الحياة الدنيا » وإنما اعطاهم الله تعالى ذلك للانعام عليهم مع تعريه من وجوه الاستفساد .

و(الزينة) مايتزين به من الحلي والثياب والمتاع . ويجوز أن يراد به حسن الصورة « ليضلوا عن سبيلك » فهذه لام العاقبة ، وهي ما يؤل اليه الأمر كقوله « فالتقطه

(١) سورة البقرة آية ٦١ وسورة آل عمران آية ١١٢ .

آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً » (١) ويحتمل ان يكون المعنى لئلا يضلوا عن سبيلك ، فحذفت (لا) كقوله «ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما» (٢) اي لئلا تضل احداهما ، وكقوله « ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » (٣) اي لئلا يقولوا ولا يجوز ان يكون لام الغرض ، لأن الله لا يفعل بهم الزينة ويعطيهم ويريد منهم ان يضلوا بل إنما يفعل لينتفعوا ويطيعوه ويشكروه .

وقال قوم : لو كان اراد منهم الضلال لكانوا إذا ضلوا مطيعين ، لان الطاعة هي موافقة الارادة وذلك باطل بالاتفاق .

وقوله « ربنا اطمس على اموالهم » إخبار عن موسى انه دعا على قومه فسأل الله ان يطمس على اموالهم .

والطمس محو الاثر تقول : طمست عينه اطمسها طمساً وطموساً وطمست الريح آثار الديار .

فدعاموسى (ع) عليهم بأن يقلب حالهم عن الانتفاع بها كقوله « من قبل ان نطمس وجوهاً » (٤) والطمس تغير الى الدبور والدروس قال كعب بن زهير :

من كل نضاخة الذفرى إذا عرقت عرضتها طامس الاعلام مجهول (٥)

وقال قتادة والضحاك وابن زيد وابو صالح : صارت اموالهم حجارة .

وقوله « واشدد على قلوبهم » معناه ثبتهم على المقام ببلدهم بعد إهلاك اموالهم فيكون ذلك اشد عليهم .

وقولهم « فلا يؤمنوا » يحتمل موضعه وجهين من الاعراب :

---

(١) سورة القصص آية ٨ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٨٢ .
(٣) سورة الاعراف آية ١٧١
(٤) سورة النساء آية ٤٦
(٥) انظر ١ : ٢٢٦ تعليقته ١ و ٣ : ٢١٦

احدهما ـ النصب على جواب صيغة الامر بالفاء او بالعطف على « ليضلوا » وتقديره لئلا يضلوا فلا يؤمنوا .

الثاني ـ الجزم بالدعاء عليهم ، كما قال الاعشى :

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى ولا تلقني إلا وانفك راغم (١)

وقال الفراء : ذلك دعاء عليهم بأن لا يؤمنوا . وحكى الجبائي عن قوم ان المراد بذلك الاستفهام والانكار كأنه قال : إنك لا تفعل ذلك ليضلوا عن سبيلك .

وقال احمد بن يحيى ثعلب : هذه لام الاضافة ، والمعنى لضلالتهم عن سبيلك « اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم » .

وحكى البلخي انه لا يجوز ان يكون ذلك على التقديم والتأخير وتقديره ربنا ليضلوا عن سبيلك فلا يؤمنوا ربنا اطمس على اموالهم .

وقيل إن قوله « فلا يؤمنوا » خرج مخرج الجواب للامر ومعناه الاخبار ، كما يقولون انظر الى الشمس تغرب .

وقيل ان المعنى لا يؤمنون ايمان الجاء حتى يروا العذاب الاليم وهم مع ذلك لا يؤمنون ايمان اختيار اصلا .

وقال بعضهم اللام لام كي وانه اعطاهم الاموال والزينة لكي يضلوا عقوبة وهذا خطأ ، لانه يوجب ان يكون ضلالهم عن الدين طاعة لله .

قوله تعالى :

﴿ قالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما فَاسْتَقِيما ولا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ

(١) ديوان الاعشى والاعشيين ٥٨ قصيد ٩ و تفسير القرطبي ٨ : ٢٧٥ و الطبري ١١ : ١٠٢

الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٨٩) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى أنه أجاب موسى وهارون ، فقال لهما « قد اجيبت دعوتكما » والجواب موافقة المدعوة فيما طلب بها لوقوعها على تلك الصفة . فالله تعالى يجيب الدعاء إذا وقع بشروط الحكمة .

واختلفوا في هل يجوز أن يجيب تعالى دعوة الكافر أو لا ؟

فقال ابو علي الجبائي لا يجوز لان إجابته إكرام له كما يقولون : فلان مجاب الدعوة اي هو رجل صالح . والكافر ليس بهذه المنزلة .

وقال ابو بكر بن الاخشاد : يجوز ذلك إذا كان فيه ضرب من المصلحة .

والاجابة قد تكون من الاعلى للادون من غير ترغيب المدعو . والطاعة لا تكون إلا من الادنى للاعلى . ولا يجوز عند اكثر المحصلين ان يدعو نبي على قومه من غير إذن سمعي ، لانه لا يأمن ان يكون منهم من يتوب مع اللطف في التبقية ، فلا يجاب . و يكون ذلك فتنة .

والدعوة طلب الفعل بصيغة الامر وقد يدعى بصيغة الماضي كقولك : غفر الله لك واحسن اليك ، وجزاك الله خيراً .

وإنما قال « اجيبت دعوتكما » والداعي موسى لان دعاء موسى كان مع تأمين هارون ـ على ماقاله الربيع وابن زيد وعكرمة ومحمد بن كعب وأبو العالية ـ والمؤمن داع ، لان المعنى في التأمين اللهم اجب هذا الدعاء .

وقوله « فاستقيما » امر منه تعالى لهما بالاستقامة في دعائهما على فرعون وقومه على ما أمرتكما به ولا تتبعا سبيل الجاهلين لوعدي ووعيدي فانه لا خلف له .

وقال ابن جريج : مكث فرعون بعد هذه الامور اربعين سنة .

وقوله « ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون » نهي منه تعالى لموسى وهارون ان

يتبعها طريقة من لا يؤمن بالله ولا يعرفه .

وقرأ ابن عامر وحده « ولا تتبعان » مخففة النون الا الداجوني عن هشام ، فانه خير بين تخفيفها وتشديدها . وقرأ ابن عامر وحده « ولا تتبعان » ساكنة التاء مخففة مشددة النون . وفي قراءة الاخفش الدمشقي عن ابن عامر بتخفيف التاء والنون . الباقون بتشديد التاء والنون .

قال ابو علي النحوي من شدد النون فلأن هذه النون الثقيلة إذا دخلت على (تفعل) فتح لام الفعل ، لدخولها وبنى الفعل معها على الفتح نحو (لتفعلن) وحذفت النون التي بنيت في (تعملان) في حال الرفع مع النون الشديدة ، و حذف الضم في (لتفعلن) ، و إنما كسرت الشديدة بعد ألف التثنية لوقوعها بعد الف التثنية، فاشبهت التي تلحق الالف في رجلان ، لما كانت في هذه مثلها ، و داخلة لمعنى كدخولها ، و لم يعتد بالنون قبلها ، لانها ساكنة ، و لانها خفيفة فصارت المكسورة كأنها وليت الالف .

ومن خفف النون يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة كما خففوا (رب) و(ان) ونحوهما وحذفوا الاولى من المثلين كما ابدلوا الاولى من المثلين في نحو (قيراط ودينار) ولان اصلها (قرّاط ودنّار) فأبدلوا من إحدى النونين ياء . ويحتمل ان يكون حالا من قوله «فاستقيما» وتقديره فاستقيما غير متبعين . ويحتمل ان يكون على لفظ الخبر والمراد به الامر .

قوله تعالى :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٩٠) آية

قرأ اهل الكوفة الا عاصما « آمنت انه » بكسر الالف . الباقون بفتحها .

قال ابو علي : من فتح الهمزة فلأن هذا الفعل فصل بحرف الجر في نحو « يؤمنون بالغيب » (١) و « يؤمنون بالجبت » (٢) فلما حذف الحرف وصل الفعل الى (ان) فصار في موضع نصب او خفض على الخلاف في ذلك .

ومن كسر الالف حمله على القول المضمر كأنه قال « آمنت » فقلت إنه واضمار القول في نحو هذا كثير . وهذا احسن لان قوله (انه لا إله إلا الله) في المعنى ايمان ، واذا قال آمنت فكأنه ذكر ذلك .

وقال الرماني من كسر (إن) جعله بدلا من (آمنت) . ومن فتح جعله معمول (آمنت) وفي الكلام حذف ، لأن تقديره فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً فيه فغرقناه حتى اذا ادركه الغرق .

حكى الله تعالى إنه جاوز ببني إسرائيل البحر بمعنى اخرجهم منه بأن جفف لهم البحر وجعله طرقاً حتى جاوزوه .

و المجاوزة الخروج عن الحد من احد الجهات الأربعة ، لأنه لو خرج عن البحر بقليل و هو متعلق عليه لم يكن قد جاوزه . والبحر مستقر الماء الواسع بحيث لا يدرك طرفه من كان في وسطه و يقال : ما فلان إلا بحر لسعة عطائه .

وقوله « فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً » قالا تباع طلب اللحاق بالأول : اتبعه إتباعاً وتبعه بمعنى . وحكى ابو عبيدة عن الكسائي انه قال : إذا اريد انه اتبعه خيراً او شراً قالوا بقطع الهمزة ، واذا اريد انه اقتدى بهم واتبع اثرهم قالوا

---

(١) سورة البقرة آية ٣ (٢) سورة النساء آية ٥٠

بتشديد التاء ووصل الهمزة . والبغي طلب الاستعلاء بغير حق . والباغي مذموم لقوله تعالى « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله » . (١) و(عدوا) معناه عدوانا وظلما

وقوله « حتى إذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل » اخبار منه تعالى أن فرعون حين لحقه الغرق والهلاك قال ما حكاه الله وكان ذلك ايمان إلجاء لا يستحق به الثواب كما لا يستحق بالايمان الضروري .

وقوله « بغياً وعدواً » نصب على المصدر والمراد بغياً على موسى وقومه واعتداء عليهم

قوله تعالى :

﴿ الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٩١)

آية بلا خلاف .

قرأ ابو جعفر من طريق النهر واني ، ونافع إلا ابا طاهر عن اسماعيل واحمد بن صالح عن قالون والحلواني عن قالون من طريق الحمامي « الان » في الموضعين في هذه السورة بالقاء حركة الهمزة على اللام وحذف الهمزة . منها قال ابو علي النحوي اعلم ان لام المعرفة إذا دخلت على كلمة أولها الهمزة فخففت الهمزة فان في تخفيفها وجهين :

احدهما - ان تحذف وتلقى حركتها على اللام وتقر همزة الوصل فيقال الحمر بالالف

والثاني - ان يقولوا : كالحمر بلا الف فيحذفون همزة الوصل ، فالذين أثبتوا الهمزة فلان التقدير باللام السكون وان كانت في اللفظ متحركة . واللغة الآخرى كما انشد الكسائي :

فقد كنت تخفي حب سمراء حقبة فبح لات منها بالذي انت بائح (٢)

---

(١) سورة الحجرات آية ٩

(٢) مر هذا البيت فى ١ : ٣٠٠ وهو فى اللسان (أين)

فاسكن الحاء لما كانت اللام متحركة ، ولو لم يعتد بالحركة كما لم يعتد في الوجه الاول تحرك الحاء بالكسر كما يحركه في بح اليوم .

معنى (الان) فصل بين الزمان الماضي والمستقبل مع انه الى الحاضر ولهذا بني كما بني (اذا) وعرف (الان) بالالف واللام (وامس) بتضمين حرف التعريف لأن ما مضى بمنزلة المضمن في المعنى في أنه ليس له صورة والحاضر في معنى المصرح في صحة الصورة .

واختلفوا فيمن القائل هذا القول ، فقال الجبائي ان القائل له ملك قال ذلك بأمر الله وقال (غيره) ان ذلك كلام من الله قاله له على وجه الاهانة والتوبيخ وكان ذلك معجزة لموسى (ع) ومعنى الآية حكاية ما قيل لفرعون حين قال « آمنت أنه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل » بانك تقول هذا في هذه الساعة « وقد عصيت قبل » هذا « وكنت من المفسدين » في الارض بقتل المؤمنين وادعاء الالهية ، وغير ذلك من انواع الكفر !

قوله تعالى :

﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ . (٩٢) آية بلا خلاف.

قرأ يعقوب وقتيبة « ننجيك » بالتخفيف . الباقون بالتشديد .

معنى قوله « ننجيك ببدنك » نلقيك على نجوة من الارض ببدنك عريانا دون روحك قال أوس بن حجر :

فمن بنجوته كمن بعقوته ... والمستكن كمن يمشي بقرواح(١)

(١) مر هذا البيت في ١ : ٢١٨ و ٣ : ٣٢٦ تعليقة ٤ منسوب الى عبيد بن الابرص .

القرواح حيث لا ماء ولا مطر ، البدن مستكن روح الحيوان على صورته وكل حيوان فله روح وبدن ، والحي في الحقيقة الروح دون البدن عند قوم وفيه خلاف .

ومعنى قوله « لتكون لمن خلفك آية » قيل فيه قولان :

احدهما - لمن يأتى بعدك ممن يراك على تلك الصفة وقد كنت تدعى الربوبية .

الثاني - ان بني اسرائيل قالوا ما مات فرعون فالقاه الله تعالى على نجوة من الارض ليروه ذهب اليه ابن عباس ، وقتادة .

وقوله « وان كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون » اخبار منه تعالى أن كثيراً من الخلق غافلون عن الفكر في حجج الله وبيناته أي ذاهبون عنها والغفلة ذهاب المعنى عن النفس ونقيضها اليقظة ، والمراد بذمهم بالغفلة عن آيات الله التعريض بأنهم تركوا النظر في ايات الله .

قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(٩٣) آية بلا خلاف .

قوله « ولقد بوأنا » اخبار منه تعالى أنه وطأ منزل بنى اسرائيل والتبوء توطئة المنزل لصاحبه الذي يأوى اليه تقول بوأته منزلا تبويئاً وتبوأ وباء بالامر بواء أي رجع .

وقوله « مبوأ صدق » أي منزل صدق أي فيه فضل كفضل الصدق ، كما يقال أخو صدق وقيل انه يصدق فيما يدل عليه من جلالة النعمة .

وقوله « ورزقناهم من الطيبات » أي ملكناهم الاشياء اللذيذة . والرزق العقد

على العطاء الجاري ، ودلت الآية على سعة ارزاق بنى اسرائيل . وقوله « فما اختلفوا حتى جاءهم العلم » قيل في معناه وجهان :

احدهما - أنهم كانوا على الكفر فما اختلفوا حتى جاءهم الدليل المودي الى العلم من جهة الرسول والكتاب فآمن فريق وكفر آخرون . وهو قول الحسن وابن جريج وابن زيد .

وقال قوم كانوا على الاقرار بالنبي قبل مبعثه بصفته ونعته ، فما اختلفوا حتى جاءهم معلوم العلم به .

والمنزل الصدق الذي انزلوه قيل فيه ثلاثة اقوال :

قال الحسن هو مصر وهو منزل صالح خصب امن .

وقال قتادة هو الشام وبيت المقدس .

وقال الضحاك هو الشام ومصر .

وقوله « ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » اخبار منه تعالى انه الذي يتولى الفصل بين بني اسرائيل في الامور التي يختلفون فيها .

قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (٩٤) آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد (ص) يقول له « ان كنت في شك » من الذي « انزلنا اليك » والشك هو توقف النفس فيما يخطر بالبال عن اعتقاده على ما هو به ، وعلى ما ليس به .

وقيل ان هذا وإن كان خطاباً للنبي (ص) فان المراد به الذين كانوا شاكين في نبوته .

وقال قوم ان معناه فان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على نبينا اليك ، ومثله قول القائل لعبده ان كنت مملوكي فانتبه الى امري . وقول الرجل لابنه ان كنت ابني فبرني . وقوله ان كنت والدي فتعطف علي . وحكى الزجاج وجهاً ثالثاً وهو ان يكون معنى (ان) معنى (ما) والتقدير : ما كنت في شك مما انزلنا اليك « فاسأل الذين » اي لسنا نريد بامرك لانك شاك لكن لتزداد بصيرة ، كما قال لابراهيم « اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي » (١) « فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك » قيل انما امره بأن يسأل اهل الكتاب مع جحد اكثرهم لنبوته لامرين :

احدهما ـ ان يكون امره بان يسأل من آمن من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وابن صوريا ذهب اليه ابن عباس ومجاهد وابن زيد والضحاك .

والثاني سلهم عن صفة النبي (ص) المبشر به في كتبهم ثم انظر فمن وافق فيه تلك الصفة . وقال البلخي ذلك راجع الى قوله « وما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم » فأمره بأن يسألهم هل الأمر على ذلك ؟ فانهم لا يمتنعون عن الاخبار به ولم يأمره بان يسألهم هل هو محق فيه أو لا ؟ ولا ان ما انزله عليه صدق او لا ؟ وجه آخر وهو انه انما امره ان يسألهم ان كان شاكا ولم يكن شاكاً فلا يجب عليه مسألتهم وهذا معنى ما روى عنه (ص) انه قال (شككت ولا انا شاك) .

وقوله « لقد جاءك الحق من ربك » قسم منه تعالى بأنه قد جاءك يا محمد الحق من عندربك لان لام لقد لام القسم .

وقوله « فلا تكونن من الممترين » اي لا تكونن من الشاكين . والامتراء طلب الشك

(١) سورة البقرة آية ٢٦٠

مع ظهور الدليل وهو من مرىء الضرع اي مصحه ليدر ، فلا معنى لمسحه بعد دروره بالحلب . وقال سعيد بن جبير والحسن وقتادة وابو عبد الله (ع) لم يسأل النبي (ص) ويقوي ان الخطاب متوجه الى النبي والمراد به غيره قوله بعد هذا « قل يا ايها الناس ان كنتم في شك » .

قوله تعالى :

وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ فَتَكُونَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ آية بلا خلاف

هذا الكلام عطف على قوله « فلا تكونن من الممترين . ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله » اي من جملة من يجحد بآيات الله ولا يصدق بها فانك ان فعلت ذلك كنت من الخاسرين . والمراد بالخطاب غير النبي ﴿ ص ﴾ من جملة امته من كان شاكاً في نبوته .

والنون في قوله (لا تكونن) نون التأكيد ، وهي تدخل في غير الواجب لانك لا تقول انت تكونن ، ودخلت في القسم على هذا الوجه لانه يطلب بالقسم التصديق وبني الفعل مع نون التأكيد لأنها ركبت مع الفعل على تقدير كلمتين كل واحدة مركبة مع الاخرى مع ان الاولى ساكنة واقتضت حركة بناء لالتقاء الساكنين .

وانما شبه الكافر بالخاسر مع ان حاله اعظم من حال الخاسر لان حال الخاسر قد جرت بها عادة وذاق طعم الحسرة فيها فرد اليها لبيان امرها خسران النفس الذي هو اعظم منها .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٩٧) آيتان عند الجميع

قد ذكرنا اختلافهم في كلمة وكلمات وان من وحد فلانه اسم جنس ومن جمع اراد اختلاف الالفاظ .

اخبر الله تعالى « ان الذين حقت عليهم كلمة ربك » يا محمد اي وجب على التحقيق بأنهم لا يؤمنون من غير شرط ولا تقييد ، تقول حق الامر يحق حقاً . وانما جاز وصف جملة من الكلام بالكلمة لانه لما كان في معنى واحد صار بمنزلة الكلمة الوحدة ، ولذلك قالوا في قصيدة من الشعر انها كلمة وقوله « حتى يروا العذاب الاليم » معناه انهم انما يؤمنون اذا شاهدوا العذاب فامنوا ملجئين ايماناً لا ينفعهم . والرؤية في الآية رؤية العين ، لانها تعدت الى مفعول واحد . والعذاب وان كان الماً وهو لا يصح ان يرى فلانه ترى اسبابه ومقدماته فصار بمنزلة ما يرى ، فلذلك اخبر عنه بالرؤية له

قوله « ولو جاءتهم كل اية » اعلام بان هؤلاء الكفار لالطف لهم يؤمنون عنده ايمان اختيار وانما جاز تكليفه الايمان باخبار الله تعالى انه لا يؤمن للانعام بالمنافع في احوال التكليف التي لا تحصى كثرة مع ما في ذلك من اللطف لغيره ، ولا ظلم فيه لاحد . وانما يظلم الكافر نفسه بسوء اختياره .

وانما انث قوله « جاءتهم كل آية » لانه مضاف الى الآية وهي مؤنثة كما قالوا ذهبت بعض اصابعه .

ومعنى الآية الاخبار عن ان هؤلاء لا يؤمنون ايمانا يستحقون به الثواب ، ولا ينافي ذلك قدرتهم على الايمان كما انه اذا اخبر انه لا يقيم القيامة الساعة لم يمنع

ذلك من قدرته على اقامتها في الحال . وقيل ان التقدير في الاية ان الذين لا يؤمنون حقت عليهم كلمة ربك .

قوله تعالى :

فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَمَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ (٩٨) آية بلا خلاف .

معنى (فلولا) هلا ، وهي تستعمل على وجهين :

احدهما - على وجه التحضيض .

والثاني - على وجه التأنيب كقولك هلا يأتي زيد بحاجتك ، وهلا امتنعت من الفساد الذي رغبت اليه قال الشاعر :

تعدون عقر النيب افضل مجدكم بني ضوطري لولا الكمي المقنعا (١)

أي هلا تعدون الشجعان . وقوله « الا قوم يونس » نصب لأنه منقطع كما قال الشاعر :

اعيت جواباً وما بالربع من احد الا اواري لا ياما ابينهـــا

والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد(٢) .

وحكى الفراء: لا ان ما بينهما وقال جمع الشاعر بين ثلاثة احرف في النفي (لا وان . وما) وانما جاز فلو لا كانت قرية آمنت لان المراد أهل قرية فحذف اختصاراً من غير اخلال بالمعنى .

وقوله « فنفعها ايمانها » معناه هلا كانت اهل قرية آمنت في وقت ينفعها الايمان

(١) انظر ١ : ٣١٩ تعليقة ٥ ، ٤٣٥ تعليقة ١

(٢) مر هذا الشعر في ١ : ٤٤ ، ١٥١ ، ٣ : ٣٢٧ ، ٤ : ٢٥ .

وجرى هذا مجرى قول فرعون « لما ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي » (١) فاعلم الله أن الايمان لا ينفع عند نزول العذاب ولا عند حضور الموت ، وقوم يونس لم يقع بهم العذاب كأنهم لما رأوا الاية الدالة على العذاب آمنوا فلما آمنوا كشف عنهم العذاب .

والنفع هو اللذة ، ومعناه ههنا انه وجبت لهم اللذة بفعل ما يؤدي اليها كما ان الصلة بالمال نفع لانه يؤدي الى اللذة وكذلك اكل الطعام الشهي وتناول الكريه عند الحاجة نفع لانه يؤدي الى اللذة . والخزي هو الهوان الذي يفضح صاحبه ويضع من قدره .

وقال الجبائي المراد بأهل القرية على قول كثير من اهل التأويل ثمود الذين اهلكهم الله بكفرهم ، والتقدير هلا اهل قرية سوى قوم يونس آمنوا فنفعهم ايمانهم وزال عنهم العذاب كما آمن قوم يونس لما احسوا بنزول العذاب ، فكشف الله عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعهم وبقاهم احياء سالمين في الدنيا بعد توبتهم الى مدة من الزمان .

وهذا الذي ذكره انما كان يجوز لو كان (الاقوم يونس) رفعاً وكان يكون « الاقوم يونس » صفة او بدلا من الاول لان المعنى الاقوم يونس محمول على معنى هلا كان قوم قرية او قوم نبي آمنوا الاقوم يونس ، قال الزجاج لم يقرأ أحد بالرفع ، ويجوز في الرفع ان يكون بدلا من الاول وان لم يكن من جنس الاول كما قال الشاعر :

وبلدة ليس لها انيس　　الا اليعا فيروا لا العيس (٢)

وقال ابو عبيدة (الا) ههنا بمعنى الواو ، والمعنى وقوم يونس . وقال الحسن

---

(١) سورة يونس آية ٩٠

(٢) مر تخريجه في ١ : ١٥١ ، ٣ : ٣٢٧

معني الآية انه لم يكن فيما خلا ان يومن اهل قرية باجمعها حتى لا يشذ منهم احد الا قوم يونس ، فهلا كانت القرى كلها هكذا . وقرأ طلحة بن مصرف يونس ويوسف بكسر النون والسين اراد ان يجعل الاسمين عربيين مشتقين من اسف وانس ، وهو شاذ .

فان قيل قوله « كشفنا عنهم العذاب » يدل على نزول العذاب بهم فكيف ينفع مع ذلك الايمان ، وهل ذلك الا ضد قوله «فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا» (١) قلنا : ليس يجب ان يكون العذاب نزل بهم بل لا يمتنع ان يكون ظهرت لهم دلائله وان لم يروا العذاب كما ان العليل المدنف قد يستدرك التوبة فيقبل الله توبته قبل ان يتحقق الموت ، فاذا تحققه لم يقبل بعد ذلك توبته . وقد قال الله تعالى « وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها » (٢) ولا يدل ذلك على انهم كانوا دخلوا النار فأنقذوا منها فكذلك لا يمتنع ان يكون كشف عنهم العذاب وان لم يكن حل بهم ولا عاينوه اذا كان قد قرب منهم واستحقوه في الحكم .

قوله تعالى :

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٩) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه لو شاء واراد « لآمن من في الارض كلهم جميعاً » فكلهم رفع لأنه تأكيد (من) وهي مرتفعة بالايمان (وجميعاً) منصوب على الحال . والمشيئة والارادة والايثار والاختيار نظائر وانما يختلف عليهم الاسم بحسب مواقعها على ما بيناه في الاصول . وقيل ان الشيء مشتق من المشيئة لانه مما يصح ان

(١) سورة المؤمن آية ٨٥

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٣

يذكر ويشاء ، كما اشتقوا المعنى من عنيت .

ومعنى الاية الاخبار عن قدرة الله وانه يقدر على أن يكوّن الخلق على الايمان ، كما قال « ان نشاء ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » (١) وانما اراد بذلك الاخبار عن قدرته بلا خلاف ولذلك قال بعد ذلك « افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ومعناه انه لا ينبغي ان يريد اكراههم ، لان الله عز وجل يقدر عليه ولا يريده ، لانه ينافي التكليف واراد بذلك تسلية النبي (ص) والتخفيف عنه مما يلحقه من التحسر والحرص على ايمانهم .

وفي الاية دلالة على بطلان قول المجبرة ، فانه تعالى لم يزل شاءاً وانه لا يوصف بالقدرة ايضاً ، لانه تعالى اخبر انه لو يشاء لقدر عليه لكنه لم يشأ فلذلك لم يوجد ولو كان شاءاً لم يزل لما جاز ان يقول ولو شاء ربك كما لا يجوز ان يقول لو شاء لقدر لما كان كونه قادراً حاصلا لم يزل .

قوله تعالى :

﴿ وما كان لنفسٍ أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ﴾ (١٠٠) آية بلاخلاف .

قرأ ابو بكر إلا الاعشى والبرجمي (ونجعل) بالنون الباقون بالياء .

من قرأ بالياء فلانه تقدم ذكر الله فكنى عنه .

ومن قرأ بالنون ابتداءً بالاخبار عن الله .

ومعنى قوله « وما كان لنفس ان تؤمن إلا باذن الله » انه لا يمكن احد ان يؤمن إلا باطلاق الله له في الايمان وتمكينه منه ودعاءه اليه بما خلق فيه من العقل الموجب

(١) سورة الشعراء آية ٤

لذلك . وقال الحسن وابو علي الجبائي : اذنه ههنا أمره كما قال « يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فامنوا خيراً لكم » (١) وحقيقة اطلاقه في الفعل بالامر وقد يكون الاذن بالاطلاق في الفعل برفع التبعة وقيل معناه وما كان لنفس ان تؤمن إلا بعلم الله

واصل الاذن الاطلاق في الفعل فاما الاقدار على الفعل فلا يسمى اذناً فيه ، لان النهي ينافي الاطلاق . قال الرماني والنفس خاصة الشيء التي لو بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشيء ، ونفسه وذاته واحد إلا انه قد يؤكد بالنفس ولا يؤكد بالذات . والنفس مأخوذة من النفاسة .

وقوله « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » قيل في معناه قولان :

احدهما ـ قال الفراء : الرجس العذاب يجعله على الذين لا يعقلون امر الله ولا نهيه ولا ما يدعوهم اليه .

الثاني قال الحسن : الرجس الكفر اى يجعله بمعنى انه يحكم انهم اهله ذماً لهم واسما « على الذين لا يعقلون » اي كانهم لا يعقلون شيئاً ذماً لهم وعيباً . وقال ابن عباس : الرجس الغضب والسخط . وقال ابو عبيدة الرجز العذاب ومثله الرجس ومنه قوله « لان كشف عنا الرجز » (٢) وقوله « فلما كشفنا عنهم الرجز » (٣) وقوله « والرجز فاهجر » (٤) معناه وذا الرجز اي الذي تؤدي عبادته إلى العذاب . وقال الحسن : الرجز بضم الراء العذاب ، وبكسرها الرجس . وقال الفراء يجوز ان يكون الرجز بمعنى الرجس وقلبت الزاي سيناً كما قالوا اسد واُزد .

---

(١) سورة يونس آية ١٠٨

(٢) سورة الاعراف آية ١٣٣

(٣) سورة الاعراف آية ١٣٤

(٤) سورة المدثر آية ٥

قوله تعالى :

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠١) آية بلا خلاف.

امر الله تعالى نبيه (ص) أن يأمر الخلق بالنظر لانه الطريق المؤدي الى معرفة الله تعالى . والنظر المراد في الآية الفكر والاعتبار . وقال الرماني : هو طلب الشيء من جهة الفكر كما يطلب ادراكه بالعين .

ومعنى قوله تعالى « ماذا في السماوات والارض » أي ما فيها من العبر من مجيء الليل والنهار ومجرى البحور والافلاك ونتاج الحيوان وخروج الزرع والثمار ، ووقوف السماوات والارض بغير عماد ، لان كل ذلك تدبير يقتضي مدبراً لا يشبه الاشياء ولا تشبهه .

وقوله « وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » قيل في معناه قولان :

احدهما - ان تكون (ما) نفياً بمعنى ما يغني عنهم شيئاً بدفع الضرر ، اذا لم يفكروا فيها ولم يعتبروا بها كقولك وما يغني عنك المال شيئاً اذا لم تنفقه في وجوهه .

والاخر - ان تكون (ما) للاستفهام كقولك أي شيء يغني عنهم من اجتلاب نفع او دفع ضرر إذا لم يستدلوا بها . والنذر جمع نذير وهو صاحب النذارة وهي اعلام بموضع المخافة ليقع به السلامة .

قوله تعالى :

﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (١٠٢) آية بلا خلاف .

خاطب الله تعالى نبيه (ص) بلفظ الاستفهام والمراد به النفى لان تقديره ليس ينتظر هؤلاء الكفار الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم . وإنما قابل بين الايام المنتظرة والايام الماضية في وقوع العذاب والحسرة حين لا تنفع الندامة . والانتظار هو الثبات لموقع ما يكون من الحال تقول انتظرني حتى الحقك ولو قلت توقعني لم تكن أمرته بالثبات . والمثل في الجنس ماسد احدهما مسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته وفي غير الجنس ما كان على المعنى يقرب به من غيره كقربه من جنسه كتشبيه اعمال الكفار بالسراب .

وقوله « قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين » أمر من الله لنبيه أن يقول لهم انتظروا ما وعد الله به من العقاب فانى منتظر نزوله بكم مع جميع المنتظرين كما وعد الله به .

قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠٣) آية بلاخلاف

القراءة والحجة :

قرأ يعقوب « ثم ننجي » بالتخفيف . وقرأ الكسائى ويعقوب وحفص والكسائى عن ابى بكر « ننجي المؤمنين » بالتخفيف الباقون بالتشديد فيهما .

قال ابو علي النحوي يقال نجا زيد نفسه فاذا عديته فان شئت قلت أنجيته وان شئت قلت نجيته . ومن شدد فلقوله « ونجينا الذين آمنوا » (١) ومن خفف فلقوله « فأنجاه الله من النار » (٢) وكلاهما حسن .

---

(١) سورة حم السجدة آية ١٨

(٢) سورة العنكبوت آية ٢٤

المعنى :

أخبر الله تعالى أنه اذا أراد اهلاك قوم استحقوا الهلاك نجى رسله من بينهم وخلصهم من العقاب ، ويخلص مع الرسل المؤمنين الذين أقروا له بالوحدانية وللرسل بالتصديق .

وقوله « كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين » وجه التشبيه في ذلك أن نجاة من يقر من المؤمنين كنجاة من مضى في أنه حق على الله ثابت لهم . ويحتمل أن يكون العامل في « كذلك » ننجي الاول وتقديره ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك الانجاء ويحتمل ان يعمل فيه الثاني وكذلك حقاً علينا .

ومعنى قوله « حقاً علينا » يحتمل امرين .

احدهما - ان يكون معناه واجباً علينا ننجي المؤمنين من عقاب الكفار ، ذكره الجبائي .

الثاني - ان يكون على وجه التأكيد كقولك مررت بزيد حقاً إلا ان علينا يقتضي الوجه الاول .

والنجاة مأخوذة من النجوة وهي الارتفاع عن الهلاك . والسلامة مأخوذة من اعطاء الشيء من غير نقيصة اسلمته اليه اذا اعطيته سالماً من غير آفة .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) آية بلا خلاف

هـذا خطاب من الله لنبيه (ص) ان يقول للخلق « يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني » فان ديني ان لا اعبد الذين تعبدون من دون الله اي ان كنتم في شك مما اذهب اليه من مخالفتكم فانى اظهره لكم وابره مما انتم عليه واعرفكم ما امرت به وهو ان اكون مؤمناً بالله وحده وان اقيم وجهي للدين حنيفاً .

إن قيل لم قال « ان كنتم في شك من ديني » مع اعتقادهم بطلان دينه؟ قلنا عنه ثلاثة اجوبة :

احدها - ان يكون على وجه التقدير أي من كان شاكاً في أمري وهو مصمم على أمره فهذا حكمه .

الثاني - انهم في حكم الشاك للاضطراب الذي يجدون نفوسهم عليه عند ورود الآيات

الثالث - ان فيهم الشاك فغلب ذكرهم ، وانما جعل جواب ان كنتم في شك (لا اعبد) وهو لا يعبد غير الله شكوا اولم يشكوا ، لان المعنى لا تطمعوا ان تشككونى بشكم حتى اعبد غير الله كعبادتكم ، كأنه قيل ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله بشككم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم أي الذي احياكم ثم يقبضكم وهو الذي يحق له العبادة دون اوثانكم ودون كل شيء سواه .

قوله تعالى :

﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(١٠٥) آية بلا خلاف .

هذه الآية عطف على ما قبلها والتقدير وأمرت أن اكون من المؤمنين ، وقيل لي أقم وجهك . وقيل في معناه قولان :

احدها - استقم باقبالك على ما أمرت به من القيام باعباء النبوة وتحمل أمر الشريعة

ودعاء الخلق الى الله بوجهك ، اذ من أقبل على الشي بوجهه يجمع همته له فلم يضجع فيه

الثاني ـ ان يكون معناه أقم وجهك في الصلاة بالتوجه نحو الكعبة .

والاقامة نصب الشيء المنافي لاضجاعه تقول : أقام العود إذا جعله على تلك الصفة فأما أقام بالمكان فمعناه استمر به .

والوجه عبارة عن عضو مخصوص ويستعمل بمعنى الجهة كقولهم : هذا معلوم في وجه كذا ، ويستعمل بمعنى الصواب كقولك هذا وجه الرأي .

وقيل في معنى الحنيف قولان :

احدهما – الاستقامة وقيل للمايل القدم أحنف تفأولا .

الثاني ـ الميل ، وقيل الحنف في الدين لأنه ميل الى الحق .

وقوله « ولا تكونن من المشركين » معناه نهي عن الاشراك مع الله تعالى غيره في العبادة تصريحاً بالتحذير عن ذلك والذم لفاعله .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾(١٠٦) آية بلا خلاف.

قيل في معنى قوله « ولا تدع من دون الله » قولان :

احدهما ـ لا تدعه الهاً كما يدعو المشركون الوثن إلهاً .

الثاني ـ لا تدعه دعاء الالهة في العبادة بدعائه . والدعاء ، يكون على وجهين :

احدهما ـ بلفظ النداء كقولك يا زيد اذا دعوته باسمه .

الثاني ـ ان تدعوه الى الفعل وتطلب منه فعله كقول القائل لمن فوقه افعل .

وقوله « ولا تدع من دون الله » معناه لا تدع غير الله إلها . وانما قال « ما لا ينفعك

ولا يضرك » مع انه لو نفع وضر لم تحسن عبادته لامرين :

أحدهما - ان يكون معناه مالا ينفعك ولا يضرك نفع الاله وضره .

والثانى - انه اذا كان عبادة غير الله ممن يضر وينفع قبيحة فعبادة من لا يضر ولا ينفع أقبح وابعد من الشبهة .

وقوله « فان فعلت فانك اذا من الظالمين » معناه انك ان خالفت ما أمرت به من عبادة الله كنت ظالماً لنفسك بادخال الضرر الذي هو العقاب عليها . وهذا الخطاب وان كان متوجهاً الى النبي فالمراد به امته ، ويجوز ان يكون الانسان يضر نفسه بما يفعل بان يؤديها الى الضرر . ولا يجوز ان ينعم على نفسه لان النعمة تقتضي شكر المنعم عليه وذلك لا يمكن من الانسان ونفسه كما لا يمكن ان يثبت له في نفسه مال او دين .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٠٧) آية بلا خلاف .

قوله « وان يمسسك الله بضر » اي ان احل بك الضر ، لان المس الحقيقي لا يجوز عليه ، لان حقيقتها تكون بين الجسمين ، لكن لما ادخل الباء للتعدية جرى مجرى ان تقول يمسك من امسه . واما اذا لم يتعد فيكون كقوله « مسني الضر » (١) والملاسة والمطابقة والمجامعة نظائر وضدها المباينة . والكشف رفع الساتر المانع من الادراك . فكان الضر ههنا كأنه ساتر يمنع من ادراك الانسان .

وقوله « وان يردك بخير » تقديره وان يرد بك الخير وجاز على التقديم والتاخير

(١) سورة الانبياء آية ٨٣

كما يقول القائل : فلان يريدك بالخير ويريد بك الخير . والمعنى أنه لا راد لما يريد الله بخلقه فان اراد بهم سوءاً لا يقدر على دفعه احد . وان ارادهم بخير فلا يقدر احد على صرفه عنهم « يصيب به من يشاء من عباده » يعني بالخير .

وقوله « وهو الغفور الرحيم » معناه انه الغفار لكل من تاب من شركه وذنبه فلا ييأس من ذلك احد في حال تكليفه . وعندنا يجوز ان يغفر الله ذنب المؤمن من غير توبة . و (الرحيم) معناه انعامه على جميع خلقه .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (١٠٨) آية بلا خلاف .

امر الله تعالى نبيه في هذه الآية أن يقول للخلق قد جاءكم الحق من الله وهو الذي من عمل به من العباد نجا ، وضده الباطل وهو الذي من عمل به هلك ، فمن عمل بالحق كان حكيما ، ومن عمل بالباطل كان سفيهاً . والمراد بالحق ههنا ما أتى به النبي (ص) من القرآن والشرائع والاحكام وغير ذلك من الآيات والدلالات « فمن اهتدى » بها بأن نظر فيها وعرفها حقاً وصواباً « فانما يهتدي لنفسه » ومعناه فان منافع ذلك تعود عليه من الثواب دون غيره « ومن ضل » عنها وعدل عن تأملها والاستدلال بها والعمل بموجبها « فانما يضل » عن منافع نفسه وهو الجاني عليها .

وقوله « وما أنا عليكم بوكيل » معناه وما أنا عليكم بوكيل في منعكم من اعتقاد الباطل بل انظروا لانفسكم نظر من يطالب بعمله ولا يطالب غيره بحفظه كأنه قال ما أنا حافظكم من الهلاك اذا لم تنظروا انتم لانفسكم ولم تعملوا بما يخلصها كما يحفظ الوكيل مال غيره .

قوله تعالى :

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾

(١٠٩) آية بلا خلاف .

امر الله تعالى نبيه (ص) ان يتبع ما يوحى اليه . والايحاء القاء المعنى في النفس على وجه خفي وهو ما يجيء به الملك الى النبي (ص) عن الله تعالى فيلقيه اليه ويخصه به من غير ان يرى ذلك غيره من الخلق .

وقوله « واصبر » امر من الله تعالى له بالصبر وهو تجرع مرارة الامتناع من المشتهى إلى الوقت الذي يجوز فيه تناوله ، كصبر الصائم على الجوع والعطش ، وكصبر النفس عن تناول المحرمات . وانما يعين على الصبر العلم بعاقبته وكثرة الفكر فيه وفي الخير الذى ينال به وبذكر ما وعد الله على فعله من الثواب وعلى تركه من العقاب .

وقوله « حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين » امر منه تعالى للنبي بالصبر على اذى المشركين وعلى قولهم انك ساحر كذاب ومجنون حتى يحكم فيأمرك بالهجرة والجهاد . قال الحسن وقد كان الله اعلمه انه سيفرض عليه جهاد الكفار . وقيل نسخ ذلك فيما بعد بالامر بالجهاد ، والتقدير إلى ان يحكم الله بهلاكهم وعذابهم في يوم بدر وغيره « وهو خير الحاكمين » معناه خير الحكام ، لانه قد يكون حاكم افضل من حاكم مع كونهما محقين كمن يحكم على الباطن فانه افضل ممن يحكم على الظاهر ، لان الاول لا يقع إلا حقاً والاخر يجوز ان يكون حقاً في الظاهر وان كان فاسد في الباطن .

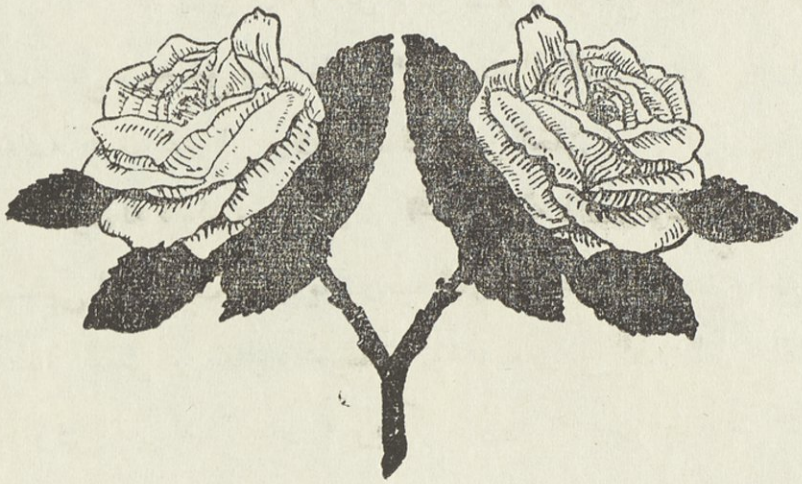

(١٠) سورة هود

مكية في قراءة قتادة ومجاهد وغيرهما

وهي مائة وثلاث وعشرون آية فى الكوفي

واثنتان في المدني وواحدة فى البصري وعند اسماعيل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الر. كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ (١) آية بلا خلاف

روى الكسائي عن أبي بكر « من لدن حكيم » ههنا ، وفى النمل بسكون الدال واشمامها الضم وكسر النون . الباقون بضم الدال واسكان النون . ولم يعد احد من القراء (الر) آية كما عد قوم (طه) و (الم) و (حم) آية لان ثانيه لا يشبه رؤس الاي بنفس الحرف ولا بالردف . وقد بينا في اول سورة البقرة اختلاف المفسرين في هذه الحروف وامثالها وان الأقوى ان يقال انها اسماء للسور .

وروى عن الحسن انه قال ما ادري تأويل (الر) غير ان المسلمين كانوا يقولون هي اسماء السور ، ومفاتحها . وخرجت هذه الحروف على وجه التهجي ، لا يعرب شيء منها ، لانها حروف ولو كانت اسماء لدخلها الاعراب . وقال الفراء « الر كتاب » رفع بحروف الهجاء . وقال غيره « كتاب » رفع بانه خبر المبتدأ وتقديره هو كتاب او هذا كتاب والمراد بـ (كتاب) القران .

وقوله « احكمت اياته ثم فصلت » قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها ـ قال الحسن احكمت بالامر والنهي ، وفصلت بالثواب والعقاب .

الثاني ـ قال قتادة احكمت آياته من الباطل . ثم فصلت بالحرام والحلال .

الثالث ـ قال مجاهد « احكمت آياته » على وجه الجملة « ثم فصلت » اى بينت بذكرها آية آية . والاحكام منع الفعل من الفساد قال الشاعر :

ابني حنيفة احكموا سفهاءكم إني اخاف عليكم ان اغضبا (١)

وقوله « من لدن حكيم خبير » معناه من عند حكيم عليم . وقوم يجعلون في (لدن) ضميراً فينصبون مابعده فيقولون لدن غدوة . وقوم يجعلونه غاية ولا يضمرون فيه شيئا بعينه فيرفعون ما بعده لان مابعد الغاية مرفوع ، فيقولون لدن غدوة .

وروي عن عكرمة انه قرأ « فصلت » بفتح الفاء والصاد وتخفيفها - وهي شاذة لم يقرأ بها احد .

والحكيم يحتمل معنيين :

احدها - عليم ، فعلى هذا يجوز وصفه بأنه حكيم فيما لم يزل .

والثاني - بمعنى أنه محكم لافعاله . وعلى هذا لا يوصف به فيما لم يزل . والحكمة المعرفة بما يمنع الفعل من الفساد والنقص وبها يميز القبيح من الحسن والفاسد من

(١) مر تخريجه في ٢ : ١٨٨

الصحيح .

وقال الجبائي في الآية دلالة على أن كلام الله محدث بأنه وصفه بأنه احكمت آياته والاحكام من صفات الافعال ، ولا يجوز ان تكون احكامه غيره ، لانه لو كان احكامه غيره لكان قبل ان يحكمه غير محكم ولو كان كذلك لكان باطلا ، لان الكلام متى لم يكن محكما وجب ان يكون باطلا فاسداً ، وهذا باطل .

قوله تعالى :

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ (٢)

آية بلا خلاف .

يحتمل (ان) في قوله « ان لا تعبدوا » امرين :

احدهما - ان يكون بمعنى المصدر كقولك كتبت اليه ان لا تخرج بالجزم ، وكان يجوز في العربية ان لا تعبدون على الوجه الاول ، وهو الاخبار بأنهم لا يعبدون كما تقول كتبت اليه ان لا تخرج اي بأنك لا تخرج . و « ان لا تعبدوا » في موضع نصب وتقديره فصلت آياته بأن لا تعبدوا او لئلا تعبدوا .

والثاني - يحتمل ان يكون المعنى امرتم بأن لا تعبدوا ، فلما حذف الباء نصب بعدها ، ومعنى (إلا) في الآية ايجاب للمذكور بعدها وهو ما نفى عن كل ماسواه من العبادة وهي التي تفرغ عامل الاعراب لما بعدها من الكلام .

وقوله « انى لكم منه نذير وبشير » اخبار ان النبي (ص) مخوف من مخالفة الله وعصيانه بأليم عقابه مبشر بثواب الله على طاعاته واجتناب معاصيه ، والنذارة اعلام موضع المخافة ليتقى ، ونذير بمعنى منذر كأليم بمعنى مؤلم . والبشارة اعلام بما يظهر في بشرة الوجه به المسرة وبشير بمعنى مبشر . وقوله « وابشروا بالجنة » معناه واستبشروا .

قوله تعالى :

وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ آية بلا خلاف .

هذه الآية عطف على ما قبلها وتقديره ثم فصلت من لدن حكيم خبير بان لا تعبدوا إلا الله وبأن استغفروا ربكم بمعنى سلوا الله المغفرة ثم توبوا اليه ، وانما ذكرت التوبة بعد الاستغفار ، لان المعنى اطلبوا المغفرة بأن تجعلوها غرضكم ثم توصلوا إلى مطلوبكم بالتوبة ، فالمغفرة أول في الطلب وآخر في السبب . وقيل ان المعنى استغفروا ربكم من ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستأنف متى وقعت منكم المعصية ، ذكره الجبائي .

وقوله « يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى » يعني انكم متى استغفرتموه وتبتم اليه متعكم متاعاً حسناً في الدنيا بالنعم السابغة والملاذ المختلفة الى الوقت الذي قدر لكم أجل الموت فيه .

وقوله « ويؤت كل ذي فضل فضله » يحتمل امرين :

احدهما - أن يعطي كل ذي عمل على قدر عمله في الاخرة دون الدنيا ، لانها ليست دار الجزاء .

الثاني - الترغيب في عمل الخير لانه على مقداره يجازي صاحبه .

وقوله « فان تولوا فاني اخاف عليكم » يحتمل امرين :

احدهما - فان تتولوا ، إلا انه حذف للتضعيف ولذلك شدده ابن كثير في رواية الرازي عنه .

والاخر - ان يكون بمعنى فقل « انى اخاف عليكم عذاب يوم كبير » يعني

عذاب يوم القيامة ووصف ذلك اليوم بالكبير لعظم ما يكون فيه من الاهوال والمجازاة لكل انسان على قدر عمله .

قوله تعالى :

﴿ إلى اللهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤) آية بلا خلاف

قيل في معنى قوله « الى الله مرجعكم » قولان : احدهما ـ اليه مصيركم باعادته اياكم للجزاء . الثاني – الى الله مرجعكم باعادته الى مثل الابتداء من انه لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً سواه تعالى ، والمرجع المصير الى مثل الحال الاولى .

وقوله « وهو على كل شيء قدير » اخبار منه تعالى انه يقدر على كل شيء إلا ما اخرجه الدليل مما يستحيل ان يكون قادراً عليه او من مقدورات غيره وما يقضى وقته من الاجناس التي لا يصح عليها البقاء .

قوله تعالى :

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٥) آية بلا خلاف .

روي عن ابن عباس انه قرأ « إلا انهم يثنون صدورهم » على وزن (يحلون) واراد المبالغة ومعنى (ألا) التنبيه ، وما بعده مبتدأ .

اخبر الله تعالى ان الكفار يثنون صدورهم . وقيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدهما ـ قال الفراء والزجاج يثنونها على عداوة النبي (ص) .

وقال الحسن يثنونها على ما هم عليه من الكفر .

وقال ابو علي الجبائي يثني الكافر صدره على سبيل الانحناء ، في خطابه لكافر مثله ممن يختصه لئلا يعرف الله ما اضمره .

وقال ابو عبد الله بن شداد ولي ظهره إذا راى النبي (ص) وغطى وجهه بالثوب

واصل الثني العطف تقول ثنيه عن كذا اي غطيه ومنه الاثنان لعطف احدهما على الآخر في المعنى ، ومنه الثناء لعطف المناقب في المدح ومنه الاستثناء لانه عطف عليه بالاخراج منه .

وقوله « ليستخفوا منه » فالاستخفاء طلب خفاء النفس تقول : استخفى استخفاء وتخفى تخفياً ، ونظيره استغشى وتغشى قالت الخنساء :

ارعى النجوم وما كلفت رعيتها وتارة اتغشى فضل اطماري (١)

والهاء منه يحتمل ان تكون عائدة الى اسم الله - في قول الحسن ومجاهد والجبائي - جهلا منهم بأن الله لا يخفى عليه خافية .

الثاني - قال ابو عبد الله بن شداد : هي عائدة على النبي (ص) .

وقوله « ألا حين يستغشون ثيابهم » معناه انهم كانوا يتغطون بثيابهم ثم يتفاوضون ما كانوا يدبرونه على النبي وعلى المؤمنين ويكتمونه عن الناس ، فبين الله تعالى انهم وقت ما يتغطون بثيابهم ويجعلونها غشاء فوقهم عالم بما يسرون وما يعلنون ، لا انه يتجدد له العلم في حال استغشائهم بالثوب بل هو عالم بذلك في الأول ومعنى « ما يسرون وما يعلنون » اي ما يخفونه في أنفسهم وما يعلنونه أي يظهرونه « انه عليم بذات الصدور » ومعناه عالم بأسرار ذات الصدور .

---

(١) ديوانها : ١٠٩ واللسان (رعى) ، واساس البلاغة ١ : ٢٣٨ والصحاح ، والتاج (رعى) . الاطمار الثيابات الرثة ، لانها كانت لا تلبس الثياب الجديدة حدادا على أخيها (صخر) وكانت لا تنام الليل بل تبقى ساهرة ترقب النجوم حتى تغيب .

قوله تعالى:

﴿ وَما مِنْ دابَّةٍ فى الأرْضِ إلّا على اللهِ رِزْقُها وَيَعلمُ مُستقرَّها ومُستودَعها كلٌّ في كتابٍ مُبينٍ ﴾ (٦) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى أنه ليس في الارض دابة إلا والله تعالى متكفل برزقها . والدابة الحي الذي من شأنه أن يدب يقال دب يدب دبيباً وأدبه ادباباً ، غير انه صار بالعرف عبارة عن الخيل والبراذين دون غيرها من الحيوان .

وقوله « ويعلم مستقرها ومستودعها » فالمستقر الموضع الذي يقر فيه الشيء وهو قراره ومكانه الذي يأوي اليه والمستودع المعنى المجعول في القرار كالولد في البطن والنطفة التي في الظهر ، وقيل : مستودعها مدفنها بعد موتها . وقيل مستقرها في اصلاب الآباء ومستودعها في ارحام الامهات . وقيل مستقرها ما تستقر عليه ، ومستودعها ما تصير اليه .

وقوله « كل في كتاب مبين » خبر من الله تعالى أن جميع ذلك مكتوب في كتاب ظاهر يعني اللوح المحفوظ وانما اثبت تعالى ذلك مع انه عالم انه لا يعرف عنه شيء لما فيه من اللطف للملائكة او يكون فيه لطف لمن يخبر بذلك .

قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذي خَلقَ السماواتِ والأرْضَ في سِتَّةِ أيَّامٍ وَكانَ عَرْشُهُ على الماءِ ليبلوَكُمْ أيُّكُمْ أحسنُ عَملاً وَلئِنْ قُلتَ إنَّكُمْ مبعوثونَ مِنْ بعدِ الموْتِ ليقولَنَّ الَّذين كفروا إنْ هذا إلا سِحرٌ مُبينٌ ﴾ (٧) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى أنه خلق السماوات والارض وأنشأهما في ستة ايام ، وانما خلقهما في هذا المقدار من الزمان مع قدرته ان يخلقهما في اقل من لمح البصر ليبين بذلك ان

الأمور جارية في التدبير على منهاج ، ولما علم في ذلك من مصالح الخلق من جهة اقتضاء ان ينشأها على ترتيب يدل على انها كانت عن تدبير عالم بها قبل فعلها مثل سائر الافعال المحكمة .

وقوله « وكان عرشه على الماء ليبلوكم » معناه انه خلق الخلق ودبر الامر ليظهر احسان المحسن ، لانه الغرض الذي يجري بالفعل اليه

وفي وقوف العرش على الماء ، والماء على غير قرار اعظم للاعتبار لمن امعن النظر واستعمل الفكر

والمراد بقوله « في ستة ايام » ما مقداره مقدار ستة ايام ، لانه لم يكن هناك ايام تعد ، لان اليوم عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها .

وقوله « ليبلوكم » معناه ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر مظاهرة في العدل لئلا يتوهم انه يجازي العباد بحسب ما في المعلوم انه يكون منهم قبل ان يفعلوه .

وقوله « احسن عملا » فيه دلالة على انه يكون فعل حسن احسن من فعل حسن آخر لان لفظة افعل حقيقتها ذلك . ولا يجوز ترك ذلك الا لدليل ، وليس ههنا ما يوجب الانصراف عنه .

وقوله « ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » اعلام من الله تعالى لنبيه انه لو قال لهؤلاء الكفار ان الله يبعثكم بعد موتكم ويجازيكم على اعمالكم لقالوا ليس هذا القول الا سحر ظاهر .

ومن قرأ (ساحر) اراد ليس هذا يعني النبي (ص) الا ساحر مبين .

وقال الجبائي في الآية دلالة على انه كان قبل خلق السماوات والارض الملائكة قال ، لان خلق العرش على الماء لا وجه لحسنه الا ان يكون فيه لطف لمكلف يمكنه الاستدلال به فلا بد اذاً من حي مكلف . والاقوى ان يقال انه لا يمتنع ان يتقدم خلق الله لذلك اذا كان في الاخبار بتقدمه مصلحة للمكلفين ، وهو الذي اختاره الرماني وكان علي بن الحسين الموسوي المعروف بالمرتضى (ره) ينصره .

وظاهر الآية يقتضي ان العرش الذي تعبد الله الملائكة بحمله كان مخلوقاً قبل

السماوات والارض ، وهو قول جميع المفسرين : كابن عباس ومجاهد وقتادة والبلخي والجبائي والرماني والفراء والزجاج وغيرهم .

وقال ابن عباس : كان العرش على الماء ، والماء على الهواء ، وقال الجبائي ثم نقل الله العرش الى فوق السماوات .

قوله تعالى :

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ﴿٨﴾ آية بلا خلاف .

اللام في قوله « ولئن أخرنا » لام القسم ، ولا يجوز ان تكون لام الابتداء ، لانها دخلت على (ان) التي للجزاء ، ولام الابتداء إنما هي للاسم او ماضارع الاسم في باب (ان) وجواب الجزاء مستغنى عنه بجواب القسم ، لانه اذا جاء في صدر الكلام غلب عليه كما انه اذا تأخر او توسط الغي .

ومعنى قوله « اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة » اخر الى حين أمة معدودة كما قال « وادكر بعد امة » (١) اي بعد حين . وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والزجاج والفراء وغيرهم .

وقال الجبائي معناه الى أمم بعد هؤلاء يكلفهم فيعصونه فتقتضي الحكمة اهلاكهم واقامة القيامة .

وقال الرماني معناه الى جماعة معدودة بانه ليس فيها من يؤمن ، فاذا صاروا الى هذه الصفة أهلكوا بالعذاب ، كما اهلك قوم نوح في الدنيا . وأهلكوا بعذاب الآخرة

(١) سورة يوسف آية ٤٥

لكونهم على هذه الصفة .

وقوله « ليقولن ما يحبسه » فالحبس المنع بالحصر في خباء . ويقال حبس الماء اذا منع من النفوذ . وحبس السلطان الرزق اذا منعه . وحبس عنهم العذاب اذا منع من اتيانهم الى الاجل المعلوم . والتقدير ما الذي يمنع من تعجيل هذا العذاب الذي نتوعد به ؟ فقال الله تعالى « ألا يوم ياتيهم ليس مصروفاً عنهم » ومعناه ان هذا العذاب الذى يستبطؤنه اذا نزل بهم في الوقت المعلوم لا يقدر على صرفه أحد عنهم ولا يتمكنون من اذهابه عنهم اذا اراد الله ان تأتيهم به .

وقوله « وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن » معناه انه نزل بهم الذي كانوا يسخرون منه من نزول العذاب ويخفوه .

قوله تعالى:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴾ (٩) آية بلا خلاف .

أقسم الله تعالى في هذه الآية انه لو احل تعالى بالانسان رحمة من عنده يعني ما يفعله الله تعالى بهم في الدنيا من الارزاق ، فانه يعم بها خلقه كافرهم ومؤمنهم . ثم نزعها منه وسلبها وسمي احلال اللذات بهم اذاقة تشبيهاً ومجازاً ، لان الذوق في الحقيقة تناول الشيء بالفم لادراك الطعم ، والانسان حيوان على الصورة الانسانية ، لأن الصورة الانسانية بانفرادها قد تكون للتمثال ولا يكون انساناً فاذا اجتمعت الحيوانية والصورة لشي فهو انسان . قال الرماني وكلما لاحياة فيه فليس بانسان ، كالشعر والظفر وغيرهما .

والنزع رفع الشيء عن غيره مما كان مشابكا له ، والنزع والقلع والكشط نظائر

واليأس القطع بأن الشيء لا يكون وهو ضد الرجاء ، ويؤوس كثير اليأس من رحمة الله وهذه صفة ذم ، لانه لا يكون كذلك الا للجهل بسعة رحمة الله التي تقتضي قوة الأمل

وفائدة الآية الاخبار عن سوء خلق الانسان وقنوطه من الرحمة عند نزول الشدة وانه اذا انعم عليه بنعمة لم يشكر عليها واذا سلبها منه يئس من رحمة الله وكفر نعمه وهو مصروف الى الكفار الذين هذه صفتهم .

قوله تعالى :

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ (١٠) آية بلا خلاف .

وأقسم تعالى في هذه الآية أنه لو أحل بالانسان « نعماء بعد ضراء مسته » لان الهاء كناية عن الانسان الذي مضى ذكره ، والنعماء إنعام يظهر أثره على صاحبه . والضراء مضرة تظهر الحال بها ، لأنها أخرجت مخرج الاحوال الظاهرة ، كحمراء وعوراء مع ما فيها من المبالغة . ومعنى « مسته » نالته .

وقوله « ليقولن ذهب السيئات عني » أي يقول عند نزول النعماء به بعد أن كان في ضدها من الضراء ذهبت الخصال التي تسوء صاحبها من جهة نفور طبعه او عقله ، وهو ههنا بمعنى المرض والفقر ، ونحو ذلك .

وقوله « انه لفرح فخور » اخبار منه تعالى أن الانسان فرح فخور . والفرح انفتاح القلب بما يلتذ به وضده الغم ، ومثله السرور والمرح . والفرح لذة في القلب أعظم من ملاذ الحواس . والفخور المتطاول بتعديد المناقب ، وفخور كثير الفخر وهي صفة ذم إذا اطلقت لما فيه من التكبر على من لا يجوز أن يتكبر عليه . وقيل للعالم أن يفخر على الجاهل بالعلم لتعظيم العلم وتحقير الجهل ولذلك تفخر النبي على الكفار .

قوله تعالى:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١١) آية بلا خلاف .

لما اخبر الله تعالى عن احوال الخلق وأن اكثرهم إذا حل بهم نعمه تعالى بعد أن كانوا في مضرة شديدة وانه إذا يقولون ذهب السيئات عنهم وأن كثيراً منهم فرح فخور ، استثنى من جملتهم المؤمنين بتوحيد الله الصابرين على طاعاته والكف عن معاصيه واضافوا الى ذلك الاعمال الصالحات.

والصبر حبس النفس عن المشتهى من المحارم . والصبر على مرارة الحق يؤدي الى الفوز بالجنة في الآخرة مع ما فيه من الجمال في الدنيا . واستثنى الذين صبروا من الانسان ، لانه في معنى الجمع كما قال « والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات » (١) .

وقال الزجاج والاخفش (الا) بمعنى (لكن) لانه ليس من جنس الأول ، والاول قول الفراء .

وقوله « اولئك لهم مغفرة واجر كبير » اخبار من الله تعالى عن هؤلاء المؤمنين بأن لهم عند الله المغفرة والأجر العظيم .

قوله تعالى:

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ

(١) سورة العصر ١ - ٢

﴿ والله على كل شيء وكيل ﴾ (١٢) آية بلا خلاف .

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه (ص) يحثه على اداء جميع ما بعثه به واوحى اليه وينهاه عن كتمانه ويشجعه على الاداء ويقول له لا يكون لعظم ما يرد على قلبك ويضيق به صدرك من غيظهم يوهمون عليك انهم يزيلونك عن بعض ما انت عليه من امر ربك ، وانك تترك بعض الوحي ويضيق به صدرك مخافة ان يقولوا او لئلا يقولوا « لو لا انزل عليه كنز » اي هلا انزل عليه كنز فينفق منه « اوجاء معه ملك » يعينه على امره بل « انما أنت نذير » اي منذر مخوف من معاصي الله وعقابه « والله على كل شيء وكيل » اي حافظ يكتب عليهم افعالهم واقوالهم ومجازيهم عليها فلا تغمك اقوالهم ولا افعالهم ولا يضيق بذلك صدرك فان وبال ذلك عائد عليهم .

وضائق وضيق واحد الا ان (ضائق) ههنا احسن لمشاكلته لقوله تارك ، والضيق قصور الشيء عن مقدار غيره ان يكون فيه ، فاذا ضاق صدر الانسان قصر عن معان يحتملها الواسع الصدر . والصدر مسكن القلب ويشبه به رفيع المجالس ورئيس القوم لشرفه على غيره ، والكنز المال المدفون لعاقبته وصار في الشرع اسم ذم في كل مال لا يخرج منه حق الله من الزكاة وغيره ، وان لم يكن مدفونا .

قوله تعالى :

﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ (١٣) آية بلا خلاف .

هذه الآية صريحة بالتحدي وفيها قطع لاعتلال المشركين وبغيهم ، لانهم لما عجزوا عن معارضة القرآن قالوا إن ما فيه من الاخبار كذب اختلقه واخترعه او قرأ

الكتب السالفة ، فقال الله تعالى لهم افتروا انتم مثله وادحضوا حجته فذلك ايسر واهون مما تكلفتموه ، فعجزوا عن ذلك وصاروا الي الحرب وبذل النفس والمال وقتل الآباء الابناء . ولوقدروا على اطفاء امره بالمعارضة لفعلوه مع هذا التقريع العظيم . وفيه دلالة على جهة اعجاز القران وانها الفصاحة في هذا النظم المخصوص ، لأنه لو كان غيره لما قنع في المعارضة بالافتراء والاختلاق .

وقوله « فأتوا » وان كان لفظه لفظ الامر فالمراد به التهديد والتحدي . والمثل المذكور في الآية ما كان مثله في البلاغة والنظم او ما يقاربه ، لان البلاغة ثلاث طبقات فأعلاها معجز وادناها واوسطها ممكن ، فالتحدي وقع بما هو في اعلا طبقة في البلاغة ، ولا يجوز ان يكون المراد بالمثل إلا الجنسية لان مثله فى العين يكون حكايته وذلك لا يقع به تحدي . وانما يرجع الى ما هو متعارف بينهم في تحدي بعضهم بعضاً كمناقضات امرىء القيس وعلقمه وعمر بن كلثوم والحارث بن حلزة وجرير والفرزدق وغيرهم . ومعنى (ام) تقرير بصورة الاستفهام ، وتقديره بل « يقولون افتراه » وقال بعضهم ان الاستفهام محذوف ، كأنه قال أيكذبونك أم يقولون افتراه . وهذا ليس بصحيح لان (ام) ههنا منقطعة ليست معادلة . وانما يجوز حذف الاستفهام في الضرورة .

وقوله « ادعوا من استطعتم من دون الله » اي ادعوهم الى معاونتكم على المعارضة . وهذا غاية ما يمكن من التحدي والمحاجة .

وقوله « بعشر سور مثله » اي مثل سورة منه كل سورة منها . ومعنى « مفتريات » اي مختلقات يقال افترى واختلق واختلق ، وخلق وخرق وخرص واخترص اذا كذب .

قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٤) آية بلا خلاف

قيل في المعني بقوله « فان لم يستجيبوا لكم » قولان :

احدهما - ان المراد به المؤمنون ، والتقدير فان لم يطلبوا اجابتك يا محمد والمؤمنين ، ولا يأتون بعشر سور معارضة لهذا القرآن ، فليعلم المؤمنون إنما انزل بعلم الله بهذا الدليل ، وهو قول مجاهد والجبائي .

والاخر - ان يكون المراد به المشركين ، فالتقدير فان لم يستجب لكم من تدعونهم الى المعاونة ولا يهيأ لكم المعارضة ، فقد قامت عليكم الحجة .

والاستجابة في الآية طلب الاجابة بالقصد الى فعلها ، يقال : استجاب واجاب بمعنى واحد . والفرق بين الاجابة والطاعة ان الطاعة موافقة للارادة الجاذبة الى الفعل برغبة أو رهبة ، والاجابة موافقة الداعي الى الفعل من اجل انه دعا به .

وقوله « انزل بعلم الله » يحتمل امرين :

احدهما - بعلم الله انه حق من عنده اي عالم به .

والآخر - بعلم الله بمواقع تأليفه في علو طبقته .

وقوله « وان لا إله إلا هو » اي فاعلموا ان لا إله الا هو ، وقوله « فهل انتم مسلمون » معناه هل انتم بعد قيام الحجة عليكم بما ذكرناه من كلام الله وانه انزله على نبيه تصديقاً له فيما اداه اليكم عن الله مسلمون له موقنون به ؟ لان كل من سلم له الأمر فقد استسلم له . قال مجاهد وهذا خطاب لاصحاب النبي (ص) من المسلمين .

قوله تعالى :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ (١٥) آية بلا خلاف .

شرط الله تعالى بهذه الآية ان « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها » وحسن بهجتها ، ولا يريد الآخرة ، فان الله تعالى يوفيه جزاء عمله فيها يعني في الدنيا ، ولا يبخسه شيأ منه .

والزينة تحسين الشيء بغيره من لبسة او حليـــة او هيئة ، يقال : زانه يزينه وزينه تزييناً ، والتوفية تأدية الحق على تمام ، والبخس نقصان الحق يقال بخسه بخساً اذا ظلمه بنقصان الحق . وفي المثل (يبخسها حمقاء) وهي باخس .

وقيل في العمل الذي يوفون حقهم من غير بخس قولان :

احدهما - قال الضحاك ومجاهد هو ان يصل الكافر رحمه او يعطي سائلا سأله او يرحم مضطراً او غير ذلك من افعال الخير ، فان الله تعالى يعجل له جزاء عمله في الدنيا بتوسيع الرزق ، واقرار العين فيما خول ، ودفع مكاره الدنيا .

الثاني - الغزو مع النبي (ص) للغنيمة دون ثواب الآخرة ، امر الله نبيه ان يوفيهم قسمهم وهذا من صفة المنافقين ، ذكره الجبائي .

وانما جاز ان يقول « من كان يريد الحياة الدنيا نوف اليهم » ولم يجز ان تقول : من جأني اكرمه ، لأن الاجود في الشرط والجزاء ان يكونا مستقبلين او يكونا ماضيين بنية الاستقبال ، فان كان احدهما ماضياً ، والاخر مستقبلا كان جائزاً على ضعف كما قال زهير :

ومن هاب اسباب المنايا تنلنه　　ولو رام اسباب السماء بسلم (١)

(١) اللسان (سبب) وروايته (المنية يلقها) بدل (المنايا تنلنه)

قلنا عنه جوابان :

احدهما - قال الفراء : ان المعنى من يرد الحياة الدنيا و (كان) زائدة .

الثاني - ان المعنى ان يصح انه كان ، كقوله « ان كان قميصه قد من دبر فكذبت » (١) ولا يجوز مثل هذا في غير كان ، لانها ام الافعال .

قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٦) آية بلا خلاف .

قوله « اولئك » كناية عن الذين ذكرهم في الآية الأولى ، وهم الذين يريدون الحياة الدنيا وزينتها ، دون ثواب الآخرة . فاخبر الله انه ليس لهم في الآخرة مستقر الا النار ، وان اعمالهم كلها محبطة لا يستحقون عليها ثواباً لانهم اوقعوها على غير الوجه المأمور به ، وعلى حد لا تكون طاعة ، وان جميع ما فعلوه في الدنيا باطل لا ثواب عليه.

وقد بينا فساد القول بالاحباط (٢) على ما يذهب اليه المعتزلة واصحاب الوعيد ، سواء قالوا الاحباط بين الطاعة والمعصية او بين المستحق عليها ، فلا معنى للتطويل بذكره ههنا.

وقوله « وباطل ما كانوا يعملون » بعد قوله « حبط ما صنعوا فيها » يحقق ما نقوله : ان نفس الاعمال تبطل بان توقع على خلاف الوجه الذى يستحق به الثواب

قوله تعالى :

﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ

---

(١) سورة يوسف آية ٢٧ (٢) انظر : ٢ ٣٣٦ ، ٣٥٣ ، ٥٢٢ ، ٥٢٥

قبله كتاب موسى إماماً ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ (١٧) آية بلاخلاف.

الالف في قوله «أفمن كان» الف استفهام، والمراد بها التقرير، والتقدير هل الذي كان على بينة - يعني برهان وحجة من الله - والمراد بالبينة ههنا القرآن، والمعني بقوله «أفمن كان على بينة» النبي (ص) وكل من اهتدى به واتبعه.

وقوله «ويتلوه شاهد منه» قيل في معناه أقوال:

احدها - شاهد من الله هو محمد (ص)، وروي ذلك عن الحسين بن علي (ع) وذهب اليه ابن زيد واختاره الجبائي.

الثاني - قال ابن عباس ومجاهد وابراهيم والفراء والزجاج: جبرائيل يتلوا القرآن على النبي (ص).

الثالث - شاهد منه لسانه، روي ذلك عن محمد بن علي أعني ابن الحنفية، وهو قول الحسن وقتادة.

الرابع - روي عن ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين (ع) أنه علي بن ابي طالب ورواه الرماني، وذكره الطبري باسناده عن جابر بن عبد الله عن علي (ع).

وذكر الفراء وجهاً خامساً - قال ويتلوه يعني القران يتلوه شاهد هو الانجيل، ومن قبله كتاب موسى يعني التوراة. والمعنى ويتلوه في الحجة والبينة.

وقوله «ومن قبله كتاب موسى» الهاء في «قبله» عائدة على القرآن المدلول عليه فيما تقدم من الكلام، والمعنى انه يشهد به بالبشارة التي فيه.

وقوله «اماماً ورحمة» العامل فيه احدى امرين:

احدهما - الظرف في قوله ومن قبله.

الثاني - وشاهد من قبله كتاب موسى اماماً ورحمة، وخبر (من) في قوله « افمن كان على بينة من ربه » محذوف والتقدير افمن كان على بينه من ربه وعلى الاوصاف التي ذكرت كمن لا بينة معه قال الشاعر :

واقسم لو شيء اتانا رسوله سواك ولكن لم نجـــد عنك مدفعاً

وانشد الفراء :

فما ادري اذا يممت وجهـــاً اريد الخير ايهما يليني

أالخير الذي انا ابتغيه ام الشر الذي لا يأتليني (١)

قال ايهما، وانما ذكر الخير وحده ، لان المعني مفهوم ، لان المبتغي للخير متق للشر . وقال قوم خبره قوله « من كان يريد الحياة الدنيا » وقد تقدمه، واستغني به .

وقوله « اولئك يؤمنون به » كناية عمن كان على بينة من ربه انهم يصدقون بالقرآن ويعترفون بأنه حق .

وقوله « ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده » معناه ان كل من يجحده ولا يعترف به من الاحزاب الذين اجتمعوا على عداوته . وقال الفراء يقال كل كافر حزب النار « والنار موعده » يعني مستقره وموعده « فلا تك » يا محمد (ص) في شك من ذلك ، فالخطاب متوجه إلى النبي (ص) والمراد به جميع المكلفين .

وقوله « انه الحق من ربك » اخبار منه تعالى بأن هذا الخبر الذى ذكره حق من عند الله ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون صحته وصدقه لجهلهم بالله وجحدهم بنبوة نبيه (ص) .

وروي ان الحسن قرأ (في مرية) بضم الميم ، وهي لغة اسد وتميم ، واهل الحجاز يكسرون الميم وعليه القراء .

---

(١) مر هذا الشعر فى ٢ : ١١٣

قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (١٨) آية بلا خلاف .

قال الحسن معنى قوله « ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً » لا أحد اظلم منه إلا انه خرج مخرج الاستفهام مبالغة في انه أظلم لنفسه من كل ظالم ، وانما كان المفترى على الله كذباً أظلم من كل ظالم ، لانه يجحد نعم الله ولا يشكرها .

وقوله « اولئك يعرضون على ربهم » اخبار منه تعالى ان من هذه صفته يعرض على الله يوم القيامة . والعرض اظهار الشيء بحيث يرى للتوقيف على حاله يقال عرضت الكتاب على فلان ، وعرض الجند على السلطان ، ومعني العرض على الله انهم يقفون في المقام الذي يرى العباد ، وقد جعله الله تعالى للمطالبة بالاعمال ، فهو بمنزلة العرض في الحقيقة ، لأنهم لا يخفون عليه في حال من الاحوال بل هو تعالى يراهم حيث كانوا

وقوله « ويقول الاشهاد » يعني الملائكة ، والانبياء ، والعلماء يشهدون بما كان منهم من الكذب عليه تعالى . وقيل هو جمع شاهد مثل صاحب واصحاب ، وقيل جمع شهيد كشريف واشراف .

وقوله « الا لعنة الله على الظالمين » تنبيه من الله تعالى لخلقه بأن لعنته على الظالمين الذين ظلموا انفسهم بادخال الضرر عليها وعلى غيرهم بادخال الآلام عليهم ، ولعنة الله ابعاده من رحمته .

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالْآخِرَةِ

﴿ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (١٩) آيه بلا خلاف

وصف الله تعالى الظالمين الذين جعل لعنة الله عليهم بأنهم يصدون عن سبيل الله بمعنى انهم يغرّون الخلق ويصرفونهم عن المصير اليه واتباعه بغير الحق ، ويجوز ان يكون صده عن الفساد بدعائه الى تركه ، والصد عن الحق سبب الامتناع منه اذا صادف منه مايهواه ففعله من اجل ذلك الداعي ، وانما جاز تمكين الصادّ من الفساد لانه مكلف للامتناع . وليس في منعه لطف بأن ينصرف عن الفساد الى الصلاح ، فهو كشهوة القبيح الذي به يصح التكليف ، قال ابو علي ولو لم يكن اغواء الشيطان اضلالا لعمل من قبل نفسه ذلك اوشرّ آ منه .

وقوله « يبغونها عوجا » معناه انهم يطلبون لسبيل الله عدولا عنه . والعوج العدول عن طريق الصواب ، وهو في الدين عوج بالكسر وفي العود عوج بالفتح ، فرقوا بين ما يرى وبين ما لا يرى ، فجعلوا السهل للسهل والصعب للصعب بالفتح والكسر والبغية طلبة أمر من الأمور تقول بغاه يبغيه بغية مثل طلبه يطلبه طلبة .

وقوله «وهم بالاخرة هم كافرون » اخبار منه تعالى أن هؤلاء الذين يصدون عن سبيل الله كافرون بالآخرة وبالبعث والنشور والثواب والعقاب أي جاحدون غير مقرين .

وقوله « وهم بالاخرة هم كافرون » كرر (هم) مرتين كما قال « يعدكم انكم اذا متم وكنتم تراباً وعظاماً انكم مخرجون » (١) كرر (انكم) مرتين ووجه ذلك انه لما طال الكلام وفارق فعله كرره مرة اخرى .

قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ

(١) سورة المؤمنين آية ٣٣

دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ (٢٠) آية بلا خلاف

اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأن عليهم لعنة الله وانهم الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً بأنهم غير « معجزين في الأرض » أي لم يكونوا فائتين فيها هرباً من الله تعالى إذا أراد إهلاكهم كما يهرب الهارب من عدو، وقد جد في طلبه. والاعجاز الامتناع من المراد بما لا يكن معه ايقاعه وأنهم لم يكن لهم ولي يستطيع الدفاع عنهم من دون الله . والولي الخصيص بأن يلي بالمعاونة لدفع الاذية ، ومنه قولهم يولاك الله بحفظه ، فلا ولي لهؤلاء يعاونهم ويدفع العقوبة عنهم ، لان الله تعالى قد أيأسهم من ذلك .

وقوله « يضاعف لهم العذاب » قيل في معناه قولان :

احدهما - بحسب تضاعف الاجرام .

والاخر - كلما ضعف جاء ضعف ، وكله على قدر الاستحقاق .

وقوله « ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون » معناه انه كان يثقل عليهم سماع الحق ورؤيته ، كما يقال : فلان لا يستطيع النظر الى فلان ، وحقيقة الاستطاعة القوة التي تنطاع بها الجارحة للفعل ، ولذلك لا يقال في الله أنه يستطيع . وليس المراد بنفي الاستطاعة في الآية نفي القدرة بل ما ذكرناه ، لأنه لو لم يكن فيهم قدرة لما حسن تكليفهم .

وقد ذكر الفراء فيه وجهاً مليحاً ، فقال : المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يعقلون ، وحذف الباء كما قال « اليم بما كانوا يكذبون » (١) أي بتكذيبهم وسقوط الباء جائز ، كما قال « احسن ما كانوا يعملون » (٢) ويقول

(١) سورة البقرة آية ١٠　　(٢) سورة التوبة آية ١٢٢

القائل لأجزينك ما عملت ، وبما عملت . واختار ذلك البلخي .

والسمع ادراك الصوت بما به يكون مسموعاً . والابصار ادراك الشيء بما به يكون مبصراً .

قوله تعالى :

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٢١) آية بلا خلاف .

ثم اخبر عنهم بخبر آخر وهو أنهم « الذين خسروا انفسهم » من حيث انهم فعلوا ما يستحقون به العذاب وهلكوا بذلك في خسران انفسهم ، وخسران النفس أعظم الخسران ، لانه ليس عنها عوض ، وعن هلاك رأس المال عوض ، فسلامة النفس اجل فائدة ، وما كان بعده من نفع فهو ربح .

وقوله « وضل عنهم ما كانوا يفترون » قيل في معناه قولان :

احدهما - ذهب عنهم الانتفاع بالافتراء كما كانوا في الدنيا .

والثاني - ذهب عنهم الاوثان التي كانوا يؤملون بها الانتفاع - في قول الحسن .

« اولئك » اشارة الى البعيد ، (وهؤلاء) اشارة الى القريب واولاء مبني على الكسر ، لانه اسم للجمع بمنزلة الواحد . والكاف في (اولئك) حرف يدل على ان الكلام الذي معه مخاطباً به .

ووجه اتصال (ما) في الاية ان (اولئك) إشارة الى من تقدم ذكره و (الذين) صفة لهم وهو موصول و (خسروا) صلته و (انفسهم) معمول الصلة و(ضل) معطوف على الصلة و (كانوا) صلة فاعل معطوف الصلة و(يفترون) خبر صلة فاعل معطوف الصلة ، وهو تمام (الاسم) .

قوله تعالى :

﴿ لاَجَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ ﴾ (٢٢) آية بلا خلاف .

معنى (لاجرم) قال الزجاج معنى (لا) نفي لما ظنوه أنه ينفعهم كأن المعنى لا ينفعهم ذلك . ثم ابتدأ (جرم) أنهم اي كسب ذلك الفعل لهم الخسران .

وقال غيره: معناه لا بد أنهم ، ولامحالة انهم . وقيل معناه حقاً انهم .

واصل (الجرم) القطع فكأنه قال لا قطع من انهم في الاخرة هم الاخسرون

و (جرم) في قوله (لاجرم) فعل ، وتقديره لاقطع قاطع عن ذا الا انهم كثر في كلامهم حتى صار كالمثل وهو من قول الشاعر :

ولقـــد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا (١)

اي قطعتهم الى الغضب ، فرواية الفراء نصب فزارة ، والمعنى كسبهم ان يغضبوا ، و خسران النفس يتعاظم ، لأن خسران النفس بعذاب دائم اعظم من خسرانها بعذاب منقطع ،

و (هم) في قوله « هم الاخسرون » يحتمل وجهين :

احدهما - ان يكون فصلا والأخسرون خبر (ان) و(هم) اذا كانت فصلا لم تقع في النكرة . وقولهم : ما كانوا في الدراهم القائمون ، فلا يكون إلا اسما فان جعلتها فصلا قلت كانوا في الدراهم القائمون .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ

(١) مر في ٣ : ٤٣٣ ، ٥ : ٤٧٣

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ آية بلا خلاف .

لما ذكر الله تعالى الكفار ووصف ما اعدلهم من العذاب وخسران النفس ، اخبر - هنا - ان الذين يؤمنون بالله ويعتقدون وحدانيته ويصدقون رسله ، وعملوا الاعمال الصالحة التي امرهم الله بها ورغبهم فيها « واخبتوا الى ربهم » اي خشعوا اليه والاخبات الخشوع المستمر على استواء فيه ، واصله الاستواء من الخبت ، وهو الارض المستوية الواسعة .

وقيل : ان الاخبات الانابة - ذكره ابن عباس - وقال مجاهد : هو الاطمئنان الى ذكر الله . وقال قتادة : هو الخشوع اليه والخضوع له .

وقال الحسن : هو الخشوع للمخافة الثابتة في القلب .

وقال الجبائي : الاخبات سكون الجوارح على وجه الخضوع لله تعالى .

وليس كل عمل صالح يستحق عليه حمد او مدح ، لانه مثل الحسن في انه ينقسم قسمين : احدهما - يستحق عليه الحمد . والاخر - لا يستحق عليه ، كالمباح فكذلك الصالحات . والمراد بالصالحات - هنا - الطاعة ، لانه وعد عليها الجزاء وفي قوله « ان الحسنات يذهبن السيئات » (١) .

وقوله « واخبتوا الى ربهم » قال قوم معناه اختبوا لربهم ، فوضع (الى) مكان اللام ، لان حروف الاضافة توضع بعضها مكان بعض ، كما قال « اوحى لها » (٢) بمعنى اوحى اليها . والآخر ان معناه عمدوا باخباتهم الى الله .

وقوله « اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون » اشارة الى المؤمنين الذين وصفهم بأنهم يعملون الصالحات ويخبتون الى ربهم ، فاخبر عنهم انهم اصحاب الجنة اللازمون لها وانهم فيها مخلدون دائمون .

---

(١) سورة هود آية ١١٥ (٢) سورة الزلزال آية ٥

قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٤) آية بلا خلاف .

المثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بحال الاول ، والامثال لا تغير عن صورتها كقولك للرجل (اطرى انك ناعلة) وكذلك يقال للكافر هو اعمى اصم اي هو بمنزلة الذين قيل لهم هذا القول ، ويجري هذا في كل كافر يأتي من بعد ، و (الواو) في قوله «كالاعمى والأصم» قيل في دخولها قولان:

احدهما العموم في التشبيه اي حال الكافر كحال الاعمى وكحال الاصم وكحال من جمع العمى والصمم .

الثاني أن المعنى واحد ، وانما دخلت الواو لاتصال الصفة الاولى بعلامة . وانما قال: هل يستويان ، لانه اراد الفريقين : الموصوف احدهما بالصمم والعمى ، والآخر بالبصر والسمع . وفائدة الآية تشبيه المؤمن والكافر في تباعد ما بينهما فشبههما بالاعمى والبصير والاصم والسميع ، فالكافر كالاعمى والاصم في انه لا يبصر طريق الرشد ولا يسمع الحق وانه مع ذلك على صفة النقص .

والصمم عبارة عن فساد آلة السمع ولو كان معنى يضاد السمع لتعاقبا على الحي ، والامر بخلافه ، لانه قد ينتفي حال الصمم ولا يكون سامعاً ، وكذلك العمى عبارة عن فساد آلة الرؤية وليس بمعنى يضاد الابصار ، لان الصحيح ان الادراك ايضاً ليس بمعنى ، ولو كان معنى لما وجب ان يكون العمى ضده ، لانه لو كان ضده لعاقبه على حال الحي وكان يجوز ان يحضر المرئي من الاجسام الكثيفة من غير ساتر فلا يرى مع حصول شروط الادراك لاجل وجود الضد ، وكذلك الصمم ولا ضد له لانه ليس هناك حال يعاقبه على حال مخصوصة كمعاقبة العجز القدرة على حال الحياة .

وقوله « هل يستويان مثلا » وان كان بصورة الاستفهام فهو لضرب من التوبيخ والتقريع .

وقوله « افلا تتفكرون » معناه أفلا يتفكرون في ذلك فيعلموا صحة ما ذكرنا

قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ (٢٦) آيتان بلا خلاف .

قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة (إنى) بكسر الهمزة . الباقون بفتحها .

قال ابو علي النحوي من فتحها حملها على (أرسلنا) اي ارسلناه بأنى لكم ، ولم يقل انه لانه انتقل عن الغيبة الى الخطاب ، ومثله كثير قال الله تعالى « وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة » ثم قال بعده « فخذها بقوة » (١) فكذلك الآية .

ومن كسر يضمر القول قبلها كأنه قال أرسلنا نوحا الى قومه فقال انى لكم نذير ومثله كثير قال الله تعالى « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم » (٢) اي يقولون سلام عليكم ، وقوله تعالى « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى » (٣) اي قالوا ما نعبدهم ويكون الكلام على ظاهره لم يرجع من الغيبة الى الخطاب ، وليس لأحد ان يرجح القراءة بالفتح من حيث ان ما بعده من قوله « أن لا تعبدوا إلا الله » محمول على الارسال فاذا فتحت كان أشكل بما بعدها لحملها جميعا على الارسال . وذلك أن من كسر حمل قوله « إني لكم » وما بعده على

(١) سورة الاعراف ١٤٤ (٢) سورة الرعد آية ٢٥ - ٢٦
(٣) سورة الزمر آية ٣

الاعتراض بين المفعول وما يتصل به مما بعده ، كما أن قوله « ان الهدى هدى الله » اعتراض بينهما في قوله « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما أوتيتم » (١) فكذلك قوله « إني لكم نذير مبين » لان التقدير ولقد أرسلنا نوحاً لانذار أن لا تعبدوا الا الله اني انذركم لتوحدوا الله وأن تتركوا عبادة غيره .

اقسم الله تعالى في هذه الآية أنه أرسل نوحاً وأمره أن يقول لهم اني مؤد عن الله ومخوفكم من عقابه وترك طاعاته ، لأن اللام في قوله « لقد » لام القسم وهي تدخل على الفعل والحرف الذي يختص بالفعل مما يصح معناه معه ، ولام الابتداء للاسم خاصة . ومعنى (قد) وقوع الشيء على وجه التقريب من الحال تقول : قد ركب الامير - لقوم يتوقعون ركوبه - .

وقوله « ان لا تعبدوا الا الله » يحتمل ان يكون موضع تعبدوا من الاعراب نصباً ، والمعنى ان لا تعبدوا الا الله ، ويجوز أن يكون موضعه جزماً على تقدير أي لا تعبدوا . ويحتمل أن يكون متعلقاً بقوله « أرسلنا » وتقديره أرسلنا بأن لا تعبدوا الا الله على ما بيناه من الاعتراض ، وحملها جميعاً على الارسال .

وقوله « اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم » اي مؤلم عذابه وانما قال عذاب يوم اليم بالجر ومعناه مؤلم ، لأن الألم يقع في اليوم ، فكأنه سبب الالم . ولو نصبته على ان يكون صفة للعذاب كان جائزاً ، ولم يقرأ به احد ،

وانما بدىء بالدعاء الى العبادة دون سائر الطاعات ، لأنها اهم مايدعى اليه من خالف الحق فيه ولانه يجب ان يفعل كل واحدة من الطاعات على وجه الاخلاص والعبادة فيها لله . وانما قال « انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم » مع ان عذاب الكافر معلوم ، كأنه يخاف ما لم يعلم ما يؤل اليه امرهم من ايمان او كفر ، وهذا لطف في

(١) سورة آل عمران آية ٧٣

الاستدعاء واقرب الى الاجابة في غالب امر الناس .

قوله تعالى :

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (٢٧) آية بلا خلاف .

قرأ ابو عمرو « بادىء الرأي » بالهمز في بادي . الباقون بلا همز .

قال ابو علي حدثنا محمد بن السدي ان اللحياني قال : يقال : انت بادي الراي تريد ظاهرنا لا يهمز (بادي) وباديء الرأي مهموز .

فمن لم يهمز اراد انت اول الراي ومبتدؤه وهما في القرآن . وقال ابو علي من قال (بادي الرأى) بلا همز جعله من بدا الشيء وهو ظهوره ، وما اتبعك الا اراذل فيما ظهر لهم من الراي اي لم يفعلوه بنظر فيه ولا بتبين له ، ومن همز اراد اتبعوك في اول الامر من غير فكر فيه ولا روية ، والقراءتان متقاربتان ، لان الهمز في اللام منها ابتداء الشيء واوله وابتداء الشيء يكون ظهوراً ، وان كان الشيء الظاهر قد يكون مبتدأ وغير مبتدأ ، فلذلك يستعمل كل واحد منها مكان الآخر يقولون . انا بادي بدا ، وبادىء بدى ، فاني احمد الله .

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن جماعة الرؤساء من قوم نوح الذين كفروا وجحدوا نبوته انهم قالوا له « ما نراك الا بشراً مثلنا » والبشر مأخوذ من ظهور البشرة لان الغالب على الحيوان غير الانسان ان يلبس البشرة منه بالصوف او الشعر او الريش او الصدف ، والانسان مأخوذ من النسيان لانهم يصغرونه انيسيان ، ويجوز ان يكون من الانسان الا انهم زادوا الياء في التصغير . والمثل ما سد مسد غيره في الجنس بمعنى انه لو ظهر للمشاهد لسدمسده ، كما يسد الاسود مسد الاسود في الجنس

من غير فضل .

وقوله « ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا » حكاية ايضاً عما قاله قوم نوح من أنه ما نرى من اتبعك الا انه رذل خسيس حقير من جماعتنا ، تقول : رذل ، وجمعه ارذال ، وجمع الجمع اراذل مثل كلب واكلب واكالب .

والعامل في (الذين) قوله « اتبعك » كأنه قال ما اتبعك الا الذين هم اراذلنا ونراك ملغى ، ذكره الفراء . قال ابو علي النحوي : هو نصب على الحال ، والعامل فيه (اتبعك) واخر الظرف واوقع بعد (الا) ولو كان غيره لم يجز لان الظرف اتسع فيه في مواضع .

ومعنى «بادي الراي » اول الرأي ما نراهم . والرأي والرؤية من قوله «يرونهم مثليهم رأي العين » (١) وهو نصب على المصدر كقولك ضربته اول الضرب . وقال الزجاج نصبه بـ (اتبعوك اول الراي) من غير فكر كأنه قيل اتبعوك رأياً غير سديد ، ومن قرأ بادي الرأي بلا همز اراد ظاهر الرأي قال الشاعر .

وقد علتني ذرأة بادي بدي ... وريشة تنهض في تشددى (٢)

وقال آخر .

اضحى خالي شبهي بادي بدي ... وصار للفحل لساني ويدي (٣)

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣ (٢) مجاز القرآن ١ : ١٨٨ واللسان والتاج (بدى ، ذرأ) وتفسير الطبرى ١٢ : ١٧ وسيبويه ٢ : ٥٤ ورواية اللسان (بالتشدد) بدل (فى تشدد) وقد روى هذا الشعر مرارا وفى احدها رواه والذى بعده على انه شعر واحد (٣) اللسان (بدا) وقد جمع هذا الشعر مع الذى قبله - هنا - على انهما شعر واحد ونسبه الى ابو نخلة .

يقول الشاعر ظاهرى فى الشبه لخالى أى خرجت عن شرخ الشباب الى حال الكهولة التى معها الرئى الصائب والحجا فصرت كالفحل فى كلامى وبطشى .

وقوله « وما نرى لكم علينا من فضل » تمام الحكاية عن كفار قوم نوح وانهم قالوا لنوح انا لا نرى لك ولا لمثالك علينا زيادة خير ، لان الفضل هو زيادة الخير ، وانما قالوا ذلك ، لانهم جهلوا في طريقة الاستدلال.

وقوله « بل نظنكم كاذبين » ايضاً تمام الحكاية عن كفار قومه انهم قالوا له ولمن آمن معه هذا القول .

قوله تعالى:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ (٢٨) آية بلاخلاف .

قرأ حمزة والكسائي وحفص « فعميت » بضم العين وتشديد الميم . الباقون بتخفيف الميم وفتح العين .

وقال ابو علي من قرأ «فعميت» بالتخفيف لقوله « فعميت عليهم الانباء يومئذ »(١) وهذه مثلها ويجوز في قوله (فعميت) امران :

احدهما - ان يكون عموا هم ، الا ترى ان الرحمة لا تعمى وانما يعمى عنها ، فيكون هذا من المقلوب، كقولهم ادخلت القلنسوة في راسي وادخلت الخاتم في اصبعي ونحو ذلك مما يقلب اذا زال الاشكال . والآخر - ان يكون معنى عميت خفيت كقول الشاعر :

ومهمه اطرافه في مهمه اعمى الهدى في الحائرين العمه(٢)

(١) سورة القصص آية ٦٦ (٢) قائله رؤبة بن العجاج ديوانه : ١٦٦ وتفسير الطبري ١ : ٣١٠ وقد مر في ١ : ٨١

اي خفى الهدى ألا ترى ان الهدى ليس بذي جارحة تلحقها هذه الآفة ، وقد قيل للسحاب العمى لخفاءة مايخفيه كما قيل له الغمام ومن ذلك قول زهير :

ولكنني عن علم ما في غد عمى (١) .

ومن شدد اعتبر قراءة الاعمش فانه قراها فعماها عليهم .

وروى ذلك الفراء عن أبي ،والمعنيان متقاربان . قال الفراء يقال عمى علي الخبر وعمي بمعنى واحد .

حكى الله تعالى عن قوم نوح ما قاله لقومه جواباً عما قالوه لهم مما حكيناه ، فانه « قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة » اي برهان وحجة من المعجزة التي تشهد بصحة النبوة . وخصهم بهذا اذ هو طريق العلم بالحق لا ما التمسوا من اختلاف الخلق . وقوله « اتاني رحمة من عنده » يرد عليهم ما ادعوه من انه ليس له عليهم فضل ، فبين ذلك بالهداية الى الحق من جهة البرهان المؤدي الى العلم .

وقوله « فعميت » يحتمل امرين :

احدهما ـ خفيت عليكم ، لأنكم لم تسلكوا الطريق المؤدي اليها .

والاخر - ان يكون المعنى عميتم عنها ، واضاف العمى الى البينة لما عموا عنها لضرب من المجاز ، لان المعنى ظاهر في ذلك ، كما يقال : ادخلت الخاتم في يدي والقلنسوة في راسي ، والمراد ادخلت يدي في الخاتم وراسي في القلنسوة .

ومن قرأ بتشديد الميم وضم العين اضاف التعمية الى غيرهم ممن صدهم عن النظر فيها واغواهم في ذلك من الشياطين والمضلين عن الحق .

وقوله « انلزمكموها وانتم لها كارهون » أنضطركم الى موجب البينة مع العلم مع كراهتكم لذلك فيبطل تكليفكم الاستدلال بالبينة المؤدية الى المعرفة اي اضطركم الى حال الضرورة .

---

(١) اللسان (عمى)

ووجه اخر وهو ان يكون المراد ان الذي علي ان ادل بالبينة ، وليس علي ان اضطركم الى المعرفة .

وفي قوله «انلزمكموها» ثلاث مضمرات ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب ، وهو أحسن ترتيب بدأ بالتكلم ، لانه اخص بالفعل ثم بالمخاطب ثم بالغائب ، ولو اتى بالمنفصل لجاز لتباعده عن العامل بمافرق بينه وبينه فاشبه ما ضربت إلا إياك وماضربني إلا انت . واجاز الفراء « انلزمكموها » بتسكين الميم جعله بمنزلة عضدوعضد وكبد وكبد .ولا يجوز ذلك عند البصريين ، لان الاعراب لا يلزم فيه النقل كما يلزم في بناء الكلمة، وانما يجيزون مثل ذلك في ضرورة الشعر كقول امرء القيس :

فاليوم اشرب غير مستحقب إثما من الله ولا واغل (١)

وقال اخر .

وناع يخبرنا بهلك سيد تقطع من وجد عليه الانامل (٢)

وقال اخر .

اذا اعوججن قلت صاحب قوم (٣)

يريد صاحب قوم

قوله تعالى :

﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ (٢٩) آية بلا خلاف .

في هذه الآية حكاية ما قال نوح لقومه اي لا اطلب منكم مالا أجراً على الرسالة

(١) ديوانه : ١٣ وتفسير القرطبي ٩ : ٢٦ (٢) مجمع البيان ٣ : ١٥٥

(٣) مجمع البيان ٣ : ١٥٥ ، صاحب بسكون الباء

ودعائكم الى الله فتمتنعون من اجابتي بل اجري وثوابي في ذلك على الله .

وقوله « وما انا بطارد الذين امنوا » معناه إني لست اطرد المؤمنين من عندي ولا ابعدهم على وجه الاهانة .

وقيل انهم كانوا سألوه طردهم ليؤمنوا انفة ان يكونوا معهم على سواء ذكره ابن جريج والزجاج .

وقوله « انهم ملاقوا ربهم » اخبار بأن هؤلاء المؤمنين ملاقوا جزاء ربهم بعقاب من طردهم في قول الزجاج .

وقوله «ولكني اراكم قوماً تجهلون» معناه اراكم تجهلون انهم خير منكم لايمانهم بربهم وكفركم به

وقال قوم : انهم قالوا له ان هؤلاء اتبعوك طمعاً في المال على الظاهر دون الباطل فقال لهم نوح انهم ملاقوا جزاء اعمالهم فيجازيهم على ما يعلم من بواطنهم ، وليس لي الا الظاهر احملهم على ظاهر الايمان فانتم تجهلون ذلك .

قوله تعالى :

﴿ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣٠) آية بلا خلاف .

ثم قال لهم نوح (ع) « ياقوم » واراد به الجماعة الذين يقومون بالأمر و (قوم) اسم جمع لا واحد له من لفظه . و« من ينصرني من الله » اي من يمنعني من الله ، يقال نصره من كذا يعني منعه منه ، ونصره عليه بمعنى اعانه عليه حتى يغلب ، ونصره الى كذا بمعنى نصره معه ، ومنه قوله « من انصاري الى الله » (١) ويجوز ان يقدر الله الكافر على الكفر ، ولا يجوز ان ينصره عليه ، لان النصرة على الشيء زيادة في القوة ليقع ذلك الشيء ، وهذا لايجوز على الله . والقدرة تصلح للضدين على منزلة

(١) سورة آل عمران آية ٥٢

سواء ولا دليل فيها على ارادة احدهما .

وقوله « افلا تذكرون » معناه افلا تتفكرون ، فتعلمون ان الامر على ماقلته .

وفرق الطبري بين التذكر والتفكر بأن قال : التذكر طلب معنى قد كان حاضراً للنفس و (التفكر) طلب معرفة الشيء بالقلب وان لم يكن حاضراً للنفس .

و (النصرة) المذكورة في الآية ليست من الشفاعة في شيء ، لان النصرة هي المنع على وجه المغالبة والقهر . والشفاعة هي المسألة على وجه الخضوع .

قوله تعالى :

﴿ وَلا أَقولُ لَكُمْ عِندي خَزائِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيبَ وَلا أَقولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقولُ لِلَّذينَ تَزْدَري أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيراً اللهُ أَعْلَمُ بِما في أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظّالِمينَ ﴾ (٣١) آية بلا خلاف .

في هذه الآية تمام الحكاية عما قال نوح لقومه وحاجهم به ، وهو أن قال لهم مضافاً الى ما مضى حكايته « ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك » والمعنى اني لا أرفع نفسي فوق قدرها ، فأدعي ان عندي خزائن الله من الأموال فأعطيكم منها واستطيل عليكم بها ، أو اقول اني اعلم الغيب ، او اقول لكم اني ملك روحاني غير مخلوق من ذكر وانثى بخلاف ما خلقني الله ، بل انا بشر مثلكم وانما خصني الله بالرسالة وشرفني بها .

وقيل معنى خزائن الله مقدوراته لأنه يوجد منها ما يشاء . وفي وصفها بذلك بلاغة .

وقيل « لا اقول لكم عندي خزائن الله » فادعوكم الى ان اعطيكم منها ، ذكره

ابن جريج .

و (الغيب) ذهاب الشيء عن الادراك ، ومنه الشاهد خلاف الغائب . واذا قيل علم الغيب معناه علم من غير تعلم ، وهو جميع الغيب ، وعلى هذا لا يعلم الغيب إلا الله تعالى .

وقوله « ولا أقول للذين تزدري اعينكم » اي لست اقول للذين احتقرتهم اعينكم . و (الازدراء) الافتعال من الزراية ، يقال : زريت عليه إذا عبته ، وازريت عليه اذا قصرت به ، والازدراء الاحتقار .

وقوله « لن يؤتيهم الله خيراً » معناه لا اقول لهؤلاء المؤمنين الذين احتقرتموهم انهم لا يعطيهم الله في المستقبل خيراً من اعمالهم ، ولا يثيبهم عليها ، من حيث لا علم لي بباطنهم بل الله اعلم بما في انفسهم هل هم مؤمنون في باطنهم ام لا ، ومتى قلت لا يعطيهم خيراً كنت اذاً من الظالمين الذين ظلموا انفسهم وغيرهم .

قوله تعالى :

﴿ قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ﴾ (٣٢) آية .

في هذه الآية حكاية عما قال قوم نوح لنوح جواباً عما قاله لهم فيما تقدم « يا نوح قد جادلتنا » اي خاصمتنا وحاججتنا فأكثرت مجادلتنا ، وروي فاكثرت جدلنا - والمعنى واحد ، فلسنا نؤمن لك « فأتنا بما تعدنا » من العذاب « ان كنت من الصادقين » فيما تقوله على الله تعالى .

وحقيقة المجادلة المقابلة بما يقبل الخصم من مذهبه بالحجة او شبهها ، وهو من الجدل لشدة الفتل ، ويقال للصقر اجدل ، لأنه اشد الطير . و (الاكثار) الزيادة على مقدار الكفاية . و (الاقلال) النقصان عن مقدار الكفاية .

والفرق بين الجدال والحجاج ان المطلوب بالحجاج ظهور الحجة ، والمطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب .

والمراء مذموم لانه مخاصمة في الحق بعد ظهور الحق كمري الضرع بعد دروره ، وليس كذلك الجدال .

وفي الاية دلالة على حسن الجدال في الدين ، لانه لو لم يكن حسناً لما استعمله نوح مع قومه ، لان الانبياء لا يفعلون إلا ما يحسن فعله .

قوله تعالى :

﴿ قالَ إنما يأتيكم بهِ اللهُ إنْ شاءَ وما أنتم بمعجزين ﴾ (٣٣) آية بلا خلاف .

فاجابهم نوح (ع) عما قالوه فقال انما يأتي بالعذاب الله تعالى دون غيره ، يأتي به متى يشاء ، ولستم تفوتونه هرباً ،

ومعنى (انما) اختصاص ما ذكر لمعنى دون غيره ، تقول : إنما زيد كريم أي هو كريم دون غيره ، وانما دخل (انما) بمعنى الاختصاص بالمذكور دون غيره ، لأنها لتحقيق المعنى ، ومن تحقيقه أن يكون لها دون غيره إذ المشترك لم يحقق على شيء بعينه ، واذا دخلت (إنما) هذه على (اسم) كان الاسم مرفوعاً ، لأن (ما) كافة للعامل ، ولولا ذلك لما دخلت على الفعل ، والاعجاز هو الفوت بالهرب .

وفي الآية دلالة على أن المجادلة تقوم بها الحجة على مخالف الحق ، لأنه لو لم تقم بها الحجة ما جادلهم نوح ولما قال الله تعالى للنبي (ص) « وجادلهم بالتي هي احسن (١)

قوله تعالى :

﴿ ولا ينفعكم نصحي إنْ أردتُ أنْ أنصحَ لكمْ إنْ كانَ اللهُ

(١) سورة النحل آية ١٢٥

يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤) آية بلا خلاف.

هذه الآية عطف على قول نوح إنما ياتيكم بالعذاب الله ان شاء ولستم تفوتونه ، « ولا ينفعكم نصحي » .

ويحتمل قوله « يريد ان يغويكم » امرين :

احدهما - ان كان الله يريد ان يخيبكم من رحمته بأن يحرمكم ثوابه ، ويعاقبكم لكفركم به، ولا ينفعكم نصحي يقال : غوى يغوي غياً ، ومنه قوله تعالى « فسوف يلقون غياً » (١) اي خيبة وعذاباً وقال الشاعر :

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما (٢)

فلما كان الله قد خيب قوم نوح من رحمته وثوابه وجنته أعلم نبيه نوحاً بذلك في قوله « لن يؤمن من قومك الا من قد آمن » (٣) وانهم سيصيرون الى خيبة وعذاب ، اخبرهم الله بذلك على لسان نبيه ، فقال « ولا ينفعكم نصحي » مع اتيانكم ما يوجب خيبتكم والعذاب الذى جره عليكم قبيح أفعالكم، ويريد الله اهلاككم وعقوبتكم على ذلك، وحكي عن طي انها تقول اصبح فلان غاوياً اى مريضاً . وحكي عن غيرهم سماعاً منهم أغويت فلاناً اهلكته، وغوى الفصيل اذا فقد اللبن ثلاث ، بكسر الواو في الماضي ، وفتحها فى المستقبل ، ومنه قوله تعالى «وعصى آدم ربه فغوى» (٤) اي خاب من الثواب الذى كان يحصل له بتركه .

والوجه الثانى - ان يكون جرى على عادة العرب في تسمية العقوبة باسم الشيء المعاقب عليه ، فيكون المعنى ان كان الله يريد عقوبتكم على اغوائكم الخلق واضلالكم اياهم ، فسمى عقوبته اياهم على اغوائهم اغواء كما قال « وجزاء سيئة سيئة » (٥) «ومكروا

(١) سورة مريم آية ٥٩ (٢) مر تخريجه فى ٢ : ٣١٢ وهو فى مجمع البيان ٣ : ١٥٤
(٣) سورة هود آية ٣٦ (٤) سورة طه آية ١٢١ (٥) سورة الشورى آية ٤٠

ومكر الله» (١) و«الله يستهزىء بهم» (٢) ونظائر ذلك كثيرة . ومثله قوله حكاية عن ابليس « بما اغويتني » (٣) فانه يحتمل هذين الوجهين ، الاول يحتمل ان يكون فبما خيبتني ، والثاني فيما جازيتني على اغواء الخلق عن الهدى ، ولا يجوز أن يكون المراد بذلك ان يجعلهم كفاراً على ما يذهب اليه المجبرة ، لان الاغواء بمعنى الدعاء الى الكفر أو فعل الكفر لا يجوز عليه تعالى لقبحه كقبح الامر بالكفر .

والنصح اخلاص العمل من الفساد على الاجتهاد فيه . والنصح نقيض الغش .

وكان نصح نوح لقومه إعلامهم موضع الغي ليتقوه ، وموضع الرشد ليتبعوه . وانما شرط النصح بالارادة ـ في قوله « ان اردت ان انصح » مع وقوع هذا النصح ـ استظهاراً في الحجة لانهم ذهبوا الى انه ليس بنصح ، فقال لو كان نصحاً ما نفع من لا يقبله .

وقوله « هو ربكم واليه ترجعون » اخبار من نوح ان الله الذي عذبكم وخيبكم من رحمته هو الذى خلقكم ويميتكم ثم يردكم بان يحييكم ليجازيكم على افعالكم ويعاقبكم على كفركم بنعمه حيث لا ينفعكم استدراك ما فات ، ولا ينفعكم الندم على ما مضى .

وقال الحسن معنى الآية ان كان الله يريد ان يعذبكم وينزل بكم عذابه فانتم عند ذلك لا ينفعكم نصحي لان الله تعالى لا يقبل الايمان عند نزول العذاب .

وقال بعض العلماء : ان قوم نوح كانوا يعتقدون ان ما هم عليه بارادة الله لولا ذلك لغيره واجبرهم على خلافه ، فقال نوح على وجه الانكار عليهم والتعجب من قولهم ان نصحي لا ينفعكم ان كان القول كما تقولون وتعتقدونه ، حكى ذلك البلخي .

(١) سورة آل عمران آية ٥٤ (٢) سورة البقرة آية ١٥
(٣) الاعراف آية سورة ١٥ و سورة الحجر آية ٣٩

قوله تعالى :

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ (٣٥) آية بلا خلاف .

معنى قوله «ام يقولون» اخبار من الله تعالى بان هؤلاء الكفار الذين ليس يقبلون ماأتاهم به من عند الله يقولون ليس هذا القرآن من عند الله بل افتراه وتخرصه وكذبه على الله ، فمعنى (أم) في الآية (بل) ، فأمر الله تعالى نبيه (ص) أن يقول لهم إن افتريته ، فعلى اجرامي .

وقيل في معناه قولان :

احدهما ـ انه وعيد ، باني ان كنت افتريته فيما أخبرتكم به من الخبر عن نوح فعلي عقاب جرمي ، وان كانت الأخرى فعليكم عقاب تكذيبي ، وستعلمون صدق قولي وايانا الاحق .

الوجه الثاني ـ انه قال ذلك على وجه الاحتجاج بصحة أمره بأن لا يتقول مثل هذا مع ما فيه من العذاب في الاخرة والعار في الدنيا مع انه ذو امانة وصيانة . وهو في خطاب محمد (ص) .

وقوله « وانا بريء مما تجرمون » معناه ليس علي من اجرامكم ضرر وانما ضرر ذلك عليكم فاعملوا بحسب ما يقتضيه العقل من التفكر في هذا المعنى .

والفرق بين افتراء الكذب وبين قول الكذب ان قول الكذب قد يكون على وجه تقليد من الانسان لغيره ، واما افتراؤه فهو افتعاله من قبل نفسه .

ومعنى اجرم اذنب ومثله جرم قال النميري حار الزبرقان :

طريد عشيرة ، ورهين ذنب بما جرمت يدي وجنى لساني (١)

(١) تفسير الطبري ١٢ : ١٨ والقرطبي ٩ : ٢٩ واللسان والتاج (جرم) ومجاز القرآن ١ : ٢٨٨

ومعنى اجرم اقترف السيئة بفعلها لأنه من القطع ، وأذنب اي تشبه بالذنب في السقوط ، وجرم واجرم في الماء ثم اكثر ، قال الشاعر :

كذا الناس مجروم عليه وجارم

قوله تعالى :

﴿ وَاوحِيَ الى نوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانوا يَفْعَلونَ ﴾ (٣٦) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى في هذه الآية انه اوحى الى نوح ، وقال له انه لن يؤمن احد من قومك في المستقبل اكثر من الذين آمنوا ، فلا تبتئس أي لا تغتم ولا يلحقك حزن لاجلهم ، يقال ابتأس ابتآساً فهو مبتئس ، وقد يكون البؤس الثغر ، والابتآس حزن في الاستكانه انشد ابو عبيده .

ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريماناعم البال (١)

واصله البؤس وهو الفقر والمسكنة . ولما اعلم الله نوحاً (ع) أن احداً من قومه لا يؤمن فيما بعد ، ولا من نسلهم قال « رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً »(٢) ذكره قتادة وغيره . والعقل لا يدل على أن قوماً لا يؤمنون في المستقبل وإنما طريق ذلك السمع ، وقد يغلب في الظن ذلك مع قيام التجويز ، ألا ترى انه يغلب في ظنوننا أن الروم مع كثرتهم لا يؤمنون جملة إلا انه ليس يمتنع مع ذلك أن يؤمنوا ، لان الله كلفهم الايمان ، فلو لم يكن ذلك جائزاً لما كلفهم .

---

(١) قائله حسان ديوانه ٣٢٦ شرح البرقوقي واللسان (باس) ومجمع البيان ٣ : ١٥٦

(٢) سورة نوح آية ٢٦ - ٢٧

قوله تعالى :

﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ (٣٧) آية بلا خلاف .

في هذه الآية اخبار من الله تعالى عما أمر به (عز وجل) نوحاً (ع) - حين أيأسه من ايمان قومه فيما بعد ، وانه مهلكهم بالطوفان - بأن يتخذ الفلك ويصنعها والصنع جعل الشيء موجوداً بعد أن كان معدوماً ، ومثله الفعل ، ويتفصلان من الحدوث من حيث أن الصنعة تقتضي صانعاً ، والفعل يقتضي فاعلا من حيث اللفظ . وليس كذلك الحدوث ، لأنه يفيد تجدد الوجود لا غير .

اللغة :

والصناعة الحرفة التي يكتسب بها والفلك السفينة ويكون ذلك واحداً وجمعاً ، كما قيل في أسد واسد قالوا في فلك وفلك ، لأن (فعلا وفعلا) جمعهما واحد ، ويأتيان بمعنى واحد كثيراً يقال : عجم وعجم وعرب وعرب ، ومثله فلك وفلك . والفلك والفلكة يقال لكل شيء مستدير او شيء فيه استدارة ، وتفلك ثدي المرأة إذا استدار ، ومنه الفلك .

وقوله « باعيننا » معناه بحيث نراها وكأنها ترى بأعين على طريق المبالغة . والمعنى بحفظنا إياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك .

المعنى :

وقال الجبائي باعين اوليائنا من الملائكة الذين يعلمونك كيفية عملها ، والموكلين بك. وقيل معناه بعلمنا . وقوله « ووحينا » اي على ما اوحينا اليك من صفتها وحالها. قال ابن عباس امره الله تعالى ان يبنيها على هيئة جؤجؤ الطائر ويجوز ان يكون

المراد بوحينا اليك ان اصنعها .

وقوله « ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون» نهي لنوح (ع) ان يراجع الله تعالى ويخاطبه ويسأله في امرهم بأن يمهلهم ، ويؤخر إهلاكهم ، لأنه حكم بأهلاكهم واخبر بأنه سيغرقهم ، فلا يكون الامر بخلاف ما اخبر به . ويجوز الامر بما علم انه لا يكون ، ولا يجوز ان يدعو بما يعلم انه لا يكون ، لان في ذلك ايهاماً بأنه لا يرضى باختياره ، وليس كذلك الامر ، لانه يتناول من يجوز عليه هذا المعنى . وكسر (انهم) على الابتداء .

قوله تعالى:

﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ (٣٩)

آيتان بلاخلاف.

اخبر الله تعالى في هذه الآية عن نوح انه اخذ في عمل السفينة ، قال الحسن كان طولها الف ذراع ومئتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع . وقال قتادة كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراع وارتفاعها ثلاثين ذراعا وبابها في عرضها . وقال ابن عباس كانت ثلاث طبقات : طبقة للناس ، وطبقة للطير وطبقة للدواب والوحش .

وقوله « وكلما مر عليه ملاء من قومه سخروا منه » اخبار من الله عن اشراف قومه ورؤسائهم انهم كلما اجتازوا به وهو يعمل السفينة هزؤا من فعله . وقيل إنهم كانوا يقولون : يا نوح صرت نجاراً بعد النبوة على طريق الاستهزاء .

وقال الرماني: السخرية اظهار خلاف الباطن على جهة يفهم منها استضعاف العقل

ومنه التسخير : التذليل استضعافاً بالقهر .

والفرق بين السخرية واللعب ان في السخرية خديعة واستنقاصاً ، ولا يكون الا لحيوان ، وقد يكون اللعب بجماد لانه طلب الفرجة من غير مراعاة لما يعقب ، كفعل الصبي .

وانما كانوا يسخرون من عمل السفينة ، لانه كان يعملها في البر على صفة من الهول ولا ماء هناك يحمل مثلها فكانوا يتضاحكون ويتعجبون من عمله .

وقوله « انا نسخر منكم كما تسخرون » جواب من نوح لهم بأنا نسخر منكم يعني نذمكم على سخريتكم ، وسماه سخرية ، كما قال « وجزاء سيئة سيئة مثلها » (١) وقوله « ومكروا ومكر الله » (٢) واطلق عليه اسم السخرية على وجه الازدواج .

وقال قوم معناه ان تستجهلونا في هذا الفعل فانا نستجهلكم ، كما تستجهلون ، ذكره الزجاج .

وقوله « فسوف تعلمون » (سوف) ينقل الفعل عن الحال الى الاستقبال مثل السين سواء الا ان فيه معنى التسويف وهو تعليق النفس بما يكون من الامور .

وقوله « من يأتيه عذاب » قيل في معنى (من) قولان :

احدهما - ان يكون بمعنى اي ، كأنه قال فسوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه .

الثاني - ان يكون بمعنى الذي ، والمعنى واحد .

و (من) اذا كانت استفهاماً استغنت عن الصلة ، واذا كانت بمعنى الذي فلا بد لها من الصلة ، كما استغنت (كم . وكيف) لان البيان مطلوب من المسئول دون السائل .

الخزي العيب الذي يظهر فضيحته والعار به ، ومنه الذل والهوان .

وقوله « ويحل عليه » معناه ينزل عليه . وقال الرماني الحلول النزول المقام وهو من الحل خلاف الارتحال . وحلول العرض وجوده في الجوهر من غير شغل حيز .

---

(١) سورة الشورى آية ٤٠ (٢) سورة آل عمران آية ٥٤

وقوله « عذاب مقيم » اي دائم لا يزول .

قوله تعالى :

﴿ حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل ﴾ (٤٠) آية بلا خلاف .

قرأ حفص « من كل زوجين » بتنوين في اللام هنا ، وفي المؤمنون . وقال ابو الحسن يقال للاثنين هما زوجان ، قال الله تعالى « ومن كل شيء خلقنا زوجين (١) يقال للمراة زوج ، وللرجل زوجها قال الله تعالى « وخلق منها زوجها » (٢) وقال « امسك عليك زوجك » (٣) وقال بعضهم زوجة . قال الاخطل :

زوجة اشمط مرهوب بوادره قد صار في رأسه التخويص والنزع (٤)

وقال ابو الحسن يقال للاثنين هما زوج . قال ابو علي الفارسي يدل على أن الزوج يقع للواحد ، قوله « ثمانية أزواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين » الى قوله « ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين » (٥) وقال الكسائي اكثر كلام العرب بالهاء وقال القاسم بن معن : انه سمعها من العرب من اسد شنوءة ، وليس في القرآن بالهاء ، وهو أفصح من اثباتها عند البصريين .

ومن قرأ بالاضافة كان قوله « اثنين » مفعول الحمل . والمعنى احمل من الأزواج إذا كانت اثنين اثنين زوجين ، فالزوجان من قوله « من كل زوجين » يريد بها الشياع ،

---

(١) سورة الذاريات آية ٤٩ (٢) سورة النساء آية ١

(٣) سورة الاحزاب آية ٣٧ (٤) ديوانه ٦٩ . الشمط : البياض مع السواد ، واذا بدا فى رأسه البياض قيل : خوصه الشيب . والنزع : الصلع .

(٥) سورة الانعام آية ١٤٣ - ١٤٤

ولا يراد به الناقص من الاثنين ، ومنه قول الشاعر:

فما لك بالامر الذي لا تستطيع بدار

ومن نون حذف المضاف من (كل) والمعني من كل شيء أو من كل زوج زوجين اثنين ، فيكون انتصاب اثنين على أنه صفة لزوجين ، وذكر تأكيداً كما قال «الهين اثنين» (١).

اعلم الله نوحاً في هذه الآية أن وقت هلاك قومه الكفار فور التنور ، وفي (التنور) اقوال :

منها ان الماء اذا فار من التنور الذي يخبز فيه .

وقيل التنور عين ماء معروفة ، وتنور الخابزة وافقت فيه لغة العرب لغة العجم .

وقيل ان التنور وجه الارض ، ذكره ابن عباس ، واختاره الزجاج .

وقيل التنور تنور الصبح ، روي ذلك عن علي (ع) .

و (حتى) متعلقة بقوله « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا .... حتى » .

اخبر الله تعالى انه لما جاء امره باهلاك قوم نوح (ع) لاستحقاقهم ذلك بالكفر ، وفار التنور يعني خروج الماء من موضع لم يعهد خروجه منه علامة لنوح (ع) وهو تنور الخبز - في قول ابن عباس والحسن ومجاهد - وقيل هو تنور آدم (ع) ويقال فار اذا ارتفع ما فيه ، كما يفور القدر بالغليان ، فار ، يفور ، فوراً . وقال ابن عباس : فار إذا نبع .

وقوله « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين » اخبار منه تعالى انه امر نوحاً ان يحمل معه في سفينته من كل جنس زوجين . والزوج واحد له شكل إلا انه قد كثر على الرجل الذي له امراة ، قال الحسن في قوله « من كل شيء خلقنا زوجين » فالسماء زوج والارض زوج والشتاء زوج ، والصيف زوج ، والليل زوج ، والنهار زوج ، حتى يصير الامر الى الله الفرد الذي لا يشبهه شيء قال الاعشى :

(١) سورة النحل آية ٥١

وكل زوج من الديباج تلبسه ابو قدامة محبواً بذاك معاً (١)

وقوله « واهلك » معناه واحمل معك « اهلك » إلا من سبق عليه القول بالاهلاك . قال الضحاك وابن جريج هو ابنه وامراته .

وقوله « ومن آمن » تقديره واحمل من آمن . ثم اخبر تعالى فقال « وما آمن معه الا قليل » . قال ابن جريج القليل الذين نجو معه كانوا ثمانية وقال الاعمش كانوا سبعة ، وقال ابن عباس كانوا ثمانين ، وكان فيهم ثلاثة : بنيه : يافث وسام وحام ، وثلاث كنائن له ، ويافث جد الترك ، والروم والصقالبة ، واصناف البيضان . وحام جد السودان وهم الحبش والنوبة والزنج وغيرهم . وسام ابو فارس واصناف العجم .

قوله تعالى :

﴿ وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ﴾ (٤١) آية .

القراءة والأعراب والحجة :

قرأ حمزة والكسائي « مجراها » بفتح الميم . الباقون بضمها ، وكلهم ضم ميم مرساها . ومن ضمها قابل بينها وبين مرسها لما بينهما من المشاكلة . ومن فتح ، فلانه قال بعده « وهي تجري » ومن اختار الاول ، قال التقدير اجري فجرت .

قال ابو علي الفارسي يجوز في « بسم الله مجراها ومرساها » ان يكون حالا من شيئين :

احدهما - ان يكون من الضمير الذي في (اركبوا) ومن الضمير الذي في (فيها) ، فان جعلت « بسم الله مجراها » خبر مبتدأ مقدم في قول من لا يرفع بالظرف ،

(١) ديوانه ٨٦ وتفسير القرطبي ٩ : ٣٥ . ومعنى البيت ان أبا قدامة يعطى كل ما تعطاه .

او جعلته مرتفعاً بالظرف ، ولم يكن قوله « بسم الله مجراها » إلا جمله في موضع الحال من الضمير الذي في (فيها) ولا يجوز ان يكون الضمير في قوله « اركبوا فيها » لانه لا ذكر فيها يرجع الى الضمير الا ترى ان الظرف في قول من يرفع به ارتفع به الظاهر ، وفي قول من رفع مثل هذا بالابتداء قد حصل في الظرف ضمير المبتدأ ، فاذا كان كذلك خلت الجملة من ضمير يعود من الحال الى ذي الحال . واذا كان كذلك لم يكن الا حالا من الضمير الذي في (فيها) .

ويجوز ان يكون قوله « بسم الله » حالا من الضمير الذي في (اركبوا) على ان لا يكون الظرف خبراً عن الاسم الذي هو (مجراها) على ما كان في الوجه الأول ، ويكون المعنى اركبوا الآن متبركين ببسم الله في الوقتين الذين لا ينفك الراكبون فيها منها من الارساء والاجراء ، وليس يريد اركبوا في وقت الجري والرسو ، فموضع مجراها نصب على هذا الوجه بأنه ظرف عمل فيه على المعنى . وفي الوجه الاول رفع بالابتداء وبالظرف .

ومن فتح الميم فلانه قال « وهي تجري » ومن ضم ، فلان جرت بهم واجري بهم متقاربان في المعنى ، ويقال جرى الشيء وجريت به واجريته ، وانما ضموا الميم من (مرساها) لقوله « ايان مرساها » (١) وقوله « والجبال ارساها » (٢) ومن امال او ترك الامالة ، فكلاهما حسنان .

المعنى واللغة

اخبر الله تعالى عما قال نوح حين دنا ركوبهم السفينة « اركبوا فيها » يعني في السفينة ، والركوب العلو على ظهر الشيء فمنه ركوب الدابة وركوب السفينة ، وركوب البر وركوب البحر .

(١) سورة الاعراف آية ١٨٦ وسورة النازعات آية ٤٢ (٢) سورة النازعات آية ٣٢

والعامل في « بسم الله » يحتمل ثلاثة اشياء : احدها (اركبوا) ، والثاني أبتدؤا ببسم الله . والثالث - أجراها وأرساها .

والمجري يحتمل ثلاثة اوجه : احدها - ان يكون موضع الاجراء . والثاني وقت الاجراء . والثالث - نفس الاجراء .

وقيل كان اذا اراد أن تجرى قال « بسم الله » فجرت ، فاذا أراد أن ترسو قال « بسم الله » فرست ذكره الضحاك قال لبيد :

عمرت حين ثلاثاً قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود (١)

والارساء امساك السفينة بما تقف عليه ، ارساها ارساء ورست ترسو قال عنترة :

فصرت نفساً عند ذلك حرة ترسو إذا نفس الجبان تطلع (٢)

وقوله « ان ربي لغفور رحيم » اخبار منه تعالى حكاية عما قال نوح لقومه « ان ربي لغفور رحيم » اي ساتر عليهم ذنوبهم رحيم بهم منعم عليهم .

ووجه اتصال الآية بما قبلها انه لما ذكرت النجاة بالركوب في السفينة ذكرت النعمة بالمغفرة والرحمة ليجتلب الطاعة كما اجتلب النجاة .

قوله تعالى :

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٤٢) آية بلا خلاف .

اخبر الله تعالى عن حال السفينة بعد الغرق انها كانت تجري على الماء في امواج

---

(١) ديوانه : ٢٥ واصلاح المنطق : ١٨٦ واللسان والتاج (جرى) ومجاز القرآن ٢٨٨ وغيرها .

(٢) ديوانه طبع (دار بيروت) : ٢٩ والدار المنثور ٣ : ٣٣٨ ورواية الديوان

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو إذا نفس الجبان تطلع

كالجبال .

والجري مر سريع كمر الماء على وجه الارض . والسفينة تجري بالماء والفرس يجري في عدوه ، ويقال هذه العلة تجري في احكامها اي تمر فيها من غير مانع منها . والموج جمع موجة وهي قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير ، ومنه امواج البحر واعظم ما يكون اذا اشتدت به الريح ، وشبه الله تعالى الامواج بالجبال في عظمها ، والجبل جسم عظيم الغلظ شاخص من الارض هو لها كالوتد في عظمه ، وجمعه اجبال وجبال

وقوله « ونادى نوح ابنه وكان في معزل » فالمعزل موضع منقطع عن غيره . وكان ابن نوح في ناحية منقطعة عنه حين ناداه وقرأ عاصم « يا بني اركب » بفتح الياء الباقون بكسرها . وفي قوله « يابني » ثلاث ياءات ، ياء التصغير ، وياء الاصل ، وياء الاضافة . وفي قوله « يا بني ان الله اصطفى لكم الدين » (١) يا آن ، ياء الجمع وياء الاضافة .

قال ابو علي الفارسي : الوجه كسر الياء ، لان اللام من (ابن) ياء او واو ، وحذفت من (ابن) كما حذفت من (اسم) فاذا حقرت ألحقت ياء التحقير ، لزم أن ترد اللام الذي حذفت لانك لو لم تردها لوجب ان تحرك ياء التصغير بحركات الاعراب ، وهي لاتحرك أبداً بحركات الاعراب ولا غيرها ، فاذا أضفته الى نفسك أجتمعت ثلاث ياءآت : ، الاولى التي للتحقير ، والثانية لام الفعل ، والثالثة هي التي للاضافة تقول بني ، فاذا ناديت جاز فيه وجهان : اثبات الياء وحذفها ، فمن قال يا عبادي فأثبت الياء فقياسه أن يقول يا بنيّ ، ومن قال ياعباد يقول يا بني حذفت التي للاضافة ، وابقيت الكسره دلالة عليها . وهذا هو الجيد عندهم . ومن فتح الياء اراد الاضافة كما ارادها في قوله يا بنيّ اذا كسر الياء التي هي آخر الفعل ، كأنه قال يا بني ثم أبدل من الكسرة الفتحة ، ومن الياء الالف ، فصار (يا بنيّ) كما قال :

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٢

يا بنت عما لا تلومي واهجعي (١) .

ثم حذفت الالف كما كانت تحذف الياء في يابني انها ، وقد حذفت الياء التي للاضافة اذا ابدلت الالف منها قال ابو الحسن :

فلست بمـــدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لواني (٢)

كذلك سمع من العرب ، فقوله بلهف انما هو بلهفا ، فحذفت الالف . قال ابو عثمان ووضع الالف مكان الياء في الاضافة مطرد وأجاز يازيداقبل اذا اردت الاضافة

قوله تعالى :

﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ (٤٣) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى في هذه الآية ما أجاب ابن نوح أباه (ع) فانه « قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء » اي سأرجع الى مأوى من جبل يعصمني من الماء اي يمنعني منه ، يقال آوى يأوى أويا إذا رجع الى منزل يقيم فيه و (العصمة) المنع من الآفة والمعصوم في الدين الممنوع باللطف من فعل القبيح لاعلى وجه الحيلولة .

فان قيل كيف دعا نوح ابنه الى الركوب معه في السفينة مع أن الله تعالى نهاه ان يركب فيها كافراً ؟

قلنا : فيه جوابان : احدهما - أنه دعاه الى الركوب بشرط أن يؤمن . الثاني - قال الحسن والجبائي انه كان ينافق باظهار الايمان .

فان قيل : هلا كان ما صار اليه ابن نوح من تلك الحال الهائلة الجاء ؟

---

(١) مجمع البيان ٣ : ١٦٢ (٢) مجمع البيان ٣ : ١٦٢ . واللسان ﴿ لهف ﴾ ومعنى البيت ان الذى فات لايدرك بقول : والهفا ، وقول لو أنى فعلت كذا لما صار كذا

قلنا : لا. لان الالجاء لا يكون إلا بأحد شيئين :

احدهما - بأن يخلق فيه العلم بأنه متى رام خلافه منع منه .

الثاني - تتوفر الدواعي من ترغيب او ترهيب ، ولم يحصل له واحد من الأمرين ، لأنه جوز أن يكون من عجائب الزمان ، وأنه وقع الى نوح علم به ، فتقدم فيه .

وقوله « لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم » حكاية لما قال نوح لولده حين « قال سآوى الى جبل يعصمني من الماء » بأنه لا مانع اليوم من امر الله واستثني من رحم ، وقيل فيه ثلاثة اقوال :

احدها - انه اشتثناء منقطع ، كأنه قال من رحم فانه معصوم .

الثاني - لا عاصم إلا من رحمنا برحمة الله سبحانه لنا كأنه قال لا عاصم إلا الله فنجا ، وهو نوح (ع) ، وهو اختيار ابي علي النحوي . وقال لانه يحتمل أن يكون (عاصم) بمعنى معصوم مثل دافق بمعنى مدفوق ، فيكون الاستثناء متصلا .

وقال ابن كيسان لما قال (لا عاصم) كان معناه لا معصوم ، لان في نفي العاصم نفي المعصوم ثم قال « إلا من رحم » فاستثناه على المعني ويكون متصلا .

وقوله « وحال بينهما الموج » اخبار منه تعالى انه حال بين نوح وولده الموج ، « فكان من المغرقين » .

قوله تعالى:

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤٤) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى في هذه الآية قصة نوح وقومه بأوجز لفظ وأبلغه ، وبلوغ الغاية

التي لا تدانيها بلاغة ولا تقاربها فصاحة ، لان قوله « وقيل يا أرض ابلعي ماءك » اخبار منه عن اذهاب الماء عن وجه الأرض في اوجز مدة فجرى ذلك مجرى ان قال لها ابلعي فبلعت .

والبلع في اللغة انتزاع الشيء من الحلق الى الجوف ، فكانت الارض تبلع الماء هكذا حتى صار في بطنها الغراء ، يقال بلعت وبلعت يفتح اللام وكسرها .

وقوله « ويا سماء اقلعي » اخبار ايضاً عن اقشاع السحاب ، وقطع المطر في اسرع وقت ، فكأنه قال لها اقلعي فأقلعت .

والاقلاع اذهاب الشيء من اصله حتى لا يبقى منه شيء . واقلع عن الأمر اذا تركه رأساً .

وقوله « وغيض الماء » اي اذهب به عن وجه الارض الى باطنها ، يقال غاض الماء يغيض غيضاً اذا ذهب في الارض .

وقوله « وقضى الامر » معناه اوقع الهلاك بقوم نوح على تمام . والقضاء وقوع الأمر على تمام واحكام .

وقوله « واستوت على الجودي » جبل معروف قال الزجاج بناحية امد ، وقال غيره بقرب جزيرة الموصل ، قال زيد بن عمر بن نفيل :

وقبلنا سبح الجودي والجمد .

وقيل : ارست على الجودي شهراً ، وقال قتادة اهبطوا يوم عاشوراء .

وقوله « وقيل بعدا للقوم الظالمين » معناه ابعدهم الله من الخير بعداً ، على وجه الدعاء . ويجوز ان يكون الله تعالى قال لهم ذلك . ويجوز ان يكون المؤمنون دعوا عليهم بذلك ، وهو منصوب على المصدر .

وقيل في هذه الآية وجوه كثيرة من عجيب البلاغة :

منها انه خرج مخرج الامر على جهة التعظيم من نحو « كن فيكون » (١) لانه من غير معاناة ، ولا لغوب .

ومنها حسن تقابل المعنى . ومنها حسن ائتلاف الالفاظ . ومن ذلك حسن البيان في تصوير الحال .

ومنها الايجاز من غير اخلال ، ومنها تقبل الفهم على اتم الكمال الى غير ذلك مما عليه هذا الكلام في الحسن العجيب واللطف البديع .

قوله تعالى :

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (٤٥) آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن نوح أنه حين رأى قومه قد اهلكهم الله تعالى « فقال يارب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق » لأنه تعالى كان وعده بأنه ينجيه وأهله ، وامره بأن يحملهم معه في الفلك في قوله « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك » فسأل نوح ربه ان ابنه إن كان ممن وعده بنجاته ان ينجيه ، فسأله بهذا الشرط ، لانه لايجوز ان يسأل نبي من انبياء الله امراً لا يجاب اليه ، وخاصة على رؤس الملاء ، لان ذلك ينفر عنهم . وانما يجوز ان يسأل بما يظهر له بشرط مقترن بالكلام وحال يدل عليه ، فيعرف انه لم يحصل الشرط .

والرب والمالك واحد . وقيل إن الرب المالك للشيء من كل وجه يصح ان يملك به ، وهو اتم الملك ، ولا تصح الصفة به على الاطلاق إلا لله تعالى . والانسان قد يكون مالكا بالاطلاق .

(١) سورة البقرة آية ١١٨ وآل عمران : ٤٧ ، ٥٩ والانعام : ٧٣ والنحل : ٤٠ ومريم : ٣٥ ويس : ٨٣ والمؤمن : ٦٣

وقوله « وانت احكم الحاكمين » يعني في قولك وفعلك ، لأنه حق تدعو اليه الحكمة ، فقال نوح ذلك على وجه الاعتراف تعظيما لله تعالى .

قوله تعالى :

﴿ قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ (٤٦) آيه بلا خلاف .

قرأ الكسائي ويعقوب « انه عمل غير صالح » على الفعل ، ونصب (غير) الكسائى . الباقون « عمل » اسم مرفوع منون (غير) رفع .

وقرأ ابن كثير (تسألنّ) بالتشديد ، وفتح النون ، وافقه نافع في التشديد إلا انه كسر النون . الباقون بالتخفيف والكسر من النون إلا ان ابا عمرو يثبت الياء في الاصل .

قال ابو علي النحوي (سالت) فعل يتعدى الي مفعولين وليس مما يدخل على المبتدأ وخبره ، ويمتنع ان يتعدى الى مفعول واحد .

فمن قرأ بفتح اللام ، ولم يكسر النون عداه الى مفعول واحد في اللفظ . والمعنى على التعدي الى ثان .

ومن كسر النون دل على انه عداه الى مفعولين ، احدهما - اسم المتكلم والاخر - الاسم الموصول ، وحذف النون المتصلة بياء المتكلم ، كما حذفت من قولهم (انى) كراهة اجتماع النونات .

ومن اثبت الياء فهو الاصل ، ومن حذفها اجتزأ بالكسرة الدالة عليها .

في هذه الآية حكاية عما اجاب الله به نوحا حين سألة نجاة ابنه بأن قال له « يانوح انه ليس من اهلك . . . » وقيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها ـ قال ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك واكثر المفسرين : انه ليس من اهلك الذين وعدتك بنجاتهم معك ، وانه كان ابنه لصلبه بدلالة قوله « ونادى نوح ابنه » فاضافه اليه اضافه مطلقة .

والثانى ـ انه اراد بذلك انه ليس من اهل دينك ، كما قال النبي (ص) (سلمان منا اهل البيت) وانما اراد على ديننا .

وثالثها ـ قال الحسن ومجاهد انه كان لغيره ، وولد على فراشه فسأل نوح على الظاهر فاعلمه الله باطن الأمر فنفاه منه على ما علمه ، فيكون على هذا هو نفسه عمل غير صالح ، كما يقولون : الشعر زهير ، وهذا الوجه ضعيف ، لان في ذلك طعنا على نبي وإضافة ما لا يليق به اليه . والمعتمد الاول .

وقال ابن عباس ما زنت امراة نبي قط ، وكانت الخيانة من امراة نوح انها كانت تنسبه الى الجنون . والخيانة من امراة لوط انها كانت تدل على اضيافه .

وروي عن علي (ع) انه قرأ ، ونادى نوح ابنها فنسبه الى المراة ، وأنه كان يربيه .

وروي عن محمد بن علي ابن الحسين (عليه السلام) وعروة بن الزبير انهما قرأا « و نادى نوح ابنه » بفتح الهاء وترك الالف كراهة ما يخالف المصحف ، وأرادا أن ينسباه الى المرأة ، وأنه لم يكن ابنه لصلبه .

وقال الحسن كان منافقاً يظهر الايمان ويستر الكفر .

وقوله « انه عمل غير صالح » فمن قرأ على الفعل ، فمعناه انه ليس من اهلك ، لانه عمل غير صالح ، وتقديره انه عمل عملا غير صالح ، وحذف الموصوف واقام الصفة مقامه ، وذلك يستعمل كثير ، وهذه القراءة تقوي قول من قال إن ابنه لم يكن على دينه ، لأن الله تعالى علل كونه ليس من اهله بأنه عمل عملا غير صالح .

واما من قرأ على الرفع والتنوين على الاسم فتقديره انه ذو عمل غير صالح فجاء على المبالغة في الصفة كما قالت الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار (١) .

قال الزجاج تقديره ، فانما هي ذات إقبال وادبار ، تصف الناقة في حنينها الى ولدها . وقيل ان المعنى ان سؤالك اياي هذا عمل غير صالح ذكره ابن عباس ومجاهد وابراهيم ، وهذا ضعيف ، لأن فيه اضافة القبيح الى الانبياء (ع) وذلك لا يجوز عندنا على حال ، فالاول هو الجيد .

ويحتمل ان يكون المراد ان كونك مع الكافرين وانحيازك اليهم وتركك الركوب معي عمل غير صالح .

« وقوله فلا تسألنى ما ليس لك به علم » معناه لا تسألني مالا تعلم انه جائز في حكمي ، لان هذا من سؤال الجاهلين . نهاه عن ذلك ، ولا يدل على ان ما نهاه عنه قد وقع ، كما ان قوله « لئن اشركت ليحبطن عملك » (٢) لا يدل على وقوع الشرك

وقوله « اني اعظك ان تكون من الجاهلين » فالوعظ الزجر عن القبيح عن ما يدعو الى الجهل على وجه الترغيب والترهيب . والصحيح ان الجهل قبيح على كل حال .

وقال الرماني انما يكون قبيحاً إذا وقع عن تعمد ، فاما إذا وقع غلطاً او سهواً لم يكن قبيحاً ولا حسناً ، وهذا ليس بصحيح ، لأن استحقاق الذم عليه يشرط بالعمد فاما قبحه فلا ، كما نقوله في الظلم سواء .

قوله تعالى:

﴿ قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم ﴾

(١) مر تخريجه فى ٢ : ٩٥ وهو فى تفسير القرطبى ٩ : ٤٩

(٢) سورة الزمر آية ٦٥

وَإِلَّا تَغفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ (٤٧) آية بلا خلاف .

في هـــذه الآية اخبار عما قاله نوح (ع) حين عرفه الله حال ولده ، وانه لا يستحق الغفران ، ووعظه بأن يكون من الجاهلين ، فانه قال « اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم » فالعياذة طلب النجاة بما يمنع من الشر يقال : عاذ يعوذ عوذاً وعياذاً ، فهو عائذ بالله والعياذ الاعتصام بما يمنع من الشر . والمعنى اني اعتصم بك ان اسالك مالا أعلمه ، وانما اعتصم من ذلك لان ما يعلمه الانسان يجوز ان يكون حسناً ، ويجوز كونه قبيحاً ، ولا يحسن أن يسأل ما يجوز كونه قبيحاً وان شرط حسن السؤال . وينبغي أن يشرط ان كان ما سأله حسناً فيحسن السؤال حينئذ .

قال الرماني ولا يحسن ان تسأل فتقول : اللهم احيي اقاربي في دار الدنيا على ما يصح ويجوز ، لأنه قد دل الدليل على ان ذلك لا يحسن في الحكمة ، فلا يجوز ان يسأله بحال ، وانما جاز اطلاق ما ليس لك به علم مع انه قد علمه سؤالا ، لان هـذا العلم لا يعتد به لان المراد علم ماله ان يسأله اياه .

وانما حذفت (يا) من قوله « رب اني اعوذ بك » واثبته في قوله « يانوح » لان ذلك نداء تعظيم ، وهذا نداء تنبيه فوجب ان يأتي بحرف التنبيه . وقوله (به) يحتمل وجهين :

احدهما - ان يكون كقوله « وكانوا فيه من الزاهدين » (١) و « اني لك من الناصحين » (٢) و « انا على ذلكم من الشاهدين » (٣) قال ابو الحسن انما يجوز في حروف الجزاء ذلك ، لان التقدير فيه ، والتعلق بمضمر تفسيره هذا الذي يظهر بعد ، وان كان لا يجوز تسليطه عليه . ومثله « يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ

(١) سورة يوسف آية ٢٠ (٢) سورة القصص آية ٢٠
(٣) سورة الحج آية ٥٦

للمجرمين » (١) فانتصب يوم يرون بما دل عليه لا بشرى يومئذ ، ولا يجوز فيما بعد (لا) هذه ان يتسلط على يوم وكذلك « ما ليس لك به علم » يتعلق بما دل عليه (علم) المذكور وان لم يجز ان يعمل فيه .

والثاني - ان يكون متعلقاً بالمستقر وهو العامل فيه كتعلق الظرف بالمعاني ، كما تقول ليس لك فيه رضاء فيكون (به) في الآية بمنزلة (فيه) .

قوله تعالى:

﴿ قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم ﴾ (٤٨) آية بلا خلاف .

في هذه الاية حكاية ما أمر الله تعالى به نوحاً حين استوت السفينة على الجبل ، وانه قال له « اهبط » اي انزل من الجبل ، فالهبوط نزول من اعلى مكان في الارض إلى ما دونه من السماء .

وقوله « بسلام منا » قيل في معناه وجهان :

احدهما - بسلامة منا وتحية منا ، قال لبيد :

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر (٢)

قيل انه بمعنى السلام عليكما .

والثاني - قيل معناه بتسليم منا عليك ، وقوله « وبركات عليك » معناه ونعم دائمة وخير ثابت حالا بعد حال ، وأصله الثبوت ، فمنه البروك والبركة لثبوت الماء

(١) سورة الفرقان آية ٢٢ (٢) ديوانه ٢ : ١ واللسان ﴿ عذر ﴾ . يخاطب الشاعر ابنتاه .

فيها قال الشاعر:

ولا ينجى من الغمرات إلا براكاء القتال أو الفرار (١)

اي الثبوت للقتال . ومعنى تبارك الله ثبت تعظيم ما لم يزل ولا يزال .

وقوله « وعلى امم ممن معك » فالامة الجماعة الكثيرة على ملة واحدة متفقة ، لأنه من (أمه ، يؤمه أما) اذا قصده او الاتفاق في المنطق على نحو منطق الطير . والمأكل والمشرب والمنكح ، حتى قيل ان الكلاب أمه . وقيل في معناه هنا قولان :

احدهما - انه اراد الامم الذين كانوا معه في السفينة فأخرج الله أمماً من نسلهم وجعل فيهم البركة .

والثاني - قال قوم يعني بذلك الامم من سائر الحيوان الذين كانوا معه ، لان الله تعالى جعل فيها البركة ، وتفضل عليها بالسلامة حتى كان منها نسل العالم .

وقوله « وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم » معناه انه يكون من نسلهم امم سيمتعهم الله في الدنيا بضروب من النعم فيكفرون نعمه ويجحدون ربو بيته ، فيهلكهم الله . ثم يمسهم بعدذلك عذاب مؤلم موجع ، وإنما رفع (امم) لأنه استأنف الاخبار عنهم .

قوله تعالى :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) آية

بلا خلاف .

---

(١) قائله بشر بن ابى خازم اللسان (برك) ومعنى البيت انه لا ينجى من غمرات الموت إلا الثبات فى الحرب او الفرار . ومعنى براكاء - هنا - ساحة القتال . ويقال براك بمعنى ابركوا .

الاشارة بقوله « تلك » الى ما تقدم ذكره من اخبار نوح وقومه وما أحل الله بهم من الاهلاك ، والتقدير تلك الانباء من انباء الغيب ، ولو قال ذلك كان جائزاً ، لان المصادر يكنى عنها بالتأنيث تارة وبالتذكير أخرى يقولون : قدم فلان ففرحت بها وفرحت به ، أي بقدومه أو بقدمته . والغيب ما غاب عن النفس معرفته بطريق الستر له بخلاف السهو ، لانه ذهاب المعنى عن النفس بحال ينافي الذكر .

وقوله « نوحيها اليك » اي نوحي اليك تلك الاخبار .

وقوله « ما كنت تعلمها انت ولا قومك » معناه ان هذه الاخبار التي اعلمناك اياها لم تكن تعلمها قبل وحينا اليك ولا قومك من العرب يعرفونها قبل ايحائنا اليك .

وقوله « فاصبر ان العاقبة للمتقين » امر للنبي (ص) بأن يصبر على اذى قومه وجهلهم بموضعه ، كما صبر نوح مثل ذلك على قومه ، وهو احد الوجوه التي لاجلها كرر الله تعالى قصص الانبياء في الاعراف ، وهود ، والشعراء ، ليصبر النبي (ص) على اذى قومه حالا بعد حال .

وقوله « ان العاقبة للمتقين »

اخبار منه تعالى بأن العاقبة

المحمودة لمن اتقى معاصي

الله وتحرز من

عقابه

تم المجلد الخامس

ويليه المجلد السادس

وأول قوله تعالى

والى عاد اخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا

الله ما لكم من إله غيره .....»

آية (٥٠) من سورة هود

الفهارس

١ ــ فهرس الآيات المستشهد بها

الصفحة	آية
	(٢) سورة البقرة
٢٥	ويل للذين يكتبون الكتاب
	بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ٧٩
٢٧	فامساك بمعروف ٢٢٩
٤٩ / ٧٨ / ١٢٨ / ٥٤٩	الله يستهزيء
	بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ١٥
٩٢	من السماء من ماء ١٦٤
١٢٠ / ٣٩٣	هل ينظرون إلا أن ٢١٠
٢١٨	وتركهم في ظلمات لا يبصرون ١٧
٢٧٦	فمن جاءه موعظة ٢٧٥
٢٩٣	ثم عفونا عنكم ٥٢
٣٤٠	علم الله انكم كنتم تختانون ١٨٧
٣٤٨	الذي جعل لكم الارض فراشاً ٢٢
٣٥٢	من ذا الذي يقرض الله ٢٤٥
٣٦٠	وعسى ان تكرهوا شيئاً ٢١٦

الصفحة	آية
٣٦١	ولا خوف عليهم ٦٢
٣٦٦	ليس البران تولوا وجوهكم ١٧٧
٤٠٤	فمن اعتدى عليكم فاعتدوا ١٩٤
٤٠٥	فاذا رأتم فيها ٧٢
٤٠٩	كان الناس امة واحدة ٢١٣
٤٢٣	اذ تبرأ الذين اتبعوا من ١٦٦
٤٤١	بلغن اجلهن فامسكوهن ٢٣١
٤٤١	فان فاءوا فان الله ٢٢٦
٤٦٠	افضتم من عرفات ١٩٨
٤٨٢	والفتنة اشد من القتل ١٩١
٤٨٤	وباءوا بغضب ٦١
٤٨٥	ممن ترضون من الشهداء ٢٨٢
٤٨٩	يؤمنون بالغيب ٣
٤٩٤	قال بلى ولكن ليطمئن ٢٦٠
٥٣٢	بما كانوا يكذبون ١٠

الصفحة	آية
٥٦٠	يا بني ان الله اصطفى لكم ١٣٢
٥٦٤	كن فيكون ١١٨

(٣) سورة آل عمران

٢٢ / ٤٨٤	ضربت عليهم الذلة ١١٢
٢٧	وتؤمنون بالكتاب كله ١١٩
٣١	هب لي من لدنك ذرية ٣٨
٤٢	انما نملي لهم ليزدادوا إثما ١٧٨
٤٩ / ٥٤٩ / ٥٥٤	والله خير الماكرين ٥٤
١٠١	امنة نعاساً يغشى ١٥٤
١١٢ / ٣٥٢	ثم وهنوا لما اصابهم ١٤٦
١٦٠	اذ قالت الملائكة ٤٥
٣٦٢	لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ٨
٣٧٩	حسبنا الله ونعم الوكيل ١٧٣
٤٠٥	فادرؤا عن انفسكم الموت ١٦٨
٤٩٩	وكنتم على شفى حفرة من النار ١٠٣
٥٣٨	ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ٧٣
٥٤٤	من انصاري الى الله ٥٢
٥٦٤	كن فيكون ٤٧ ، ٥٩

الصفحة	آية

(٤) سورة النساء

٤٤	وما ارسلنا من رسول الا ليطاع ٦٣
٤٩	يخادعون الله وهو خادعهم ١٤١
٢٠٥	ان امرؤ هلك ليس له ولد ١٧٥
٢٣٧	يحرفون الكلم عن مواضعه ٤٥
٣٣٦	واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ٧٦
٣٦٧	فأولئك مع الذين انعم الله عليهم ٦٨
٤١٢ / ٥٥٥	وبث منهما رجالا كثيراً ١
٤٠٩	فكيف اذا جئنا من كل امة ٤٠
٤٤٣	ليجمعنكم الى يوم القيامة ٨٦
٤٥٨	كفى بالله ٥ ، ٤٤ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٣١ ، ١٦٥ ، ١٧٠
٤٦٩	واولى الأمر منهم ٨٢
٤٨٥	من قبل ان نطمس وجوهاً ٤٦
٤٨٩	يؤمنون بالجبت ٥٠

(٥) سورة المائدة

٢٧	فكلوا مما امسكن ٥
٢٣٧	يحرفون الكلم عن مواضعه ١٤
٣٦١	فلا خوف عليهم ٧٢
٤٧٨	أأنت قلت للناس ١١٩

الصفحة	آية
	(٦) سورة الانعام
١١٨	ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ٢٨
١٨٠ / ٤١٩	فله عشر امثالها ١٦٠
٣٩٨	ثم قضى اجلا وأجل مسمى ٢
٤١٢	قل سيروا في الارض ١١
٤٢١	وهذا كتاب أنزلناه ٩٢ ، ١٥٥
٤٣٠	هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ١٣٦
٤٣٧	ولا تزر وازرة وزر أخرى ١٦٤
٤٤٣	ليجمعنكم الى يوم القيامة ١٢
٥٥٥	ثمانية ازواج من ١٤٣ ـ ١٤٤
٥٦٤	كن فيكون ٧٣
	(٧) سورة الاعراف
٧	وممن خلقنا أمة يهدون ١٨٠
٧	من يهد الله فهو المهتدي ١٧٧
٤٤	ونادى اصحاب الجنة اصحاب ٤٣
٢٨٨	لربهم يرهبون ١٥٣
٣٨٦	يعرشون ١٣٦
٤٢٤	وبلوناهم بالحسنات ١٦٧
٤٨٥	ان تقولوا يوم القيامة ١٧١
٥٠١	لان كشف عنا الرجز ١٣٣
٥٠١	فلما كشفنا عنهم الرجز ١٣٤
٥٣٧	وكتبنا له ... فخذها ١٤٤
٥٤٩	فبما اغويتني ١٥
٥٥٨	ايان مرساها ١٨٦
	(٨) سورة الانفال
١٢١	إنما أموالكم واولادكم فتنة ٢٨
١٢٧	يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ٤١
٣٣٦	وما كان صلاتهم عند البيت ٣٥
	(٩) سورة التوبة
٤٩	سخر الله منهم ٨٠
٧٤	واغلظ عليهم ٧٤
١٤٠	يوم يحمى عليها في نار جهنم ٣٦
١٤٦	ألم يعلموا انه من يحادد الله ٦٤
١٧٦	اقتلوا المشركين ٦
٢٦١	وما كان المؤمنون لينفروا ١٢٣
٣١١	ولا تصل على احد منهم مات ٨٥
٣٥٤	لكن الرسول والذين امنوا ٨٩
٣٦٤	واخرون مرجون الى امر الله ١٠٧

الصفحة	آية
٣٩١	والله ورسوله أحق أن ٦٣
٤٢٨	وكلمة الله هي العليا ٤١
٤٥٥	فرح المخلفون بمقعدهم ٨٢
٥٣٢	احسن ما كانوا يعملون ١٢٢

(١٠) سورة يونس

٤٢	ربنا إنك آتيت فرعون ٨٨
٦٤	هو الذي يسيركم في البر والبحر ٢٢
١٠٢	كانما اغشيت وجوههم ٢٧
٤٥٨	كفى بالله ٢٩
٤٩٢	اذا ادركه الغرق قال آمنت ٩٠
٥٠١	يا ايها الناس قد جاءكم الحق ١٠٨

(١١) سورة هود

١٦٦	وما من دابة في الارض إلا ٦
٤٥٥	انه لفرح فخور ١٠
٤٥٨	من إله غيره ، ٥٠ ، ٦١ ، ٨٣
٤٦٩	ذلك يوم مجموع له الناس ١٠٤
٥٣٥	ان الحسنات يذهبن ١١٥
٥٤٨	لن يؤمن من قومك الا من ٣٦

الصفحة	آية

(١٢) سورة يوسف

٦٨	والشمس والقمر رأيتهم لي ٤
٧٥	نزغ الشيطان بيني وبين ١٠٠
١٧٩	حتى تكون حرضاً ٨٥
٣٠٣	ولقد همت به وهم بها لولا ٢٤
٤٦٨	وما كنت لديهم اذ اجمعوا ١٠٢
٥١٩	وادّكر بعد امة ٤٥
٥٢٧	ان كان قميصه قد من دبر ٢٧
٥٦٨	وكانوا فيه من الزاهدين ٢٠

(١٣) سورة الرعد

٩١	وتطمئن قلوبهم بذكر الله ٣٠
٤٥٨	كفى بالله ٤٥
٥٣٧	والملائكة يدخلون عليهم ٢٥ ـ ٢٦

(١٥) سورة الحجر

٥٤٩	بما اغويتني ٣٩

(١٦) سورة النحل

٢٠ / ٥٦٤	انما قولنا لشيء اذا اردناه ٤٠

صفحة	آية
٣٥	والله اخرجكم من بطون امهاتكم ٧٨
٣٨٦	يعرشون ٦٨
٤٣١	ويعبدون من دون الله مالا يملك ٧٣
٤٧٣	لاجرم ان لهم النار ٦٢
٤٨٣	وأوحى ربك الى النحل ٦٨
٥٤٧	وجادلهم بالتي هي احسن ١٢٥

(١٧) سورة الاسرى

٣١	ذرية من حملنا مع نوح ٣
١٨٤	وما كنا معذبين حتى نبعث ١٥
٢٧٤	واستفزز من استطعت ٦٤
٢٧٩	وقل جاء الحق وزهق الباطل ٨١
٣٩٧/	٣٩٩ ويدعو الانسان بالشر ١١
٤٢٤	فاولئك يقرؤن كتابهم ٧١
٤٢٤	اقرأ كتابك ١٤
٤٣٧	ولا تزر وازرة وزر أخرى ١٥
٤٥٨	كفى بالله ٩٦

(١٨) سورة الكهف

٣٢	تذروه الرياح ٤٦
٢٥٩	فقال لصاحبه ... اكفرت ٣٥

صفحة	آية
٢٧٥	فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ٢٩
٢٨٤	اما السفينة فكانت لمساكين ٨٠
٣٧٨	قل انما انا بشر مثلكم ١١١
٤١٤	واحيط بثمره ٤٣
٤٤٣	وحشرناهم فلم نغادر ٤٨
٤٤٣	فجمعناهم جمعاً ١٠٠
٤٤٤	لبثنا يوماً او بعض يوم ١٩

(١٩) سورة مريم

٢٢	ارسلنا الشياطين على الكافرين ٨٤
٢٤	فخلف من بعدهم خلف اضاعوا ٥٩
٣١	فهب لي من لدنك ولياً ٤
٣١	يا زكريا انا نبشرك بغلام ٦
٣٢٩	ما كان ابوك امرأ سوء ٢٨
٣٩٥	قد جعل ربك تحتك سرياً ٢٣
٥٤٨	فسوف يلقون غياً ٥٩
٥٦٤	كن فيكون ٣٥

(٢٠) سورة طه

٤٤٣	ونحشره يوم القيامة أعمى ١٢٤
٤٤٣	وكذلك نجزي من اسرف ١٢٤

صفحة	آية
٥٤٨	وعصى آدم ربه فغوى ١٢١
	(٢١) سورة الانبياء
٤٨	وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا ٧٣
٤٨	بل تأتيهم بغتة فتبهتهم ٤٠
٦٨	بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ٦٣
٩١	لا يحزنهم الفزع الاكبر ١٠٣
٩٢	قالوا أأنت فعلت هذا ٦٢
٢٨٧	وما ارسلناك إلا رحمة ١٠٧
٣١٦	فاذا هو زاهق ١٨
٣٦١	فاذا هي شاخصة ابصار ٩٧
٥٦٨	وانا على ذلكم من الشاهدين ٥٦
٥٠٧	مسني الضر ٨٣
	(٢٢) سورة الحج
٣٧	كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ٤
٣٣٦	فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ٧٨
٤١٥	ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم ٦٠
	(٢٣) سورة المؤمنون
٧٨	انما نمدهم به من مال وبنين ٥٦

صفحة	آية
١٥٧	وهو يجير ولا يجار عليه ٨٩
٤٤٤	لبثنا يوماً أو بعض يوم ١١٣
٤٥٨	مالكم من إله غيره ٢٣ ، ٣٢
٥٣١	أيعدكم انكم اذا متم ٣٥
	(٢٤) سورة النور
٦٤	فاجلدوهم ثمانين جلدة ٤
١١٥	والذين كفروا اعمالهم ٣٩
١٤٠	ثم يجعله ركاماً ٤٣
٢٩٤	وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ٢
٣٣٦	واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ٥٦
	(٢٥) سورة الفرقان
٤٤	ولقد صرفناه بينهم ليذكروا ٥٠
٢٢٥	اصحاب الجنة يومئذ خير ٢٤
٣٢٩	ان عذابها كان غراماً ٦٥
٤٤٢	اهذا الذي بعث الله رسولا ٤١
٥٦٩	يوم يرون الملائكة لا بشرى ٢٢
	(٢٦) سورة الشعراء
٤٨	فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ٢٠٢

صفحة	آية	
٦٨	٢٢	وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت
٤١٣	١١٩	في الفلك المشحون
٥٠٠	٤	ان نشأ ننزل عليهم من السماء

(٢٧) سورة النمل

٦٨	٦٤	هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين
٧٨	٣٦	اتمدونني بمال
١٢٢	١٨	يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
٢٨٨	٧٢	ردف لكم
٢٧٨	٢٨	فالقه اليهم ثم تولّ عنهم
٣٣٤	٤٤	صرح ممرد من قوارير
٣٥٣	٨٨	صنع الله الذي اتقن
٤١٢	٦٩	قل سيروا في الارض
٤٥٩	٩	إنه انا العزيز الحكيم

(٢٨) سورة القصص

٤٢/	٤٨٥	فالتقطه آل فرعون
٤٢	٩	قرة عين لي ولك لا تقتلوه
٢١٤	٤١	وجعلناهم ائمة يدعون
٤٥٥	٧٦	ان الله لا يحب الفرحين
٥٤١	٦٦	فعميت عليهم الانباء

صفحة	آية	
٥٦٨	٢٠	اني لك من الناصحين

(٢٩) سورة العنكبوت

١٧١	٢	احسب الناس ان يتركوا
١٧٢	٤	ام حسب ... الاساء ما يحكمون
١٧٨	٣٣	انا منجوك واهلك
٤١٢	٢٠	قل سيروا في الارض
٤٥٨	٥٢	كفى بالله
٥٠٣	٢٤	فأنجاه الله من النار

(٣٠) سورة الروم

٣٥٣	٣٠	فطرة الله التي فطر الناس عليها
٣٦١	٤٧	وكان حقاً علينا نصر المؤمنين
٤١١	٣٦	وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم
٤١٢	٤٢	قل سيروا في الارض
٤٥٥	٤-٥	ويومئذ يفرح المؤمنون

(٣١) سورة لقمان

٥٥	٣٤	ان الله عنده علم الساعة
٢٢٨	١٥	وان جاهداك على ان تشرك
٣٣٦/	١٩	٣٣٧ لصوت الحمير

صفحة	آية
	(٣٢) ألم السجدة
١٦١	ولو ترى اذ المجرمون ١٢
	(٣٣) سورة الاحزاب
٢٧ / ٥٥٥	امسك عليك زوجك ٣٧
١٥	ان الذين يؤذون الله ورسوله ٥٧
٢٤٦	والذاكرين الله كثيراً ٣٥
٣٦٦	رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ٢٣
٤٥٨	كفى بالله ٣ ، ٤٨
	(٣٤) سورة سبأ
١٣٢	ويرى الذين اوتو . . . هو الحق ٦
	(٣٥) سورة فاطر
٤١٥	ولا يحيق المكر السيء الا بأهله ٤٣
٤٣١	ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ١٤
٤٣٧	ولا تزر وازرة وزر اخرى ١٨

صفحة	آية
	(٣٦) سورة يس
١٠٢	فاغشيناهم فهم لا يبصرون ٩
٤١٣	في الفلك المشحون ٤١
٥٦٤	كن فيكون ٨٢
	(٣٧) سورة الصافات
٣٣٧	بل عجبت ويسخرون ١٢
٤٢٨	وانكم لتمرون عليهم ٣٧١
	(٣٨) سورة ص
٣٨	المصطفين الاخيار ٤٧
٦٣	حتى توارت بالحجاب ٣٢
٤١٥	بغى بعضنا على بعض ٢٢
	(٣٩) سورة الزمر
٥٣٧	والذين اتخذوا من دونه اولياء ٣
٤٣٧	ولا تزر وازرة وزر اخرى ٧
	(٤٠) سورة المؤمن
٣٨٦	الذين يحملون العرش ومن حوله ٧
٤٥٥	فرحوا بما عندهم من العلم ٨٣

صفحة		آية
٤٩٩	فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا	٨٥
٥٦٤	كن فيكون	٦٨
	(٤١) سورة حم السجدة	
٢٠	اتيا طوعاً او كرها قالتا	١١
٢٣٠	واما ثمود فهديناهم فاستحبوا	١٧
٢٧٤	اعملوا ما شئتم	٤٠
٥٠٣	ونجينا الذين امنوا	١٨
	(٤٢) سورة الشورى	
٣٧٢	والذين يحاجون في الله	١٦
٤٤٢	وترى الظالمين مشفقين	٢٢
٥٤٨ / ٥٥٤	وجزاء سيئة سيئة	٤٠
	(٤٣) سورة الزخرف	
٩٥	هل ينظرون الا الساعة ان	٦٦
١٣٢	ولكن كانوا هم الظالمون	٧٦
٢٥٨	وجعلوا الملائكة ... اناثاً	١٩
٣٨٣	ولما جاءهم الحق قالوا هذا	٣٠
٣٩٥	أليس لي ملك مصر	٥١
٤٢٤	ورسلنا لديهم يكتبون	٨٠

صفحة		آية
	(٤٤) سورة الدخان	
٣٨	ولقد اخترناهم على علم	٣٢
	(٤٧) سورة محمد	
١٨٣	فاما منا بعد واما فداء	٤
	(٤٨) سورة الفتح	
٦٢	انا ارسلناك شاهداً	٨ - ٩
٩٥	ولولا رجال مؤمنون ونساء	٢٧
٢٣٥	لتدخلن المسجد الحرام	٢٧
٣٢٩	وظننتم ظن السوء	١٢
٤١٥	فمن نكث فانما ينكث على نفسه	١٠
٤٢٨	والزمهم كلمة التقوى	٢٦
٤٥٨	كفى بالله	٢٨
	(٤٩) سورة الحجرات	
٣٦٢	قالت الاعراب	١٤
٤٩٠	فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء	٩
	(٥١) سورة الذاريات	
٤٤	وما خلقت الجن والانس إلا	٥٦
٤٨٢	يوم هم على النار يفتنون	١٣

صفحة	آية
٥٥٥	ومن كل شيء خلقنا زوجين ٤٩
	(٥٢) سورة الطور
٧٨	وأمددناهم بفاكهة ٢٢
٣٢٩	من مغرم مثقلون ٤٠
	(٥٣) سورة النجم
٩٢ / ٤٠٣	وما ينطق عن الهوى ٣-٤
١٠٢	فغشاها ما غشى ٥٤
٢٩٨	والمؤتفكات اهوى ٥٣
	(٥٤) سورة القمر
٤٤٣	اقتربت الساعة ١
	(٥٥) سورة الرحمن
٣٩٧	سنفرغ لكم ٣١
٢٤٩	الشمس والقمر بحسبان ٥
	(٥٧) سورة الحديد
٤٥	لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ٢٥
١٩٢	ما أصاب من مصيبة في الارض ٢٢

صفحة	آية
	﴿٥٨﴾ سورة المجادلة
٣٤٠ / ٣٣٦	فأقيموا الصلاة وآتوا ١٣
٤٢٨	كتب الله لأغلبن انا ورسلي ٢١
	(٥٩) سورة الحشر
١٤٣	ما أفاء الله على رسوله من اهل ٧
	(٦١) سورة الصف
٣٦٢	فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ٥
	(٦٣) سورة المنافقون
٥٤ / ٤٥٩	فأصدق وأكن ١٠
٣١٠	سواء عليهم استغفرت لهم ام لم ٦
	(٦٤) سورة التغابن
١٢١	انما اموالكم واولادكم فتنة ١٥
	(٦٥) سورة الطلاق
٢٧٣	ومن يتوكل على الله فهو حسبه ٣
٤٤١	فاذا بلغن اجلهن ٢
	(٦٦) سورة التحريم
٧٤	واغلظ عليهم ٩

صفحة		آية
	(٦٧) سورة الملك	
٢٥٨	ان اصبح ماؤكم غوراً	٣٠
٤١٢	فامشوا في مناكبها	١٥
	(٦٨) سورة القلم	
٢٢٩	من مغرم مثقلون	٤٦
	(٧٠) سورة المعارج	
١٣١	سأل سائل بعذاب واقع	١
	(٧١) سورة نوح	
٤٥٥	أنبتكم من الارض نباتاً	١٧
٥٥١	رب لا تذر على الارض	٢٦ ـ ٢٧
	(٧٢) سورة الجن	
٤٤٥	واما القاسطون فكانوا لجهنم	١٥
	(٧٣) سورة المزمل	
٤٣٧	تجدوه عند الله هو خيراً	٢٠
	(٧٤) سورة المدثر	
٥٠١	والرجز فاهجر	٥

صفحة		آية
	(٧٦) سورة الدهر	
٢١٨	هل اتى على الانسان حين	١
	(٧٩) سورة النازعات	
٥٥٨	ايان مرساها	٤٢
٥٥٨	والجبال ارساها	٣٢
	(٨٤) سورة الانشقاق	
٢٨٦	واذنت لربها	٢
	(٩١) سورة الشمس	
٩٣	وما بناها	٥
	(٩٢) سورة الليل	
٩٣	وما خلق الذكر والانثى	٣
	(٩٦) سورة العلق	
٢٨٧	خلق الانسان من علق	٢
	(٩٩) سورة الزلزال	
٤٢٤	فمن يعمل مثقال ذرة خيراً	٧ ـ ٨
٥٣٥	اوحى لها	٥

٢ ـ فهرس الاحاديث

صفحة

٣٨ عن ابي جعفر (ع) في تفسير « آتيناه آياتنا فانسلخ منها ... »

٧٤ عن النبي (ص) : ان جبرائيل قال له : معنى « وامر بالمعروف » تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفوا عمن ظلمك ...

٨٦ عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) : ان (الانفال) كل ما اخذ من دار الحرب بغير قتال ، وميراث من لا وارث له ...

٨٨ عن النبي (ص) : ايما سرية خرجت بغير اذن امامها فأصابت من شيء فهو غول.

٩٧ عن النبي (ص) في حديثه مع اصحابه عند ما بلغه ان قريش خرجت لحماية العير ، وانه قال : سيروا على بركة الله وابشروا ...

١١٧ عن ابي جعفر (ع) « ان شر الدواب » نزلت في بني عبد الدار .

١٢٠ عن ابي عبد الله (ع) - في معنى « يحول بين المرء وقلبه » قال لا يستيقن القلب ان الحق باطل ابداً ولا يستيقن ان الباطل حق ابداً .

١٢٩ حديث مبيت علي (ع) على فراش رسول الله (ص) .

١٤٢ عن النبي (ص) ايما امراة نكحت بغير اذن مولاها فنكاحها باطل .

١٤٥ عن النبي (ص) ان ذوي القربى بنو هاشم وبنو عبد المطلب .

صفحة

١٨٤ عن النبي (ص) احلت لي الغنيمة ولم تحل لنبي قبلي .
١٨٥ عن ابي جعفر (ع) حديث النبي (ص) مع العباس وهو اسير يوم بدر
١٨٩ عن ابي جعفر (ع) ان المؤمنين كانوا يتوارثون بالهجرة .
١٩١ عن النبي (ص) . لا هجرة بعد الفتح .
١٩٧ حديث عن ابي عبد الله (ع) في اول الاشهر الحرم ، واخرها .
١٩٨ عن النبي (ص) انه قال : لا يبلغ عني إلا رجل مني .
٢١٤ عن علي (ع) وابي جعفر (ع) ان « ائمة الكفر » نزلت في اهل الجمل
٢٢٣ عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) ان « اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله ... » نزلت في العباس ، وعلي (ع) .
٢٣٥ عن ابي عبد الله (ع) لا يجوز دخول المشركين المسجد إلا ان يكون عبداً او احداً من اهل الذمة .
٢٤٤ عن ابي جعفر (ع) في ان « ليظهره على الدين كله » يكون ذلك عند خروج القائم (ع) ...
٢٤٧ عن علي (ع) : كلما زاد عن اربعة آلاف فهو كنز اديت زكاته او لم تؤد وما دونها فهو نفقة .
٢٤٧ عن النبي (ص) انه سئل اي مال يتخذ فقال : لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة تعين احدكم على دينه .
٢٦٩ عن النبي (ص) تراصوا في الصفوف لا يتخللكم اولاد الحذف .
٢٨٣ عن النبي (ص) ليس المسكين الذي ترده الأكلة .. وانما ...
٢٨٤ عن ابي جعفر (ع) ان سهم المؤلفة كان خاصاً على عهد رسول الله (ص)

صفحة

٢٨٤ عن ابى جعفر (ع) ان الغارمين هم الذين ركبتهم الديون في غير معصية .

٢٨٥ عن ابى جعفر وابى عبد الله (ع) ان لقاسم الزكاة ان يضعها في اي الاصناف شاء .

٢٨٩ عن النبي (ص) انه قال : من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل .

٢٨٩ عن النبي (ص) من اطاع الله ورسوله هدى ومن عاصاهما فقد غوى

٢٩٧ عن النبي (ص) : والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل احدهم جحر . . .

٣١٠ ما روي عن النبي (ص) في الاستغفار للمنافقين انه قال : لا زيدن على السبعين .

٣١١ روي عنه (ص) انه قال : لو علمت اني لو زدت على السبعين مرة لغفر لفعلت .

٣٣٤ عن النبي (ص) انه قال - في خطبة الجمعة لرجال - اخرجوا فانكم منافقون .

٣٣٩ روي عن النبي (ص) ان الصدقة قد تقع في يد الله قبل ان تصل الى يد السائل .

٣٤٠ في الخبر أن اعمال العباد تعرض على النبي (ص) في كل إثنين وخميس فيعلمها وكذلك تعرض على الأئمة فيعرفونها .

٣٤٢ قصة كعب بن مالك وما قال رسول الله (ص) فيه عندما تخلف واقر بان لا عذر .

صفحة

٣٤٤ حديث أمر النبي (ص) بهدم مسجد ضرار وحرقه .

٣٤٦ عن النبي (ص) انه قال لاهل قباء : ماذا تفعلون في طهركم فان الله احسن عليكم الثناء .

٣٥٤ عن النبي (ص) سياحة امتي الصوم .

٣٦٢ خبر ابى خيثمة ، وما قال النبي (ص) فيه - عند تخلفه ولحوقه بالمجاهدين

٤٠٩ عن النبي (ص) انه قال : (نظر الله الى اهل الارض فمقتهم إلا بقية من اهل الكتاب) .

٤١٩ عن ابى جعفر (ع) في معنى « للذين احسنوا الحسنى وزيادة » انه قال : ما أعطاهم اياه في الدنيا لا يحاسبهم فيه في الآخرة .

٤٤٨ عن ابي جعفر (ع) في قوله تعالى « إن اتاكم عذابه ... » انه ينزل في آخر الزمان على فسقة اهل القبلة .

٤٥١ روي انه قيل لرسول الله (ص) ما يغنيهم اسرار الندامة ؟ قال يكرهون شماتة الاعداء .

٤٦١ عن الحسين (ع) حديث طويل فى وصف اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون .

٤٧٣ عن النبي (ص) انه قال في قتلى بدر : أولئك الملأ من قريش ..

٤٩٤ عن النبي (ص) شككت ولا انا شاك .

٥٢٨ عن علي (ع) وابي جعفر (ع) والحسين بن علي (ع) في معنى قوله تعالى «ويتلوه شاهد ...»

٥٦٦ عن النبي (ص) : سلمان منا اهل البيت .

٣ ـ فهرس الردود

صفحة

٧ رد على من يقول : لا يهدي الى الحق إلا الله .

٣٤ رد على من يروي عن سليمان ابن بشار او مسلم بن بشار : من أن الله اخرج من ذرية آدم من ظهره واشهدهم على انفسهم وهم كالذر .

٣٨ رد على من يفسر « آتيناه آياتنا فانسلخ منها » بأنه نبي عصى .

٤٨ رد على المجبرة في قولهم : يستدرج الله العباد الى الضلال والكفر .

٥٧ رد على الجبائي في استدلاله بـ « انما علمها عند الله » على بطلان قول الرافضة بالنص على الأئمة المعصومين .

٥٨ رد على المجبرة في تفسيرهم « قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ماشاء الله » .

٥٩ رد على من يقول لا تكون القدرة إلا مع الفعل .

٦٠ ـ ٦٥ اخذ وردحول تفسير آية ١٨٨ من سورة الاعراف ، ورد بعض الروايات ، ورد على من يقول ان آدم وحواء اشركا ابليس وغير ذلك .

٩٦ رد على المجبرة في قولهم : كل ما في الارض من سفه وباطل وفسق فالله يريده .

١١١ رد على الغلاة القائلين ان الله حل بمحمد . وعلى من يقول الفعل من الله بالايجاد ومن العبد بالاكتساب .

صفحة

١١٨ رد على من يجوز ان يكون في مقدور الله لطف لو فعله بالكافر لآمن

١٢٠ رد على المجبرة في تفسيرهم « ان الله يحول بين المرء وقلبه » بأنه يحول بين الكافر والايمان .

١٣٥ / ٢٠٥ / ٢٦٦ رد على من يقول : المعارف ضرورية . وجواب من يسأل كيف الجمع بين آيتين .

١٦٤ ردعلى المجبرة في قولهم : يجوز أن يعاقب الله البريء بجرم السقيم

١٧٥ جواب من يسأل : اذا جاز مهادنة الكافر فهل يجوز المهادنة في الامامة ؟

١٧٦ استدلال على ان « وان جنحوا للسلم » غير منسوخة .

١٨٣ رد على المجبرة في قولهم باتحاد إرادة الله وإرادة العبد

١٨٤ رد على الجبائي في استدلاله - بان النبي (ص) وقع منه معصية - بالاجماع .

٢٣٦ يستدل على ان اليهود والنصارى غير عارفين بالله

٢٣٩ جواب من يسأل كيف اخبر عن اليهود بانهم يقولون « عزير بن الله » مع انكارهم ذلك

٢٥٩ رد على من يتوهم ان « إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » فيها دلالة على الفضيلة .

٢٦١ رد على من يقول : ان المنسوخ ما لا يجوز فعله

٢٦٣ رد على من يقول ان « عفا الله عنك لم اذنت لهم » يدل على وقوع الذنب من النبي (ص)

٢٦٥ جواب من يسأل اي الجهادين افضل : جهاد السيف ام العلم ؟

صفحة

٢٧٣ جواب سؤال : ما الفائدة من كتب ما يكون قبل كونه ؟
٢٧٩ رد على المجبرة في قولهم ان الله يريد الكفر
٣٧١ رد على من يستدل بآية النفر على حجية الخبر الواحد
٤٠٣ رد على من يستدل بـ « ما يكون لي أن ابدله . . . » على عدم صحة نسخ القرآن بالسنة .
٤٠٦ رد على الكافرين بالنبي (ص) وإقامة البرهان على صدق النبوة .
٤٠٧ جواب من يسأل كيف ذم الله المشركين على عبادة الوثن لانه لا ينفع ولا يضر مع انه لو ضر ونفع لم يجز عبادته
٤١٠ رد على من يدعي ان المعارف ضرورية
٤٣٥ رد على من لا يصدق بالقرآن
٤٤٠ استدلال على ان الله لا يظلم ، ورد على من ينسب له الافعال القبيحة
٤٨٠ استدلال على ان المؤمن منصور ابداً .
٥٠٠ رد على المجبرة في المشيئة
٥١٣ رد على البلخي في استدلاله على ان كلام الله محدث
٥٢٤ رد على المشركين وكل من يشك في نزول القرآن من الله
٥٢٧ رد على من يقول بالاحباط
٥٤٩ رد على المجبرة في مذهبهم ان الله يجعل الكافر كافراً
٥٦١ جواب من يسأل كيف دعا نوح ابنه مع ان الله نهاه أن يركب فيها كافراً
٥٦٧ يرد على الرماني في قوله انما يكون الجهل قبيحاً اذا كان متعمداً

٤ – فهرس المباحث اللغوية

صفحة

١٧ ـ ١٨ بحث في (بؤس ، وبيس) وامثالها

٢٤ بحث في (خلف) بتحريك اللام واسكانه

٢٧ بحث في (ميثاق ، ومواثيق ، وميائيق وميزان وموازين) وامثالها

٣٢ / ٤٨١ بحث في (ذرية) واشباهها

٣٩ بحث في (خلد ، واخلد)

٤٥ – ٤٦ بحث في (لحد وألحد) وامثالها

٧٨ الفرق بين (مد ، وأمد)

١١٩ الفرق بين الدعاء الى الفعل والأمر به

١٤٨ بحث في اشتقاق (دنيا) وامثالها

١٧٤ ـ ١٧٥ بحث في (السلم) بالتحريك والاسكان

١٨٢ بحث في (اسير ، واسرى ، واسارى) وما يتعلق بذلك

٢١٣ بحث في (أئمة) ونظائرها

٢١٥ بحث في (ألا ، لا ، ليس)

٢٢٦ – ٢٢٧ بحث في معنى (ابد) والفرق بينه وبين الخلود

٢٤٣ متى يجوز دخول (إلا) في الايجاب ومتى لا يجوز

٢٥١ ـ ٢٥٢ بحث في (النسيّ ، والنسيء) وامثالها

صفحة

٢٨٦　بحث في (أذن ، إذن) وامثالها
٣٠٥　الفرق بين لام الابتداء ، ولام القسم
٣٠٦　بحث في (لما ، إذا ، متى ، لو) والفرق بينها
٣١٥　بحث في (احد) في حالتي النفي والايجاب
٣١٨　بحث في (فواعل) مثل خوالف وفوارس وهوالك
٣٢٩　بحث في (السؤ) بالضم والفتح وامثالها
٣٣٠　بحث في (قربة ، وقُربات)
٣٤٢　الفرق بين (الآخر ، والآخَر)
٣٤٥　بحث في (تقوى) وامثالها
٣٤٨　بحث في (جرُف) وامثاله
٣٦٠　بحث في تأنيث الفعل وتذكيره
٣٧٢　بحث في (غلظة) بسكون اللام وتحريكها ، وبفتح الغين وكسرها
٣٨٩ - ٣٩٠　بحث في (فعل ، فعلاء)
٤٠٤ - ٤٠٥　بحث في (ادراكم به ، وادراكموه) وامثالها واشباهها
٤١٨　الفرق بين (الامر والدعاء)
٤٤٥　الفرق بين القاسط والمقسط
٤٦٥　الفرق بين الجعل والفعل والتغيير
٤٨٨　بحث في (تفعلان) . و (قيراط . ودينار)
٥٢٥　الفرق بين الاجابة والطاعة
٥٣١　بحث في (عوج) بالفتح والكسر

صفحة

٥٣٦ بحث في العمى والصمم والسمع والبصر والادراك

٥٣٩ ، ٥٤٠ بحث في (بادي) و (بادىء) وفي (انسان) و (مثل)

٥٤٠ بحث في (رذل) وجمعه وجمع جمعه

٥٤١ / ٥٤٢ بحث في (عميت) بالتخفيف والتشديد

٥٤٣ بحث في (انلزمكموها) واشباهها

٥٤٧ الفرق بين الجدل والحجاج

٥٥٢ بحث في (فَعَل . وفُعُل)

٥٥٥ بحث في زوج وزوجة

٥٦٠ بحث في ياء المتكلم في حال النداء مثل (يا بني)

٥ - فهرس الامثال

٢٤٨ آخر الداء الكي

٤٨٤ بؤ بشسع كليب

٥٢٦ يبخصها حمقاء

٥٣٦ اطرى انك ناعلة

٦ – فهرس الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٥	١٨	وانما	وانما
٧	٩	ولا ذلالة	ولادلالة
٧	١٧	يهدية	يهديه
٩	٩	ثتي	اثني
٩	١٨	فرفة	فرقة
١١	١٦	وغيره الجبائي	الجبائي وغير
١٢	١١	بمنزلة	بمنزلة
١٤	١٤	فأتي	تأتي
١٥	٦	أحذه	أخذه
١٥	١٢	معذبهم	مغذبهم
٢١	١	المنزلة	النازلة
٥٤	٨	وقيل	وقبل
٥٦	٨	تخفى	تحفى
٦٦	١٦	لنسفه	لنفسه
٨٥	١٠	لا انفال	الانفال
١٤٣	١٦	يعضه	يضعه

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٢١٦	٤	بأيديكم وينصركم	بايديكم ويخزيهم وينصركم
٢٤١	١	صوف	صرف
٢٦٩	٧	القائلون	القابلون
٢٧٤	١٥	واستقرز	واستفزز
٢٨٩	١٩	يعصمها	يعصيها
٤٦٠	١	في عرفات	من عرفات
٤٨٥	١٨	وقولهم	وقوله
٤٩٣	٨	المزل	المنزل
٥٣٤	١٦ ، ١٧	في الدراهم	في الدارهم

ملاحظة : وقع تقديم وتأخير في صفحة ٤٦٥ سطر ١٠ وصوابه:

وانه خلقه ليزول التعب والكلال بالسكون فيه . وجعل « النهار ....

استدركنا خطأ الايات المستشهد بها في فهرسها .

٧ - فهرس المواضيع

(٧) سورة الاعراف

الصفحة		رقم الاية
٥	قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً	١٥٧
٦	ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون	١٥٨
٨	وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً	١٥٩
١٠	واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها	١٦٠
١٢	فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم	١٦١
١٣	واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر	١٦٢
١٥	واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم	١٦٣
١٧	فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء	١٦٤
١٩	فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة	١٦٥
٢١	واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة	١٦٦
٢٢ - ٢٣	وقطعناهم في الارض أمما منهم الصالحون ومنهم	١٦٧
٢٤	فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض	١٦٨
٢٧	والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع	١٦٩
٢٨	واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع	١٧٠
٣١	واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم	١٧١ - ١٧٢

الصفحة		رقم الآية
٣٦	وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبأ	١٧٣ - ١٧٤
٣٨	ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض	١٧٥
٤٠	ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا	١٧٦
٤١	من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل	١٧٧
٤٢	ولقد ذأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب	١٧٨
٤٥	ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون	١٧٩
٤٧	وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون	١٨٠
٤٨	والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون	١٨١ - ١٨٢
٥١	أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو الا نذير	١٨٣ - ١٨٤
٥٣	من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم	١٨٥
٥٤	يسألونك عن الساعة أيانا مرساها قل انما علمها عند ربي	١٨٦
٥٧	قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله	١٨٧
٥٩	هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها	١٨٨ - ١٨٩
٦٥	ايشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون	١٩٠ - ١٩٢
٦٧	إن الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم	١٩٣
٦٩	ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها	١٩٤
٧١	ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين	١٩٥ - ١٩٦
٧٢	وإن تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك	١٩٧
٧٣	خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين	١٩٨
٧٤	وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله	١٩٩

الصفحة		رقم الاية
٧٥	ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا	٢٠٠
٧٧	واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون	٢٠١
٧٨	واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى	٢٠٢
٨٠	واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون	٢٠٣
٨١	واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر	٢٠٤
٨٢	ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته	٢٠٥

(٨) سورة الانفال

٨٥	يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول	١
٨٩	انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم	٢ - ٤
٩٢	كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً	٥ - ٦
٩٥	وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون	٧ - ٨
٩٧	إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف	٩
١٠٠	وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر	١٠
١٠١	إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء	١١
١٠٣	اذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا	١٢
١٠٥	ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله	١٣
١٠٦	ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار	١٤
١٠٧	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً	١٥
١٠٨	ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال	١٦

الصفحة		رقم الاية
١١٠	فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت	١٧
١١٢	ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين	١٨
١١٣	ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير	١٩
١١٤	يا أيها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تتولوا	٢٠
١١٥	ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون	٢١
١١٦	ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون	٢٢
١١٧	ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا	٢٣
١١٨	يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم	٢٤
١٢١	واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة	٢٥
١٢٣	واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض	٢٦
١٢٤	يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله	٢٧
١٢٥	واعلموا أنما اموالكم واولادكم فتنة وأن الله	٢٨
١٢٦	يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً	٢٩
١٢٧	واذ يمكروا بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك	٣٠
١٢٩	واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء	٣١
١٣٠	واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر	٣٢
١٣٢	وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم	٣٣
١٣٣	وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام	٣٤
١٣٥	وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاءاً وتصدية	٣٥
١٣٧	ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله	٣٦

الصفحة		رقم الاية
١٣٩	ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث	٣٧
١٤٠	قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف	٣٨
١٤١	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله	٣٩ ـ ٤٠
١٤٣	واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه والرسول	٤١
١٤٧	اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى	٤٢ ـ ٤٣
١٤٩	اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيراً لفشلتم	٤٤
١٥٢	واذ يركموهم اذالتقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم	٤٥
١٥٣	يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا	٤٦
١٥٤	واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا	٤٧
١٥٥	ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً	٤٨
١٥٦	واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم	٤٩
١٥٨	اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء	٥٠
١٥٩	ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم	٥١
١٦٠	ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد	٥٢
١٦٢	كداب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله	٥٣
١٦٣	ذلك بان الله لم يك مغيراً نعمة انعمها على قوم حتى	٥٤
١٦٥	كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم	٥٥
١٦٦	ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون	٥٦
١٦٧	الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة	٥٧ ـ ٥٨
١٦٩	واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء	٥٩

الصفحة		رقم الاية
١٧١	ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون	٦٠
١٧٣	واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل	٦١
١٧٤	وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله	٦٢
١٧٦	وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله	٦٣
١٧٧	يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين	٦٤
١٧٨	يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم	٦٥
١٨٠	الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً	٦٦
١٨١	ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض	٦٧
١٨٣	لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب	٦٨
١٨٥	فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً واتقوا الله	٦٩
١٨٦	يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في	٧٠
١٨٧	وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم	٧١
١٨٨	ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم	٧٢
١٩٠	والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة	٧٣
١٩١	والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله	٧٤
١٩٢	والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم	٧٥

(٩) سورة التوبة

١٩٥	براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين	١
١٩٧	فسيحوا في الأرض أربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله	٢

الصفحة		رقم الاية
١٩٩	واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله	٣
٢٠٠	إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم	٤
٢٠٢	فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم	٥
٢٠٣	وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله	٦
٢٠٦	كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله	٧
٢٠٧	كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاّ ولاذمة	٨
٢٠٩	اشتروا بآيات الله ثمناً قليلا فصدوا عن سبيله	٩
٢١٠	لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمة واولئك هم المعتدون	١٠
٢١١	فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم	١١
٢١٢	وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم	١٢
٢١٤	ألا تقاتلون قوماً نكثوا ايمانهم وهمّوا باخراج الرسول	١٣
٢١٦	قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزيهم وينصركم عليهم	١٤ - ١٥
٢١٨	ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا	١٦
٢٢٠	ماكان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين	١٧
٢٢١	انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر	١٨
٢٢٢	أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن	١٩
٢٢٤	الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله	٢٠
٢٢٥	يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات	٢١
٢٢٦	خالدين فيها ابداً ان الله عنده اجر عظيم	٢٢
٢٢٧	يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء	٢٣

الصفحة		رقم الاية
٢٢٨	قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم	٢٤
٢٣٠	لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين	٢٥
٢٣٢	ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين	٢٦
٢٣٣	ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور	٢٧
٢٣٤	يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس	٢٨
٢٣٦	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر	٢٩
٢٣٨	وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله	٣٠
٢٤١	اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله	٣١
٢٤٢	يريدون ان يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله	٣٢
٢٤٣	هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق	٣٣
٢٤٤	يا ايها الذين آمنوا ان كثيراً من الاحبار والرهبان	٣٤
٢٤٧	يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم	٣٥
٢٤٨	ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً	٣٦
٢٥١	انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا	٣٧
٢٥٤	يا ايها الذين امنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا	٣٨
٢٥٦	إلا تنفروا يعذبكم عذاباً اليما ويستبدل قوماً غيركم	٣٩
٢٥٧	إلا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا	٤٠
٢٦٠	انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم	٤١
٢٦١	لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لا تبعوك	٤٢
٢٦٣	عفا الله عنك لما اذنت لهم حتى يتبين لك	٤٣

الصفحة		رقم الاية
٢٦٤	لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر	٤٤
٢٦٥	انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر	٤٥
٢٦٦	ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن	٤٦
٢٦٨	لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا	٤٧
٢٧٠	لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور	٤٨ - ٤٩
٢٧١	ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا	٥٠
٢٧٢	قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا	٥١
٢٧٣	قل هل تربصون بنا الا أحدى الحسنيين ونحن	٥٢
٢٧٤	قل انفقوا طوعاً او كرهاً لن يتقبل منكم	٥٣
٢٧٦	وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا	٥٤
٢٧٧	فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم	٥٥
٢٧٩	ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم	٥٦
٢٨٠	لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا	٥٧
٢٨١	ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا	٥٨
٢٨٢	ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله	٥٩
٢٨٣	إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها	٦٠
٢٨٦	ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن	٦١
٢٨٩	يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق	٦٢
٢٩٠	الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم	٦٣ - ٦٤
٢٩٢	ولئن سألتهم ليقولون انما كنا نخوض ونلعب	٦٥ - ٦٦

الصفحة		رقم الاية
٢٩٤	المنافقون والمنافقال بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر	٦٧
٢٩٥	وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم	٦٨
٢٩٦	كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا	٦٩
٢٩٧	ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد	٧٠
٢٩٨	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف	٧١
٣٠٠	وعدالله المؤمنين والمؤمنات جنات	٧٢
٣٠١	يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم	٧٣
٣٠٢	يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر	٧٤
٣٠٤	ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن	٧٥
٣٠٦	فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون	٧٦
٣٠٧	فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه	٧٧
٣٠٨	الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب	٧٨
٣٠٩	الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات	٧٩
٣١٠	استغفر لهم اولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر	٨٠
٣١١	فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا	٨١
٣١٢	فليضحكوا قيلا وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون	٨٢
٣١٣	فان رجعك الله طائفة منهم فاستأذنوك للخروج	٨٣
٣١٤	ولا تصل على احد منهم مات ابداً ولا تقم على قبره	٨٤
٣١٦	ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها	٨٥
٣١٧	واذا انزلت سورة ان امنوا بالله وجاهدوا مع	٨٦

الصفحة		رقم الاية
٣١٨	رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون	٨٧
٣١٩	لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم	٨٨
٣٢٠	اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها	٨٩ ـ ٩٠
٣٢٢	ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولاعلى الذين لا يجدون	٩١
٣٢٣	ولاعلى الذين اذا ماا توك لتحملهم قلت لااجد ما احملكم عليه	٩٢
٣٢٤	انما السبيل على الذين يستأذنوك وهم اغنياء	٩٣
٣٢٥	يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم	٩٤
٣٢٦	سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم	٩٥
٣٢٧	يحلفون لكم لترضوا عنهم .... الاعراب اشد كفراً ونفاقاً	٩٦ ـ ٩٧
٣٢٨	ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر	٩٨
٣٣٠	ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر	٩٩
٣٣١	والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين	١٠٠
٣٣٣	وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة	١٠١
٣٣٥	وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر	١٠٢
٣٣٦	خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم	١٠٣
٣٣٩	الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده	١٠٤
٣٤٠	وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون	١٠٥
٣٤١	وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم	١٠٦
٣٤٣	والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً	١٠٧
٣٤٥	لا تقم فيه ابداً لمسجد اسس على التقوى من اول يوم	١٠٨

الصفحة		رقم الاية
٣٤٧	افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير	١٠٩
٣٥٠	لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم	١١٠
٣٥١	ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم	١١١
٣٥٣	التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون	١١٢
٣٥٥	ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين	١١٣
٣٥٦	وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة	١١٤
٣٥٨	وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هداهم حتى يبين لهم	١١٥
٣٥٩	ان الله له ملك السماوات والارض يحيي ويميت	١١٦
٣٦٠	لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار	١١٧
٣٦٣	وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض	١١٨
٣٦٦	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين	١١٩
٣٦٧	ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا	١٢٠
٣٦٩	ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً	١٢١
٣٧٠	وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة	١٢٢
٣٧٢	يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار	١٢٣
٣٧٣	واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايماناً	١٢٤
٣٧٤	واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم	١٢٥
٣٧٥	اولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين	١٢٦
٣٧٧	واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم .... لقد جاءكم رسول	١٢٧ ـ ١٢٨
٣٧٨	فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت	١٢٩

الصفحة رقم الاية

(١٠) سورة يونس

٣٨١	الر . تلك آيات الكتاب الحكيم	١
٣٨٣	أكان للناس عجباً أن اوحينا الى رجل منهم أن انذر الناس	٢
٣٨٥	ان ربكم الله الذي خلق السماوات والارض	٣
٣٨٧	اليه مرجعكم جميعاً وعدالله حقاً انه يبدأ الخلق ثم يعيده	٤
٣٨٩	هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً	٥
٣٩٢	ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله	٦ - ٧
٣٩٣	اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون	٨
٣٩٤	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم	٩
٣٩٥	دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام	١٠
٣٩٦	ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي	١١
٣٩٩	واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعداً او قائماً	١٢
٤٠١	ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم	١٣ - ١٤
٤٠٢	واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا	١٥
٤٠٤	قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت	١٦
٤٠٦	فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً او كذب بآياته	١٧
٤٠٧	ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم	١٨
٤٠٨	وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا	١٩

الصفحة		رقم الاية
٤١٠	ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله	٢٠
٤١١	واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم	٢١
٤١٢	هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك	٢٢
٤١٤	فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق	٢٣
٤١٦	إنما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء	٢٤
٤١٨	والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء	٢٥
٤١٩	للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر	٢٦
٤٢٠	والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها	٢٧
٤٢٢	ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين اشركوا مكانكم	٢٨
٤٢٣	فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم	٢٩
٤٢٤	هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله	٣٠
٤٢٥	قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع	٣١
٤٢٧	فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال	٣٢
٤٢٨	كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون	٣٣
٤٢٩	قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله	٣٤
٤٣٠	قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق	٣٥
٤٣٢	وما يتبع اكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً	٣٦
٤٣٣	وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله	٣٧
٤٣٤	ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله	٣٨
٤٣٥	بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تأويله	٣٩

الصفحة		رقم الاية
٤٣٦	ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم	٤٠
٤٣٧	وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريؤن	٤١
٤٣٨	ومنهم من يستمعون اليك افأنت تسمع الصم	٤٢
٤٣٩	ومنهم من ينظر اليك افأنت تهدي العمي	٤٣
٤٤٠	ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون	٤٤
٤٤١	ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار	٤٥
٤٤٤	واما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك	٤٦
٤٤٥	ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط	٤٧
٤٤٦	ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين	٤٨
٤٤٦	قل لا املك لنفسي ضراً ولا نفعاً الا ما شاء الله	٤٩
٤٤٧	قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتاً او نهاراً ماذا يستعجل	٥٠
٤٤٨	أثم اذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون	٥١
٤٤٩	ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا	٥٢
٤٥٠	ويستنبؤنك احق هو .... ولو ان لكل نفس ظلمت	٥٣ ـ ٥٤
٤٥١	الا ان لله ما في السماوات والارض الا ان وعد الله حق	٥٥
٤٥٢	هو يحيي ويميت .... يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة	٥٦ ـ ٥٧
٤٥٣	قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير	٥٨
٤٥٦	قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالا	٥٩
٤٥٧	وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة	٦٠
٤٥٨	وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن	٦١

الصفحة		رقم الاية
٤٦٠	الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون	٦٢
٤٦١	الذين آمنوا وكانوا يتقون	٦٣
٤٦٢	لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل	٦٤
٤٦٣	ولا يحزنك قولهم ان العزة لله ...	٦٥
٤٦٤	الا ان لله من في السماوات ومن في الارض ...	٦٦
٤٦٥	هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً	٦٧
٤٦٦	قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني ...	٦٨
٤٦٧	قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع في الدنيا	٦٩-٧٠
٤٦٨	واتلو عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر	٧١
٤٧٠	فان توليتم فما سألتكم من اجر ان اجري الا على الله	٧٢
٤٧١	فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف	٧٣
٤٧٢	ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات	٧٤
٤٧٣	ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون ...	٧٥
٤٧٤	فلما جاءهم الحق ... قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا	٧٦-٧٧
٤٧٥	قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا	٧٨
٤٧٦	وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم	٧٩
٤٧٧	فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون	٨٠
٤٧٨	فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر	٨١
٤٧٩	ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون	٨٢
٤٨٠	فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون	٨٣

الصفحة		رقم الاية
٤٨١	وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا	٨٤
٤٨٢	فقالوا على الله توكلنا ..... ونجنا برحمتك من القوم	٨٥ - ٨٦
٤٨٣	واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً	٨٧
٤٨٤	وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة	٨٨
٤٨٦	قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما	٨٩
٤٨٨	وجاوزنا ببني اسرائيل البحر، فأتبعهم فرعون ...	٩٠
٤٩٠	آلآن وقد عيصت قبل وكنت من المفسدين	٩١
٤٩١	فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية	٩٢
٤٩٢	ولقد بوّأنا بني اسرائيل مبوّأ صدق ورزقناهم	٩٣
٤٩٣	فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل	٩٤
٤٩٥	ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله	٩٥
٤٩٦	ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية	٩٦ - ٩٧
٤٩٧	فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس	٩٨
٤٩٩	ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً	٩٩
٥٠٠	وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله	١٠٠
٥٠٢	قل انظروا ماذا في السماوات و ... فهل ينتظرون الا مثل	١٠١ - ١٠٢
٥٠٣	ثم ننجي رسولنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا	١٠٣
٥٠٤	قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون	١٠٤
٥٠٥	وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين	١٠٥
٥٠٦	ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ...	١٠٦

الصفحة		رقم الاية
٥٠٧	وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو	١٠٧
٥٠٨	قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه	١٠٨
٥٠٩	واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله	١٠٩

(١١) سورة هود

٥١١	الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم	١
٥١٣	ألا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير	٢
٥١٤	وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم	٣
٥١٥	الى الله مرجعكم ..... الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه	٤ ـ ٥
٥١٧	وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ... وهو الذي خلق	٦ ـ ٧
٥١٩	ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن	٨
٥٢٠	ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس	٩
٥٢١	ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات	١٠
٥٢٢	الا الذين صبروا .... فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك	١١ ـ ١٢
٥٢٣	ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات	١٣
٥٢٥	فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله	١٤
٥٢٦	من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها	١٥
٥٢٧	اولئك الذين ليس لهم في الآخرة ... افمن كان على بينة	١٦ ـ ١٧
٥٣٠	ومن اظلم ممن افترى ... الذين يصدون عن سبيل الله	١٨ ـ ١٩
٥٣١	اولئك لم يكونوا معجزين في الارض ...	٢٠

الصفحه		رقم الاية
٥٣٣	اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون	٢١
٥٣٤	لاجرم انهم في الآخرة هم الاخسرون . ان الذين آمنوا	٢٢ - ٢٣
٥٣٦	مثل الفريقين كالأعمى والاصم ، والبصير والسميع	٢٤
٥٣٧	ولقد ارسلنا نوحاً .... ان لا تعبدوا الا الله	٢٥ - ٢٦
٥٣٩	فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشراً	٢٧
٥٤١	قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي	٢٨
٥٤٣	ويا قوم لا اسألكم عليه مالاً ان اجري الا على الله	٢٩
٥٤٤	ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون	٣٠
٥٤٥	ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب	٣١
٥٤٦	قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا	٣٢
٥٤٧	قال انما يأتيكم به الله ... ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان أنصح	٣٣-٣٤
٥٥٠	ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي	٣٥
٥٥١	واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن	٣٦
٥٥٢	واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا	٣٧
٥٥٣	ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ ... فسوف تعلمون من يأتيه عذاب	٣٨-٣٩
٥٥٥	حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين	٤٠
٥٥٧	وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها	٤١
٥٥٩	وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه	٤٢
٥٦١	قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لاعاصم	٤٣
٥٦٢	وقيل يأرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء	٤٤

الصفحة		رقم الاية
٥٦٤	ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلي وان وعدك الحق	٤٥
٥٦٥	قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألني	٤٦
٥٦٧	قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم	٤٧
٥٦٩	قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم	٤٨
٥٧٠	تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها	٤٩

فهرس الفهارس

٥٧٣ فهرس الآيات المستشهد بها في غير موضعها

٥٨٤ فهرس الاحاديث

٥٨٨ فهرس الردود

٥٩١ فهرس المباحث اللغوية

٥٩٣ فهرس الامثال

٥٩٤ فهرس الخطأ والصواب

٥٩٥ فهرس المواضيع

تم طبع هذا المجلد في

مطبعة النعمان - النجف الأشرف

جماد الاول سنة ١٣٨٠ هـ

تشرين الاول سنة ١٩٦٠ م

١٠٠٠ قرش لبناني

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0045777942

BP
130.4
.T8
v. 3

JUN 7 1973